
كتب الدراسات القرآنية
معارف من السيرة النبوية
دكتور
مصطفى الصاوي الجويني
رئيس قسم اللغة العربية
كلية البنات للآداب والعلوم والتربية
جامعة عين شمس
الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية
جلال حزى وشركاه

معارف من السيرة النبوية

دكتور
مصطفى الصاوي الجويني
رئيس قسم اللغة العربية
كلية البنات للآداب والعلوم والتربية
جامعة عين شمس

الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية
جلال حزى وشركاه

الإهـــــداء

يأيهـا الأُمِّيُّ حَسْبُـكَ رُتْبَـةً

فى العِلْـم أن دَانَتْ بك العَلَمَاءُ

أحمد شوقى

بســـم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة :

هذا العمل العلمى أتقدم به لقارئى الكريم رمزاً لحب ، وآية لوجْد يفيض به القلب نحو رسول الإسلام ، وخاتم الأنبياء محمد رسول الله ﷺ .

إن الحب لرسول الله من الحب لله ، وحب الله ورسوله فوق أن يُحَدَّ ويعجز عن العبارة عنه كل ذى بيان ، وإن بلغت موهبته الغاية . وإذن فالرمز يختزن هذا البيان الذى يحوطه طوفان المشاعر والأحاسيس على مدى خمسة عشر قرنا ، والتآليف فى سيرة الرسول الكريم ، وتصوير جوانب من عظمة شخصيته .

وكان التناول لسيرة الرسول على مستويين ، إما علمى موضوعى ، وإما إبداعى أدبى . وبرز فى كل مؤلف عن الرسول بَعْد تصوره لشخصية الرسول محمد ﷺ . أسلوب معالجة المؤلف للسيرة ، وثقافته هو العلمية ، ثم صورة عصره ، وأشير هذا إلى بحث لى بعنوان « البحث عن البطولة » عرضت فيه لما تتسم به سيرة الرسول فى مصر من لون تلونت به فضفرت فيه عاطفة الوجدان ، وحيوية الفن لموضوعية العلم ، وإن فى درس السيرة النبوية لأبعاداً وآماداً .

ومن إعجاز هذه الشخصية التى صنعها الله تعالى على عينه – وفى عصرنا هذا الذى تكشفت فيه ، وفرة من علوم ومعارف أو استخدمت مناهج علمية وفنية جديدة ، فى هذا العصر انتهى الأمر فى شخصية الرسول سواء من الجانب العلمى أو الفنى إلى أن هذه الشخصية الكريمة تتخطى كل مثل أعلى بمقياس العلم أو الفن ، وإلى هذا المعطى اطمأن القدماء وإليه كذلك يركن المحدثون .

ولقد بدا لى أن أدرس السيرة من زاوية لم يسبق لأحد درسها فأدرس الشخصية العظيمة ، وماصدر عنهما من قول ، وما أثارته تلك الأقوال من معارف ، ويشاء الله أن تظل شخصية الرسول محمد ﷺ بفعلها وبقولها معجزة تشع على الدنيا فقد أضاء نورها جنبات الكون معارف رأيت أن أحدها فى علوم الدين وعلوم العربية من لغة ونحو ، بل وعلم الفهرسة قبل أن تنشط الدراسات المكتبية ، وتنهض بعلوم الفهرسة والتصنيف ، ثم ماينتمى إليه الحديث من الأنواع الأدبية . وفنون التعبير التى صيغ فيها وعلى الرغم من نماذج الفن بالعلم فى هذه الدراسة ، فإنى أحس بعمق ، أن كل جهد يبذل فى درس شخصية الرسول العظيم هو دون المطمح ، ونطمع فيما هو أكمل ، ولكن ماالحيلة وشخصية النبى الكريم تعجز دونها علوم الدنيا ، وكل فنونها .

وأخيراً عجز تعبيرى فى الإفصاح عن مكنون حبى لمحمد ﷺ ، وعجزت وسائلى العلمية أن تُجِدَّ ما أثاره من علوم ، وهدى إليه من فنون .

وكان لزاما أن يكون الرمز بهذا العمل للحب ، وأن يكونالمنهج تخطيطا يشير إلى أبعاد وأعماق تحتاج فى تفصيلها إلى آماد .. ولايقوم به فرد أو جماعة ولاجيل يله أجيال وأجيال .

وتبقى بعد شخصية الرسول محمد ﷺ . معجزة على كل المستويات ، وبكل المعايير .

وإنى لأحس بعمق الجميل الذى أسدته لى ابنتى وتلميذتى الدكتورة صباح عبد الله بافضل الأستاذة المساعدة بكلية التربية للبنات بجدة .

فقد كانت تحرر ما أخطه ، وتراجعه ، سواء فى عملى هذا أو فى غيره من أعمال جزاها الله عنى خير مايجزى الأوفياء الصادقون

والشكر موفوراً موصولاً لابنى العزيز الأستاد الدكتور منير سلطان أستاذ النقد والبلاغة بجامعة عين شمس . وله فضل مراجعة تجارب الطبع ، وأساليب الإخراج الفنى لاعمالى العلمية ، بارك الله له وعليه .

وأملى أن ينفع الله بهذا الكتاب ، ويكون ثقلاً لى ولقارئ .

ربـى كـــريم

أستاذ دكتور/ مصطفى الصاوى الجوينى

أستاذ الدراسات العليا
بكلية البنات بجدة – المملكة العربية السعودية

الاسكندرية فى الثانى من أغسطس ١٩٨٨م
الموافق ١٨ ذى الحجة ١٤٠٨هـ

الفهرســت العـام

تمهيــد

الفصـــل الأول

السيرة النبوية وفن الترجمة

- أولاً
- شخصية الرسول
- وفن السيرة

كتاب جوامع السيرة لابن حزم والذي نشره باحث يسمى عزت دروزة يجعل شخصية الرسول ﷺ شخصية معجزة بسلوكها وإذا رحنا نتتبع المواضع التى تذكر فيها عصمة الله عز وجل لرسله عامة ولرسوله محمد ﷺ بخاصة – لوجدنا أول منطلق فى هذا الموضوع .

ثم من أحداث السيرة مواقف عصم الله رسوله من الناس ، منها مؤامرة أبى جهل لابناء الرسول ﷺ .. ومؤامرة قريش لسفك دمه عليه الصلاة والسلام ، وتتبع سراقة للرسول وأبى بكر ليلة الهجرة ، وغفلة قريش عن وجود الرسول ﷺ وصاحبه فى الغار ، ومحاولة الغطفانيين لقتل الرسول ﷺ ، ومحاولة عامر بن الطفيل لقتل الرسول وعصمة الله عز وجل له ، وما عمله يهود خيبر بعد غزو الرسول لهم . وصنيع زينب بنت الحارث شاة مسمومة ، وكيف لفظ رسول الله ﷺ أول لقمة منها .. الخ .

هذا إلى عصمة الله عز وجل للرسول ﷺ فى كل غزواته والمسلمين ضد أعداء الدين .

* * *

شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم

كان رجل دين ودنيا ، هو راع وتاجر ومحارب واستاذ ومرب شعبى وقاض ، ورجل دولة وسياسة ... الخ .

ثم هو رسول كريم ، يعلم الدين ، ويتبتل ويدعو الله ، ويصوم ، ويحج ويتصدق ... الخ .

فمن أين جاء المسلمون بالفصل بين عنصري (الدين والدولة) فى شخصية الانسان بحيث أصبح رجل الدين يهتم بالدين وينصرف عن الدنيا ورجل العلم ينصرف عن الدين إلى الدنيا ، ومتى كانت شخصية الانسان مادة لاروح فيها أو روحا بلا مادة ؟

من هنا فدراسة شخصية الرسول ﷺ وأصحابه تعطى المثل الحى فى شخصية المسلم ، الدنيا عنده دار اختبار بينما الآخرة دار جزاء .

* * *

وعن شخصية الرسـول

فهناك قلة متأثرة بالاتجاه الأوربى أن الاسلام دين لادولة يفصل السلطة الروحية عن الزمنية وقالوا دليلنا قوله سبحانه (وما على الرسول الا البلاغ) .

ولكن بعرض حياة الرسول ﷺ نجد أنه قد لبث عشر سنين يدعو للاسلام وثلاث عشرة سنة فى تأسيس الدولة الاسلامية حماية للعقيدة ونشرا لها شأن أي مذهب أرضي اليوم لابد ان تسنده قوة مادية . ولقد عاون الرسول فى تأسيس الدولة رجال منهم كتاب للوحي كعلى وعثمان وآخرون للصدقات وللديون وللبيوع ولرصد دخل الدولة من النخيل ، وكان زيد ترجمان الرسول للامم التى تتكلم الحبشية والرومية والقبطية والفارسية والعبرية ، بل ان مباديء الاسلام فى الميراث والاقتصاد (البيوع) والديون والتكافل الاجتماعى والحرب نجد أنها مسائل تحمل فى عصرنا الحاضر أسماء : (الشرطة – الداخلية الدفاع – الشئون الاجتماعية – الخزانة ... الخ) .

وكذلك من يقومون بها وزراء للدفاع والزراعة ... الخ .

* * *

أحـداث فى سـيرة الرسـول

أحداث خاصة برزت من خلال سيرة الرسول ﷺ لها دلالتها من مدبر الكون عز وجل مثل :

حادثة الإفك واعتزال الرسول ﷺ لنسائه فترة .

الثلاثة المخلفون .

النزاع بين الأنصار والمهاجرين .

مسجد الضرار ... الخ من أحداث هى نجوم لألأءة فى سماء البشرية السامية .

* * *

حـول الإسـراء والمعـراج

تمت حادثة الإسراء فى السنة الحادية عشرة من بعثة الرسول ﷺ وقبل الهجرة إلى المدينة بنحو من سنتين فى مرحلة الصراع النفسي .

ان الصراع بين الشرك والايمان بدأ نفسيا وجدانيا بمكة وانتهي حربيا بالمدينة على الأغلب ، فيما يختص بالمسلمين لأن الكفار فى المرحلتين كان السلاح المادي عمادهم .

* * *

الاعجـاز الالهـى فى السـيرة النبـوية

محمد رسول الله ﷺ من قبيلة قريش وهى زعيمة قبائل مكة ، ولو شاء الله عز وجل لجعل القبيلة تتعصب لأحد أبنائها ويكون تعصبها لرسالته الدينية اذن تعصبا قبليا ، ولكن شاء الله عز وجل أن تعصيه قبيلته وتناوئه وتناصبه العداء ليكون الايمان بالدين الجديد عن حب واقتناع .

ولنقل مثل ذلك فى كثير من جوانب السيرة فيها هذا الصنيع الالهى من يتم محمد وفقره ... ووفاة أبنائه الذكور ... الخ .

* * *

المعجـزة فى سـيرة الرسـول

إذا كان القرآن كلام الله المعجز يتحدي الناس فى كل زمان ومكان وكان

أمين رسالة الاسلام هو محمد ﷺ فان حياة هذا الرسول الامين من قبل أن يبعث ومن بعد البعثة معجزة كذلك ..

مثال ذلك اسم الرسول ﷺ ، معاصروه كانوا يتسمون بأسماء تتعبد لآلهتهم مثل : عبد يغوث – عبد مناة – عبد الدار عبد اللات – عبد العزي ... الخ

بينما الرسول ﷺ كان اسمه محمد يحمده الله والملائكة والناس .

« ان الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » .

وكان أبوه عبد الله ، وأمه آمنة وأبوها وهب .

فالرسول ﷺ هبة وأمان ومرضعته حليمة من بنى سعد أرضعته الحلم والسعد .

* * *

صــورة كلاميــة للرســول

رسمها الجاحظ فى احدي رسائله (رسائل الجاحظ . نشر عبد السلام هارون) ورسمتها كتب الكلام .

وتدور حول شخصية الرسول ﷺ كمترجم لتعاليم القرآن ترجمة عملية ، وفى صدق الرسالة فيما أخبرت به من صفات الرسول ﷺ ، وعن صدق ماأخبر به القرآن من غيوب ومنها حتمية انتصار رسالة الإسلام وفى عدم التناقض بين القرآن وحديث الرسول الصحيح .

* * *

عن مجتمــع الرســول الإســلامى

عصر الرسول صلى الله عليه وسلم عصر فريد فى تاريخ المجتمعات البشرية

تتصل فيه السماء بالأرض فيتنزل الوحى على رسول ﷺ وتسجل السماء أحداث الأرض ، وتتعاون الملائكة مع المؤمنين . ويتسامع الخلق بالدين الجديد ، فمنهم من يؤمن ومنهم من يكفر .

ويواجه الدين الجديد أديانا سماوية وغير سماوية كلها تحلل أو انحراف وجهل القلب الانساني فارغا من غذائه الروحى ، وهناك أوضاع اجتماعية كالرق وهوان المرأة ، وقيم خلقية جاهلية سائدة ، ووضع المرأة المهين ، ثم الثراء الفاحش والفقر المدقع ، والمترفون أو غيرهم أو قلتهم ضائعة بين ارضاء شهوة حيوانية أو طمع مادي أو تخريف اعتقادي أو فكرى ، ثم مجتمعا فارس والروم المتسلطان على أمم العالم وتحلل الحضارة فيهما وتفسخها لانغماسها فى المظهر المادي وفراغها الايمانى .

فى ظل هذا المجتمع تنفتح عيون وقلوب وأفكار الشباب المسلم الناشيء أمثال : على – أسماء – عبد الله بن عمر – أسامة بن زيد بن ثابت ... الخ ممن تذكرهم كتب السيرة والطبقات وممن فتنتهم روح البطولة فحاولوا الحرب صغارا وردهم الرسول ﷺ لصغر سنهم ، هؤلاء الشباب اتجهوا بنين وبنات وجهات خيرة فى ظل الاسلام ... ابن عباس مثلا ترجمان القرآن – زيد بن ثابت كاتب الوحي على وأسامة وعبد الله بن الزبير فرسان الحرب هم وغيرهم – أسماء بنت أبى بكر الأم المجاهدة التى تربى أبناءها تربية فروسية اسلامية الخ ...

* * *

عبقرية الاماكن المقدسة

ولعله مما يرتبط بسيرة النبى ﷺ ماترتبط به حياته فى مكة موطنه ، ومنى موطن من مواطن الحج تستدعى ذكريات ابراهيم الخليل عليه الاسلام ...

فى بحث لأحد المهندسين المصريين بجريدة الاهرام أثبت أن مكة المكرمة تقع تماما فى مركز دائرة العالم وحسب هذا بحسابات رياضية فإذا أضفنا إلى ذلك

الجبال تكتنف مكة بحيث تجعل لها جوا دافئا على مدار السنة لايؤذى المحرمين للحج أو العمرة كان ذلك من آيات الله عز وجل يضاف إليها هذا البئر « زمزم » الذي مازال يتدفق بالماء وسط هذه البقعة الحارة الجرداء .

أما منى فهى واد تحيطه الجبال من كل جوانبه وأرضه لاتنبت أبدا مهما عوملت بالمعاملات الكيماوية وفى هذا آية من آيات الله عز وجل لأن مثل هذه التربة تحفظ توازن الحرارة فهى ترد الحرارة النهارية بالليل بحيث يصبح أعلى الطبقات فيها وأسفلها دافئا فلا يسمح بتلوث البيئة ، ثم ان وضع الجبال يسمح بتنقية أي تلوث هوائى وذلك أن الهواء يمر بين الفرجات التى بين الجبال بعضها وبعض .

أما إذا بنيت أبنية فانها تمتص الحرارة فتبرد المنطقة ليلا مما يسمح بالتلوث البيئى الذي يضاف إليه تلوث من أزيز الطائرات وأصوات السيارات .

* * *

النشيد فى الاسلام

فى السيرة النبوية مواقف سمع فيها النبى ﷺ للنشيد الوجدانى ، وشارك فيه بالترديد .. منه مايمكن تسميته بنشيد العمل مثل موقف بناء مسجد قباء وحفر الخندق ...

وحين مقدم النبى ﷺ إلى المدينة استقبلته بنشيدها الخالد : (طلع البدر علينا) :

* * *

السنة سنتان

سنة الرسول ﷺ سنتان :

سنة عادة كإنسان له عاداته الخاصة وذوقه الخاص من حب لمطعم معين أو

شرب معين ، أو لبس البياض . أو إرسال اللحية أو دهن الشعر ، أو السواك ، أو ركوب الجمل ... الخ

وهى عادات تتبع ظروف الإنسان وتقاليد بيئته ومجتمع عصره وإلف الذوق وعرفه .

السنة الثانية : سنة العبادة :

وفيها ضرورة اتباع الرسول ﷺ فى العقيدة والعبادة مجملها ومفصلها ، والاخلاق والمعاملات ، وهذا ماينصب عليه حديث الرسول ﷺ : « من رغب عن سنتى فليس منى) ...

وقوله سبحانه وتعالى : (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) .

وحفل التراث بمصادر أصيله تصور الرسول من هذين البعدين منها :

(أ) جوامع السيرة لابن حـزم

ص ٦ : سيرة الرسول ﷺ صورة عليا من الكمال الانسانى تشغل بال ابن حزم .

ص ٦ : مرجع لابن حزم طبع فى مصر (مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق)

ص ٦ : فى مرجع ابن حزم الفصل فى الملل والنحلل يري أن سيرة الرسول ﷺ معجزة فى حد ذاتها وهى آية على صدقه فيما جاء به من المعجزة الكبري « القرآن » .

ص ٧ : موضوعان شغل بهما ابن حزم حينما تحدث عن الرسول ﷺ : أعلام الرسول ، شمائله وأخلاقه لدلالتها على كماله الانسانى .

مصادر ابن حـزم فى السـيرة :

من ص ٦ إلى ٨ واتكاؤه على سيرة ابن اسحق وبعض هذه المصادر مفقود .

ص ٩ : قيمة سيرة ابن حزم أنه له رأيه فى تاريخ الأحداث وزمانها واعتمدت هذا الرأي كثير من كتب السيرة بعده .

وأمثلة ذلك ماجاء فى ص ٩ .

ص ١٠ : من مناهج ابن حزم فى كتابة السيرة التحليل الدقيق للنص المنقول واختيار الرواية بعد فحصها والتثبت من صحتها وتصحيح الأوهام التى تنجم عن سرعة أو قلة التدقيق ومن هنا عبارات ابن حزم الدالة على الثقة والتثبت من مثل قوله (شك) و (لابد) .

ص ١١،١٢ : مثال لتنفس منهج ابن حزم الظاهري وهو أمر الرسول ﷺ لاصحابه بصلاة العصر فى بنى قريظة ، وحكم ابن حزم الفقهى وفق مذهب الظاهري .

ص ١٢،١٣ : شواهد على نزاهة ابن حزم وردود زملية على اتهام ابن حيان له بالتشيع لبنى أمية ، اما إذا كان المقصود بنى أمية فى الاندلس فقد كانوا القائمين بالأمر فى زمانه وأما بنو أمية فى الشام فأدلة التاريخ ومن واقع كتابته عنهم على العكس من ذلك .

ص ١٣ : اتبع ابن حزم طريقة التلخيص باستبعاد الشعر والقصص وضم متفرقات الموضوع الواحد ، وهذه الطريقة سبقه إليها ابن قتيبة فى المعارف وابن حبيب فى المحبر .

ص ١٤ : أمثلة على النظرات الصائبة لابن حزم ونزاهته فى الحكم التاريخي كان يري أن الامويين استعملوا من سب الصحابة بينما خالفهم العباسيون فى ذلك .

ص ٢٢ : ألحق المحققان الرسائل الخمس لابن حزم بكتاب جوامع السيرة

١ – رسالة فى القراءات المشهورة فى الامصار .

٢ – رسالة فى اسماء الصحابة رواة الحديث .

٣ – رسالة فى تسمية من روي عنهم الفتيا .

٤ – فتوح الاسلام .

٥ – اسماء الخلفاء المهديين والأئمة أمراء المؤمنين .

(ب) كتاب الشفا بحقوق كلام المصطـفي

للقاضـــي عيـــاض

إذا كان ابن هشام يمثل بيئة الحجاز فى سيرته التى تجمع بين التاريخ والأدب والنص الديني ، فان الجاحظ المعتزلى قد رسم صورة للرسول عليه الصلاة والسلام .

وتعد أول صورة كلامية تعرض لشخصية الرسول عليه السلام وأقواله أما القاضى عياض الأشعري فقد عمل عن شخصية الرسول صورة كلامية فى بيئة الأندلس التى تتعرض لهجمات المسيحيين فى القرن السابع الهجري .

ومبحث القاضي عياض فى الشفا يدور على أربعة محاور :

المحور الأول : حديث القرآن عن الرسول .

المحور الثانى : مايجب للرسول عليه الصلاة والسلام من حقوق على المسلمين .

المحور الثالث : وهو لب الكتاب ويستأثر باهتمام القاضى عياض ويتعرض لشخصية الرسول عليه الصلاة والسلام من جانبيها : جانب النبوة والجانب الإنسانى .

المحور الرابع : يدور حول موقف الإسلام ممن يعادي الرسول ﷺ بالقول أو العمل ، ولاعجب أن يكون القاضى عياض الذي نشأ فى بيئة الأندلس الفلسفية التى شرحت أرسطو ونقلته لأوربا ممن يرسم صورة كلامية للرسول ولكن من منظور الأشاعرة ، وإذا كان

الجاحظ يمزج باقتدار بين الأدب والنص الديني والتحليل العقلي ويغلب عنده جانب الكلام ، فان القاضي عياض عنده المحصول الديني من نصوص قرآنية وأحاديث نبوية وأحكام فقهية أضخم مما لدي الجاحظ وان كان قد عالج تلك المادة الدينية معالجة كلامية .

ابن قيم الجوزية والسيرة النبوية

ألف ابن قيم الجوزية فى القرن الثامن الهجرى وفى بواكير شبابه رائعته فى السيرة النبوية (زاد المعاد فى هدى خير العباد)[1] ونهج فيها منهجا فريداً إذ نسج من سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ومن سير الصحابة ومن مجاميع ودواوين الحديث النبوى وكتب المغازى

صمم سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام فجاءت لا على نمط السير السابقة بناء نظرياً لحمته وسداه السرد التاريخى وإنما جاءت بناء يمتزج فيه العلم بالفن ،

إذ هى صورة للرسول مرسومة بالاقوال متحركة بالمسلك والفعل لاتخطىء فيه صورة الرسول البشر ، وصورة الرسول النبى وكانت مادة السيرة ، المادة التاريخية الوثيقة والنص القرآنى ، والحديث النبوى وتطلع من هذه السيرة لشخصية الرسول المثال الذى قوله وفعله وخلقه القرآن ، السيرة هنا ترجمة عملية للمبادىء الإسلامية ، والفقه الإسلامى معروض عرضاً حسناً من خلال قول الرسول أو فعله أو إقراره ، وتشرح السيرة كل صغيرة أو كبيرة من تفصيلات ودقائق حياة رسولنا العظيم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ولعلنا نختار من هذه السيرة نصوصاً تكفى فى الإشارة والدلالة على مانقول :

---

(١) تحقيق شعيب الأرنووط وعبد القادر الأرنؤوط ط مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الاسلامية من ص ١٨٢ - ١٨٦

(١٣٠٢) في الحج : باب تفضيل الحلق على التقصير .من حديث أبي هريرة وأخرجه مسلم

(١٣٠٣) من حديث أم الحصين .

فصــــل

في هديه ﷺ في كلامه وسكوته وضحكه وبكائه

كان ﷺ أفصحَ خلق الله ، وأعذبَهم كلاماً ، وأسرعَهم أداء ، وأحلاهم مَنْطِقاً ، حتى إن كلامه ليأْخُذُ بمجامع القلوب ، ويَسبي الأرواح ، ويشهدُ له بذلك أعداؤه . وكان إذا تكلم تكلَّم بكلام مفُصَّلٍ مُبَيَّنٍ يعدُّه العادُّ ، ليس بهَذٍّ مُسرعٍ لا يُحفظ ، ولا منقَطِع تخلَّله السكتات بين أفراد الكلام ، بل هديُه فيه أكمل الهدي ، قالت عائشة : ماكان رسول الله ﷺ يَسْرُدُ سردَكم هذا ، ولكن كان يتكلَّم بكلام بيِّنٍ فَصْلٍ يحفظه من جلس إليه[1]. وكان كثيراً ما يعُيد الكلام ثلاثاً ليُعقلَ عنه ، وكان إذا سلَّم سلَّم ثلاثاً . وكان طويلَ السكوت لايتكلم في غيرِ حاجة ، يفتِتحُ الكلامَ ويختِمه بأشداقه ، ويتكلم بجوامع الكلام ، فصل لافضول ولاتقصير ، وكان لايتكلم فيما لايَعنيه ، ولايتكلم إلا فيما يرجو ثوابه ، وإذا كرِه الشيء : عُرِفَ في وجهه ، ولم يكن فاحشاً ، ولامتفحِّشاً ولا صخَّاباً . وكان جُلُّ ضحكه التبسم ، بل كلُّه التبسم ، فكان نهايةُ ضحكِه أن تبدوَ نواجِذُه .

وكان يضحكُ مما يُضحك منه ، وهو مما يُتعجب من مثله ويُستغرب وقوعُه ويُستندر .

وللضحك أسباب عديدة ، هذا أحدها . والثاني : ضحِك الفرح ، وهو أن يرى ما يسرُّه أو يُباشره . الثالث : ضحِكُ الغضب ، وهو كثيراً مايعترى الغضبان إذا غضبه ، وسببه تعجب الغضبان مما أورد عليه الغضبُ ، وشعورُ نفسه بالقدرة على خصمه ، وأنه في قبضته ، وقد يكون ضحكُه لِملْكه نفسه عند الغضب وإعراضه عمن أغضبه ، وعدم اكتراثه به .

---

(١) أخرجه الترمذي في « الجامع » (٣٦٤٣) والشمائل (٢٢٣) وسنده حسن ، وأخرجه البخاري ٤٢٣/٦ . ومسلم (٢٤٩٣) مختصراً بلفظ لم يكن ﷺ يسرد الحديث كسردكم وزاد الاسماعيلي « إنما كان حديث رسول الله فصلاً فهماً تفهمه القلوب .

وأمّا بكاؤه ﷺ ، فكان مِن جنس ضحكه ، لم يكن بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكه بقهقهة ، ولكن كانت تدمَعُ عيناه حتى تَهْمُلا ، ويُسمع لِصدره أزيزٌ . وكان تارة رحمة للميت ، وتارة خوفاً على أمته وشفقة عليها ، وتارة مِن خشية الله ، وتارة عند سماع القرآن ، وهو بكاء اشتياق ومحبة وإجلال ، مصاحبٌ للخوف والخشية . ولما مات ابنُه إبراهيم ، دمعت عيناه وبكى رحمة له ، وقال : « تَدْمَعُ العَيْنُ ، وَيَحْزَنُ القَلْبُ ، ولا نَقُولُ إلا مَا يُرْضِي رَبَّنَا ، وإنَّا يَا إبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ »[1] . وبكى لما شاهد إحدى بناتِه وَنَفْسُهَا تَفِيض ، وبكى لما قرأ عليه ابنُ مسعود سورة (النساء) وانتهى فيها إلى قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيداً ﴾[2] [النساء : ٤١] وبكى لما مات عثمان بن مظعون ، وبكى لما كَسَفَت الشَّمْسُ ، وصلى صلاة الكُسوف ، وجعل يبكي في صلاته ، وجعل ينفخ ، ويقول : « رَبِّ أَلَمْ تَعِدْنِي ألاَّ تُعَذِّبُهم وأَنَا فِيهِمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَنَحْنُ نَسْتَغْفِرُكَ »[3] وبكى لما جلس على قبر إحدى بناته[4]

(١) أخرجه البخاري ٣/١٣٩ ، ١٤٠ في الجنائز : باب قول النبي ﷺ انابك لمحزونون ، ومسلم (٢٣١٥) في الفضائل : باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال ، وأبو داود (٣١٢٦) في الجنائز : باب في البكاء على الميت ، وأحمد في « المسند » ٣/١٩٤ من حديث أنس .

(٢) أخرجه البخاري ٨/١٨٨ ، ١٨٩ و٩/٨١ ، ومسلم (٨٠٠) عن عبد الله بن مسعود قال : قال لي النبي ﷺ اقرأ علي ، قلت : يارسول الله أأقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : نعم ، فقرأت سورة النساء حتى أتيت على هذه الآية (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) قال : حسبكَ الآن ، فالتفت إليه ، فإذا عيناه تذرفان » .

(٣) رواه أبو داود (١١٩٤) في الصلاة : باب من قال يركع ركعتين ، والنسائي ٣/١٣٧ ، ١٣٨ في صلاة الكسوف ، وأحمد في « المسند » ٢/١٥٩ و١٨٨ ، والترمذي في « الشمائل » (٣١٧) من حديث عبد الله بن عمرو ، وسنده صحيح ، لأن عطاء بن السائب قد رواه عنه شعبة في الرواية الثانية لأحمد وهو ممن روى عنه قبل الاختلاط .

(٤) أخرج البخارى ٣/١٦٧ في الجنائز : باب من يدخل قبر المرأة عن أنس قال : شهدنا بنتاً للنبى ﷺ قال : ورسول الله جالس على القبر ، قال : فرأيت عينيه تدمعان ، قال : فقال : هل منكم رجل لم يقارف الليلة ، فقال أبو طلحة : أنا ، قال : فانزل ، قال : فنزل في قبرها . وفي هذا الحديث مشروعيه إيثار البعيد عن الملاذ في مواراة الميت ولو كان امرأة على الأب والزوج .

وكَانَ يَبكي أحياناً في صلاة اللَّيلِ .

والبكاء أنواع . أحدها : بكاء الرحمة ، والرقة .

والثاني : بكاء الخوف والخشية .

والثالث : بكاء المحبة والشوق .

والرابع : بكاء الفرح والسرور .

والخامس : بكاء الجَزَع مِن ورود المؤلِم وعدم احتماله .

والسادس : بكاء الحزن .

والفرق بينه وبين بكاء الخوف ، أن بكاء الحزن يكون على ما مضى من حصول مكروه ، أو فوات محبوب ، وبكاء الخوف يكون لِما يتوقع في المستقبل مِن ذلك ، والفرق بين بكاء السرور والفرح ، وبكاء الحزن ، أن دمعة السرور باردة ، والقلب فرحان ، ودمعة الحُزن حارة ، والقلب حزين ، ولهذا يقال لما يُفرح به : هو قُرَّةُ عَيْنٍ ، وأقرَّ الله به عينَه ، ولما يُحزن : هو سخينةُ العين ، وأسخن الله عينه به .

والسابع : بكاء الخور والضعف .

الثامن : بكاء النفاق ، وهو أن تدمع العين ، والقلب قاسٍ ، فيظهر صاحبُه الخشوع ، وهو من أقسى الناس قلباً .

والتاسع : البكاء المستعار والمستأجر عليه . كبكاء النائحة بالأجرة ، فإنها كما قال عمر بن الخطاب : تبيع عبرتها ، وتَبْكي شَجْوَ غَيْرِها .

والعاشر : بكاء الموافقة . وهو أن يرى الرجُلُ الناس يبكون لأمر ورد عليهم ، فيبكي معهم ، ولايدري لأي شيء يبكون ، ولكن يراهم يبكون ، فيبكي .

وما كان من ذلك دمعاً بلا صوت ، فهو بكى ، مقصور ، وما كان معه

صوت ، فهو بكاء ، ممدود على بناء الأصوات .

وقال الشاعر :

بَكَتْ عَيْني وَحُقَّ لَها بُكَاهَا وَمَا يُغْني الْبُكَاءُ وَلاَ الْعَوِيلُ[1]

وما كان منه مستدعى متكلفاً ، فهو التباكي ، وهو نوعان : محمود ، ومذموم ، فالمحمود ، أن يُستجلَب لِرقة القلب ، ولخشية الله ، لا للرياء والسُّمعة . والمذموم : أن يُجتلب لأجل الخلق ، وقد قال عمر بن الخطاب للنبي ﷺ وقد رآه يبكي هو وأبو بكر في شأن أسارى بدر : أخبرني مايُبكيك يارسول الله ؟ فإن وجدتُ بكاءً بكيتُ ، وإن لم أجد تباكَيْتُ . لبكائكما[2] ولم ينكر عليه ﷺ . وقد قال بعض السلف : ابكوا من خشية الله ، فإن لم تبكوا ، فتباكوا[3].

* * *

فصــل
في هديه ﷺ في خطبته

خطب ﷺ على الأرض ، وعلى المنبر ، وعلى البعير ، وعلى النَّاقة .

وكان إذا خطب ، احمرَّتْ عيناه وعلا صوتُه ، واشتد غضبُه حتى كأنَّهُ مُنْذِرُ جَيْش يَقُولُ : « صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ » ويقول : « بُعِثْتُ أنَا والسَّاعَةَ

---

(١) البيت لحسان بن ثابت ، أو لعبد الله بن رواحة ، أو كعب بن مالك في السيرة ٢/١٦٢ ، والكامل ١٨٩ ، و« المقتضب » ٤/٢٩٢ ، وشرح شواهد الشافية ٤/٦٦ ، ومجالس ١٠٩ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٦٣) ضمن حديث مطول في الجهاد : باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر .

(٣) وقد جاء في المرفوع ، ولكنه ضعيف ، فقد أخرج ابن ماجة (١٣٣٧) من حديث سعد بن أبي وقاص مرفوعاً « إن هذا القرآن نزل ، فإذا قرأتموه ، فابكوا ، فإن لم تبكوا ، فتباكو » وفي إسناده أبو رافع واسمه إسماعيل بن رافع وهو ضعيف .

كَهَاتَيْنِ » وَيَقْرِن[1] بَيْنَ أصبُعَيْهِ السَّبَّابَةِ والوُسْطَى ، ويَقُولُ : « أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيث كتاب الله ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرَّ الأمورِ مُحْدَثَاتُها ، وكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ »[2].

وكان لايخطُب خُطبة إلا افتتحها بحمد الله . وأما قولُ كثير من الفقهاء : إنه يفتتح خطبة الاستسقاء بالاستغفار ، وخطبةَ العيدين بالتكبير ، فليس معهم فيه سنة عن النبى ﷺ البتةَ ، وسنته تقتضي خلافهَ ، وهو افتتاحُ جميع الخطب بـ « الحمد لله » ، وهو أحد الوجوه الثلاثة لأصحاب أحمد ، وهو اختيار شيخنا قدَّس الله سِرَّه .

وكان يخطُب قائماً . وفي مراسيل عطاء وغيره أنه كان ﷺ إذا صَعِدَ المِنْبَرَ أقبل بوجهه على الناس ، ثم قال : « السَّلامُ عَلَيْكُم »

* * *

٢ - كتـاب أم النبـــي

للدكتورة عائشة

ويتضمن هذا الكتاب فصولا عن :

(أ) البيئة العامة .

(ب) بيئة أم النبى الخاصة .

(جـ) الأساطير والقصص التى نسجت حول آمنة بنت وهب هى تكوين وجدانى لشخصية أم النبى ﷺ .

---

(١) في النسخ المطبوعة : يفرق ، وهو ضعيف .

(٢) رواه مسلم (٨٦٧) في الجمعة : باب تخفيف الصلاة والخطبة ، والنسائى ٣/١٨٨ ، ١٨٩ في الصلاة العيدين : باب كيف الخطبة ، وابن ماجه (٤٥) في المقدمة : باب اجتناب البدع والجدل من حديث جابر بن عبد الله .

أنوثة وأمومة :

حرص العرب على كرم النسب وهذا يفسره كرامتهم للنساء – كرامة الامومة عند العرب – طموح الأم ونصيبها من عظمة بنيها – إشارة المؤرخين بذكر المنجبات – انتساب بعض قبائل العرب إلى أمهاتهم – الشعراء يمدحون كبار الرجال بأمهاتهم – مشاركة المرأة فى جليل الأحداث – حرص النساء على ذكر الامهات .

ومع ذلك كله فقد كان من العرب من حط من مكانه المرأة .

أمهـات الانبيـاء :

لماذا قضت حكمة الله عز وجل أن يعهد بتربية اسماعيل وموسي وعيسي ومحمد عليهم الصلاة والسلام إلى أمهاتهم دون آبائهم ؟

(الأمومة فى عاطفتها الجياشة وإيثارها الرائع أقرب إلى أن ترعى أصحاب الرسالات الدينية التى تقوم على الروحانية) .

دراســة البيئة ووراثة حتى ص ٦٩

(١) قصة تبع الحميري مع الكعبة ؟ والام تشير (نلحظ فيها حرمة مكة أولا ثم مظاهر من هذا الصراع الذي كان بين عرب شمال الجزيرة العربية وجنوبها ، لاتزال آثارة باقية إلى اليوم) .

(٢) قصة أساف ونائلة .

(٣) حمل المتوكل حجارة من الكعبة ، حبا وإعظاما ودينا .

(٤) خدمة الكعبة نذر غالية تنذر له الامهات والآباء فلذات أكبادهم .

(٥) قتال حول البيت العتيق بين خزاعة وقصي (ص ٧٢ – ٧٤) ، ثم الوظائف الدينية التى كانت لمن بيدهم أمور الكعبة ص ٧٤/٧٥ .

(٦) الطقوس والمشاعر والمناسك .

(٧) محاولة هدم المكانة التى للكعبة داخل جزيرة العرب وخارجها .

(٨) المستشرقون وعجبهم بما للبيت العتيق من مكانة وهو فى بيئة غير ذات مطمع (وصف بودلى) .

ثم لماذا انعقد هذا الفصل ، هذه هى البيئة الخاصة التى نشأت فيها أم النبى بعد حديث المؤلفة عن البيئة العامة فى جزيرة العرب ألمت فيها بمنزلة المرأة عموما ثم تطرقت إلى ذكر امهات الانبياء لتعود إلى البيئة الخاصة لأم النبى ﷺ .

ومن مباحثها فيها :

بنـــو زهـــرة :

منزلة أسرة أم الرسول :

١ – زهرة : رجل أم امرأة ؟ من بنو الجدرة ؟

إلى من انضمت بنو زهرة ؟

(عبد مناف) – حلف المضيين والاحلاف .

حلف الفضول (وأهمية هذا الحلف ؟ قيمته لذاته – ثم مايروى أن الرسول شهده .

أصالة آمنة من ناحية الأب والأم معا .

فصـــل :

زهرة قريش :

(أ) فتـاة زهـرة :

لماذا لايتبين الرواة ملامحها أو يجرؤون على رسم صورتها ؟

(ب) نبالتهـــا :

تلاقى آمنة وعبد الله فى صباهما – ثم الحجاب حين شباب كل منهما – مع

تحجبها فاح عطر .

والكتاب يثير موضوعات من مثل :

١ – موقف المؤلفة والمستشرقين :

مثلا فى مسألة الحوامل – والاحلام .

٢ – كيف استخدمت المؤلفة عنصر العاطفة فى تكوين السيرة .

* حدث خطير يحدث بمكة والرسول ﷺ جنين فى بطن أمه ، لقاء أبرهة لأمير مكة عبد المطلب .

* * *

من عجيب المواقف فى سيرة الرسول ﷺ أن يموت أبناؤه وبناته فى حياته ، اللهم إلا فاطمة رضى الله عنها فقد ماتت بعد أبيها بستة أشهر ، وكأن ارادة الله عز وجل شاءت أن لايرث النبى وارث ذكرا أو انثى فى رسالته .

وانه للقمة العليا فى الإيمان أن يمتحن صبر الرسول ﷺ وقوة ايمانه بفقد أحبائه بنين وبنات ..

وصدق سبحانه : « وبشر الصابرين » .

* * *

وفى العصر الحديث ظهرت وفره من الدراسات عن الرسول من زوايا متعدده منها

(أ) محمـــد رســـول الله

تأليف مولاي محمـــد على

ترجمه عن الانجليزية مصطفى فهمى ، وعبد الحميد جودة السحار ، مؤلف الكتاب رئيس الرابطة الأحمدية ، وهى جماعة كانت تنشر الاسلام وتدعو له فى الهند التى كانت تشمل آنئذ الهند الحالية وباكستان وبنغلاديش وأفغانستان .

وأراد بالكتاب العرض لسيرة الرسول ﷺ عرضا تاريخيا مناقشا مادار حول السيرة من أعداء الاسلام .

* * *

(ب) (ثورة الإسلام وبطل الأنبيـاء)

للاستاذ محمد لطفى جمعه

كتاب صدر منذ عشرين عاما ولكن يبدو أن زمن تأليفه أبعد من ذلك ، وهو فيما يزيد عن ألف صفحة وفى عشرة فصول .

بدأها بفصل عن جزيرة العرب ، وآخر عن مكة ، وتتوالى الفصول وفيها يرفض المؤلف مالايقبله عقله مما يظنه موضوعا على السيرة كقصة شق الصدر مثلا .

ويبدو دفاعه عما يوجه للإسلام ولنبيه ﷺ من عنوان الكتاب ، فينقل مثلا قول الجاحظ دفاعا ضد الدهري الذي ذكر أن الاسلام يجرف بالنار لا بالثلج .

ويبدو لى هذا الكتاب دائرا فى مجال الكتب التى تبحث عن قيم الإسلام ومعانى البطولة متمثلة فى الرسول ﷺ .

* * *

(جـ) الرســـول والصحابــة

لخالد محمد خالد	عن رجال حول الرســول
ولجودة السحـــار	محمد والذين معـــه

والمحاولتان تجريان فى مجري واحد ، فيهما انعكاسات خلق الرسول ﷺ بخاصة ، والخلق الإسلامى بعامة فى هؤلاء الصحابة الذين وصفهم الرسول

ﷺ بقوله : (أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) ...

والمحاولة وان لم تكن صريحة فى الكشف عن هذا الهدف العميق محاولة قديمة أن من قام بها مؤرخون كابن سعد وكتب الاستيعاب وأسد الغابة ، .... الخ .

* * *

(د) الرسول فى القرآن الكريـــم

لدكتور محمود بن الشريف :

يقول المؤلف عن بحثه إنه ومضات .

والموضوع يحتاج إلى منهج وتعمق ليكتمل ويعطى حقه من الدرس

يبدأ المؤلف بالحديث عن الوحى كما تؤذن به آية (اقرأ)

ثم مرحلة الدعوة (قم فأنذر) .

ثم حث على الصبر وعدم الحزن

كما تلقاه (فاصبر لحكم ربك)

(ومن كفر فلا يحزنك كفره)

ثم مرحلة ظواهر لاختبار ايمان المؤمنين كالإسراء والمعراج والقبلة والأذان والصلاة .

* * *

(هـ) محمـــــد

لمحمـــد صبيح

منذ نحو أربعين سنة صدر هذا الكتاب وكان يسمى كتاب الشهر ثم توالت طبعاته نحو عشر طبعات أحيانا فى أربعة أجزاء وأخرى فى جزئين .

والكتاب يهتم بتفاصيل بيئة الرسول كسريره ﷺ ، ووصف بيت الرسول وزوجه خديجة فى مكة .

وهو إلى هذا يهتم باستخراج القيم الاسلامية من غزوات الرسول ﷺ .

الكتاب فى رأي يحاول ضم كل ماعرف عن الرسول ﷺ وعرضه عرضا عصريا ، لكن الكتاب لم يذع مع روعته .

* * *

(و) الرسـول فى بيتـه

للدكتور عبد الوهاب حمـــوده

كتيب صغير يعرض للرسول ﷺ حين تزوج فى مكة وهو فى الخامسة والعشرين من خديجة رضى الله عنها وأسس أول بيت له بمكة ، رزق أربعة بنات : « زينب ، وأم كلثوم ، ورقية وفاطمة » ، ومات له منها « عبد الله والقاسم » ، وظل فيها حتى توفيت رضى الله عنها وهو فى الثالثة والخمسين فتزوج بعدها بمكة (سودة بنت زمعة) ثم فى السنة السابعة نقلها معه إلى المدينة ومعها بناته وأسامة وعلى وحاضنته أم أيمن .

وتزوج السيدة عائشة وأفرد لها بيتا بالمدينة .

كما أهداه المقوقس مارية فأفرد لها بيتا كذلك بالمدينة .

ومن الخامسة والخمسين وحتى الستين توالت زيجات الرسول ﷺ وبعدها لم يتزوج .

أما أكله ﷺ فدستوره : « ثلثا للطعام وثلثا للشراب ، وثلثا للنفس » .

ولم يكن ﷺ يتوسع فى ملبسه ، وينام على حشوة ليف .

* * *

(ز) دراسات أخــر

١ – من الحق علىّ أن أشير إلى بحث واحدة من بناتى النابهات الدكتورة الزهراء بدوى الغنام والذى تقدمت به لنيل درجة الماجستير فى الأدب بعنوان [شخصية الرسول محمد فى النثر الأدبى العربى المعاصر] وبرزت فيه محددات الشخصية فى الدراسات الإنسانية وكذلك من تناولوا شخصية الرسول فى التراث . (مهد لدراسات المحدثين من المبدعين الأدباء ، دكتور هيكل ، والعقاد ، وتوفيق الحكيم وطه حسين وعبد الرحمن الشرقاوى) وخلصت إلى أن شخصية الرسول فى تحديدات علماء النفس والاجتماع تدخل فى نموذجها الأعلى وكانت ببعديها الإنسانى والدينى تتخطى فى إعجاز كل تلك المحددات

ولعل من الدراسات الرائده ما نشرته الجمعية الأدبية المصرية للأستاذ فاروق خورشيد والدكتور أحمد كمال زكى بعنوان (محمد فى الأدب المعاصر) اختص فى البحث فيه عن الشعر الدكتور أحمد كمال زكى وبالدرسات النثرية الأستاذ فاروق خورشيد وهى تجمع بين منهجية وموضوعية الدرس الأكاديمى وحيوية الفن فى التذوق واسلوب التناول .

٢ – ثم ان تلك الشخصية فى الإبداع الأدبى عند القدماء أو المحدثين فوق كل الأطر الفنية وأن أسلوب معالجة الشخصية ، وتصورها يعكس فى الوقت عينه ثقافة المبدع وطاقته الفنية ، بل وصورة العصر .

ثانيـــا :
الصحـــابة

ان ما تركز فى الشمس المضيئة (محمد ﷺ) من نور تفرق سناه فى صحابته ، فكان لكل منهم قيمة اسلامية التى يهب الله عز وجل من فضله من يشاء منهم فضل عطاء تدل على خصوصية صاحبها بها .

على كل حال فان مانعرفه من درس طبقات الصحابة كان تفريعا على الأصل وهو السيرة النبوية .

فيؤلف ابن سعد « الطبقات الكبري فى الصحابة »[1].

وأما مؤلف ابن الاثير الجزري فهو (أسد الغابة فى معرفة الصحابة)[2]

وفى القرن الثامن يؤلف ابن حجر العسقلاني (الإصابة فى تميز الصحابة)[3].

وفيما يلى نُطيف بمعالم هذه المصادر ونوضح مناهجها بالترجمة للصحابة :

(أ) الطبقات الكبرى لابن سعد

وفى تعريف دار النشر للكتاب تقول :

لم تظهر للكتاب طبعة كاملة محققة إلا تلك التى أصدرها المستشرقون الألمان خلال أربعة عشر عاماً امتدت من عام ١٩٠٤ إلى عام ١٩١٨ . ولم تظهر له طبعة أخرى عربية كاملة إلى الآن ، وإن كانت قد ظهرت أخيراً طبعة فى بيروت تعتمد – مثل الطبعة الحالية – على تلك المحاولة القديمة .

وقد حرص كتاب التحرير على أن يحتفظ بالخصائص الأساسية لهذه الطبعة

---

(١) ط دار التحرير بالقاهرة ١٩٦٨م من مقدمة .

(٢) نشر المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ

(٣) الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨هـ . وبها مشتها لاستيعاب وهو أسبق زمنيا وابن الأثير وابن حجر معا .

القديمة لأنها ظلت إلى أمد طويل المرجع الوحيد للقراء والبحاث ، وإليها كانت جميع الإحالات والمراجعات فى معظم ماكتب من بحوث ودراسات . ولهذا حرصنا على أن نحتفظ بالاشارة إلى السطور وإلى الصفحات فى الطبعة القديمة وأن نلجأ إلى الدكتور محمد عونى عبد الرؤوف ، وهو من كبار المتخصصين فى اللغات السامية والمعلمين للغة الألمانية ، لترجمة جميع الشروح والتعليقات والمقدمات التى كتبها المستشرقون الألمان . وكتاب التحرير يرجو بذلك أن تكون طبعته الجديدة نقطة بداية لمزيد من البحث والتحقيق الذى يقوم به المتخصصون من علمائنا وبحاثنا . وسوف تنشر هذه التعليقات فى نهاية كل جزء من الأجزاء الثمانية التى يتكون منها الكتاب .

وإذا كانت الطبعة الألمانية القديمة قد حظيت – كما هو معروف – باشتراك الإمام الكبير الشيخ محمد عبده فى تحقيق نصها كما سيظهر فى التعليقات والهوامش ، فإن طبعة كتاب التحرير قد شرفت بأن يكتب مقدمتها وأن يرحب بها مع حلول شهر رمضان المبارك فضيلة الأستاذ الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الجامع الأزهر .

ويقول الشيخ حسن مأمون فى مقدمته إنه كتاب من الكتب الجامعة التى تعتبر – بحق – موسوعة تاريخية عظيمة ومرجعاً للمحدثين والاخباريين والنسابين ومصدراً من المصادر القديمة الهامة لسيرة رسول الله ﷺ وأحاديثه وأخبار الصحابة وتاريخهم وأحوال العرب وعاداتهم حتى عصر محمد بن عبد الله بن سعد صاحب الطبقات الكبرى التى تشرف بتقديمها .

وطبقات ابن سعد عمل ضخم متنوع الثقافة ، شملت أكثر ما كتبه الواقدى الذى قيل عنه « محمد بن عمر الواقدى عالم دهره » وكان الإمام مالك يسأله إذا أشكل عليه أمر .

وطبقات ابن سعد لم تسبق – فى علمنا إلا بطبقات أستاذة الواقدى ، وكان أبو عبد الله محمد بن سعد كاتباً له حتى لقب بكاتب الواقدى

وابن سعد يخصص جزءين من طبقاته لسيرة رسول الله ﷺ مضيفا إلى ذلك فصلا عن الذين كانوا يفتون فى المدينة على عهد رسول الله ﷺ وباق

أجزاء الكتاب ترجمة للصحابة والتابعين رضى الله عنهم . والجزء الأخير من كتابه خصصه للنساء . وقد رتب بين الصحابة رضى الله عنهم على أساس السبق إلى الإسلام وحضور بدر الكبرى ، بدأ بالمهاجرين البدريين ثم بالأنصار البدريين ، ثم بمن سبق إلى الإسلام ولم يشهد بدرا ولكنه هاجر إلى الحبشة أو شهد غزوة أحد ثم من أسلم قبل فتح مكة .

وليتصور القراءُ معنا مدى ما بذله ابن سعد من جهد فى الطبقات وما قدمته طبقاته للأجيال المتعاقبة من بعده ، نقرأ ما جاء فى الرياض المستطابة عن الحافظ أبى زرعة ، فقد سئل أبو زرعة عن جملة حديث رسول الله ﷺ فقال : ومن يحصيه ؟... قبض رسول الله ﷺ عن مائة ألف وأربعة عشر ألفاً من أصحابه ممن روى عنه وسمع ، فقيل له : هؤلاء أين كانوا وأين سمعوا ؟ قال : أهل المدينة ومكة وما بينهما ومن الأعراب ومن شهد معه حجة الوداع كل رآه وسمع منه .

ثم ذكر المحدثون أنهم ينقسمون إلى ثنتى عشرة طبقة : الأولى قدماء السابقين الذين أسلموا بمكة كالخلفاء الأربعة ، ثم أصحاب دار الندوة ، ثم مهاجرة الحبشة ، ثم أصحاب العقبة الأولى ، ثم الثانية ، ثم المهاجرون الأولون بين بدر والحديبية ، ثم أهل بيعة الرضوان ، ثم من هاجر بين الحديبية وفتح مكة ، ثم مسلمة الفتح ، ثم الصبيان والأطفال الذين رأوا رسول الله ﷺ فى الفتح وفى حجة الوداع .

ومن هنا ندرك ضخامة العمل الذى قام به ابن سعد والذى يقدم اليوم لقراء العرب . ولقد عنى المؤلفون بطبقات ابن سعد لأهميتها وصلتها بحديث رسول الله ﷺ ورجاله وبالرواة وأسانيدهم ، واختصر السيوطى الطبقات فى كتاب سماه : إنجاز الوعد المنتقى من طبقات ابن سعد .

وظهرت آثار طبقات ابن سعد فى أولئك الذين ألفوا فى الطبقات من بعده . واعتمد عليه كثير من كتاب التاريخ العربى والإسلامى وكتاب السيرة ورجال الحديث ، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر : تاريخ دمشق لابن عساكر ، وتاريخ الإسلام للذهبى ، وإمتاع الأسماع للمقريزى ، كما اعتمده ابن

حجر فى « الإصابة » و« تهذيب التهذيب » . وابن سعد فى طبقاته ليس رواية لحادثة مؤرخاً لها فحسب ، ولكنه ناقد كذلك فهو يروى ما يرويه ثم يتبعه ببيان ما يراه من الوجه الصحيح عنده ، فمثلا يروى رواية تفيد أن النبى ﷺ بكى عند قبر أمه لما فتح مكة ، ثم يقول : وهذا غلط وليس قبرها بمكة وقبرها بالأبواء .

ويذكر لبعض الرواة أن والد رسول الله ﷺ توفى بعد ما أتى على الرسول ثمانية وعشرون شهراً ويقال سبعة أشهر ، ثم يعلق على ذلك بقوله : والأثبت أنه توفى ورسول الله ﷺ حمل . ولعله لما تشتمل عليه طبقات ابن سعد من أمور شتى تتعلق بحياة العرب والمسلمين فقد عنى بها جماعة من الألمان فنشروها كما أعيد طبعها فى بيروت .

وكتاب الطبقات الكبرى لابن سعد ليس كتاباً يقدم للقراء إنما هو كنز من المعرفة لاينصب ، يجد فيه الباحث عن حياة رسول الله ﷺ ، عن سيرته وعن خلقه وعن الهدف من رسالته ، وحسبه أن يقرأ ما كتب عنه فى التوراة فقد قال عنه كعب الأحبار : « إن نعت محمد رسول الله ﷺ فى التوارة : محمد عبدى المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخوب فى الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكنه يعفو ويغفر ، مولده بمكة ومهاجره بالمدينة وملكه بالشام » .

ويقول عنه عبد الله بن سلام : « إن صفة رسول الله ﷺ فى التوراة : يأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين ، أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخب بالأسواق ولا يجزى السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ولن أقبضه حتى أقيم به الملة المتعوجة بأن يقولوا لا إله إلا الله ، فسيفتح به أعينا عميا ، وآذانا صما وقلوبا غلفا » .

وعن قتادة قال : بلغنا أن نعت رسول الله ﷺ فى بعض الكتب « محمد رسول الله ليس بفظ ولا غليظ ولا صخوب فى الأسواق ولايجزى بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح ، أمته الحمادون على كل حال » .

إن كتاب الطبقات الذى أسعدنا كثيراً أن نقدمه إنما هو كما قلنا موسوعة جامعة ومعين فياض يغترف منه ذو المعرفة وأصحاب الأقلام ليقدموا للناس

أروع مايجب أن يحتذى به من خلق رسول الله وصحابته وخلفائه الراشدين ومن سلك مسلكهم ونهج نهجهم . وحسبنا فى هذا المقام أن نلمح إلى مثل هذه الأمثلة فنذكر مأثره للإمام الراشد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه سجلتها طبقات ابن سعد نبراسا لمن ولى حكم المسلمين وإمامتهم .

يقول ابن سعد فيما يرويه : كان أول ما أنكر من عمر بن عبد العزيز أنه لما دفن سليمان بن عبد الملك أتى بدابة سليمان التى كان يركب فلم يركبها ، وركب دابته التى جاء عليها ، ثم خرج إلى المسجد فصعد إلى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد فإنه ليس بعد نبيكم نبى ولابعد الكتاب الذى أنزل عليه كتاب ، إلا أن ما أحل الله حلال إلى يوم القيامة وما حرم الله حرام إلى يوم القيامة ، ألا إنى لست بقاض ولكنى منفذ ، ألا إنى لست بمبتدع ولكنى متبع ، ألا إنه ليس لأحد أن يطاع فى معصية الله ، ألا إنى لست بخيركم ولكنى رجل منكم غير أن الله جعلنى أثقلكم حملاً » .

وعن عبد الله بن واقد قال : « إن آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس الحقوا ببلادكم فإنى أذكركم فى بلادكم وأنساكم عندى ، ألا وإنى قد استعملت عليكم رجالاً لا أقول هم خياركم ولكنهم خير ممن هو شر منهم ، فمن ظلمه عامله بمظلمة فلا إذن له على ، والله لئن منعت هذا المال نفسى وأهلى ثم بخلت به عليكم إنى إذاً لضنين ، والله لولا أن أنعش سنة أو أسير بحق ما أحببت أن أعيش فواقا » .

وطبقات ابن سعد ليست تاريخاً فقط لحياة رسول الله ﷺ للقرنين الأولين من تاريخ الإسلام ، إنما هى فوق ذلك كله سجل حافل بالأحاديث النبوية والأحكام الفقهية وكثير من الأمور الاجتماعية المتعلقة بالبيت والسوق والمهن والتجارة وشتى الثقافات .

ولغة ابن سعد فى طبقاته سهلة جزلة يفيد منها الخاص والعام . وإنا لنبتهل إلى الله سبحانه – ونحن نقدم لهذا الكتاب العظيم – أن يجزى مؤلفه خير الجزاء بمقدار ما حفظ للأمة العربية والإسلامية من هذا التراث الخالد على الزمن .

كما نسأله سبحانه أن يوفق القائمين على طبع هذا الكتاب إلى سبيل الهدى

والرشاد ، وأن يجزيهم الجزاء الأوفى على ماسيقدمونه من بين يدى شبابنا طلاب المعرفة وهواة القراءة ليقفوا على هدى السنة النبوية ، ويعرفوا تاريخ الأمة العربية فيضربوا صفحاً عن غث القراءات وهزيل الروايات ، ويعضوا على مجد هذه الأمة بالنواجذ ويفهموا لماذا يقول الرسول ﷺ : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ » .

ولقد كان من يمن الطالع ومن توفيق الله للقائمين على دار التحرير وجريدة الجمهورية أن يقدموا لمصر وللعالم الإسلامى طبقات ابن سعد مع مطلع هلال رمضان شهر القرآن شهر العلم والمعرفة ليتدارسوه فى رمضان ليكون لهم من سيرة رسول الله العطرة وتاريخ الصحابة والتابعين من بعده خير زاد يمدهم بالقوة الدافقة التى يستعينون بها فى صراعهم مع الحياة .

وما أشد حاجة العرب والمسلمين اليوم ، وفى هذه الفترة الحاسمة من تاريخنا وفى كفاحنا المرير مع أعدائنا ، أعداء الخير أعداء الإنسانية ، أن نعرف تاريخ أمتنا ومجد أسلافنا ، لنسير على الدرب الذى ساروا ونسلك الطريق الذى سلكوا « فان هذه الأمة لاتصلح إلا بما صلح به أولها » : « وإن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

إن طبقات ابن سعد تقدم لنا أروع النماذج عن رسول الله وصحابته ومن نهج نهجهم على هديهم ، ونحن أحوج مانكون حاكمين ومحكومين قادة وشعوبا أفرادا وجماعات إلى هذه المثل الطيبة لتكون مصابيح هداية على طريق كفاحنا ومجدنا وعزنا ، ولنعرف كيف انتصر عباد الرحمن على جنود الشر وحلفاء الشيطان ، ثم كيف شيدوا بنيان هذه الأمة على الحق والخير والفضيلة ، فنعمل كما عملوا حتى نعيد البنيان شامخا قويا مؤسسا على تقوى من الله ورضوان .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

والله ولى التوفيق .

(ب) أسد الغابة فى معرفة الصحابة

قال الشيخ الامام العالم الحافظ البارع الأوحد بقية السلف عز الدين أبو الحسن على بن محمد بن عبد الكريم الجزرى المعروف بابن الأثير رضى الله عنه

(الحمد لله) الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله والحمد لله المنزه عن أن يكون له نظراء واشباه المقدس فلا تقرب الحوادث حماه الذى اختار الإسلام دينا وارتضاه فأرسل به محمدا صلى الله عليه وسلم واصطفاه وجعل له أصحابا فاختار كلا منهم لصحبته واجتباه وجعلهم كالنجوم بأيهم اقتدى الانسان اهتدى إلى الحق واقتفاه فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة توجب لهم رضاه أحمده على نعمه كلها حمدا يقتضى الزيادة من نعمه ويجزل لنا النصيب من قسمه (أما بعد) فلا علم أشرف من علم الشريعة فانه يحصل به شرف الدنيا والآخرة فمن تحلى به فقد فاز بالصفقة الرابحة والمنزلة الرفيعة الفاخرة ومن عرى منه فقد حظى بالكرة الخاسره * والاصل فى هذا العلم كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ فأما الكتاب العزيز فهو متواتر مجمع عليه غير محتاج إلى ذكر أحوال ناقليه واما سنة رسول الله ﷺ فهى التى تحتاج إلى شرح أحوال رواتها وأخبارهم (وأول رواتها) أصحاب رسول الله ﷺ ولم يضبطوا ولا حفظوا فى عصرهم كما فعل بمن بعدهم من علماء التابعين وغيرهم إلى زماننا هذا لانهم كانوا مقبلين على نصرة الدين وجهاد الكافرين إذ كان المهم الأعظم فان الاسلام كان ضعيفا وأهله قليلون فكان أحدهم يشغله جهاده ومجاهدة نفسه فى عباداته عن النظر فى معيشته والتفرغ . ولم يكن فيهم أيضا من يعرف الخط الا النفر اليسير ولو حفظوا ذلك الزمان لكانوا أضعاف من ذكره العلماء ولهذا اختلف العلماء فى كثير منهم (فمنهم) من جعله بعض العلماء من الصحابة ومنهم من لم يجعله فيهم ومعرفتهم ومعرفة أمورهم وأحوالهم وأنسابهم وسيرتهم مهم فى الدين ولاخفاء على من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أن من تبوأ الدار والإيمان من المهاجرين والانصار والسابقين إلى الاسلام والتابعين لهم باحسان الذين شهدوا الرسول ﷺ وسمعوا كلامه وشاهدوا أحواله ونقلوا ذلك إلى من بعدهم من الرجال والنساء من الأحرار

والعبيد والاماء أولى بالضبط والحفظ وهم الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون بتزكية الله سبحانه وتعالى لهم وثنائه عليهم ولأن السنن التى عليها مدار تفصيل الاحكام ومعرفة الحلال والحرام إلى غير ذلك من أمور الدين إنما ثبتت بعد معرفة رجال أسانيدها ورواتها وأولهم والمقدم عليهم أصحاب رسول الله ﷺ فإذا جهلهم الانسان كان بغيرهم أشد جهلا وأعظم انكارا فينبغى أن يعرفوا بانسابهم وأحوالهم هم وغيرهم من الرواة حتى يصح العمل بما رواه الثقات منهم وتقوم به الحجة فان المجهول لاتصح روايته ولاينبغى العمل بما رواه والصحابة يشاركون سائر الرواة فى جميع ذلك الا فى الجرح والتعديل فإنهم كلهم عدول لايتطرق اليهم الجرح لان الله عز وجل ورسوله زكياهم وعدلاهم وذلك مشهور ولانحتاج لذكره ويجىء كثير منه فى كتابنا هذا فلا نطول به ههنا (وقد جمع الناس) فى أسمائهم كتبا كثيرة ومنهم من ذكر كثيرا من أسمائهم فى كتب الأنساب والمغازى وغير ذلك واختلفت مقاصدهم فيها إلا أن الذى انتهى إليه جمع أسمائهم الحافظان أبو عبد الله بن منده وأبو نعيم أحمد بن عبد الله الاصفهانيان والامام أبو عمر بن عبد البرالقرطبى رضى الله عنهم وأجزل ثوابهم وحمد سعيهم وعظم أجرهم وأكرم مآبهم فلقد أحسنوا فيما جمعوا وبذلوا جهدهم وأبقوا بعدهم ذكرا جميلا فالله تعالى يثيبهم أجرا جزيلا فإنهم جمعوا ماتفرق منه (فلما نظرت) فيها رأيت كلا منهم قد سلك فى جمعه طريقا غير طريق الآخر وقد ذكر بعضهم أسماء لم يذكرها صاحبه وقد أتى بعدهم الحافظ أبو موسى محمد بن أبى بكر بن أبى عيسى الاصفهانى فاستدرك على ابن منده مافاته فى كتابه فجاء تصنيفه كبيرا نحو ثلثى كتب ابن منده فرأيت ان أجمع بين هذه الكتب وأضيف إليها ماشذ عنها مما استدركه أبو على الغسانى على أبى عمر بن عبد البر وكذلك أيضا ما استدركه عليه آخرون وغير من ذكرنا فلا نطول بتعداد أسمائهم ههنا ورأيت ابن منده وأبا نعيم وأبا موسى عندهم أسماء ليست عند ابن البر وعند ابن عبد البر أسماء ليست عندهم (فعزمت) أن أجمع بين كتبهم الاربعة وكانت العوائق تمنع والاعذار تصد عنه وكنت حينئذ ببلدى وفى وطنى وعندى كتبى وما أراجعه من أصول سماعاتى وماأنقل منه فلم يتيسر ذلك لصداع الدنيا وشواغلها فاتفق

انى سافرت إلى البلاد الشامية عازما على زيارة البيت المقدس جمله الله سبحانه وتعالى دارا للإسلام أبدا فلما دخلتها اجتمع بى جماعة من أعيان المحدثين وممن يعتنى بالحفظ والإتقان فكان فيما قالوه اننا نرى كثيرا من العلماء الذين جمعوا أسماء الصحابة يختلفون فى النسب والصحبة والمشاهد التى شهدها الصاحب إلى غير ذلك من أحوال الشخص ولا نعرف الحق فيه وحثوا عزمى على جمع كتاب لهم فى أسماء الصحابة رضى الله عنهم أستقصى فيه ماوصل إلى من أسمائهم وأبين فيه الحق فيما اختلفوا فيه وانه يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم مع الاتيان بما ذكروه واستدراك مافاتهم فاعتذرت اليهم بتعذر وصولى إلى كتبى وأصولى واننى بعيد الدار عنها ولا أرى النقل الا منها فألحوا فى الطلب فثار العزم الأول وتجدد عندى ماكنت أحدث به نفسى وشرعت فى جمعه والمبادرة إليه وسألت الله تعالى أن يوفقنى إلى الصواب فى القول والعمل وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم بمنه وكرمه واتفق ان جماعة كانوا قد سمعوا على أشياء بالموصل وساروا إلى الشام فنقلت منها أحاديث مسندة وغير ذلك ثم اننى عدت إلى الوطن بعد الفراغ منه وأردت أن أكثر الاسانيد وأخرج الاحاديث التى فيه بأسانيدها فرأيت ذلك متعبا أحتاج أن أنقض كل ماجمعت فحملنى الكسل وحب الدعة والميل إلى الراحة إلى أن نقلت ماتدعو الضرورة إليه مما لا يخل بترتيب ولا يكثر إلى حد الاضجار والاملال (وانا اذكر كيفية وضع هذا الكتاب) ليعلم من يراه شرطنا وكيفيته والله المستعان (فأقول) انى جمعت بين هذه الكتب كما ذكرته قبل وعلمت على الاسم علامة ابن منده صورة دو علامة أبى نعيم صورة ع وعلامة ابن عبد البرصورة ب وعلامة أبى موسى صورة س فان كان الاسم عند الجميع عملت عليه جميع العلائم وان كان عند بعضهم علمت عليه علامته وأذكر فى آخر كل ترجمة اسم من أخرجه وان قلت أخرجه الثلاثة فأعنى ابن منده وأبا نعيم وأبا عمر بن عبد البرفان العلائم ربما تسقط من الكتابة وتنسى ولا أعنى بقولى أخرجه فلان وفلان أو الثلاثة أنهم أخرجوا جميع ماقلته فى ترجمته فلو نقلت كل ما قالوه لجاء الكتاب طويلا لأن كلامهم يتداخل ويخالف بعضهم البعض فى الشيء بعد الشيء وإنما أعنى أنهم أخرجوا الاسم ثم انى لا أقتصر على ماقالوه إنما أذكر ماقاله غيرهم من أهل

العلم واذا ذكرت اسما ليس عليه علامة أحدهم فهو ليس فى كتبهم ورأيت ابن منده وأبا نعيم قد أكثرا من الأحاديث والكلام عليها وذكرا عللها ولم يكثرا من ذكر نسب الشخص ولا ذكر شيء من أخباره وأحواله ومايعرف به ورأيت أبا عمر قد استقصى ذكر الأنساب وأحوال الشخص ومناقبه وكل ما يعرفه به حتى أنه يقول هو ابن أخى فلان وابن عم فلان وصاحب الحادثة الفلانية وكان هذا هو المطلوب من التعريف أما ذكر الاحاديث وعللها وطرقها فهو بكتب الحديث أشبه الا انى نقلت من كلام كل واحد منهم أجوده وماتدعو الحاجة إليه طلبا للاختصار ولم أخل بترجمة واحدة من كتبهم جميعها بل أذكر الجميع حتى اننى أخرج الغلط كما ذكره المخرج له وأبين الحق والصواب فيه انْ علمته الا أن يكون أحدهم قد أعاد الترجمة بعينها فأتركها وأذكر ترجمة واحدة وأقول قد أخرجها فلان فى موضعين من كتابه (وأما ترتيبه) ووضعه فاننى جعلته على حروف اب‌ت‌ث ولزمت فى الاسم الحرف الاول والثانى والثالث وكذلك إلى آخر الاسم وكذلك أيضا فى اسم الاب والجد ومن بعدهما والقبائل أيضا (مثاله) اننى أقدم أبانا على ابراهيم لان مابعد الباء فى أبان ألف ومابعدها فى ابراهيم راء وأقدم ابراهيم بن الحارث على ابراهيم بن خلادلان الحارث بحاء مهملة وخلاد بخاء معجمة وأقدم أبانا العبدى على أبان المحار بى وكذلك أيضا فعلت فى التعبيد فانى ألزم الحرف الأول بعد عبد وكذلك فى الكنى فاننى ألزم الترتيب فى الاسم الذى بعد أبوفانى أقدم أبا داود على أبى رافع وكذلك فى الولاء فاننى أقدم أسود مولى زيد على أسود مولى عمرو (وإذا ذكر) الصحابى ولم ينسب إلى أب بل نسب إلى قبيلة فاننى أجعل القبيلة منزلة الاب (مثاله) زيد الانصارى أقدمه على زيد القرشى ولزمت الحروف فى جميع أسماء القبائل * وقد ذكروا جماعة باسمائهم ولم ينبوهم إلى شيء فجعلت كل واحد منهم فى آخر ترجمة الاسم الذى سمى به مثاله زيد غير منسوب جعلته فى آخر من اسمه زيد وأقدم ماقلت حروفه على ماكثرت مثاله أقدم الحارث على حرانة * وقد ذكر ابن منده وأبو نعيم وأبو موسى فى آخر الرجال والنساء جماعة من الصحابة والصحابيات لم تعرف أسماؤهم فنسبوهم إلى آبائهم فقالوا بن فلان وإلى قبائلهم وإلى أبنائهم وقالوا فلان عن عمه وفلان عن جده وعن خاله

وروى فلان عن رجل من الصحابة (فرتبتهم) أولا بأن ابتدأت بابن فلان ثم بمن روى عن أبيه لان مابعد الباء فى ابن نون ومابعدها فى أبيه ياء ثم بمن روى عن جده ثم عن خاله ثم عن عمه لان الجيم قبل الخاء وهما قبل العين ثم بمن نسب إلى قبيلة ثم بمن روى عن رجل من الصحابة (ثم رتبت) هؤلاء أيضا ترتيبا ثانيا فجعلت من روى عن ابن فلان مرتبين على الآباء مثاله ابن الأدرع أقدمه على الابن الاسقع وأقدمهما على ابن ثعلبة وأرتب من روى عن أبيه على أسماء الآباء مثاله ابراهيم عن أبيه أجعله قبل الاسود عن أبيه وجعلت من روى عن جده على أسماء الاحفاد مثاله أقدم جدا لصلت على جد طلحة وجعلت من روى عن خاله على أسماء أولاد الاخوات مثاله أقدم خال البراء على خال الحارث ومن روى عن عمه جعلتهم على أسماء أولاد الاخوة مثاله عم أنس مقدم على عم جبر ومن نسب إلى قبيلته ولم يعرف اسمه جعلتهم مرتبين على أسماء القبائل فاننى أقدم الازدى على الخثعمى (وقد ذكروا) أيضا جماعة لم يعرفوا الابصحبة رسول الله ﷺ (فرتبتهم) على أسماء الراوين عنهم مثاله أنس بن مالك عن رجل من الصحابة أقدمه على ثابت بن السمط عن رجل من الصحابة وان عرفت فى هذا جميعه اسم الصحابى ذكرت اسمه ليعرف ويطلب من موضعه (ورأيت جماعة) من المحدثين إذا وضعوا كتابا على الحروف يجعلون الاسم الذى أوله لامثل لاحق ولاشر فى باب مفرد عن حرف اللام وجعلوه قبل الياء (فجعلتها) أنا من حرف اللام فى باب اللام مع الالف فهو أصح وأجود وكذلك أفعل فى النساء سواء وإذا كان أحد من الصحابة مشهور بالنسبة إلى غير أبيه ذكرته بذلك النسب كشر حبيل بن حسنه أذكره فيمن أول اسم أبيه حاء ثم أبين اسم أبيه ومثل شريك بن السحماء وهى أمه أيضا أذكره فيمن أول اسم أبيه سين ثم أذكر اسم أبيه أفعل هذا قصداً للتقريب وتسهيل طلب الاسم وأذكر الاسماء على صورها التى ينطق بها لا على أصولها مثل أحمر أذكره فى الهمزة ولا أذكره فى الحاء ومثل أسود فى الهمزة أيضا ومثل عمار اذكره فى عما ولا أذكره فى عمهم لان الحرف المشدد حرفان الأول منهما ساكن فعلته طلبا للتسهيل (وأقدم الاسم) فى النسب على الكنية إذا اتفقا مثاله أقدم عبد الله بن ربيعة على عبد الله بن أبى ربيعة وأذكر الاسماء

المشتبهة فى الخط وأضبطها بالكلام لئلا تلتبس فان كثيرا من الناس يغلطون فيها
وان كانت النقبة التى ضبطها تعرف الاسم وتبينه ولكنى أزيده تسهيلا
ووضوحا مثال ذلك سلمة فى الأنصار بكسر اللام والنسبة إليه سلمى بالفتح
فى اللام والسين وأما سليم فهو ابن منصور من قيس عيلان وأشرح الالفاظ
الغريبة التى ترد فى حديث بعض المذكورين فى آخر ترجمته وأذكر فى الكتاب
فصلا يتضمن ذكر الحوادث المشهورة للنبى ﷺ وأصحابه كالهجرة إلى
الحبشة وإلى المدينة وبيعة العقبة وكل حادثة قتل فيها أحد من الصحابة فان
الحاجة تدعو إلى ذلك لانه يقال أسلم فلان قبل دخول رسول الله ﷺ دار
الارقم أو وهو فيها وهاجر فلان إلى الحبشة وإلى المدينة وشهد بدرا وشهد بيعة
العقبة وبيعة الرضوان وقتل فلان فى غزوة كذا أذكر ذلك مختصرا فليس كل
الناس يعرفون ذلك ففيه زيادة كشف (وأذكر أيضا) فصلا أضمنه أسانيد
الكتب التى كثر تخريجى منها لئلا أكرر الاسانيد فى الاحاديث طلبا للاختصار
(وقد ذكر) بعض مصنفى معارف الصحابة جماعة ممن كان فى زمن النبى
ﷺ ولم يره ولم يصحبه ساعة من نهار كالأحنف بن قيس وغيره ولاشبهة فى
ان الاحنف كان رجلا فى حياة رسول الله ﷺ ولم يره ودليل انه كان رجلا فى
حياة رسول الله ﷺ قدومه على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى وفد أهل
البصرة وهو رجل من أعيانهم والقصة مشهورة الا انه لم يفد إلى النبى ﷺ ولم
يصحبه فلا أعلم لم ذكروه وغيره ممن هذه حالة فان كانوا ذكروهم لانهم كانوا
موجودين على عهد رسول الله ﷺ مسلمين فكان ينبغى أن يذكروا كل من
أسلم فى حياته ووصل اليهم اسمه لان الوفود فى سنة تسع وسنة عشر قدموا على
رسول الله ﷺ من سائر العرب باسلام قومهم فكان ينبغى ان يذكروا الجميع
قياسا على من ذكروه وأذكر فيه فى فصل جميع مافى هذا الكتاب من الانساب
وجعلتها على حروف المعجم ولم أذكر من الانساب الا مافى هذا الكتاب لئلا
يطول ذلك وانما فعلت ذلك لان بعض من وقف عليه من أهل العلم والمعرفة
أشار به ففعلته وليكون هذا الكتاب أيضا جامعا لما يحتاج إليه الناظر فيه غير
مفتقر إلى غيره ومايشاهده الناظر فى كتابى هذا من خطأ ووهم فليعلم انى لم
أقله من نفسى وإنما نقلته من كلام العلماء وأهل الحفظ والاتقان ويكون الخطأ

يسيرا إلى مافيه من الفوائد والصواب ومن الله سبحانه استمد الصواب فى القول والعمل فرحم الله امرأ أصلح فاسده ودعا لى بالمغفرة والعفو عن السيئات وأن يحسن من منقلنا إلى دار السلام عند مجاورة الاموات والسلام .

(فصـــل) يذكر فيه أسانيد الكتب الكبر التى خرجت منها الاحاديث وغيرها وقد تكرر ذكرها فى الكتاب لئلا يطول الاسناد ولا أذكر فى اثناء الكتاب الا اسم المصنف ومابعده فليعلم ذلك (تفسير القرآن المجيد لابى اسحاق الثعلبى) أخبره به أبو العباس أحمد بن عثمان بن أبى على بن مهدى الزرزارى الشيخ الصالح رحمه الله تعالى قال أخبرنا الرئيس مسعود بن الحسن بن القاسم الاصبهانى وأبو عبد الله الحسن ابن العباس الرستمى قالا أخبرنا أحمد بن خلف الشيرازى قال أنبأنا أبو اسحاق أحمد ابن محمد بن ابراهيم الثعلبى بجميع كتاب الكشف والبيان فى تفسير القرآن سمعت عليه من أول الكتاب إلى آخر سورة النساء وأما من أول سورة المائدة إلى آخر الكتاب فانه حصل لى بعضه سماعا وبعضه اجازة واختلط السماع بالاجازة فأنا أقول فيه أخبرنا به اجازة ان لم يكن سماعا فإذا قلت أخبرنا أحمد باسناده إلى الثعلبى فهو بهذا الاسناد ﴿ الوسيط فى التفسير أيضا للواحدى ﴾ أخبرنا بجميع كتاب الوسيط فى تفسير القرآن المجيد أبو محمد عبد الله بن على بن سويدة التكريتى قال أنبأنا أبو عبد الله محمد بن الحسين بن الفرخان السمنانى وعبد الرحمن بن أبى الخير بن سعيد المهنى كلاهما اجازة قالا أنبأنا أبو الحسن على بن أحمد بن متوية الواحدى ح قال أبو محمد وأخبرنا أبو الفضل أحمد بن أبى الخير بن سعيد قراءة عليه وأنا أسمع قال أنبأنا الواحدى فإذا قلت أخبرنا أبو محمد بن سويدة فهو إلى الواحدى بهذا الاسناد ﴿ صحيح محمد بن اسماعيل البخارى ﴾ أخبرنا بجميع الجامع الصحيح تأليف الامام أبى عبد الله بن اسماعيل البخارى رضى الله عنه أبو عبد الله محمد بن محمد بن سرايا بن على وأبو الفرج محمد بن عبد الرحمن بن أبى العز الواسطى وأبو بكر مسمار بن عمر بن العويس التيار البغدادى وأبو عبد الله الحسين ابن أبى صالح بن فناخسرو الديلمى التكريتى الضرير قالوا اخبرنا أبو الوقت عبد الأول ابن عيسى بن شعيب السنجرى قال اخبرنا أبو الحسن

عبد الرحمن بن محمد الداودى أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الحموى السرخسى قال أخبرنا محمد بن يوسف الفربرى أخبرنا محمد بن اسماعيل فإذا قلت أخبرنا أحد هؤلاء أوكلهم باسنادهم عن البخارى وذكرت اسناده إلى النبى ﷺ فهو بهذا الاسناد ﴿ صحيح مسلم بن الحجاج ﴾ أخبرنا بجميع الصحيح تأليف أبى الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى رضى الله عنه أبو الفرج يحيى بن محمود بن سعد الاصفهانى الثقفى قراءة عليه وأنا أسمع قال أخبرنا عم جدى أبو الفضل جعفر بن عبد الواحد بن محمد الثقفى قراءة عليه وأنا أسمع وأبو عبد الله محمد بن الفضل الفراوى اجازة قال جعفر أجازلنا وقال الفراوى اخبرنا سماعا أبو الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسى اخبرنا أبو أحمد محمد بن عيسى بن عمرويه الجلودى اخبرنا أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه أخبرنا أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى (فإذا قلت) أخبرنا يحيى وأبو ياسر باسنادهما عن مسلم فهو بهذا الاسناد (الموطأ لمالك بن أنس رواية يحيى بن يحيى) أخبرنا به الشيخ أبو الحرم مكى بن زيان بن شبه المقرى النحوى الماكسينى رحمه الله أخبرنا أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام الازدى القرطبى أخبرنا الفقيه أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب أخبرنا القاضى أبو الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث أخبرنا أبو عيسى يحيى بن عبيد الله أخبرنا عم أبى عبيد الله بن يحيى أخبرنا أبو يحيى بن يحيى أخبرنا الامام مالك بن أنس رضى الله عنه فإذا قلت أخبرنا أبو الحرم باسناده عن يحيى بن يحيى عن مالك فهو بهذا الاسناد ﴿ الموطأ لمالك أيضا رواية القعنبى ﴾ أخبرنا به أبو المكارم فتيان ابن أحمد بن محمد بن سمنية الجوهرى أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن نصر بن خميس الفقيه أخبرنا أبو الحسين أحمد بن عبد القادر بن يوسف أنبأنا أبو عمر وعثمان بن محمد بن يوسف العلاف أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن ابراهيم الشافعى أخبرنا أبو يعقوب اسحاق بن الحسن بن ميمون بن سعد الحرانى أخبرنا القعنبى عن مالك رضى الله عنه ﴿ مسند أحمد بن حنبل ﴾ أخبرنا به ياسر عبد الوهاب بن هبة الله بن أبى حبة قال أخبرنا أبو القاسم هبة الله ابن محمد بن عبد الواحد بن الحصين أخبرنا أبو على الحسن بن على بن المذهب الواعظ أخبرنا أبو بكر بن مالك القطيعى أخبرنا عبد الله ابن

أحمد بن حنبل حدثني أبي رضى الله عنه فكل مافيه أخبرنا أبو ياسر أو عبد الوهاب باسناده عن عبد الله حدثني أبي فهو بهذا الاستاد ﴿ مسند أبي داود الطيالسي ﴾ أخبرنا به الخطيب أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن القاهر الطوسي أخبرنا أبو سعد محمد بن محمد المطرز الفقيه اذنا أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن اسحاق الاصفهاني وأبو عبد الله الحسين ابن ابراهيم الجمال قالا أخبرنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن فارس أخبرنا يونس بن حبيب أخبرنا أبو داود الطيالسي رضى الله عنه فإذا قلت قال أبو داود الطيالسي فهو بهذا الاسناد ﴿ الجامع الكبير للترمذي ﴾ أخبرنا به أجمع أبو الفداء اسماعيل بن على بن عبيد الواعظ الموصلي وأبو جعفر عبد الله بن أحمد بن على بن الصمدي وأخبرنا به ماعدا أبواب الطهارة الفقيه أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن مهران الشافعي قالوا أخبرنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم بن أبي سهل الكروخي قال أخبرنا القاضي أبو عامر محمود بن القاسم بن محمد بن محمد الازدي وأبو نصر عبد العزيز بن محمد بن على الترياقي وأبو بكر عبد الصمد بن أبي الفضل الفورجي قالوا أخبرنا أبو محمد بن أبي الجراح الجراحي المروزي أخبرنا أبو العباس المحبوبي أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي رضى الله عنه ﴿ سنن أبي داود السجستاني ﴾ أخبرنا به أبو أحمد عبد الوهاب بن على بن على بن الامين الصوفي الشيخ الصالح المعروف بابن سكينة رضى الله عنه أخبرنا أبو غالب محمد بن الحسن الماوردي أخبرنا أبو على على بن أحمد التستري أخبرنا أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي أخبرنا أبو على محمد بن أحمد اللؤلؤي أخبرنا أبو داود سليمان بن الاشعث السجستاني فإذا قلت أخبرنا أبو أحمد باسناده عن أبي داود فهو بهذا الاسناد ﴿ سنن أبي عبد الرحمن النسائي ﴾ أخبرنا به أبو القاسم يعيش بن صدقة بن على الفقيه الشافعي الضرير رضى الله عنه قال أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد بن محموية اليزدي أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن الحسن الدوني أخبرنا أبو نصر أحمد بن الحسين الكسار أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد السبتي أخبرنا أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي رضى الله عنه فإذا قلت أخبرنا أبو القاسم أو يعيش باسناده إلى أبي عبد الرحمن أو أحمد بن شعيب فهو بهذا الاسناد ﴿ مسند أبي على الموصلي ﴾ أخبرنا به أبو

الفضل المنصور بن أبى الحسن بن أبى عبد الله الطبرى الفقيه المخزومى المعروف بالدينى أخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر الشحامى أخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد الرحمن الكنجرودى أخبرنا أبو عمر وبن حمدان أخبرنا أبو على أحمد بن على بن المثنى الموصلى رضى الله عنه ﴿ مغازى ابن اسحاق ﴾ أخبرنا به أبو جعفر عبيد الله ابن أحمد بن على أخبرنا أبو الفضل محمد بن ناصر بن على قال أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن النقور اجازة ح قال أبو جعفر وأخبرنا أبو الحسن على بن عساكر البطائحى أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن على المرزوق أخبرنا أبو الحسين ابن النقور أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص أخبرنا أبو الحسين رضوان ابن أحمد الصيدلانى أخبرنا أبو عمر أحمد بن الجبار العطاردى حدثنا يونس ابن بكير عن ابن اسحاق فإذا قلت فى الكتاب بهذا الاسناد فهو معروف ﴿ الآحاد والمثانى لابن أبى عاصم ﴾ أخبرنا به أبو الفرج يحيى بن محمود الثقفى اجازة أخبرنا عم جدى الرئيس أبو الفضل جعفر بن عبد الواحد بن محمد الثقفى قال أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن الاصبهانى أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن أبى بكر ابن محمد بن أبى على أحمد بن عبد الرحمن الذكوانى أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن العتاب أخبرنا القاضى أبو بكر أحمد بن عمر وبن أبى عاصم المصنف فكل مافى هذا الكتاب عن ابن أبى عاصم بهذا الاسناد وإذا كان بغيره ذكرته ﴿ طبقات محدثى الموصل ﴾ أخبرنا به أبو منصور بن مكارم بن أحمد بن سعد المؤدب الموصلى أخبرنا أبو القاسم نصر بن محمد صفوان أخبرنا أبو البركات سعد بن محمد بن ادريس والخطيب أبو الفضائل الحسن بن هبة الله قالا أخبرنا أبو الفرج محمد بن ادريس بن محمد بن ادريس قال أخبرنا أبو منصور المظفر بن محمد الطوسى أخبرنا أبو زكرياء يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم الازدى المصنف (مسند المعافى بن عمران) أخبرنا به أبو منصور بن مكارم أيضا أخبرنا به أبو القاسم بن صفوان أخبرنا الخطيب أبو الحسن على بن ابراهيم السراج أخبرنا أبو طاهر هبة الله بن ابراهيم بن أنس أخبرنا أبو الحسن على بن عبيد الله بن طوق أخبرنا أبو جابر زيد بن عبد العزيز بن حبان حدثنا محمد بن عبد الله بن عمار أخبرنا المعافى بن عمران الازدى رضى ﷺ عنه فهذه الكتب التى كثر النقل منها وماعداها

فاننى أذكر اسنادى إليها لانها لاتتكرر كثيرا والله ولى التوفيق

﴿ فصل نذكر فيه من يطلق عليه اسم الصحبة ﴾ قال الامام أبو بكر أحمد بن على الحافظ باسناده عن سعيد بن المسيب أنه قال الصحابة لانعدهم الا من أقام مع رسول الله ﷺ سنة أو سنتين وغزوا معه غزوة أو غزوتين قال الواقدى ورأينا أهل العلم يقولون كل من رأى رسول الله ﷺ وقد أدرك الحلم فأسلم وعقل أمر الدين ورضيه فهو عندنا ممن صحب رسول الله ﷺ ولو ساعة من نهار ولكن أصحابه على طبقاتهم وتقدمهم فى الاسلام وقال أحمد بن حنبل أصحاب رسول الله ﷺ كل من صحبه شهراً أو يوما أو ساعة أو رآه وقال محمد بن اسماعيل البخارى من صحب رسول الله ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه وقال القاضى أبو بكر محمد بن الطيب لاخلاف بين أهل اللغة فى أن الصحابى مشتق من الصحبة وانه ليس مشتقا على قدر مخصوص منها بل هو جار على كل من صحب قليلا كان أو كثيرا أو كذلك جميع الاسماء المشتقة من الافعال ولذلك يقال صحبت فلانا حولا وشهرا ويوما وساعة فيوقع اسم الصحبة لقليل مايقع عليه منها وكثيره قال ومع هذا فقد تقرر للامة عرف أنهم لايستعملون هذه التسمية الا فيمن كثرت صحبته ولايجيزون ذلك الا فيمن كثرت صحبته لا على من لقيه ساعة أو مشى معه خطا أو سمع منه حديثا فوجب لذلك أن لايجرى هذا الاسم الا على من هذه حاله ومع هذا فان خبر الثقة الامين عنه مقبول ومعمول به وان لم تطل صحبته ولاسمع منه الا حديثا واحدا ولو رد قوله أنه صحابى لرد خبره عن الرسول وقال الامام أبو حامد الغزالى لاينطلق اسم الصحبة الا على من صحبه ثم يكفى فى الاسم من حيث الوضع الصحبة ولو ساعة ولكن العرف يخصصه بمن كثرت صحبته قلت وأصحاب رسول الله ﷺ على ما شرطوه كثيرون فان رسول الله شهد حنينا ومعه اثنا عشر ألفا سوى الاتباع والنساء وجاء إليه هوازن مسلمين فاستنقذوا حريمهم وأولادهم وترك مكة مملوءة ناسا وكذلك المدينة أيضا وكل من اجتاز به من قبائل العرب كانوا مسلمين فهؤلاء كلهم لهم صحبة وقد شهد معه تبوك من الخلق الكثير مالا يحصيهم ديوان وكذلك حجة الوداع وكلهم له صحبة ولم يذكروا الا هذا القدر مع ان كثيرا منهم ليست له

صحبة وقد ذكر الشخص الواحد فى عدة تراجم ولكنهم معذورون فان من لم يرو ولا يأتى ذكره فى رواية كيف السبيل إلى معرفته وهذا حين فراغنا من الفصول المقدمة على الكتاب ثم نخوض غمرته فنقول ﴿ نبدأ بذكر سيدنا رسول الله ﷺ ﴾ تبركا باسمه وتشريفا للكتاب بذكره المبارك ولان معرفة المصحوب ينبغى ان تقدم على معرفة الصاحب وان كان أظهر من أن يعرف

لقد ظهرت فما تخفى على أحد * الا على أحد لا يعرف القمرا

لكن الا كثر يعرفونه جملة فارغة عن معرفة شيء من أحواله ونحن نذكر جملا من تفاصيل أموره على سبيل الاختصار فنقول وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل (محمد رسول الله ﷺ)

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانه بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان أبو القاسم سيد ولد آدم ﷺ فأما ما بعد عدنان من آبائه إلى اسماعيل بن ابراهيم الخليل ﷺ ففيه اختلاف كثير فى العدد والاسماء لاينضبط ولايحصل منه غرض فتركناه لذلك ومضر وربيعة هم صريح ولد اسماعيل باتفاق جميع أهل النسب وما سوى ذلك فقد اختلفوا فيه اختلافا كثيرا وأم رسول الله ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف ابن زهرة بن كلاب ابن مرة القرشية الزهرية تجتمع هى وعبد الله فى كلاب خرج عبد المطلب بابنه عبد الله إلى وهب بن عبد مناف فزوجه ابنته آمنة وقيل كانت آمنة فى حجر عمها وهيب بن عبد مناف فأتاه عبد المطلب فخطب إليه ابنته هالة بنت وهيب لنفسه وخطب على ابنه عبد الله ابنة أخيه آمنة بنت وهب فتزوجا فى مجلس واحد فولدت هالة لعبد المطلب حمزة أخبرنا عبيد الله بن أحمد بن على بن جعفر باسناده عن يونس بن بكير عن ابن اسحاق قال وكانت آمنة بنت وهب تحدث انها أتيت حين حملت برسول الله ﷺ فقيل لها انك حملت بسيد هذه الامة فسميه محمدا فلما وضعته أرسلت إلى جده عبد المطلب تقول قد ولد لك الليلة ولد فانظر إليه فلما جاءها أخبرته بالذى رأت وكان أبوه عبد الله قد توفى وأمه حامل به وقيل توفى وللنبى ﷺ ثمانية وعشرون شهرا وقيل كان له سبعة أشهر والاول أثبت

وكانت وفاته بالمدينة عند اخواله بنى عدى بن النجار وكان أبوه عبد المطلب بعثه إلى المدينة يمتار تمرا فمات وقيل بل أرسله إلى الشام فى تجارة فعاد من غزة مريضا فتوفى بالمدينة وكان عمره خمسا وعشرين سنة ويقال كان عمره ثمانيا وعشرين سنة.

(جـ) الاستيعاب لابن عبد البر

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قال الفقيه الحافظ الامام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمرى رضى الله عنه بحمد الله أبتدىء واياه أستعين وأستمده وهو ولي وعصمتى من الزلل فى القول والعمل وولىى وتوفيقى عليه توكلت وإليه أنبت الحمد لله رب العالمين * جامع الأولين والآخرين * ليوم الفصل والدين * حمدا يوجب رضاه * ويقتضى المزيد من فضله ونعماه * وصلى الله على سيدنا محمد نبى الرحمة * وهادى الأمة * وخاتم النبوة * وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما (أما بعد) فان أولى مانظر فيه الطالب * وعنى به الراغب * بعد كتاب الله عز وجل سنن رسوله ﷺ فهى المبينة لمراد الله عز وجل من مجملات كتابه والدالة على حدوده والمفسرة له والهادية إلى الصراط المستقيم صراط الله من اتبعهما اهتدى ومن سلك غير سبيلهما ضل وهوى وولاه الله ماتولى وأنفذ عليه وعيده ان شاء ومن أوكد آلات السنن المعينة عليها والمؤدية إلى حفظها معرفة الذين نقلوها عن نبيهم رسول الله ﷺ إلى الناس كافة وحفظوها عليه وبلغوها عنه وهم صحابته الذين وعوها وأدوها ناصحين محتسبين * حتى كمل بما نقلوه الدين ، وثبتت بهم حجة الله عز وجل على المسلمين * فهم خير القرون وخير أمة أخرجت للناس ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عز وجل عليهم وثناء رسوله ﷺ ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه صلى الله ﷺ ونصرته ولا تزكية أفضل من ذلك ولاتعديل أكمل منها * قال الله عز وجل ذكره « محمد رسول الله والذين

معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود الآية ﴿ فهذه ﴾ صفة من بادر إلى تصديقه والايمان به وآزره ونصره ولصق به وصحبه وليس كذلك جميع من رآه ولا جميع من آمن به وسترى منازلهم من الدين والايمان وفضائل ذوى الفضل والتقدم منهم والله قد فضل بعض النبيين على بعض وكذلك سائر المرسلين والحمد لله رب العالمين * وقال الله عز وجل « والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه »﴿ وأخبرنا ﴾ عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن قال نا أحمد بن سلمان الحسن قال حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل قال نا أبى وأخبرنا عبد الوارث ابن سفيان قال نا قاسم بن أصبغ قال نا أحمد بن زهير قال نا أحمد بن حنبل قال نا هشيم قال أخبرنا أشعث عن ابن سير بن فى قوله عز وجل والسابقون الاولون قال هم الذين صلوا للقبلتين ﴿ وبهذين ﴾ الاسنادين عن أحمد بن حنبل قال ونا هشيم عن اسمعيل ومطرف عن الشعبى قال هم الذين بايعوا بيعة الرضوان ﴿ وأخبرنا ﴾ احمد بن عبد الله بن محمد بن على قال حدثنا الحسن بن اسماعيل قال حدثنا عبد الملك قال نا عبد الملك بن بحر قال نا محمد بن اسماعيل بن سالم قال نا سنيد قال نا هشيم قال أخبرنا مطرف واسماعيل عن الشعبى قال السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين بايعوا بيعة الرضوان قال سنيدونا حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى أبو الزبير انه سمع جابر بن عبد الله يقول كنا يوم الحديبية أربع عشرة ومائة فبايعنا رسول الله ﷺ وعمر بن الخطاب رضى الله عنه آخذ بيده تحت الشجرة وهى سمرة فبايعناه غير الجد بن قيس اختبأ تحت بطن بعيره قيل لجابر هل بايع النبى عليه السلام بذى الحليفة قال لا ولكنه صلى بها ولم يبايع تحت الشجرة الا الشجرة التى عند الحديبية قال أبو الزبير قلت لجابر كيف بايعوا قال بايعناه على أن لانفر ولم نبايعه على الموت قال وأخبرنا أبو الزبير عن جابر قال جاء عبد لحاطب بن أبى بلتعة أحد بنى أسد يشتكى سيده فقال يارسول الله ليدخلن حاطب النار فقال له كذبت لايدخلها أحد شهد بدرا أو الحديبية (قال أبو عمر) وقال الله عز وجل « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة » ومن رضى الله عنه لم

يسخط عليه أبدا ان شاء الله وقال رسول الله ﷺ لن يلج النار أحد شهد بدرا أو الحديبية * أخبرنى أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التاهرتى رحمه الله قال نا قاسم بن أصبغ قال نا الحرث بن أبى أسامة قال أخبرنا عاصم بن على وأحمد بن عبد الله بن يونس قالا حدثنا الليث بن سعد عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ قال لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة * أخبرنا عبد الوارث بن سفيان قال نا قاسم بن أصبغ قال نا ابراهيم بن اسحق بن مهران قال نا يحيى بن يحيى النيسابورى قال نا أبو خيثمة عن أبى الزبير عن جابر ان عبداً لحاطب جاء إلى رسول الله ﷺ يشتكى حاطبا فقال يارسول الله ليدخلن حاطب النار قال فقال رسول الله ﷺ كذبت لايدخلها أحد شهد بدراً أو الحديبية * ورواه حجاج عن ابن جريج عن أبى الزبير انه حدثه عن جابر عن أم مبشر عن النبى ﷺ مثله * وقد روى الاعمش عن أبى سفيان عن جابر عن النبى ﷺ مثله ولم يذكر أم مبشر * وقد روى عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ مثله * حدثنا عبد الوارث بن سفيان قال نا قاسم بن أصبغ قال نا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشى قال نا أبو زيد الهروى قال ناقرة بن خالد عن قتادة قال قلت لسعيد بن المسيب كم كان الذين شهدوا بيعة الرضوان قال خمس عشرة مائة قال قلت فان جابر بن عبد الله قال كانوا أربع عشرة مائة قال رحم الله جابرا هو حدثنى أنهم كانوا خمس عشرة مائة * حدثنا عبد الله بن محمد قال نا أحمد بن زهير قال نا أحمد بن سلمان نا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثنا أبى وأخبرنا عبد الوارث بن سفيان قال نا قاسم بن أصبغ قال نا احمد ابن زهير قال نا احمد بن حنبل قال نا محمد بن جعفر قال نا شعبه عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبى الجعد قال سألت جابر بن عبد الله عن أصحاب الشجرة قال كنا ألفا وخمسمائة قال ولو كنا مائة ألف لكفانا ﴿ قال أبو عمر ﴾ رضى الله عنه يعنى الماء النابع من أنامله ﷺ وقد ذكرنا طرق ذلك فى التمهيد بما بان به أن ذلك كان منه مرات فى مواطن شتى ﷺ وبهذين الاسنادين عن احمد بن حنبل قال نا سفيان عن عمرو قال سمعت جابر بن عبد الله يقول لنا يوم الحديبية ألف وأربعمائة فقال لنا رسول الله ﷺ أنتم اليوم خير أهل الأرض وقال معقل بن يسار وعبد الله بن أبى أوفى وكانا ممن

شهدا البيعة تحت الشجرة كانوا ألفا وأربعمائة ذكره احمد بن حنبل عن عبد الوهاب الثقفى عن خالد الحذاء عن الحكم بن عبد الله الأعرج عن معقل بن يسار وذكره أحمد أيضا عن أبى قطن عمر وبن الهيثم عن شعبة عن عمرو بن مرة عن ابن أبى أوفى كل ذلك من كتاب أحمد بن زهير عن احمد ﴿ ومن ﴾ كتاب عبد الله بن احمد بن حنبل عن أبيه بالاسنادين المذكورين عنه قال نا محمد بن جعفر نا هشام عن محمد بن سيربن عن عبيدة قال كان عدة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر أحد العددين قال أحمد ونا يحيى بن سعيد قال نا سفيان نا أبو اسحق نا البراء بن عازب قال كنا يعنى أصحاب محمد نتحدث أن عدة أهل بدر ثلاثمائة وبضعة عشر كعدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر وماجاز معه النهر الامؤمن وكذلك قال ابن اسحق نا عبد الوارث نا قاسم قال من شهد بدرا من المسلمين نا احمد بن زهير وعبيد بن عبد الواحد البزار قالا نا احمد بن محمد بن أيوب نا ابراهيم بن سعيد عن ابن اسحق قال جميع من شهد بدرا من المسلمين من المهاجرين والانصار ثلاثمائة رجل وأربعة عشر رجلا من المهاجرين ثلاثة وثمانون ومن الأوس أحد وستون ومن الخزرج مائة وسبعون رجلا * وذكر ابن اسحق عن يزيد بن أبى حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزنى عن الصنابحى عن عبادة قال كنت فيمن حضر العقبة يعنى الأولى كنا اثنى عشر رجلا وكانوا فى العقبة الثانية سبعين رجلا لا خلاف فى ذلك أصغرهم أبو مسعود عقبة ابن عمر وذكره أحمد بن حنبل عن يحيى بن زكريا عن أبى زائدة عن أبيه ومجالد عن الشعبى عن أبى مسعود الانصارى قال الشعبى وكان أصغرهم سنا * وذكره ابن اسحق بالاسناد المتقدم عنه قال فحدثنى معبد بن كعب بن مالك ان أباه كعب بن مالك حدثه وكان ممن شهد العقبة قال حتى إذا اجتمعنا فى الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلا ومعهم امرأتان من نسائهم نسيبة بنت كعب أم عمارة وأسماء بنت عمرو بن عدى * حدثنا عبد الله بن محمد بن أسد قال نا سعيد بن عثمان بن السكن قال نا محمد بن يوسف قال نا البخارى قال نا اسحق بن ابراهيم قال نا عبد الله بن ادريس قال سمعت حصين بن عبد الرحمن وسعيد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على قال بعثنى رسول الله ﷺ وأبا مرثد والزبير بن العوام

وكلنا فارس قال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فذكر الحديث فى قصة
حاطب حتى بلغ إلى قول رسول الله ﷺ أليس من أهل بدر ومايدريك ان الله
قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد وجبت لكم الجنة أو قد غفرت
لكم * وبه عن البخارى قال نا آدم بن أبى اياس قال نا شعبة عن الأعمش قال
سمعت ذكوان يحدث عن أبى سعيد الخدرى أنه سمع النبى ﷺ يقول لاتسبوا
أصحابى فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه *
وحدثناه عبدالله بن محمد بن يحيى قال نا محمد بن بكر قال نا أبو داود نا
مسدد قال نا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد قال رسول
الله ﷺ فذكره سواء * وذكر سنيد قال نا حجاج عن شعبة عن عمرو ابن
مرة عن البخترى عن أبى سعيد الخدرى قال لما نزلت إذا جاء نصر الله والفتح
قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها وقال الناس حيز وأنا وأصحابى حيز وقال
لا هجرة بعد الفتح ولكن جهادونية فقال له مروان بن الحكم كذبت وعنده
زيد بن ثابت ورافع ابن خديج وهما قاعدان معه على السرير فقال أبو سعيد لو
شاهدان لحدثاك ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه وهذا يخشى أن
تنزعه عن الصدقة فرفع عليه مروان ليضربه فلما رأيا ذلك قالا صدق * وقال
عليه الصلاة والسلام لأصحابه أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على
الله * حدثنا يعيش بن سعيد وعبد الوارث بن سفيان قال نا قاسم بن أصبغ قال
نا احمد بن محمد البرتى قال نا أبو معمر قال نا عبد الوارث قال نا بهز بن حكيم
بن معاوية بن حيدة القشيرى عن أبيه عن جده قال سمعت النبى ﷺ يقول ألا
انكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى * وقال الله عز وجل
كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله
وقال بعض العلماء كنتم بمعنى أنتم خير أمة وقيل كنتم فى علم الله ومعلوم ان
مواجهة رسول الله ﷺ لأصحابه بانتم خيرها اشارة بالتقدمة فى الفضل اليهم
على من بعدهم والله أعلم ﴿ ويدل ﴾ على ماقلنا ماروى عن بن عباس أنه قال
هم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة رواه سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن
عباس حدثناه عبد الوارث نا قاسم بن أصبغ نا محمد بن عبد السلام نا سلمة
بن شيب نا عبد الرزاق نا اسرائيل عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن

عباس فى قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس قال هم الذين هاجروا مع محمد ﷺ إلى المدينة هكذا قال مع محمد وأكثر الرواه له عن سماك يقولون ماذكرت لك انهم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة والمعنى واحد لانهم هاجروا بأمره وان لم يكونوا هاجروا معه فى سفر واحد وإنما أشار إليهم ابن عباس بالذكر لانهم الذين قاتلوا من خالفهم على الدين حتى دخلوا فيه ولذلك قال أبو هريرة ومجاهد والحسن وعكرمة خير الناس للناس يقاتلونهم حتى يدخلوهم فى الدين طوعا وكرها وإذا كان ذلك كذلك فمعلوم ان المهاجرين الاولين والانصار فى ذلك سواء * وذكر محمد بن اسحاق السراج فى تاريخه قال نا أبو كريب قال نا محمد بن عبيد وأبو أسامة عن اسماعيل بن أبى خالد عن عامر الشعبى قال المهاجرون الاولون الذين بايعوا بيعة الرضوان قال نا سفيان بن وكيع قال نا أبى عن أبى هلال عن قتادة قال قلت لسعيد بن المسيب لم سموا المهاجرين الاولين قال من صلى مع رسول الله ﷺ القبلتين جميعا فهو من المهاجرين الاولين ﴿ قال أبو عمر ﴾ رضى الله عنه قول الشعبى وسعيد بن المسيب يقضى بأن معنى قولهم المهاجرين الاولين كمعنى قول الله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار لانهم صلوا إلى القبلتين جميعا وبايعوا بيعة الرضوان وفى ذلك أقوال لغيرهم سنذكرها بعد أن شاء الله * حدثنا عبدالوارث حدثنا قاسم نا محمد بن وضاح قال نا موسى بن معاوية قال نا وكيع عن سفيان عن ميسرة الاشجعى عن أبى حازم عن أبى هريرة كنتم خير أمة أخرجت للناس قال خير الناس للناس يجيئون بهم فى السلاسل يدخلونهم فى الاسلام وروى عن مجاهد انه قال أيضا كانوا خير الناس على الشرط الذى ذكره الله تعالى يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله * وجاء عن عمر بن الخطاب أنه قال من سره أن يكون من تلك الأمم فليؤد شرط الله فيها وقال بعض أهل العلم كنتم بمعنى أنتم والكاف صلة * وقال آخرون كنتم فى اللوح المحفوظ وهو الذكر وأم الكتاب واستدلوا بقول الله عز وجل ورحمتى وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون إلى قوله واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون * وروى ابن القاسم عن مالك أنه سمعه يقول لما دخل أصحاب رسول الله ﷺ الشام نظر إليهم رجل من أهل الكتاب فقال ما كان أصحاب عيسى بن مريم عليه السلام

الذين قطعوا بالمناشير وصلبوا على الخشب بأشد اجتهادا من هؤلاء * وقال رسول الله ﷺ خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم * حدثنا عبد الوارث ابن سفيان قال نا قاسم بن أصبغ قال نا أحمد بن زهير بن حرب قال نا أبى قال نا يحيى بن سعيد القطان قال نا سفيان قال نا منصور وسليمان الاعمش عن ابراهيم عن عبيدة عن عبيد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ خير القرون قرنى * وأخبرنا عبد الوارث بن سفيان قال نا قاسم بن أصبغ قال نا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشى قال نا أزهر بن سعد عن ابن عون عن ابراهيم عن عبيدة عن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم. ثم الذين يلونهم قال لا أدرى أذكر رسول الله ﷺ بعد قرنه قرنين أو ثلاثة * وروى هذا الحديث عن النبى ﷺ عمر بن الخطاب وعمران بن خصين والنعمان بن بشير وبريدة الاسلمى وجعدة ابن هبيرة وأبو هريرة أخبرنى عبد الوارث بن سفيان قال نا قاسم بن أصبغ قال نا أحمد بن زهير قال نا موسى بن اسماعيل قال نا حماد بن سلمة عن أبى محمد عن زرارة بن أوفى قال القرن مائة وعشرون سنة * أخبرنا أبو عبد الله محمد بن خليفة قال نا أبو بكر محمد بن الحسين البغدادى بمكة قال نا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال نا محمد بن يزيد الرفاعى أبو هشام ويعقوب بن ابراهيم الدورقى والحسن بن عرفة قال نا أبو بكر بن عياش قال نا عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله ابن مسعود قال ان الله نظر فى قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه وبعثه برسالته ثم نظر فى قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون عن دينه * وروى السدى عن أبى مالك عن ابن عباس فى قول الله عز وجل قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى قال أصحاب محمد ﷺ وقال السدى والحسن البصرى وابن عيينة والثورى أخبرنا عبد الوارث بن سفيان قال نا قاسم بن أصبغ قال أحمد بن زهير نا موسى بن اسمعيل نا أبو هلال الراسى عن قتادة قال قلت لسعيد بن المسيب يا أبا محمد مافرق بين المهاجرين الأولين يعنى وغيرهم قال فرق بينهم القبلتان فمن صلى القبلتين مع رسول الله ﷺ فهو من المهاجرين الأولين * وذكر مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال صلى رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس

ستة عشر شهرا ثم حول إلى الكعبة قبل بدر بشهرين * وقال محمد بن الحنفية السابقون الاولون من المهاجرين والانصار من صلى القبلتين وقاله سعيد بن المسيب وابن سيربن ذكر سنيد قال حدثنا هشيم قال نا أشعث قال سمعت محمد بن سيرين يقول فى قوله تعالى ذكره والسابقون الاولون قال هم الذين صلوا القبلتين قال سيد وانا وكيع عن أبى هلال عن قتادة عن سعيد بن المسيب مثله قال وحدثنا هشيم قال نا داود بن أبى هند عن الشعبى قال فصل ما بين المهاجرين وبين الأولين وسائر المهاجرين بيعة الرضوان يوم الحديبية قال وأخبرنا هشيم قال نا منصور عن الحسن قال فرق ما بينهم فتح مكة قال واخبرنا شيخ عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظى وعطاء بن يسار فى قوله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار قالا أهل بدر * حدثنا احمد بن عبد الله بن محمد نا الحسن بن اسمعيل نا عبد الملك بن بحر نا محمد بن اسمعيل بن سالم نا سنيد قال نا أبوسفيان عن معمر عن قتادة فى قوله تعالى كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم الآية قال قد كان ذلك بحمد الله جاءه سبعون رجلا فبايعوه عند العقبة فنصروه وآووه حتى أظهر الله دينه قال ولم يسم حى من الناس باسم لم يكن لهم الاهم قال سنيد وأخبرنا أبو سفيان عن معمر عن أيوب عن عكرمة وحجاج عن ابن جريج عن عكرمة قال لقى النبى عليه الصلاة والسلام نفرا من الانصار ستة فآمنوا به وصدقوه فأراد أن يذهب معهم فقالوا ان بيننا حربا وانا نخاف ان جئتنا على هذه الحال أن لايتهيا الذى تريد فواعدوه العام المقبل وقالوا نذهب لعل الله يصلح تلك الحرب وذلك يوم بعاث وكانوا يرون انها لاتصلح فلقيه العام المقبل سبعون رجلا قد كانوا آمنوا به فأخذ منهم النقباء اثنى عشر رجلا * أخبرنا عبد الوارث بن سفيان قال نا قاسم بن أصبغ نا أحمد بن زهير قال نا عفان وموسى بن اسمعيل قالا حدثنا مهدى بن جرير قال قلت لانس ابن مالك يا أبا حمزة أرأيت اسم الانصار اسم سماكم الله به أم أنتم كنتم تسمون به قال بل اسم سمانا الله به قال أبو عمر رضى الله عنه إنما وضع الله عز وجل أصحاب رسوله ﷺ بالموضع الذى وضعهم فيه بثنائه عليهم من العدالة والدين والامانة لتقوم الحجة على جميع أهل الملة بما أدوه عن نبيهم من فريضة وسنة فصلى الله عليه ورضى عنهم أجمعين فنعم العون

كانوا له على الدين فى تبليغهم عنه إلى من بعدهم من المسلمين * أخبرنا أبو محمد عبد الله ابن أسد قال نا عبد الله بن مسروق قال نا أحمد بن معتب قال نا الحسين قال نا عبد الله بن المبارك قال نا اسمعيل الملكى عن الحسن عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ ان مثل أصحابى فى أمتى كالملح فى الطعام لايصلح الطعام الا بالملح قال الحسن فقد ذهب ملحنا فكيف نصلح * وأخبرنا أحمد بن قاسم قال نا قاسم بن أصبغ قال نا محمد بن اسماعيل الترمذى قال نا نعيم ابن حمادة قال نا ابن المبارك فذكره باسناد سواء * وروى ابن وهب عن مالك قال عدة النقباء اثنا عشر رجلا تسعة من الخروج وثلاثة من الأوس وقد وصف رسول الله ﷺ وجوه أصحابه وحلاهم بحلاهم ليقتدى به فيهم بمثل ذلك وفيما رواه شيخنا عيسى بن سعيد بن سعدان المقرى قال نا أبو بكر أحمد بن ابراهيم بن شاذان قال حدثنا أبو محمد يحيى بن صاعد وأخبرنا به أبو عثمان سعيد بن عثمان قال نا أحمد بن دحيم قال حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد قال نا محمد بن ثعلبة العامرى بالكوفة قال نا عبد الحميد بن عبد الرحمن أبو يحيى الحمانى قال نا أبو سعد الاعور يعنى البقال وكان مولى لحذيفة قال نا شيخ من الصحابة يقال أبو محجن بن فلان قال قال رسول الله ﷺ ان أرأف أمتى بأمتى أبو بكر وأقواها فى أمر الله عمر وأصدقها حياء عثمان وأقضاها على وأفرضها زيد وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح * وروى عفان ابن مسلم قال ناشعبة ووهيب واللفظ لحديث وهيب قال نا خالد الحذاء عن أبى قلابة عن أنس ابن مالك عن النبى ﷺ قال أرحم أمتى بأمتى أبو بكر فذكر مثله الا أنه لم يذكر وأقضاهم على * وروى حماد بن زيد عن عاصم عن أبى قلابة عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ أرحم الناس بالناس أو قال أرحم أمتى بأمتى أبو بكر فذكر مثله سواء إلى آخره * وروى يزيد بن هارون قال نا مسلم بن عبيد عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ على أقضى أمتى وابى أقرؤهم وأبو عبيدة أمينهم ذكره الحلوانى عن زيد بن هارون * وروى عن عمر رحمه الله من وجوه على أقضانا وأبى أقرؤنا * وقد أخبرنا عبد الوارث بن سفيان نا قاسم بن أصبغ نا أحمد ابن زهير نا أحمد بن عبد الله بن يونس قال نا سلام عن زيد العمى عن أبى الصديق التاجى عن أبى سعيد

الخدرى قال قال رسول الله ﷺ أرحم أمتى بها أبو بكر وأقواهم فى دين الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقضاهم على وأفرضهم زيد وأقرؤهم لكتاب الله أبى بن كعب وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ ابن جبل وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح وأبو هريرة وعاء للعلم أو قال وعاء العلم وعند سلمان علم لايدرك وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذى لهجة أصدق من أبى ذر ﴿ قال أبو عمر ﴾ رضى الله عنه فضل رسول الله ﷺ جماعة من أصحابه بفضائل خص كل واحد منهم بفضيلة وسمه بها وذكره فيها ولم يأت عنه عليه الصلاة والسلام انه فضل منهم واحدا على صاحبه بعينه من وجه يصح ولكنه ذكر من فضائلهم مايستدل به على مواضعهم ومنازلهم من الفضل والدين والعلم وكان صلى الله ﷺ أحلم وأكرم معاشرة وأعلم بمحاسن الأخلاق من أن يواجه فاضلا منهم بأن غيره أفضل منه فيجد من ذلك فى نفسه بل فضل السابقين منهم وأهل الاختصاص به على من لم ينل منازلهم فقال لهم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولانصيفه * وهذا من معنى قول الله تعالى لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ومحال أن يستوى من قاتله ﷺ مع من قاتل عنه * وقال رسول الله ﷺ لبعض من لم يشهد بدرا وقد رآه يمشى بين يدى أبى بكر تمشى بين يدى من هو خير منك وهذا لانه قد كان أعلمنا ذلك فى الجملة لمن شهد بدرا والحديبية ولكل طبقة منهم منزلة معروفة وحال موصوفة وسنذكر فى باب كل واحد منهم مابلغنا من فضائله ان شاء الله ﴿ وبعد ﴾ فان العلم محيط بأن السنن أحكام جارية على المرء فى دينه فى خاصة نفسه وفى أهله وماله ومعلوم ان من حكم بقوله وقضى بشهادته فلابد من معرفة اسمه ونسبه وعدالته والمعرفة بحالته * ونحن وان كان الصحابة رضى الله عنهم قد كفينا البحث عن أحوالهم لاجماع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول * فواجب الوقوف على أسمائهم والبحث عن سيرهم وأحوالهم ليهتدى بهديهم فهم خير من سلك سبيله واقتدى به وأقل مافى ذلك معرفة المرسل من المسند وهو علم جسيم لايقدر أحد ينسب إلى علم الحديث بجهله ولاخلاف علمته بين العلماء ان الوقوف على معرفة أصحاب رسول الله ﷺ

من أوكد علم الخاصة وأرفع علم الخبر وبه ساد أهل السير وما أظن أهل دين من الأديان الا وعلماؤهم معتنون بمعرفة أصحاب أنبيائهم لانهم الواسطة بين النبى وبين أمته * وقد جمع قوم من العلماء فى ذلك كتبا صنفوها فنظرت إلى كثير مما صنفوه فى ذلك وتأملت فيما ألفوا فرأيتهم رحمهم الله قد طولوا فى بعض ذلك وأكثروا من تكرار الرفع فى الأنساب ومخارج الروايات وهذا وإن كان له وجه فهو تطويل على من أحب علم مايعتمد عليه من أسمائهم ومعرفتهم وهم مع ذلك قد أضربوا عن التنبيه على عيون اخبارهم التى يوقف بها على مراتبهم ورأيت كل واحد منهم قد وصل إليه من ذلك شيء ليس عند صاحبه * فرأيت أن أجمع ذلك وأختصره وأقربه على من أراده وأعتمد فى ذلك على النكت التى هى البغية من المعرفة بهم وأشير إلى ذلك بألطف مايمكن وأذكر عيون فضائل ذوى الفضل منهم وسابقته ومنزلته وأبين مراتبهم بأوجز ماتيسر وأبلغه ليستغنى اللبيب بذلك ويكفيه عن قراءة التصنيف الطويل فيه * وجعلته على حروف المعجم ليسهل على من ابتغاه ويقرب تناوله على طالب ما أحب منه رجاء ثواب الله عز وجل وإلى الله أرغب فى سلامة النية وحسن العون على مايرضاه فان ذلك به لاشريك له * وأرجو أن يكون كتابى أكثر كتبهم تسمية وأعظمها فائدة وأقلها مؤنة على انى لا أدعى الاحاطة بل أعترف بالتقصير الذى هو الاغلب على الناس وبالله أستعين وهو حسبى ونعم الوكيل * وأعتمدت فى هذا الكتاب على الكتب المشهورة عند أهل العلم بالسير والانساب وعلى التواريخ المعروفة التى عليها قول العلماء فى معرفة أيام الاسلام وسير أهله * فما كان فى كتابى هذا عن موسى بن عقبة * فمن طريقين أحدهما ماحدثنى به عبد الوارث بن سفيان عن قاسم بن أصبغ عن مطرف بن عبد الرحمن عن يعقوب بن حميد بن كاسب عن محمد بن فليح عن موسى بن عقبة وحدثنى به خلف بن القاسم عن أبى الحسن على بن الحسن بن محمد بن عبد الغفار يعرف بابن الون المصرى عن جعفر بن سليمان النوفلى عن ابراهيم بن المنذر الخزامى عن محمد بن فليح عن موسى بن عقبة * وحدثنى أيضا عبد الوارث عن قاسم عن ابن أبى خيثمة فى كتابه عن ابراهيم بن المنذر عن محمد بن فليح عن موسى بن عقبة * وما كان فيه عن ابن اسحق * فقرأته على عبد الوارث بن سفيان عن

قاسم بن أصبغ عن عبيد بن عبد الواحد البزاز عن ابن أبي خيثمة أيضا من كتابه جميعا عن أحمد بن محمد بن أيوب عن ابراهيم بن سعد عن ابن اسحاق وقرأته على عبد الوارث أيضا عن قاسم بن أصبغ عن محمد بن عبد السلام الخشنى عن محمد بن عبد الرحيم البرقى عن عبد الملك بن هشام النحوى عن زياد البكائى عن محمد بن اسحاق * وقرأته أيضا على عبد الله بن محمد بن يوسف عن محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرج عن ابن الاعرابى عن أحمد بن عبد الجبار العطاردى عن يونس بن بكير عن ابن اسحاق * وأخبرنى به خلف بن القاسم قال أنا أبو محمد بن الورد وهو عبد الله بن محمد بن جعفر بن الورد عن أبى سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم عن عبد الملك بن هشام عن زياد ابن عبد الله عن ابن اسحاق * وما كان فيه عن الواقدى فأما كتاب الطبقات له فقرأته على أحمد بن قاسم التاهرتى عن محمد بن معاوية القرشى عن ابراهيم بن موسى ابن جميل عن محمد بن سعد كاتب الواقدى عن الواقدى * وأما تاريخ الواقدى فأخبرنى به خلف بن قاسم عن أبى الحسن على بن العباس بن ألون المصرى عن جعفر بن سليمان النوفلى عن ابراهيم بن المنذر الحزامى عن الواقدى * وما كان فيه عن خليفة بن خياط فأخبرنى به أبو عمر أحمد بن عبد الله بن محمد ابن على عن أبيه عن عبدالله بن يونس عن بقى بن مخلد عن خليفة * وقرأته أيضا على أبى القاسم خلف بن سعيد الشيخ الصالح عن أبى محمد عبد الله بن محمد بن على عن عبد الله بن يونس عن بقى عنه * وما كان فيه عن الزبير بن أبى بكر فأخبرنى به عبد الله بن يوسف عن أحمد بن محمد بن اسماعيل عن محمد بن الحسن الانصارى عن الزبير * وما كان فيه عن مصعب الزبيرى وعن المدائنى فمن كتاب ابن أبى خيثمة عنهما وكذلك ما كان فيه عن أبى معشر فمن كتاب ابن أبى خيثمة أيضا قرأت جميعه على أبى القاسم عبد الوارث بن سفيان بن جبرون عن أبى محمد قاسم بن أصبغ بن يوسف البيانى عن ابن أبى خيثمة أبى بكر أحمد بن زهير بن حرب * وكل ما فى كتابى عن ابن أبى خيثمة فبهذا الاسناد عنه * وما كان فيه عن البخارى فمن كتابه الكبير فى تاريخ المحدثين * قرأته على أبى القاسم خلف بن سهل الحافظ عن أبى الحسن على بن محمد بن اسماعيل الطوسى عن أبى أحمد محمد بن سليمان بن فارس عن أبى

عبد الله محمد بن اسماعيل بن المغيرة البخارى * وما كان فيه من تاريخ أبى العباس محمد بن اسحاق بن ابراهيم السراج فاخبرنى باربعة أجزاء منه أبو القاسم خلف بن قاسم قال نا أبو الحسن على بن محمد ابن اسماعيل الطوسى عنه وسائره اجازة * وماكان فيه لابى جعفر الطبرى فمن كتابه المسمى ذيل المذيل قرأته على أبى عمر أحمد بن محمد بن أحمد عن أبى بكر أحمد بن الفضل بن عباس الخفاف الدينورى بن الطبرى * وما كان فيه عن الدولابى فمن كتابه فى المولد والوفاة حدثنى به أبو القاسم خلف بن قاسم عن الحسن بن رشيق عن أبى البشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابى * وأما ما فيه من تسمية الرواة من الصحابة رضى الله عنهم دون من قتل فى المشاهد منهم أو مات على عهد رسول الله ﷺ أو أدركه بمولده أو كانت له رؤية أولقيه أو كان مسلما على عهده ولم يره فان هذه الطبقات كثير منها مذكور فى الكتب التى قدمنا ذكرها وماعداهم من الرواة خاصة فمن كتاب أبى على سعيد بن عثمان ابن السكن الحافظ المعروف بكتاب الحروف فى الصحابة حدثنى به أبو القاسم خلف بن قاسم قراءة على من كتابه من أوله إلى آخره حدثنى به عن مؤلفه سماعا منه ومن كتاب الآحاد لابى محمد عبد الله بن على بن الجارود فى الصحابة حدثنى به أبو عمر أحمد بن عبد الله بن على عن أبيه عن الحسن بن عبد الله الزبيدى عن ابن الجارود * ومن كتاب أبى جعفر العقيلى محمد بن عمر وبن موسى المكى فى الصحابة أجازه لى عبد الله بن محمد بن يوسف أبو الوليد عن أبى يعقوب يوسف بن أحمد الصيدلانى المكى عن عقيلى ومن كتاب ابن أبى خيثمة أيضا وقد طالعت أيضا كتاب ابن أبى حتم الرازى وكتاب الأزرق والدولابى والبغوى فى الصحابة وفى كتابى هذا من غير هذه الكتب من منثور الروايات والفوائد والمعلقات عن الشيوخ مالا يخفى على متأمل ذى عناية والحمد لله * ولم أقتصر فى هذا الكتاب على ذكر من صحت صحبته ومجالسته حتى ذكرنا من لقى النبى عليه السلام ولو لقيه واحدة مؤمنا به ورآه رؤية وأسمع منه لفظة فاداها عنه واتصل ذلك بنا على حسب روايتنا وكذلك ذكرنا من ولد على عهده بين أبوين مسلمين فدعا له أو نظر إليه وبرك عليه ونحو هذا ومن كان مؤمنا به قد أدى الصدقة إليه ولم يرد عليه * وبهذا كله يستكمل القرن الذى أشار إليه رسول الله ﷺ على ما قاله عبد الله بن أبى أوفى صاحب رسول الله

ﷺ قد ذكرنا أنساب القبائل الرواة من قريش والانصار وسائر العرب فى كتاب الانباه على القبائل الرواة وجعلناه مدخلا لهذا الكتاب ليغنينا عن الرفع فى الانساب ويعيننا على ماشرطناه من الاختصار والتقريب وبالله العون لاشريك له .

* ونبدأ بذكر رسول الله ﷺ ونقتصر من خبره وسيره على النكت التى يجب الوقوف عليها ولايليق بذى علم جهلها وتحسن المذاكرة بها لتتم الفائدة للعالم الراغب والمتعلم الطالب فى التعريف بالمصحوب والصاحب مختصرا ذلك أيضا موعبا مغنيا عما سواه كافيا ثم نتبعه ذكر الصحابة بابا بابا على حروف المعجم على ماشرطنا من التقصى والاستيعاب مع الاختصار وترك التطويل والاكثار وبالله عز وجل أتوصل إلى ذلك كله وهو حسبى عليه توكلت وإليه أنيب ﴿ محمد رسول الله ﷺ ﴾ لم يختلف أهل العلم بالانساب والاخبار وسائر العلماء بالأمصار أنه ﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان * هذا ما لم يختلف فيه أحد من الناس وقد روى من أخبار الآحاد عن النبى ﷺ انه نسب نفسه كذلك إلى نزار بن معد بن عدنان وماذكرنا من اجماع أهل السير والعلم بالاثر يغنى عما سواه (واختلفوا) فيما بين عدنان واسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وفيما بين ابراهيم وبين سام بن نوح ما لم أر لذكره ههنا وجها لكثرة الاضطراب فيه وانه لايوقف منه على شيء متتابع متفق عليه.

(د) كتاب الإصابة فى تمييز الصحابة

لابن حجر العسقلانى

قال شيخ الاسلام . ملك العلماء الاعلام . حافظ العصر . أبو الفضل أحمد شهاب الدين بن على بن محمد بن محمد بن على العسقلانى الشافعى أدام الله تعالى أيامه

الحمد لله الذى أحصى كل شىء عددا * ورفع بعض خلقه على بعض فكانوا طرائق قددا * ﴿ وأشهد ﴾ أن لا اله الا الله وحده لاشريك له لم يتخذ صاحبة ولا ولدا * ولم يكن له شريك فى الملك ولايكون أبدا * ﴿ وأشهد ﴾ أن محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله أكرم به عبدا سيدا * وأعظم به حبيبا مؤيدا * فما أزكاه أصلاو محتدا * وأطهره مضجعا ومولدا * وأكرمه أصحابا كانوا نجوم الاهتداء وأئمة الاقتدا * صلى الله عليه وعليهم صلاة خالدة وسلاما مؤبدا * (أما بعد) فان من أشرف العلوم الدينية علم الحديث النبوى ومن أجل معارفه تمييز أصحاب رسول الله ﷺ ممن خلف بعدهم (وقد) جمع فى ذلك جمع من الحفاظ تصانيف بحسب ماوصل إليه اطلاع كل منهم * فأول من عرفته صنف فى ذلك أبو عبد الله البخارى أفرد فى ذلك تصنيفا فنقل منه أبو القاسم البغوى وغيره وجمع أسماء الصحابة مضمومة إلى من بعدهم جماعة من طبقة مشايخه كخليفة بن خياط ومحمد بن سعد ومن قرنائه كيعقوب بن سفيان وأبى بكر بن أبى خيثمة * وصنف فى ذلك جمع بعدهم كأبى القاسم البغوى وأبى بكر بن أبى داود وعبدان ومن قبلهم بقليل كمطين * ثم كأبى على بن السكن وأبى حفص بن شاهين وأبى منصور الماوردى وأبى حاتم بن حبان وكالطبرانى ضمن معجمه الكبير * ثم كأبى عبد الله بن منده وأبى نعيم * ثم كأبى عمر بن عبد البر وسمى كتابه الاستيعاب لظنه انه استوعب مافى كتب من قبله ومع ذلك ففاته شىء كثير فذيل عليه أبو بكر بن فتحون ذيلا حافلا وذيل عليه جماعة فى تصانيف لطيفة وذيل أبو موسى المدينى على ابن منده ذيلا كبيرا وفى أعصار هؤلاء خلائق يتعسر حصرهم ممن صنف فى ذلك أيضا إلى أن كان فى أوائل القرن السابع فجمع عز الدين بن الأثير كتابا حافلا سماه الغابة جمع فيه كثيرا من التصانيف المتقدمة إلا أنه تبع من قبله فخلط من ليس صحابيا بهم وأغفل كثيرا من التنبيه على كثير من الاوهام الواقعة فى كتبهم . ثم جرد الأسماء التى فى كتابه مع زيادات عليها الحافظ أبو عبد الله الذهبى وعلم لمن ذكر غلطا ولمن لاتصح صحبته ولم يستوعب ذلك ولاقارب * وقد وقع لى بالتتبع كثير من الاسماء التى ليست فى كتابه ولا أصله على شرطهما * فجمعت كتابا كبيرا فى ذلك ميزت فيه الصحابة من غيرهم ومع ذلك فلم يحصل لنا من ذلك جميعا

الوقوف على العشر من أسامى الصحابة بالنسبة إلى ماجاء عن أبى زرعة الرازى * قال توفى النبى ﷺ ومن رآه وسمع منه زيادة على مائة ألف انسان من رجل وامرأة كلهم قد روى عنه سماعا أو رؤية * قال ابن فتحون فى ذيل الاستيعاب بعد أن ذكر ذلك أجاب أبو زرعة بهذا سؤال من سأله عن الرواة خاصة فكيف بغيرهم ومع هذا فجميع من فى الاستيعاب يعنى بمن ذكر فيه باسم أو كنية وهما ثلاثة آلاف وخمسمائة وذكر انه استدرك عليه على شرطه قريبا ممن ذكر * قلت وقرأت بخط الحافظ الذهبى من ظهر كتابه التجريد لعل الجميع ثمانية آلاف لم يزيدوا لم ينقصوا[1] ثم رأيت بخطه ان جميع من فى أسد الغابه سبعه آلاف وخمسمائة واربعة وخمسون نفسا * ومما يؤيد قول أبى زرعة ماثبت فى الصحيحين عن كعب بن مالك فى قصة تبوك والناس كثير لايحصيهم ديوان وثبت عن الثورى فيما أخرجه الخطيب بسنده الصحيح إليه قال من قدم عليا على عثمان فقد أزرى على اثنى عشر ألفا مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنهم راض * فقال النووى وذلك بعد النبى ﷺ باثنى عشر عاما بعد أن مات فى خلافة أبى بكر فى الردة والفتوح الكثير ممن لم يضبط أسماؤهم ثم مات فى خلافة عمر فى الفتوح وفى الطاعون العام وعمواس وغير ذلك من لايحصى كثرة وسبب خفاء أسمائهم أن أكثرهم أعراب وأكثرهم حضروا حجة الوداع والله أعلم وقد كثر سؤال جماعة من الاخوان فى تبيضه فاستخرت الله تعالى فى ذلك ورتبته على أربعة أقسام فى كل حرف منه

﴿ فالقسم الأول ﴾ فيمن وردت صحبته بطريق الرواية عنه أو عن غيره سواء كانت الطريق صحيحة أو حسنة أو ضعيفة أو وقع ذكره بما يدل على الصحبة بأى طريق كان (وقد) كنت أولا رتبت هذا القسم الواحد على ثلاثة أقسام ثم بدا لى أن أجعله قسما واحدا وأميز ذلك فى كل ترجمة

﴿ القسم الثانى ﴾ فيمن ذكر فى الصحابة من الأطفال الذين ولدوا فى عهد النبى صلى الله عليه وآله وسلم لبعض الصحابة من النساء والرجال ممن مات صلى الله عليه وآله وسلم وهو فى دون سن التمييز إذ ذكر أولئك فى الصحابة

(١) وقع فى نسخة لم يزيدوا لم ينقصوا أى ماذكر فى أسد الغابة وماذكره فى التجريد حسب النسخة المطبوعة ٨٨٠٨ إسما كتبه مصححه .

إنما هو على سبيل الالحاق لغلبة الظن على أنه صلى الله عليه وآله وسلم رآهم لتوفر دواعى أصحابة على احضارهم أولادهم عنده عند ولادتهم ليحنكهم ويسميهم ويبرك عليهم والاخبار بذلك كثيرة شهيرة * ففى صحيح مسلم من طريق هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم وأخرجه الحاكم فى كتاب الفتن فى المستدرك عن عبد الرحمن بن عوف قال ماكان يولد لأحد مولود الا أتى به النبى صلى الله عليه وآله وسلم فدعا له الحديث * وأخرج ابن شاهين فى كتاب الصحابة فى ترجمة محمد بن طلحة بن عبيد الله من طريق محمد بن عبد الرحمن مولى أبى طليحة عن ظئر محمد بن طلحة قال لما ولد محمد بن طلحة أتيت به النبى صلى الله عليه وآله وسلم ليحنكه ويدعو له له وكذلك كان يفعل بالصبيان لكن أحاديث هؤلاء عنه من قبيل المراسيل عند المحققين من أهل العلم بالحديث ولذلك أفردتهم عن أهل القسم الأول

﴿ القسم الثالث ﴾ فيمن ذكر فى الكتب المذكورة من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والاسلام ولم يرد فى خبر قط أنهم اجتمعوا بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم ولا رأوه سواء أسلموا فى حياته أم لا وهؤلاء ليسوا أصحابه باتفاق من أهل العلم بالحديث وان كان بعضهم قد ذكر بعضهم فى كتب معرفة الصحابة فقد أفصحوا بأنهم لم يذكروهم الا لمقالابتهم لتلك الطبقة لا أنهم من أهلها * وممن أفصح بذلك ابن عبد البر وقبله أبو حفص بن شاهين فاعتذر عن اخراجه ترجمة النجاشى بانه صدق النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حياته وغير ذلك ولو كان من هذا سبيله يدخل عنده فى الصحابة ما احتاج إلى اعتذار * وغلط من جرم فى نقله عن ابن عبد البر بأنه يقول بأنهم صحابة بل مراد ابن عبد البر بذكرهم واضح فى مقدمة كتابه بنحو مما قررناه وأحاديث هؤلاء عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم مرسلة بالاتفاق بين أهل العلم بالحديث وقد صرح ابن عبد البر نفسه بذلك فى التمهيد وغيره من كتبه

﴿ القسم الرابع ﴾ فيمن ذكر فى الكتب المذكورة على سبيل الوهم والغلط وبيان ذلك البيان الظاهر الذى يعول عليه على طرائق أهل الحديث ولم أذكر فيه الا ما كان الوهم فيه بينا وأما مع احتمال عدم الوهم فلا الا ان كان ذلك

الاحتمال يغلب على الظن بطلانه وهذا القسم الرابع لا أعلم من سبقنى إليه ولا من حام طائر فكره عليه وهو الضالة المطلوبة فى هذا الباب الزاهر وزبدة مايمخضه من هذا الفن اللبيب الماهر والله تعالى أسأل أن يعين على اكماله وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم ويجازينى به خير الجزاء فى دار إفضاله انه قريب مجيب وقبل الشروع فى الاقسام المذكورة أذكر فصولا مهمة يحتاج إليها فى هذا النوع .

الفصل الأول فى تعريف الصحابى

وأصح ماوقفت عليه من ذلك أن الصحابى من لقى النبى صلى الله عليه وآله وسلم مؤمنا به ومات على الاسلام فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت ومن روى عنه أو لم يرو ومن غزا معه أو لم يغز ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه ومن لم يره لعارض كالعمى * ويخرج بقيد الايمان من لقيه كافرا ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى * وقولنا به يخرج من لقيه مؤمنا بغيره كمن لقيه من مؤمنى أهل الكتاب قبل البعثة وهل يدخل من لقيه منهم وآمن بأنه سيبعث أولا يدخل محل احتمال ومن هؤلاء بحير الراهب ونظراؤه ويدخل فى قولنا مؤمنا به كل مكلف من الجن والانس فحينئذ يتعين ذكر من حفظ ذكره من الجن الذين آمنوا به بالشرط المذكور * وأما انكار ابن الاثير على أبى موسى تخريجه لبعض الجن الذين عرفوا فى كتاب الصحابة فليس بمنكر لما ذكره وقد قال ابن حزم فى كتاب الاقضية من المحلى من ادعى الاجماع فقد كذب على الأمة فان الله تعالى قد أعلمنا أن نفرا من الجن آمنوا وسمعوا القرآن من النبى صلى الله عليه وآله وسلم فهم صحابة فضلاء فمن أين للمدعى اجماع أولئك وهذا الذى ذكره فى مسئلة الاجماع لانوافقه عليه وإنما أردت نقل كلامه فى كونهم صحابة * وهل تدخل الملائكة محل نظر وقد قال بعضهم ان ذلك ينبنى على انه هل كان مبعوثا إليهم أولا وقد نقل الامام فخر الدين فى اسرار التنزيل الاجماع على انه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن مرسلا إلى الملائكة وتوزع فى هذا النقل بل رجح الشيخ تقى الدين السبكى انه كان

مرسلا إليهم واحتج بأشياء يطول شرحها وفى صحة بناء هذه المسئلة على هذا الاصل نظر لايخفى * وخرج بقولنا ومات على الاسلام من لقيه مؤمنا به ثم ارتد ومات على ردته والعياذ بالله وقد وجد من ذلك عدد يسير كعبيد الله بن جحش الذى كان زوج أم حبيبة فانه أسلم معها وهاجر إلى الحبشة فتنصر هو ومات على نصرانيته وكعبد الله بن خطل الذى قتل وهو متعلق بأستار الكعبة وكربيعة بن أمية بن خلف على ماسأشرح خبره فى ترجمته فى القسم الرابع من حرف الراء ويدخل فيه من ارتد وعاد إلى الاسلام قبل أن يموت سواء اجتمع به صلى الله عليه وآله وسلم مرة أخرى أم لا وهذا هو الصحيح المعتمد والشق الأول لاخلاف فى دخوله وأبدى بعضهم فى الشق الثانى احتمالا وهو مردود لاطباق أهل الحديث على عدّ الأشعث بن قيس فى الصحابة وعلى تخريج أحاديثه فى الصحاح والمسانيد وهو ممن ارتد ثم عاد إلى الاسلام فى خلافة أبى بكر وهذا التعريف مبنى على الاصح المختار عند المحققين كالبخارى وشيخه أحمد بن حنبل ومن تبعهما ووراء ذلك أقوال أخرى شاذة كقول من قال لايعد صحابيا الا من وصف بأحد أوصاف أربعة من طالت مجالسته أو حفظت روايته أو ضبط انه غزا معه أو استشهد بين يديه وكذا من اشترط فى صحة الصحبة بلوغ الحلم أو المجالسة ولو قصرت وأطلق جماعة أن من رأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فهو صحابى وهو محمول على من بلغ سن التمييز إذ من لم يميز لاتصح نسبة الرؤية إليه نعم يصدق أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم رآه فيكون صحابيا من هذه الحيثية ومن حيث الرواية يكون تابعيا وهل يدخل من رآه ميتا قبل أن يدفن كما وقع ذلك لابى ذؤيب الهذلى الشاعر ان صح محل نظر والراجح عدم الدخول * ومما جاء عن الأئمة من الأقوال المجملة فى الصفة التى يعرف بها كون الرجل صحابيا وان لم يرد التنصيص على ذلك ما أورده ابن أبى شيبة فى مصنفة من طريق لابأس به أنهم كانوا فى الفتوح لايؤمرون الا الصحابة وقول ابن عبد البر لم يبق بمكة ولا الطائف أحد فى سنة عشر الا أسلم وشهد مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم حجة الوداع ومثل ذلك قول بعضهم فى الأوس والخزرج انه لم يبق منهم أحد فى آخر عهد النبى صلى الله عليه وآله وسلم الا دخل فى الاسلام وما مات النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأحد منهم يظهر الكفر والله أعلم

الفصل الثانى فى الطريق إلى معرفة كون الشخص صحابيا

وذلك بأشياء أولها أن يثبت بطريق التواتر انه صحابى ثم بالاستفاضة والشهرة ثم بأن يروى عن أحد من الصحابة أن فلانا له صحبة مثلا وكذا عن آحاد التابعين بناء على قبول التزكية من واحد وهو الراجح ثم بأن يقول هو إذا كان ثابت العدالة والمعاصرة أنا صحابى * أما الشرط الأول وهو العدالة فجزم به الآمدى وغيره لان قوله قبل ان ثبتت عدالته أنا صحابى أو ما يقوم مقام ذلك يلزم من قبول قوله اثبات عدالته لان الصحابة كلهم عدول فيصير بمنزلة قول القائل أنا عدل وذلك لايقبل * وأما الشرط الثانى وهو المعاصرة فيعتبر بمضى مائة سنة وعشر سنين من هجرة النبى صلى الله عليه وآله وسلم لقوله ﷺ فى آخر عمره لاصحابه ارأيتكم ليلتكم هذه فان على رأس مائة سنة منها لايبقى على وجه الأرض ممن هو اليوم عليها أحد رواه البخارى ومسلم من حديث ابن عمر زاد مسلم من حديث جابر ان ذلك كان قبل موته صلى الله عليه وآله وسلم بشهر ولفظه سمعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول قبل أن يموت بشهر أقسم بالله ماعلى الأرض من نفس منفوسة اليوم يأتى عليها مائة سنة وهى حية يومئذ ولهذه النكتة لم تصدق الائمة أحدا ادعى الصحبة بعد الغاية المذكورة وقد ادعاها جماعة فكذبوا وكان آخرهم رتن الهندى على ماسنذكر تراجمهم كلهم فى القسم الرابع لان الظاهر كذبهم فى دعواهم على ماقررته * ثم من لم يعرف حاله الا من جهة نفسه فمقتضى كلام الآمدى الذى سبق ومن تبعه أن لاتثبت صحبته ونقل أبو الحسن بن القطان فيه الخلاف ورجح عدم الثبوت وأما ابن عبد البر فجزم بالقبول بناء على ان الظاهر سلامته من الجرح وقوى ذلك بتصرف أئمة الحديث فى تخريجهم أحاديث هذا الضرب فى مسانيدهم ولاريب فى انحطاط رتبة من هذا سبيله عمن مضى ومن صور هذا الضرب أن يقول التابعى أخبرنى فلان مثلا أنه سمع النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول سواء أسماه أم لا * أما إذا قال أخبرنى رجل مثلا عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم بكذا فثبوت الصحبة بذلك بعيد لاحتمال الارسال ويحتمل التفرقة بين أن يكون القائل من كبار التابعين فيرجح القبول أو صغارهم فيرجح

برد ومع ذلك فلم يتوقف من صنف فى الصحابة فى اخراج من هذا سبيله فى كتبهم والله أعلم ﴿ ضابط يستفاد من معرفته صحبة جمع كثير يكتفى فيهم بوصف يتضمن أنهم صحابة وهو مأخوذ من ثلاثة آثار ﴾ الاول أخرج[1] من طريق قال كانوا لا يؤمرون فى المغازى الا الصحابة فمن تتبع الاخبار الواردة فى الردة والفتوح وجد من ذلك شيئا كثيرا وهم من القسم الاول . الثانى أخرج الحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف قال كان لايولد لاحد مولود الا أتى به النبى صلى الله عليه وآله وسلم فدعا له وهذا يؤخذ منه شيء كثير أيضا وهم من القسم الثانى .. الثالث واخرج ابن من طريق قال لم يبق بمكة والطائف أحد فى سنة عشر الا أسلم وشهد حجة الوداع هذا وهم فى نفس الامر عدد لايحصون لكن يعرف الواحد منهم بوجود ما يقتضى انه كان فى ذلك الوقت موجودا فيلحق بالقسم الاول أو الثانى لحصول رؤيتهم للنبى صلى الله عليه آله وسلم وان لم يرهم هو والله أعلم

الفصل الثالث فى بيان حال الصحابة من العدالة

اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول ولم يخالف فى ذلك الاشذوذ من المبتدعة وقد ذكر الخطيب فى الكفاية فصلا نفيسا فى ذلك * فقال عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم واخباره عن طهارتهم واختباره لهم فمن ذلك قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وقوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) وقوله (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافى قلوبهم) وقوله (السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه) وقوله (يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) وقوله (للفقراء المهجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) إلى قوله (انك رؤف رحيم) فى آيات كثيرة يطول ذكرها وأحاديث شهيرة يكثر تعدادها وجميع ذلك يقتضى القطع بتعديلهم ولا يحتاج

(١) هكذا بياض بجميع الأصول

أحد منهم مع تعديل الله له إلى تعديل أحد من الخلق على انه لو لم يرد من الله ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لاوجبت الحال التى كانوا عليها من الهجرة والجهاد ونصرة الاسلام وبذل المهج والاموال وقتل الآباء والابناء والمناصحة فى الدين وقوة الايمان واليقين القطع على تعديلهم والاعتقاد لنزاهتهم وانهم كافة أفضل من جميع الخالفين بعدهم والمعدلين الذين يجيئون من بعدهم هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتمد قوله ثم روى بسنده إلى أبى زرعة الرازى قال إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعلم أنه زنديق وذلك أن الرسول حق والقرآن حق وماجاء به حق وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة انتهى ﴿ والاحاديث الواردة فى تفصيل الصحابة كثيرة ﴾ من أدلها على المقصود ما رواه الترمذى وابن حبان فى صحيحه من حديث عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله ﷺ الله الله فى أصحابى لاتتخذوهم غرضا فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه * وقال أبو محمد بن حزم الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعا قال الله تعالى (لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) وقال تعالى (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) فثبت ان الجميع من أهل الجنة وانه لايدخل أحد منهم النار لانهم المخاطبون بالآية السابقة فان قيل التقييد بالانفاق والقتال يخرج من لم يتصف بذلك وكذلك التقييد بالاحسان فى الآية السابقة وهى قوله تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان) الآية يخرج من لم يتصف بذلك وهى من أصرح ماورد فى المقصود ولهذا قال المازرى فى شرح البرهان لسنا نعنى بقولنا الصحابة عدول كل من رآه صلى الله عليه وآله وسلم يوما ما أو زاره لماما[1] أو اجتمع به لغرض وانصرف عن كثب وإنما نعنى به الذين لازموه وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون انتهى * والجواب عن ذلك أن

(١) قوله لما ما أى فى رفقة .. وقوله عن كثب أى عن قرب .. وأراد بذلك الوقت القليل

التقييدات المذكورة خرجت مخرج الغالب والا فالمراد من اتصف بالإنفاق والقتال بالفعل أو القوة وأما كلام المازرى فلم يوافق عليه بل اعترضه جماعة من الفضلاء وقال الشيخ صلاح الدين العلائى هو قول غريب يخرج كثيرا من المشهورين بالصحبة والرواية عن الحكم بالعدالة كوائل بن حجر ومالك ابن الحويرث وعثمان بن أبى العاص وغيرهم ممن وفد عليه صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقم عنده الا قليلا وانصرف وكذلك من لم يعرف الا برواية الحديث الواحد ولم يعرف مقدار اقامته من اعراب القبائل والقول بالتعميم هو الذى صرح به الجمهور وهو المعتبر والله سبحانه وتعالى أعلم وقد كان تعظيم الصحابة ولو كان اجتماعهم به صلى الله عليه وآله وسلم قليلا مقررا عند الخلفاء الراشدين وغيرهم فمن ذلك ما قرأت فى كتاب أخبار الخوارج تأليف محمد بن قدامة المروزى بخط بعض من سمعه منه فى سنة سبع وأربعين ومائتين قال حدثنا على بن الجعد قال حدثنا زهير هو الجعفى عن الأسود بن قيس عن نبيح العنزى قال كنت عند أبى سعيد الخدرى وقرأت على أبى الحسن على بن أحمد المرداوى بدمشق عن زينب بنت الكمال سماعا عن يحيى بن القميرة اجازة عن شهدة الكاتبة سماعا قالت أخبرنا الحسين بن أحمد بن طلحة أخبرنا أبو عمر بن مهدى قال حدثنا محمد بن احمد بن يعقوب قال حدثنا جدى يعقوب بن شيبة قال حدثنا محمد بن سعيد القزوينى أبو سعيد قال حدثنا أبو خيثمة زهير بن معاوية الجعفى عن الاسود يعنى ابن قيس عن نبيح يعنى العنزى عن أبى سعيد الخدرى قال كنا عنده وهو متكىء فذكرنا عليا ومعاوية فتناول رجل معاوية فاستوى أبو سعيد الخدرى جالسا ثم قال كنا ننزل رفاقا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكنا فى رفقة فيها أبو بكر فنزلنا على أهل أبيات وفيهم امرأة حبلى ومعنا رجل من أهل البادية فقال للمرأة الحامل أيسرك أن تلدى غلاما قالت نعم قال أن أعطيتنى شاة ولدت غلاما فأعطته فسجع لها أسجاعا ثم عمد إلى الشاة فذبحها وطبخها وجلسنا نأكل منها ومعنا أبو بكر فلما علم بالقصة قام فتقيأ كل شىء أكل قال ثم رأيت ذلك البدوى أتى به عمر بن الخطاب وقد هجا الانصار فقال لهم عمر لولا أن له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أدرى ما نال فيها لكفيتكموه ولكن له صحبة من رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم * لفظ على بن الجعد ورجال هذا الحديث ثقات وقد توقف عمر رضى الله عنه عن معاتبته فضلا عن معاقبته لكونه علم أنه لقى النبى صلى الله عليه وآله وسلم * وفى ذلك أبين شاهد على أنهم كانوا يعتقدون أن شأن الصحبة لايعد له شيء كما ثبت فى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى من قوله صلى الله عليه وآله وسلم والذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولانصيفه .. وتواتر عنه صلى الله عليه وآله وسلم قوله خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم وقال بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل وروى البزار فى مسنده بسند رجاله موثقون من حديث سعيد بن المسيب عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله اختار أصحابى على الثقلين سوى النبيين والمرسلين وقال عبد الله بن هاشم الطوسى حدثنا وكيع قال سمعت سفيان يقول فى قوله تعالى (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) قال هم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم والاخبار فى هذا كثيرة جدا فلنقتصر على هذا القدر فقيه مقنع * فائدة : أكثر الصحابة فتوى مطلقا سبعة عمر وعلى وابن مسعود وابن عمر وابن عباس وزيد بن ثابت وعائشة رضوان الله تعالى عليهم قال ابن حزم يمكن أن يجمع من فتيا كل واحد من هؤلاء مجلد ضخم قال ويليهم عشرون وهم أبو بكر وعثمان وأبو موسى ومعاذ وسعد بن أبى وقاص وأبو هريرة وأنس وعبد الله بن عمرو بن العاص وسلمان وجابر وأبو سعيد وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وعمر ان بن حصين وأبو بكرة وعبادة ابن الصامت ومعاوية وابن الزبير وأم سلمة قال يمكن أن يجمع من فتيا كل واحد منهم جزء صغير قال وفى الصحابة نحو من مائة وعشرين نفسا مقلون فى الفتيا جدا لا يروى عن الواحد منهم الا المسألة والمسألتان والثلاث يمكن أن يجمع من فتيا جميعهم جزء صغير بعد البحث كابى ابن كعب وأبى الدرداء وأبى طلحة والمقداد وغيرهم وسرد الباقين * قلت وسأذكر فى ترجمة كل من ذكر من هذا القسم ان ابن حزم ذكر انه من فقهاء الصحابة فان ذلك من جملة المناقب . وقد جعلت على كل اسم أوردته زائدا على مافى تجريد الذهبى وأصله وعلى مافى أصله فقط (ز) والله

المسئول أن يهدينا سواء الطريق وان يسلك بنا مسالك لتحقيق . وان يرزقنا التسديد والتوفيق . وان يجعلنا فى الذين أنعم عليهم مع خير فريق وأعلى رفيق آمين آمين

حرف الالف

(القسم الأول

باب الهمزة بعدها ألف

(آبى اللحم) الغفارى .. صحابى مشهور روى حديثه الترمذى والنسائى والحاكم وروى بسنده عن أبى عبيدة قال آبى اللحم اسمه عبد الله بن عبد الملك بن عبد الله بن غفار وكان شريفا شاعرا وشهد حنينا ومعه مولاه عمير وإنما سمى آبى اللحم لانه كان يأبى أن يأكل اللحم وقال الواقدى كان ينزل الصحراء وكذا قال خليفة بن خياط فى اسمه ونسبه وقال الهيثم بن عدى وهشام بن الكلبى اسمه خلف بن عبد الملك وقال غيرهما اسمه عبد الله بن عبد الله بن مالك وقيل اسمه الحويرث بن عبد الله بن خلف بن مالك وقال المرزبانى اسمه عبد الله بن عبد ملك كان شريفا شاعرا أدرك الجاهلية * قلت رأيته بخط الرضى الشاطبى عبد ملك بفتح اللام مجردا عن الالف واللام وروى مسلم فى صحيحه حديث عمير مولى آبى اللحم قال أمرنى مولاى أن أقدد لحما فجاءنى مسكين فأطعمته الحديث وفيه قلت يارسول الله أتصدق من مال سيدى بشىء قال نعم والأجر بينكما وقال ابن عبد البر هو من قدماء الصحابة وكبارهم ولاخلاف أنه شهد حنينا وقتل بها

باب الألف بعدها موحدة

(أبان) بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الاموى .. قال البخارى وأبو حاتم الرازى وابن حبان له صحبة وكان أبوه من أكابر قريش وله أولاد نجباء أسلم منهم قديما خالد وعمرو فقال فيهما أبان

الابيات المشهورة التى أولها

ألاليت ميتا بالظربية شاهد * لما يفترى فى الدين عمرو وخالد

ثم كان عمرو وخالد ممن هاجر إلى الحبشة فأقاما بها وشهد أبان بدرا مشركا فقتل بها أخواه العاص وعبيدة على الشرك ونجا هو فبقى بمكة حتى أجار عثمان زمن الحديبية

الفصل الثانى

الحديث وعلوم الدين

عن الحديث تفرع التفسير القرآني والفقه الاسلامي وعلم الكلام العقلي ، والتاريخ الاسلامي ، والاخلاق الاسلامية .

بل صارت المعارف العربية تتشكل بشكل الحديث كما هو الحال فى الادب واللغة والتاريخ وغيرها من العلوم .

ولعله من الأوفق هنا أن نتحدث عن تاريخ الحديث بقلم واحد من كبار المحدثين المعاصرين وهو الشيخ أحمد شاكر فيما عن مادة « حديث » فى دائرة المعارف الاسلامية[1]

« **الحديث**) : لهذه الكلمة معنى عام هو الخبر أو المحادثة ، دينية كانت أم غير دينية ثم أصبح لها معنى خاص ، هو ماورد عن النبى وصحابته من قول أو فعل . وفى هذا المعنى يطلق على جملة الحديث المقدس عند المسلمين اسم « الحديث » ، ويطلق على العلم الخاص به « علم الحديث » .

١ – موضوع الحديث وصفته

كان السير على سنة الآباء الأولين (والسنة هى النهج القديم المأثور الذى يعتاده المرء فى المبادلة والأخذ والعطاء) يعد حتى عند كفار العرب فضيلة من الفضائل (انظر Goldziher Muhamm. Stud ؛ جـ ١ ، ص ٤١ ، تعليق ٨) ولما جاء الإسلام لم تستطيع السنة أن تبقى على قديمها ، وهو اتباع عادات الآباء الكفار وأحوالهم ، وكان لابد للمسلمين من أن ينشئوا لهم سنة جديدة . فأصبح واجباً على المؤمن أن يتخذ من خلق الرسول وصحابته مثلا يحتذيه فى جميع أحوال معاشه ، ولهذا بذل كل جهد ممكن فى سبيل جمع أخبار النبى وصحابته[2].

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية مادة « حديث »

(٢) هذا غير صحيح ، فلم يكن اتباع سنة النبى ﷺ عند المسلمين عن عادة اتباع الآباء ، وقد نعاها الله على الكفار نعيا شديداً وتوعد عليها وعيداً كثيراً ، وأمر الناس باتباع الحق حيثما كان ، وباستعمال عقولهم فى التدبر فى الكون وآثارهم ونقد الزيف من الصحيح من الأدلة . وإنما كان حرص المسلمين على سنة رسول الله اتباعا لأمر الله فى القرآن « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة =

وفى أول الأمر كان الصحابة أحسن مرجع لمعرفة سنة محمد ، فهم قد عاشروه ، وسمعوا قوله بآذانهم وشاهدوا فعله بأبصارهم ثم كان على المسلمين بعد ذلك أن يطمئنوا إلى أخبار التابعين وهم أهل الجيل الأول بعد النبى ، وقد أخذوا الحديث عن الصحابة واطمأنت نفوس المسلمين فى الأجيال اللاحقة إلى الوثوق بروايات تابعى التابعين أيضاً ، وهم من أهل الجيل الثانى بعد النبى وقد عاشروا الصحابة وهكذا[1].

واحتفظت الأحاديث بصبغة الأقوال الشخصية أجيالا عدة ، فكان كل حديث صحيح يتألف من شطرين الأول عبارة عن أسماء الرواة الذين نقلوا المتن أحدهم عن الآخر ، ويسمى هذا الشطر « الإسناد » أو « السند » أى البرهان على صحة الرواية » فمن يروى الحديث كان يقول : سمعت فلاناً ، أو

حسنة » الآية ٢١ من سورة الأحزاب (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) الآية ٦٣ من سورة النور (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم) الآية ٤٤ من سورة النحل . إلى غير ذلك من أوامر الله فى كتابه ، مما لايجهله مسلم ، واتباعا لأمر رسول الله نفسه ، فى الأحاديث الصحيحة المتكاثرة ، وفيما ثبت عمليا بالتواتر ، من عمل كبار الصحابة ثم من بعدهم من التابعين والعلماء ، لم يشذ بعد الصحابة إلا أناس غلبهم الهوى أو أعمتهم الجهالة . وهذا موضوع أطال البحث فيه العلماء السابقون وأبدعوا ، حتى لم يدعوا قولا لقائل أو كادوا . وكتب السنة وكتب الأصول وغيرها مستفيضة متناولة ، والباحث المنصف يستطيع أن يتبين وجه الحق . ويكفى أن نشير إلى كتابين فيهما مقنع لمن أراد : كتاب (الرسالة) للامام الشافعى بتحقيقنا وشرحنا (طبعة مصطفى البابى الحلبى سنة ١٩٣٨) وكتاب (الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم) للعلامة محمد بن ابراهيم الوزير اليمنى المتوفى سنة ٨٤٠ (طبعة الطبعة المنيرية) فانى رأيت كاتب المقال لم يشر فيه من أوله إلى آخره إلى مصدر عربى أو إسلامى رجع إليه فى بحثه ، وهذا عجب !

(١) ليس هذا على اطلاقه . فالصحابة ، وهم الطبقة الأولى من رواة الحديث الذين سمعوه وأشاهدوه أو أخذ بعضهم عن بعض ، كلهم ثقات مصدقون ، إلا أن يخطىء أحدهم فى الرواية فيتبين خطؤه من درس الروايات الأخرى وموازنة بعضها ببعض . والتابعون وتابعو التابعين ، وهم الطبقتان الثانية والثالثة ، درس علماء الحديث أخبارهم وآثارهم ورواياتهم فكان أكثرهم الثقة الصادق ، وقليل منهم الضعيف أو المردود الرواية وهذا علم واسع مفصل فى كتب كبار . ودواوين واسعة من درسها وفهمها استيقن واطمأن ، وهذه الطبقات الثلاث هى أساس علم الرواية ، ومن جاء بعدهم فانما أخذ عنهم ، وفى عصر الطبقة الثالثة بدأ تدوين الحديث تدوينا عاما فى مؤلفات ، كموطأ مالك وهو من أتباع التابعين ، من الطبقة الثالثة . أحمد محمد شاكر

حدثنى فلان عن فلان ، وهكذا يبدأ الاسناد بالمحدث ، ثم تذكر سلسلة السند إلى أن يرفع الحديث إلى مصدره الأول .

والشطر الثانى من الحديث هو « المتن » أى النص أو القول المروى (انظر تفصيل ذلك فى Coldziher المصدر المذكور ، جـ ٢ ، ص ٦–٨) .

وبعد وفاة محمد لم تستطع الآراء والمعاملات الدينية الأصلية التى سادت فى الرعيل الأول أن تثبت على حالها من غير تغير : فقد حل عهد للتطور جديد ، وبدأ العلماء يدخولون شيئاً من التطور فى نظام مرتب من الأعمال والعقائد يتواءم والأحوال الجديدة . فقد أصبح الإسلام بعد الفتوح العظيمة يبسط سيادته على مساحات شاسعة ، واستعير من الشعوب المغلوبة على أمرها آراء ونظم جديدة ، وتأثرت حياة المسلمين وأفكارهم حين ذاك فى كثير من النواحى لا بالنصرانية والإسرائيلية وحدهما بل بالهللينية والزرادشتية والبوذية كذلك .

وعلى أية حال فإن المسلمين التزموا أيما التزام المبدأ القائل بأن سنة النبى والسابقين الأولين فى الإسلام هى وحدها التى يمكن أن تكون القانون الخلقى للمؤمنين .

وسرعان ما أدى هذا بالضرورة إلى وضع لأحاديث ، فأستباح الرواة لأنفسهم اختراع أحاديث تتضمن القول أو الفعل ونسبوها إلى النبى لكى تتفق وآراء العصر التالى ، وكثرت الأحاديث الموضوعة ، وتداولها الناس منسوبة إلى النبى بحيث تجعله يقول ويفعل شيئا مما كان يعد فى ذلك العصر من الأمور المستحسنة . وظهرت فى الحديث أقوال مأخوذة من أقوال الرسل والأناجيل المنحوتة ، ومن الآراء الإسرائيلية والعقائد الفلسفية اليونانية الخ . تلك الآراء التى لقيت الحظوة عند فريق معين من المسلمين ، ونسبت كل هذه الأقوال إلى النبى (إنظر جولد سيهير : المصدر المذكور ، جـ ٢ ، ص ٥٨٢ ومابعدها ، Eleménte: Neutestamentliche; Goldziher in der Traditionslitteratur der Islam فى Oriens Christianus طبعة ١٩٠٢ ، ص ٣٩٠ ومابعدها) .

ولم يتورع الناس عند ذاك عن أن يجعلوا النبى يفصل على هذا النحو القصص والأساطير التى وردت موجزة فى القرآن ويدعو إلى آراء ومعتقدات جديدة الخ . بل وكان كثير من هذه الأحاديث الموضوعة المنسوبة إلى النبى تتناول الأحكام : كالحلال والحرام والطهارة وأحكام الطعام ، والشريعة ، وآداب السلوك ومكارم الأخلاق ثم وضعت أحاديث تتناول العقائد ، ويوم الحساب ، والجنة والنار ، والملائكة والخلق ، والوحى والأنبياء السابقين . وفى الجملة وضعت أحاديث فى كل مايتعلق بالصلة بين الله والإنسان . وتشتمل هذه الأحاديث الموضوعة كذلك على عظات وتعاليم خلقية نسبت إلى النبى .

ومع مضى الزمن ازداد ما روى عن النبى من قول أو فعل شيئا فشيئا فى عدده وفى غزارته . وفى القرون الأولى التى تلت وفاة الرسول عظم الخلاف بين المسلمين على جملة من الآراء فى مسائل تختلف طبائعها أشد الاختلاف ، وعملت كل فرقة على تأييد رأيها على قدر ماتستطيع بقول أو تقرير منسوب إلى النبى . ومن استطاع أن يرد رأيه إلى أثر من آثار النبى فهو على الحق من غير شك . ولهذا كثرت الأحاديث الموضوعة المتناقضة أشد التناقض فى سنة محمد[1].

(١) أما أنه وجد بعض الكذابين الوضاعين الذين افتروا أحاديث على النبى عليه الصلاة والسلام . وأما أنه وجد بعض المغفلين الذين دخلت عليهم هذه الأكاذيب فظنوها صحيحة وقبلوها ودخلت عليهم الاسرائيليات فظنوها تصلح إيضاحا تاريخيا لبعض ما ورد مجملا من أخبار السابقين فى القرآن والسنة الصحيحة ، وإما أنه وقعت أغلاط من بعض الرواة الصادقين فى بعض الروايات ، أما هذا كله فلاشك فى وقوعه وهو الذى قام علماء الحديث بهذا المجهود الضخم الهائل فى سبيل بنائه ، فوزنوا الرجال ، ورواة الحديث ، بميزان العدل والمعرفة . بحثوا فى سيرتهم الشخصية ، فقبلوا من ثبت عندهم أنه عدل لا تشوب سيرته شائبة من خلق ودين أو أمانة وبحثوا رواياتهم ونقدوها ، فرفضوا من كثر خطؤه وكثر فى رواياته المخالفة لرواية غيره من الثقات وقارنوا الروايات بعضها ببعض ، فرفضوا ما خالف المعقول أو خالف صريح القرآن أو خالف المعلوم من الدين بالضرورة ، أعنى المتواتر العملى والاعتقادى . ونفوا عن الأحاديث كل ما حاول الوضاعون الكذابون ادخاله عليها . وحفظوا السنة بيضاء نقية ، كل هذا كان ، ويعرفه المسلمون ويتدارسونه بينهم ، وأما الصورة التى تبدو مما قال كاتب المادة أن كل تفصيل فى الأحاديث ، من حلال وحرام وطهارة الخ هو من الموضوعات . فإنما هى نفى للسنة جميعها وابطال لها ، وإنما معناها أن رسول الله لم يفعل شيئا ولم يقل شيئا ، إذ أن كل ماروى عنه مكذوب فى ظنه وإنما معناها أن كل المسلمين ، من عهد الصحابة فمن بعدهم ، كاذبون مفترون على رسولهم ، ليس ـــ

وفى الخلافات الكبرى التى نشأت عن العصبية ، جرى كل فريق على التوسل بمحمد (انظر Mnhamm. Stud.: Goldziher جـ ٢ ، ص ٨٨ ومابعدها) ، فمثلا نجد أنه قد نسب إلى النبى قول تنبأ فيه بقيام دولة العباسيين . وجملة القول إنهم جعلوه يتنبأ ، على نحو يمتزج فيه الرؤية بالنبوة ، بما جرى بعد ذلك من حوادث سياسية وحركات دينية . بل بالظواهر الاجتماعية الجديدة التى إنما نشأت من الفتوح العظيمة (كازدياد الترف) وكان غرضهم من ذلك تبرير كل أولئك فى نظر الجماعة الاسلامية الجديدة .

وهناك قسم خاص من هذه الأحاديث التنبئية وضعت فى صورة أقوال نسبت إلى محمد تتعلق بفضائل أماكن متعددة ونواح فى بلاد لم يفتحها المسلمون إلا فى عصر متأخر (انظر Goldziher : نفس المصدر ، جـ ٢ . ص ٢٨ ومابعدها) .

وعلى هذا لا يمكن أن تعد الكثرة الغالبة من الأحاديث وصفا تاريخيا صحيحا لسنة النبى ، بل هى على عكس ذلك تمثل آراء اعتنقها بعض أصحاب النفوذ فى القرون الأولى بعد وفاة محمد ، ونسبت إليه عند ذلك فقط[1].

والعلم مدين دينا كبيراً لما كتبه جولد سيهر Goldziher فى هذا الموضوع (انظر .Muham. Stud ، طبع مقال سنة ١٨٩٠م ، وغيره من مؤلفاته) . وهو مدين كذلك لما كتبه سنوك هرجرونييه G. Snouch HurgronJe (انظر

ـفيهم أمين ! وليس على وجه الأرض منصف يقول هذا . ولست أدرى إن قيل هذا فى السنة رواها الثقات وبينوا طرق روايتها ووصلوا أسانيدها شيخا عن شيخ سماعا فى أول أمرهم وكتابة وسماعا فيما بعد ذلك ، ونقدوا الرواية والرواة أدق نقد وأحكمه ، فماذا يقال فى غيرها من الروايات والكتب التى لاسند لها ولا نقد لرواتها ؟! أحمد محمد شاكر

(١) هذا النوع من الرواية داخل فى الأنواع السابقة والروايات الصحيحه ثابتة معروفة ، والروايات الباطله معروفة ، نص علماء الحديث على إبطالها . وإنما أفرد كاتب المقال هذا النوع ، لأنه لا يريد أن يسلم بنبوة رسول الله وبأنه يوحى إليه من عند الله ، فهو لذلك يعتبر أن كل حديث من هذا النوع مكذوب ، لأن صحته معناها صحة نبوة رسول الله بأنه أخبر عن شىء قبل وقوعه يوحى من الله إليه . أما المسلمون فيصدقون رسولهم ويؤمنون بأنه رسول يوحى إليه وبأنه يخبر عن الغيب الذى يوحيه الله إليه ، لا أنه يعلم الغيب من نفسه إنما هو بشر يتبع ما يوحى إليه ﷺ .

من بين مؤلفاته العديدة رسالته المسماة Le Droit Muslmman فى مجلة تاريخ الأديان Revue de L'histoire de Religions جـ ٣٦ ، ص ٦ ومابعدها) .

فهذان العالمان هما اللذان بينا لأول مرة فى وضوح وجلاء صفة الحديث الحقيقية وأهميته التاريخية من هذه الناحية[٢].

ومع أن المسلمين كانوا يلعنون واضعى الأحاديث ومن يذيعها بين الناس عن سوء قصد ، إلا أن ثمة اعتبارات مخففة أخذ بها فى بعض الأحوال وبخاصة إذا كان الحديث الموضوع يتناول بعض العظات أو التعاليم الخلقية[١]. راجع

---

(٢) لكاتب المقال أن يطمئن إلى جولد سيهر وآرائه وأبحاثه ، إذا ما راقت له وصادفت هوي نفسه ، أما نحن رجال الحديث ونقاده فنأبى أن نقيم له وزنا لاعن عصبية وهوى ، ولكن عن برهان وحجة لم أقرأ مؤلفات جولد سيهر التى يشير إليها كاتب المقال ، لأنها لم تترجم إلى العربية ، ولكننى قرأت له كتابا ترجمه أحد علماء الأزهر ، وهو كتاب (المذاهب الاسلامية فى تفسير القرآن) فرأيته نقل شيئا فى القراءات عن كتب مطبوعة ، فحرف فى النقل عن عمد ، ونسب إلى أكثر القراء قراءة شاذة باطلة ، جعلها قراءة أكثرهم . (ص ١٩ من المصدر المذكور طبعة القاهرة ١٩٤٤) وقد نقدت عمله هذا فى (مجلة المقتطف فى المجلد ١٠٥ فى عدد ديسمبر سنة ١٩٤٤ ص ٤٦١ – ٤٦٣) وقلت هناك بعد أن بينت بطلان ما نسبه لأكثر القراء : « لا تظن بعد هذا أن مؤلف الكتاب أخطأ فيما حكى إنما الواضح الذى لا يشك فيه انه علم الصحيح وعدل عنه ونقل غيره عارفا أن القراء أجمعوا تقريباً على القراءة المعروفة ، ثم نسب القراءة الشاذة إلى أكثرهم » . فجولد سيهر لو عاملناه بما تعامل به رواة الحديث من النقد ، بعد أن نغضى عن شروط العدالة المعروفة للعلماء ونتمسك منها بشرط الصدق وحدة ، وجدنا أنه ممن لايجوز قبول نقله فى شيء أصلا ، لأن الصدق والأمانة فى الرواية شرط فى قبول ما ينقل الناقل ، فإذا ثبت أنه جانب الصدق فى روايته ولو مرة واحدة سقط كل مايرويه وبطل ، لاتقبل له رواية بعد ذلك إلا أن يثبت أنه أخطأ ولم يتعمد الكذب ، وجولد سيهر تعمد أن ينسب إلى أكثر القراء غير الحقيقة ، فى شيء مادى يلمسه كل قارىء . نقله عن كتب مطبوعة فى أيدى الناس ، وكان جريئا جداً إذ أشار إلى المواضع التى ينقل منها بالجزء ، والصفحة . ظنا منه أن القراء سيصدقون نقله . فلا يرجعون إلى ما ينقل منه !!

(١) هذا كلام عجيب ! يوهم أن المسلمين أجازوا وضع الأحاديث فى الترغيب والترهيب ، وهو ما جاء كاتب المقال « بعض العظات أو التعاليم الخلقية » .؟ ولعل كاتب المقال أتى من ناحية أنه اعتمد فى مقاله على مصادر غير عربية فقط ، فلو أنه رجع إلى أى مصدر عربى من كتب الحديث لما قال هذا ، وأقرب كتب مصطلح الحديث كتاب (علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح) فلو يرجع إليه لرأى فيه (ص ١٠٠ من طبعة المطبعة العلمية بحلب سنة ١٩٣١ مانصه : « والواضعون الحديث أصناف ، وأعظمهم ضرراً قوم من المنسوبين إلى الزهد وضعوا –

التفصيلات فى (Goldziher المصدر المذكور ، جـ ٢ ، ص ١٣١ ومابعدها وص ١٥٣ ومابعدها ، والمؤلف نفسه فى Zeitschr. der Deutsch Morgenl Gesellsch جـ ٦١ ، ص ٨٦٠) .

والعالم الإسلامى كله يجعل للحديث مكانة عظيمة تتلو مكانة القرآن وسرعان ماتغلب المسلمون على ماقام فى بعض الدوائر من الاعتراض على جمع الحديث وإذاعته بين الناس (انظر مقال Köinpfe um: Goldziher die Stellung hes Hadith im Islam, Zeitschr ter Deutsch Morgenl . Gesellsch فى جـ ٦١ ، ص ٨٦٠ ، ومابعدها) .

وفى بعض الحالات يعتقد أن « كلام الله نفسه يوجد فى الحديث كما يوجد فى القرآن . ومثل هذا الحديث يبدا عادة بعبارة « قال الله » ويسميه علماء المسلمين « الحديث القدسى أو الإلهى » . ويطلقون على غيره اسم « الحديث النبوى » . وهناك ثبت بالأحاديث النبوية فى مخطوط بمكتبة ليدن رقم ١٥٦٢ (Catal Cod. Or. جـ ٤ ، ٩٨)

٣ – نقد المسلمين للحديث

ويعد الحديث صحيحا فى نظر المسلمين إلا إذا تتابعت سلسلة الإسناد من غير انقطاع وكانت تتألف من أفراد يوثق بروايتهم . وتحقيق الإسناد جعل علماء المسلمين يقتلون الأمر بحثاً ، ولم يكتفوا بتحقيق أسماء الرجال وأحوالهم

= الحديث الحديث احتسابا فيما زعموا ، فتقبل الناس ، موضوعاتهم ثقة منهم بهم ، وركونا إليهم . ثم نهضت جهابذة الحديث بكشف عوارها ومحو عارها والحمد لله . وفيما روينا عن الإمام أبى بكر السمعانى أن بعض الكرامية ذهب إلى جواز وضع الحديث فى باب الترغيب والترهيب » ونحو ذلك فى كتاب (تدريب الراوى شرح تقريب النواوى للسيوطى طبعة المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٧ ص ١٠٢) وقال النواوى فى الرد على ما نقل من الكرامية : « وهو خلاف إجماع المسلمين الذين يعتد بهم » وقال السيوطى : « بل بالغ الشيخ أبو محمد الجوينى فجزم بتكفير واضع الحديث » . فهذا قول أئمة المسلمين وعلماء الحديث ، لا ما نقله كاتب المقال عن كتب إفرنجية ، مما يوهم أن المسلمين يجيزون وضع الحديث والكذب على رسول الله ! ومعاذ الله أن يكون هذا منهم . وأنظر تفصيل ماكتبنا عن الأحاديث الموضوعية فى شرحنا على كتاب اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير طبعة مطبعة حجازى سنة ١٩٣٧) أحمد محمد شاكر

لمعرفة الوقت الذى عاشوا فيه وأحوال معاشهم ، ومكان وجودهم ، ومن منهم كان على معرفة شخصية بالآخر ؛ بل فحصوا أيضا عن قيمة المحدّث صدقاً وكذباً وعن مقدار تحريه للدقة والأمانة فى نقل المتون ليحكموا أى الرواة كان ثقة فى روايته ، ويسمى نقد الرجال باسم « الجرح والتعديل » (انظر Muhamm Stud: Goldziher جـ ٢ ، ص ١٤٣ ومابعدها) .

معرفة الرجال لابد منها لدرس الحديث ولهذا تتضمن جميع الشروح لمجموعات الأحاديث تفصيلات ، مطولة عن الرجال تتفاوت طولا وقصرا . وهناك مؤلفات معينة تقتصر على هذا الموضوع ، من بينها مايسمى بكتب الطبقات وهى تراجم مرتبة فى طبقات ، وتتناول سير عدة علماء ورواة للحديث وغيرهم (انظر Ursprung und: O.Loth Bedeutung der Tabarat. Zeitschr. der Deutsch. Morgenl. Gesellsch. جـ ٣٢ ، ص ٥٩٣ – ٦١٤) . نضرب لهذه الكتب مثلا بكتاب الطبقات لابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ هـ – ٨٤٤م ؛ وهو كتاب مشهور ؛ و« طبقات الحفاظ » للذهبى المتوفى سنة ٨٤٨هـ – ١٣٤٧م . ومن هذا النوع أيضاً ما صنف فى الرواة الضعفاء مثل « كتاب الضعفاء » النسائى (انظر Goldziher : المصدر نفسه جـ ٢ ، ص ١٤١ ، ومابعدها) . وكذلك سير الصحابة مثل كتاب « الإصابة فى تمييز الصحابة » لابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢هـ – ١٤٤٨م وكتاب « أسد الغابة فى معرفة الصحابة » لابن الأثير المتوفى سنة ٦٢٠ هـ – ١٢٣٢م .

والحكم على قيمة المحدث قد يختلف اختلافا بينا فربما كان ثقة عند قوم ولكن غيرهم كانوا يعدونه فى منتهى الضعف وربما اعتبروه كاذبا فى روايته . بل إن الثقة ببعض كبار الصحابة لم تكن من الأمور المسلمة عند الجميع فى أول الأمر . ولهذا نجد أن الثقة بأبى هريرة كانت محل جدل عنيف بين كثير من الناس[1].

---

(١) لم تكن الثقة بأبى هريرة محل جدل إلا عند أهل الأهواء ، ثم تبعهم بعض من اصطنع الجرأة فى الطعن على السنة من المتأخرين . وإنما كان بعض الصحابة يأخذون عليه الاكثار من الحديث خشية الخطأ ، ثم كانوا إذا حققوا ما أخذوا عليه أيقنوا من صحة ما روى ، والأخبار فى ذلك =

وكان الحكم على محدث يختلف باختلاف وجهة نظر كل طائفة أو فرقة معينة ، ونشأ عن هذا خلافات مرة وينبغى أن نذكر فى هذا المقام أن مادة الحديث المروى كانت فى الواقع أصل التنازع . وإذا كانت الثقة بالمحدثين هى محل النزاع ، فالغالب أن ماقى موضوع الحديث من هوى هو الذى كان يثير المعارضة دائماً . فالحكم النهائى لم يكن مقصوداً به قيمة المحدث وإنما كان المقصود به الحكم على مادة الروايات التى يرويها[1].

= متكاثرة . وكان هو يرد على من أخذ عليه كثرة الرواية ، يقول : « انكم تزعمون ان أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ ، والله الموعد ، إنى كنت امرأ مسكينا أصحب رسول الله ﷺ على ملء بطنى ، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق ، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم » . وقال ابن عمر : « اكثر أبو هريرة » فقيل له : « هل تنكر شيئا مما يقول ؟ » قال : « لاولكن جرؤ وجبنا » فبلغ ذلك أبا هريرة فقال : « ماذنبى ان كنت حفظت ونسوا » . وغاضبه مروان بن الحكم فقال له : « ان الناس يقولون اكثر أبو هريرة الحديث وانما قدم قبل وفاة رسول الله ﷺ بيسير » فقال أبو هريرة . « قدمت ورسول الله ﷺ بخيبر وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين ، فأقمت معه حتى مات ، وأدور معه فى بيوت نسائه وأخدمه وأغزو معه وأحج ، فكنت أعلم الناس بحديث ، وقد والله سبقنى قوم بصحبته فكانوا يعرفون لزومى له فيسألوننى عن حديثه ، منهم عمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير ، ولا والله لايخفى على كل حديث كان بالمدينة ، وكل من كانت له من رسول الله ﷺ منزلة ، ومن أخرجه من المدينة أن يساكنه » قال الوليد بن رباح راوى هذه الحادثة « فوالله مازال مروان بعد ذلك كافا عنه » . وينظر ترجمة أبى هريرة فى كتب الصحابة ، وخاصة فى الاصابة (جـ ٧ ص١٩٩ - ٢٠٧ طبعة المطبعة الشرقية سنة ١٩٠٧) ، وغزوة خيبر كانت سنة ٧ من الهجرة فقد صحب أبو هريرة رسول الله أكثر من ثلاث سنين يلتزمه ليلا نهاراً ، يسمع حديثه ويرى عمله ، ويفهم عنه ويفقه ، فيحدث بما سمع وبصف مايرى ، وما الحديث عن رسول الله الا هذا ، أن يحدث بما سمع كما سمع ، وأن يصف ما رأى كما رأى وأن يحكى أحوال رسول الله التى يعلم ، والتى جعل الله فيها للمسلمين ، بل للناس كلهم أسوة حسنة ، فمن اهتدى اتبع ومن لافحسابه على الله أحمد محمد شاكر

(١) أما الخلاف فى توثيق بعض الرواة وتضعيفهم فانه خلاف طبيعى فى كل بحث يعرض له الانسان ، لايؤخذ مغمزاً على علماء الحديث . وأما ادعاء أن « مادة الحديث المروى كانت فى الواقع أصل التنازع علم أن الثقة بالمحدثين هى محل النزاع فى الظاهر » فهذا كلام مجمل موهم ، وليس نقداً علمياً لصناعة المحدثين وعلومهم . فانهم بحثوا فى تاريخ كل راو حتى عرفوا سيرته وصدقه أو كذبه وحفظه أو غلطه ، ثم حكموا عليه بما تبين لهم . وتتبعوا ما روى كل راو فنفوا عن روايته الخطأ غير المقصود ، وردوا ما كان فيه شبهة العمد إلى رواية شىء لا أصل له ، وقارنوا الروايات بعضها ببعض . فنقدوا السنة ونقدوا المتن ، فماذا فى هذا ؟ لا أدرى ! لو ذكر الكاتب مأخذا معينا =

وفى عصر متأخر ، وبعد أن اتخذت العقائد والعبادات والنظم السياسية والاجتماعية وضعا محدداً فى القرنين الثانى والثالث للهجرة نشأ رأى عام معين فيما يتعلق بالثقة بمعظم رواة الحديث وقيمة رواياتهم وقد اعتبرت أصول العقائد التى اشتملت عليها كتب مالك ابن أنس والشافعى وغيرهما من العلماء صحيحة فى نظر طوائف واعتبرت ثقة على وجه خاص فيما روته من أحاديث محمد . ومع مضى الزمن لم يجرؤ أحد على الشك فى صحة هذه الأحاديث ؛ ولم يصبح فى الإمكان اعتبار رجال كأبى هريرة - الذى يرجع إليه الفضل فى تداول هذه الأحاديث - من الكاذبين . بل سلّم على وجه عام بصحة كثير من الأحاديث التى تتضمن أخطاء تاريخية شديدة الوضوح[1]، ولم يرفض شىء منها إلا ما كان لايتعارض مع ماوقع الإجماع على صحته . على أن الميل على العموم كان متجها إلى الثقة بمثل هذه الأحاديث أيضا إذا أمكن على الأقل تفسيرها بروح من التوفيق

وعلى مر الزمن فقدت الخلافات القديمة كل أهمية عملية عند الأجيال الناشئة ، ووجد أن معظم الأحاديث المتصلة بهذه الخلافات ، ولو أن بعضها يعارض البعض الآخر معارضة قوية . إلا أنه أمكن البعض فى الغالب التوفيق بينها بفضل المهارة فى تفسير مضمونها . وعلى هذا أصبح رفض الحديث يعد عملا متطرفا لا يلجأ إليه إلا عند اليأس من تأويله (انظر Snouck Hurgronje المصدر المذكور آنفاً) والأحاديث العديدة المتناقضة فى موضوع بعينه ، والتى سلم بصحتها وذكرت فى مجموعات الأحاديث جنباً إلى جنب تمد المؤرخ فى الغالب بدليل لايقوم على التطور الداخلى للاسلام .

على أن الأحاديث مع هذا لم تكن كلها متساوية القيمة عند علماء المسلمين . بل جعلوها أنواعاً متفاوتة تميزها تعريفات فنية معينة تبعاً لاكتمال الإسناد والثقة بالمحدثين ، الخ ...

= يريده لبحثنا ما قال وحققناه ، ولكن جاء بشىء مبهم ، يوقع الوهم فى نفس القارىء أنه نقد وماهو بنقد .

(١) اين الأحاديث التى تتضمن أخطاء تاريخية شديدة الوضوح ؟!

٣ – تصنيف الحديث

ينقسم الحديث أولا إلى ثلاثة أقسام :

(أ) ١ – « صالح » أى صحيح ، ويطلق هذا الاسم على الحديث الصحيح الخالى من الخطأ ، والذى لاتوجد علة فى إسناده ، ولايعارض شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة

٢ – ويسمى الحديث « حسناً » إذا لم يكن بريئا من الشوائب براءة تامة ، كأن يكون غير متصل السند تمام الاتصال ، أو كأن لايقع الإجماع على الثقة براوية[1].

٣ – ويعتبر الحديث « ضعيفا » إذا وقع فيه شك خطير ، كأن يكون ذلك فى متنه ، أو كأن يكون واحد أو أكثر من سلسلة إسناده ممن لايوثق بروايتهم ، أو ممن اتهم بشىء من البدع .

(ب) وقد يحدث أن تكون قيمة الرواية محل شك لأن الراوى ذكر كلاماً فى أثناء الحديث بحيث يستحيل الفصل بين قوله هو وقول الرسول . ويسمى هذا الحديث بالحديث « المدرج » .

ويسمى الحديث « متروكا » إذا انفرد به راو واحد تعد الثقة بروايته ضعيفة . أما الحديث الذى يعتبر مكذوباً فيسمى بالحديث « الموضوع » .

---

(١) هذا الكلام ليس على وجهه ؟ فإن انقطاع الاسناد موجب لضعف الحديث فلا يكون حسناً . وإنما « الحديث الحسن » هو الذى لايكون فى إسناده راو متهم بالكذب ، ولكن يوجد فى رواته من أخذ عليه شىء فى حفظه وضبطه ثم يتابعه عنيه رواة آخرون غير متهمين بالكذب أيضاً ، فيقع فى نفس المحدث الناقد أن لهذا الحديث أصلا معروفا . أو كما قال الترمذى فى سننه التى تسمى (الجامع الصحيح طبعة بولاق ج ٢ ص ٣٤٠) « كل حديث يروى لايكون فى إسناده من يتهم بالكذب ولايكون الحديث شاذا ويرمى من غير وجه نحو ذاك فهو عندنا حديث حسن » وانظر بحث « الحديث الحسن » فى كتاب (علوم الحديث لابن الصلاح بشرح الحافظ العراق ص ٣٠ – ٤٧ طبعة حلب سنة ١٩٣١) وكتاب (اختصار علوم الحديث لابن كثير بشر حنا ص ٢٤ – ٣٣ ص ٢٤ – ٣٣) وكتاب (تدريب الراوى شرح تقريب النواوى للسيوطى ص ٤٩ – ٥٩)

(جـ) ولاتتناول الأحاديث كلها أقوال النبى وأفعاله ، بل نجد منها مايتعلق بالصحابة والتابعين . وهنا يفرق بين :

١ – الحديث المرفوع وهو ما أضيف إلى النبى .

٢ – والموقوف وهو ما أضيف إلى الصحابى من قول أو فعل .

٣ – والمقطوع وهو مالا يرتفع إلا إلى الجيل الأول بعد محمد ، وقد يراد به ما أضيف إلى التابعى من قول أو فعل .

(د) ويميز بين الأحاديث من ناحية الإسناد واتصاله على الوجه الآتى :

إن كان الحديث متصل السند ورواته من العدول إلى أن يرتفع إلى صحابى فإنه يسمى بالحديث المسند .

وإذا اشتمل الحديث على ملاحظات تتعلق بالرواة جميعهم (كأن يقرر ضمناً أنهم حلفوا اليمين عند روايتهم للحديث أو شبك كل واحد من رواته يده بيد من رواه عنه) فإنه يسمى « المسلسل » . وفى الحالة الأولى يسمى « مسلسل الحلف » ، وفى الثانية « مسلسل اليد » الخ (انظر Katal: Ahlwardt der. Arab. HSS. der Kgl Bibliothek. zu Berlin ، جـ ٢ ، ص ٢٦٧ – ٢٧٣) .

وإذا كان الإسناد متصلا قليل الرجال بالنسبة لغيره ، وذلك لأن آخر رواته تلقاه عن أولهم عن أشخاص قليلى العدد ، فإن الحديث يسمى « بالحديث العالى » ولهذا النوع من الإسناد فائدة عظمى ، إذ أن إمكان وقوع الخطأ فيه قليل جداً . راجع ما يتعلق بالرواة المعمرين (Goldziher المصدر المذكور جـ ٢ ، ص ١٧٠ – ١٧٤)

ويسمى الإسناد متصلا إذا كانت سلسلة السند متصلة وكاملة ، ويقابل المنقطع بالمعنى العام . على أن القاعدة هى أنه يراد بالحديث المنقطع ، بالمعنى الخاص ، ماسقط من رواته واحد من التابعين .

ويطلق اسم الحديث المرسل على الحديث الذى رفعه تابعى إلى النبى ولم يكن معروفاً اسم الصحابى الذى سمعه منه .

واختلف فى الاحتجاج بالحديث المرسل ، فالمتقدمون من الفقهاء مثل أبى حنيفة ومالك ابن أنس قالوا بقبوله ، أما المتأخرون فقد قالوا بغير ذلك (انظر بين مصادر أخرى Zeitschr. der Deutsch. Morgenl Gesellsch جـ ٢٣ ، ص ٥٩٥ ، هامش ٣) .

والحديث يسمى « بالحديث المعضل » إذا سقط من سنده اثنان أو أكثر سواء كان السقوط من أول السند أو من أثنائه أو من آخره ويذهب بعض العلماء إلى القول بأن المعضل هو ماسقط اثنان أو أكثر من أسناده بالتتابع .

وإذا روى الراوى الحديث عن شيخه بلفظ « عن » لاغير ، كأن يقول « عن فلان » فمن المحتمل أن يكون لم يسمع الحديث من الشيخ الذى روى عنه ، وإنما سمعه من أشخاص آخرين لم يرد ذكر أسمائهم فى الإسناد ويسمى مثل هذا الحديث بالحديث المعنعن (راجع التفصيلات الأخرى فى Goldziher Muh. Stud جـ ٢ ، ص ٢٤٨) .

والمبهم اسم يطلق على الحديث الذى يروى عن شخص لم يذكر اسمه فى الإسناد .

(هـ) وينقسم الحديث باعتبار طرق الإسناد إلى الأقسام الآتية :

١ – المتواتر : وهو مارواه فى كل طبقة جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب ، وذلك من ابتدائه إلى انتهائه ولم يخالف فيه أحد .

٢ – المشهور : وهو ما رَوه ثلاثة فأكثر من العدول ، ويرى البعض أنه هو الذى استفاض فيما بعد ولم يكن قد رواه فى الأصل إلا واحد من الجيل الأول .

٣ – والعزيز : وهو ماوراه اثنان ولم يستفض كالأحاديث المتواترة أو المشهورة .

٤ – والآحاد : اسم يطلق على الأحاديث التى رواها واحد فقط [فى أى طبقة من طبقات الإسناد] .

٥ - والغريب : فى الغالب هو الحديث النادر والغريب المطلق باعتبار الإسناد هو ما رواه تابعى فى الجيل الثانى فقط (انظر فرد جـ ٢ ، ص ٦١ ب ، وغريب جـ ٢ ، ١٤١ ب) وإذا انفرد برواية الحديث شخص من الأجيال المتأخرة فإن الحديث ليس غريبا بالنسبة « لشخص معين » . ويسمى الحديث بالغريب أيضا إذا اشتمل متنه على عبارات نادرة أو غريبة ، ويكون هذا الوصف باعتبار معناه . وهذه المصطلحات الفنية لم تكن فى الأصل متفقا على تفسيرها بمعنى واحد بين علماء المسلمين . ويقال مثلا إن الامام الشافعى لم يفرق بين الحديث المقطوع والحديث المنقطع والمصنفات المتأخرة كذلك ليس بينها اتفاق مطلق على هذه التعريفات (انظر F.Risch der Izz al Din Abu Abd Allah uber die Kunstausdrücke der Traditionswissen- schaft uebst Erlaüterungen طبع ليبسك ١٨٩٥م ، وكذلك الجرجانى : كتاب التعريفات طبع فلوجل ، وكشاف اصطلاحا الفنون ، طبع شبرنجر وآخرين) .

وتتعرض الكتب العامة أيضا المؤلفة فى قواعد علم الرواية لمناقشة تقسيم الحديث إلى أقسامه المختلفة . ومن بين هذه المصنفات الكتب الثلاثة الآتية :

١ - « علوم الحديث » لابن الصلاح المتوفى سنة ٦٤٣هـ - ١٢٤٥م (انظر Goldziher المصدر المذكور ، جـ ٢ ، ص ١٨٧ ومابعدها Geschicht der: Brockelmann, Arab Litt جـ ١ ، ٣٥٩)[1]

٢ - التقريب والتيسير للنووى المتوفى سنة ٦٧٦هـ - ١٢٧٧م . وله شرح أسمه « تدريب الراوي » للسيوطى المتوفى ٩١١هـ -

(١) كتاب (علوم الحديث) لابن الصلاح اشتهر أيضاً باسم (مقدمة ابن الصلاح) وقد طبع مراراً ، وأهم طبعاته طبعة مصر سنة ١٣٢٦هـ بتصحيح الشيخ محمود السمكرى الحلبى ، وطبعة المطبعة القيمة فى بمبى بالهند سنة ١٣٥٧هـ ، وأهم من ذلك طبعته بشرح الحافظ زين الدين العراقى المتوفى سنة ٨٠٦ فى حلب سنة ١٣٥٠ وهو شرح جليل واف ، يقرب هذا العلم للمبتغين .

١٥٠٥م[1].

٣ – « نخبة الفكر » لابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢هـ – ١٤٤٨م . وله شرح للمؤلف نفسه نشره Bibl.. Indicc ، رقم ٣٧ من المجموعة الثانية ، طبع كلكته سنة ١٨٦٢م[2].

٤ – مجموعات الحديث

ألف علماء مختلفون مجموعات للأحاديث متعددة اكتسب بعضها مقام الشريعة بين مسلمي العصور المتأخرة . ولكن نسخة رسمية محررة للحديث لم تعمل حتى الآن . ولم تكن الأحاديث فى أول الأمر مصنفة بحسب الموضوعات ، وإنما كانت مصنفة بحسب الرجال ، وسميت هذه المجموعات « بالمسند » قياساً على ماتضمنته من أحاديث كاملة الإسناد . فأخذ الوصف من الحديث المفرد وأطلق على المجموعة كلها . وأحسن هذه الكتب هو « المسند » لابن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ هـ – ٨٨٥م[3]. راجع التفصيلات

---

(١) هذا الشرح من أنفس كتب السيوطى وأجودها وقد طبع فى مصر فى المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٧هـ .

(٢) هو جزء صغير ، طبع مراراً فى مصر والهند والآستانة وغيرها . وكتب مصطلح الحديث كثيرة جدا نشر كثير منها فى الأقطار الإسلامية ، ومن أهمها وأقدمها مما نشر أخيراً كتاب (معرفة علوم الحديث) للامام الحاكم أبى عبد الله النيسابورى صاحب المستدرك المتوفى سنة ٤٩٥ هـ وقد طبع فى دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٨م تحت ادارة جمعية دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد بالهند ، وكتاب (الكفاية فى علم الرواية) للحافظ الخطيب البغدادى صاحب تاريخ بغداد ، المتوفى سنة ٤٦٣ هـ وقد طبع بحيدر آباد بمطبعة دائرة المعارف العثمانية سنة ١٣٥٧هـ (وكتاب اختصار علوم الحديث) للحافظ ابن كثير صاحب التفسير والتاريخ المشهورين ، المتوفى سنة ٧٧٤ وطبع بالمطبعة الماجدية بمكة المكرمة سنة ١٣٥٣هـ ثم طبع بمطبعة حجازى بمصر سنة ١٣٥٥ بشرحنا وتحقيقنا . ومن أهم مؤلفات المتأخرين فى هذا العلم الجليل كتاب (توجيه النظر إلى أصول الأثر) لأستاذنا الجليل الشيخ طاهر الجزائرى الدمشقى رحمه الله ، طبع بمطبعة الخانجى بمصر سنة ١٣٣٨هـ وكتاب (قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث) لأستاذنا عالم الشام السيد جمال الدين القاسمى رحمه الله ، وطبع بدمشق سنة ١٣٥٢هـ .

(٣) هذا كلام غير دقيق تاريخيا ، فان كتب الحديث ألفت على النوعين – المسانيد والموضوعات – من القديم ، بعضها مرتب على الأبواب ، أى موضوعات الفقه وغيره ، ومن أقدمها موطأ مالك ، وهو مؤلف قبل (المسند) للامام أحمد بن حنبل بزمن طويل (فان الامام مالك ابن أنس =

في Materialien zur Litteratur: Goldziher der Uberlierungs- wesens bei den Muhammedanern in Zeitsch. der Deutsch. Morgenl. Gesellsch. جـ ١ ، ص ٤٦٥ - ٥٠٦) .

وصنفت أمثال هذه المسانيد أيضا فى العصور المتأخرة ، فمثلا رتب بعض علماء الأحاديث الموجودة فى المصنفات الكبرى للتيسير على حروف المعجم[1]، ورتب غيرهم الأحاديث الموجودة فى « موطأ » مالك ابن أنس أو غيره من المصنفات التى لم يقصد بتأليفها أن تكون مجموعة وافية للحديث فى كتب متفرقة (انظر Goldziher :Muhamm Stud جـ ١ ، ص ٢٢٧) .

على أن مجموعات الأحاديث التى صنفت فى العصور المتأخرة كانت القاعدة فى تصنيف معظمها أن يكون ذلك وفقا لمضمون الأحاديث ، وما صنف منها تبعا للأبواب يسمى « المصنف »[2]. واعتبر أهل السنة من المسلمين مع مضى الزمن ستة من هذه المصنفات حجة فى موضوعها وقد ألفت كلها فى القرن الثالث للهجرة . وأصحاب هذه المصنفات هم :

١ - البخارى المتوفى ٢٥٦ هـ - ٨٧٠م

٢ - مسلم المتوفى عام ٢٦١ - ٨٧٥م

٣ - أبو داود المتوفى عام ٢٧٥ هـ - ٨٨٨م

=توفى سنة ١٧٩ هـ المولود سنة ١٦٤ هـ والامام أحمد بدأ فى سماع الحديث سنة ١٧٩ أى سنة وفاة مالك ولكنه لم يسمع منه وسمع من تلاميذه أحمد محمد شاكر

(١) وهذه ليست مسانيد ، بل معاجم صنعها المتأخرون على حروف المعجم للأحاديث التى وردت فى كتب معينة . وهى أشبه بالفهارس لكتب الحديث منعهم من جعلها فهارس حقيقة أن لم تكن الطباعة قد وجدت ، ولو قد وجدت إذ ذاك لكانت فهارس حقيقة متقنة ، وعلماء العرب والاسلام هم أول من رتب اللغة والأعلام والأحاديث على حروف المعجم ، فهم أول من وضع أساس الفهارس . التى يظن الناس أنها مقتبسة من غيرهم .

(٢) ليس هذا صحيحا ، فكتب السنة المرتبة على الأبواب قديمة ، أقدمها الموطأ كما قلنا آنفا ، ثم الكتب السته الصحاح ، البخارى ، ومسلم ، والترمذى . والنسائى وابن ماجة . وغيرهم كسنن الدارمى . والدارقطنى ، والمصنف لابن أبى شيبة إلى آخر ماهو معروف من كتب الحديث . وكلها مؤلف فى القرن الثالث ، إلا الموطأ كان فى القرن الثانى ، وإلا الدارقطنى فانه فى القرن الرابع .

٤ – الترمذى المتوفى ٢٧٩ هـ – ٨٩٢ م .

٥ – النسائى المتوفى ٣٠٣ هـ – ٩١٥ م .

٦ – ابن ماجه المتوفى ٢٧٣ هـ – ٨٨٦ م .

وتسمى كتبهم باختصار الكتب الستة أو الستة الصحاح ، ولها مقام من التقديس ، وهى تتلو فى المرتبة القرآن وهو كلام الله .

ويحظى كتابا البخارى ومسلم على وجه خاص بتقدير عظيم ويسميان الصحيحين ، وهما لايشتملان إلا على الأحاديث المتفق على صحتها .

على أن شروط البخارى للصحة ليست هى الشروط التى رآها مسلم[1] (انظر Goldziher ، المصدر المذكور ، جـ ٢ ، ص ٢٤٧) .

هذا إلى أن البخارى يزيد فى الغالب على عناوين أبوابه تعليقات مستفيضة لانجدها فى صحيح مسلم ، وإن كان كلاهما يتقصى الأحاديث حيثما كانت متبعين شتى الطرق ، وكلاهما يشتمل ، لا على الأحاديث المتعلقة بالفقه والحلال والحرام وحدها ، بل على كثير من الأحاديث التاريخية والخلقية وأحاديث تتناول العقائد (انظر Goldziher المصدر المذكور ، جـ ٢ ، ص ٢٣٤ – ٢٤٨)

---

(١) كلا ، بل شروطهما واحدة ، هى شروط صحة الحديث المعروفة ، إلا فى فرق واحد . هو أن البخارى يشترط أن يثبت أن راوى الحديث لقى شيخه الذى يروى عنه . إذا قال فى حديثه « عن فلان » فإذا ثبت عنه أنه لقيه بأن قال « حدثنا فلان » أو بأى طريق آخر من طرق ثبوت ذلك كان الحديث على شرطه ، فهو أولى أن يكون على شرط مسلم . لأن مسلما يكتفى كما يكتفى أكثر أئمة الحديث بأن الشيخ والراوى عنه كانا فى عصر واحد ، وإن لم يثبت لقاء التلميذ للشيخ ثبوتا صريحا . وليس معنى هذا أن مسلما ومن وافقه يقبلون رواية منقطعة لم يسمعها الراوى من شيخه ، فإن هذه تكون رواية ضعيفة باتفاقهم ، وهى الحديث المنقطع ، إنما معناه ان هؤلاء يرون ان الراوى الثقة ، وأول شرط فى توثيقه أنه لايكذب ، هذا الراوى إذا روى عن شيخ فإنه لايروى عنه إلا ماسمعه منه أو أخذه عنه بأى طريق من طرق التلقى . إذ لو كان يروى مالم يأخذه عن شيخه كان إما كاذبا ، والكاذب ليس بثقة ، وإما مدلسا . والمدلس هو الذى يروى عن شيخ معاصر له شيئا لم يسمعه منه بل سمعه عن غيره عنه . ولكنه يرويه بصيغة « عن » أو شبهها . والمدلسون معروفون لهم ، فلايقبلون من احاديثهم إلا ماصرحوا فيه بأنهم سمعوه ، وذلك احترازاً من تدليسهم ، واما مايرويه المدلس بصيغة توهم عدم السماع فإن أكثر المحدثين على عدم قبوله ، ومنهم مسلم نفسه أحمد محمد شاكر

وعلى عكس ذلك نجد أن الكتب الأربعة الأخرى تقتصر على السنة أى الأفعال المأثورة ، ولا تشتمل على الأحاديث التى تعتبر صحيحة فقط بل تشتمل أيضا على الأحاديث الحسنة وبالجملة على جميع الأحاديث التى اعتمد عليها العلماء فى استنباط الأحكام ، ولو كان الشك قائماً فى إسنادها .

وعندما كان يرى هؤلاء المصنفون أن حديثاً يمكن رفضه ، فإنهم كانوا فى العادة يلفتون نظر القارىء إلى ذلك (انظر Goldziher المصدر نفسه ، جـ ٢ ، ص ٢٤٨ ومابعدها) .

وهناك تفسير واضح للسمعة الحسنة التى ظفرت بها هذه الكتب الستة . ففى القرن الثالث كانت الأحوال ملائمة جداً لجمع الأحاديث إذ كان لابد من توافر إجماع معين فى جميع المسائل المتعلقة بالعقائد والأفعال ، وكونت الكثرة الغالبة من علماء المسلمين رأياً معيناً فى قيمة أغلب الأحاديث ، فأصبح من الممكن البدء عند ذاك فى جمع كل ما اتفق على صحته . ومن هنا ترى أن قيمة البخارى وغيره من أصحاب الصحاح لم تكن – كالخطأ الشائع – لأنهم قرروا لأول مرة أى هذه الأحاديث المتداولة كان صحيحاً وأيها كان كاذباً ، فرأيهم الخاص لم يكن ليؤثر كثيراً فى الرأى الغالب ، وإنما تنهض قيمة كتبهم فى الأكثر على أنها جمعت فى صعيد واحد كل ما اتفق المؤمنون فى عهدهم على انه صحيح (انظر Snouck Hurgronje المصدر المذكور) .

وهناك مجموعات أخرى مشهورة للحديث صنفت فى القرن الثالث أيضا مثل « سنن عبد الله الدارمى » (المتوفى سنة ٢٥٥ هـ – ٨٦٨م) ولكن هذه المصنفات لم تصل أبداً فى العالم الإسلامى إلى ماوصلت إليه الصحاح الستة من القيمة وحسن السمعة . بل إن الكتب الأخيرة من الصحاح نفسها لم يقع الإجماع على تقديرها إلا بعد تدرج طويل . ومجموعة ابن ماجة على وجه خاص ظلت موضعاً للريبة وقتاً طويلا لما اشتملت عليه من الأحاديث الضعيفة العديدة .

ومع أن الكتب الستة لها قيمة عظيمة فإنه لم يعتبر من النقائص فى شىء أن يستباح نقد ما ورد فيها من الأحاديث نقداً حراً : تلك الأحاديث التى لم ينعقد

الإجماع على صحتها ، وإن كانت واردة فى الكتب الصحاح ، ولهذا نجد مثلا أن « الدارقطنى » المتوفى سنة ٣٨٥ هـ — ٩٩٥ م صنف كتاباً دلل فيه على ضعف مائتى حديث أوردها البخارى ومسلم(١) (انظر Goldziher ، المصدر المذكور ، جـ ٢ ص ٢٥٧) .

وفى عصر متأخر كذلك ظهرت مجموعات للأحاديث صنفها كثير من العلماء ، وكانت مؤلفات هؤلاء تهدف بوجه خاص إلى إعداد مجموعات تتفاوت فى شمولها نقلوا فيها عن الكتب الستة وأضافوا إليها أحيانا المجموعة المشهورة التى صنفها ابن حنبل ، ثم رتبوا ذلك كله على طرق مختلفة .

من هذه المصنفات كتاب البغوى المتوفى سنة ٥١٠ هـ — ١١١٦ م ، ويسمى « مصابيح السنة » وهو كتاب كان شموله وحسن ترتيبه سبباً فى شهرته بين المسلمين ، ويحتوى على نخبة من الأحاديث المستقاة من الكتب القديمة دون ذكر للإسناد ، واشتهر على وجه خاص تعليق لولى الدين التبريزى على كتاب البغوى ويسمى « مشكاة المصابيح » والاسم مشكاة مأخوذ من القرآن (سورة النور . آية ٣٥) .

ونذكر من المصنفات المطولة التى ظهرت فى عصر متأخر كتابين للسيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ — ١٥٠٥ م : أحدهما « جمع الجوامع » والثانى « الجامع الصغير » ، وغاية السيوطى الأولى من هذين الكتابين هى وضع مؤلف شامل للمجموعات الموجودة(٢) (انظر katalog der: W. Ahlwardt Arab Hss. der Kgl Biblioth zu Berlin جـ ٢ ، ص ١٥٥ ومابعدها) .

---

(١) هذا غير صحيح ، فان الدارقطنى إنما « علل » أحاديث فى الصحيحين : البخارى ومسلم ، بأنهما خالفا فيها شرطهما ، وهو اختبار أعلى درجات الصحة فى الإسناد ، أو بأن بعض اسانيد الحديث الذى ينقده أصبح فى نظره من الاسناد الذى رواه به البخارى ومسلم . ولم يتفق المحدثون على ضعف أى حديث فى هذين الكتابين ، بل اتفقوا على أن البخارى ومسلما مقدمان على أهل عصرهما ومن أئمة هذا الفن فى معرفة الصحيح من غير الصحيح . وانظر تفصيل القول فى ذلك فى (مقدمة فتح البارى للحافظ ابن حجر ص ٣٤٤ وما بعدها ، طبعة بولاق سنة ١٣٠١ هـ) وانظر أيضاً ما أشرنا إليه من كتب مصطلح الحديث . أحمد محمد شاكر

(٢) كتاب « جمع الجوامع » ويسمى أيضاً « الجامع الكبير » كتاب ضخم جدا ، قصد به السيوطى إلى جمع كل الأحاديث التى وجدها فيما وقع له من كتب السنة سواء أكانت صحيحة أم غير =

وقصرت طائفة من جمعة الحديث همهـا على قسم معين من الحديث الوارد فى المجموعات الكبرى ، كأن يقتصروا على ماتعلق بالأخلاق وحدها ، أو قصروا همهم على عدد معين من الأحاديث المشهورة . ولهذا نجد مثلا مصنفات عديدة اشتهرت باسم « الأربعين » وهى مجموعات تشتمل على أربعين حديثاً مشهوراً

ولما أصبحت مادة الحديث فى كثير من النواحى غامضة على أفهام المؤمنين فى الأجيال المتأخرة شعر كثير من العلماء بالحاجة إلى إعداد شروح لمجموعات الحديث ، فالكلمات والعبارات المهجورة تحتاج إلى شرح ، وينبغى على وجه خاص تعليل الكثير من التعارض أو جعله عديم الضرر بالتحايل على تفسيره . وعنى معظم الشراح بعد ذلك بالأحكام التى تستنبط من الحديث والآراء المتعارضة فيها ، والتى انتصر لها علماء مختلفون . نذكر من أحسن الشروح المستفيضة المشهورة شرح ابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢هـ — ١١٤٨م . وشرح القسطلانى المتوفى سنة ٩٣٢هـ — ١٥١٧م على صحيح البخارى ، وشرح النووى المتوفى سنة ٦٧٦ هـ — ١٢٧٧ م على صحيح مسلم (انظر :Cesch der C. Brockelmann Arab. Litt. جـ ١ ، ص ١٥٦ ومابعدها) .

وحكم الشيعة على الحديث من وجهة نظرهم الخاصة فلم يعتبروا منه صحيحاً إلا ما رفع إلى على وشيعته ولهذا كانت لهم مؤلفاتهم الخاصة فى هذا

=صحيحة ، ورتب فيه الأحاديث على الحروف على أوائل اللفظ النبوى فيها ورتب ترتيبا مقاربا لأحاديث « الأفعال » أى التى فيها حكاية ووصف لحادثة ونحو ذلك وليس فيها حديث قول للنبى ﷺ ، وهذا الكتاب لم يطبع ، وتوجد منه نسخ غير كاملة فى دار الكتب المصرية . وأما « الجامع الصغير » فانه مختصر مشهور معروف طبع مراراً وطبعت بعض شروح عليه للعلماء ، وهو مرتب على الحروف أيضا ، على أوائل اللفظ النبوى اقتصر فيه مؤلفه السيوطى على الأحاديث الوجيزة ، وصانه عما تفرد به وضاع أو كذاب أى صانه عن الحديث الموضوع فقط . ففيه أحاديث ضعيفة قطعا ، وهما — فى رأيى — محاولة لعمل فهارس متقنة لكتب الحديث لأن مؤلفهما رتبهما على الحروف ثم ذكر بعد كل حديث اسماء الكتب التى نقله منها ، كالبخارى ومسلم وغيرهما ورمز إلى اسماء هذه الكتب برموز اصطلاحية ، مثل (خ) للبخاري ، (م) لمسلم ، (د) لأبى داود (ن) للترمذى ، وهكذا ، وهذه الرموز بعضها قديم معروف عند المحدثين ، وبعضها اختاره السيوطى وجعله اصطلاحا له فى كتابيه هذين . أحمد محمد شاكر

الموضوع ومن أهمها الكتب الخمسة الآتية :

١ – الكافى لمحمد بن يعقوب الكلينى المتوفى سنة ٣٢٨ هـ – ٩٣٩ م .

٢ – « من لايحضره الفقيه » لمحمد ابن على بن بابويه القمى المتوفى سنة ٣٨١ هـ – ٩٩١ م .

٣ – « تهذيب » الأحكام .

٤ – « الاستبصار فيما اختلف فيه الأخبار » (وهو مختار من سابقه) لمحمد الطوسى المتوفى سنة ٤٥٩ هـ – ١٠٦٧ م .

٥ – « نهج البلاغة » (الأقوال المنسوبة إلى على) لعلى بن طاهر الشريف المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ – ١٠٤٤ م أو لأخيه الشريف الرضى البغدادى (انظر Gesch der: C. Brockelmarn Arab. Litteratur جـ ١ . ١٨٧ و ٤٠٤ ومابعدها The Faith of Islam: E. Sell لندن ١٨٨٠ . ص ٦٩ ومابعدها هامش ٢ . Goldziher المصدر المذكور ، جـ ٢ ، ص ١٤٨ هامش ٤ وله أيضا – Beitröge zur Litte- raturgesch. der Shi a. m Sitz-Ber Wiener Akad, phil- Hist. CL ١٨٧٤ ص ٥٠٨) .

٥ – رواية الحديث

الرأى الغالب بين المسلمين هو أن المعرفة بالعلوم الدينية لا سبيل إليها إلا بتلقين معلم يكون قد تلقاها بالطريقة نفسها . وهذا الرأى اعتنقه المسلمون منذ القدم وطبقوه بوجه خاص على علم الحديث[1]. فالحديث يجب أن يسمع ، وكان الطلاب يقطعون البيادى والقفار ليحضروا دروس الشيوخ الذين كانوا حجة فى هذا العلم ويسمونهم « حملة الحديث » وللنبى أحاديث

(١) ليس هذا التعبير على وجهه . فإنما يريد المحدثون التوثق من الرواية ومن صحتها ومن أدائها كما جاءت ، والسماع من الشيخ أو القراءة عليه فى ذلك أضبط وأوثق . وأما العلوم عامة – دينية وغيرها – فالواقع فعلا أنها لابد فيها من معلم ، ثم يستقل المتعلم بنفسه فيتوسع فى العلم بما منح من فهم وفقه فيه ، كل على ما يسر له وبالقدر الذى تتهيأ له نفسه ويقتضيه استعداده .

كثيرة تقول « سافر فى طلب العلم »[1]. وهذا يعتبر من الأعمال التى يرضى عنها الله . وفى Goldziher (المصدر المذكور ، جـ ٢ ، ص ١٧٥ – ١٩٣) تفصيلات للرحلات فى طلب العلم » وما آل إليه أمرها من فساد . فهو يضرب مثلا كيف أن العلماء المدعين كانوا يزهون بقطع بلاد شاسعة لسماع القليل من الأحاديث تكون فى الغالب مجهولة .

كان الحديث يروى بالسماع من الشيوخ . وكان من المألوف كذلك أن يقرأ أحد الطلاب نسخة من الحديث بينما يستمع له الآخرون ، وكان الشيخ يصحح القراءة عند الضرورة ويشرح للطلاب ماغمض عليهم ، وفى هذه الحالة أيضا كانت العادة فى رواية الأحاديث الملقنة على هذا النحو أن يقول الشيخ « حدثنى أو أخبرنى فلان قراءة عليه » وكان للطالب الذى سمع الحديث بهذه الطريقة بحضرة الشيخ وسماعه أن يرويه لغيره بدوره بعد أن يحصل غالباً على إجازة من شيخه بذلك .

على أن الطريقة القديمة لرواية الحديث لم تكن دائماً مرعية . وأصبح نسخ النصوص المكتوبة وجمعها هو الغالب فى نقل الحديث وبطل استعمال التلقين الشفوى . وكانت الأحاديث تنسخ ويجاز تلقينها مبتدئة بالعبارة « المألوفة حدثنى » كما لو كانت قد رويت بالسماع من الشيخ . راجع ماكتب عن « الاجازة » فى الاسلام وما آل إليه أمرها من فساد فى Goldziher المصدر المذكور ، جـ ٢ ، ص ١٨٨ – ١٩٣ ، A. Sprenger فى Zeitschr. der Deutsch Morgenl Gesellsch، جـ ١٠ ص ٩ ومابعدها و W. Ahlwardt فى katal der. arab Hss. der Kgl Bibliothek zu Berlin جـ ٢ ، ص ٥٤ ، ٩٥) .

وفى أول الأمر كانت بعض الأوساط تعتبر كتابة الحديث من المحظورات . ولا يوثق إلا بالحاديث التى ظل يذكرها ويرويها رجال من العدول ، ولم يكن

---

(١) لانعرف حديثا بهذا اللفظ . والأحاديث كثيرة فى الحض على الرحلة فى طلب العلم ، منها حديث أنس قال . قال رسول الله ﷺ : « من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع » رواه الترمذى وقال : « حديث حسن » . وانظر (الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى ج ١ ص ٦٢ – ٦٣ – الطبعة المنيرية) . أحمد محمد شاكر

يوثق بالنصوص التي تنسخ فى الغالب من غير عناية كافية أو من مصادر لايعتمد عليها . ولهذا نجد ابن عساكر يقول « اجعل همك طلب الحديث من الرجال أنفسهم لا من الكتب حتى لايتطرق إلى الحديث مافى الكتب من فساد[1] (انظر Goldziher المصدر المذكور جـ ٢ ، ص ٢٠٠) .

ومع هذا فإن العلماء الذين نفروا من الأوراق والكتب يذكرون دائماً على أنهم من الشواذ لاغير . ويظهر أن السنة المألوفة كانت تدوين الحديث كتابة حتى فى أقدم الأزمنة . على أننا نسلم فى الوقت نفسه بأن الكتابة كانت وسيلة لاغير لمساعدة الذاكرة ، وأن المعرفة الحقة كانت تحفظ فى القلب لا فى الورق . انظر التفصيلات الخاصة بتدوين الحديث فى Goldziher المصدر ، المذكور ، جـ ٢ ، ص ١٩٤ ، ٢٠٢ . وله أيضا فى Zeitschr. des Deutsch Morgenl. Gesellsch جـ ١ ، ص ١ ، ٤٧٥ ، ٤٨٩ ، جـ ٦١ ص ٨٦٢ .A Sprenger المصدر المذكور جـ ١ ص ١ ومابعدها ، وماكتبه أيضاً فى journ the Asiat. Society of Bengal ٣٠٣ ، ٣٢٩ .

المصـــادر :

إلى جانب الكتب والرسائل المذكورة فى صلب المقال :

١ - البخارى Les traditions islamiques ، ترجمة عن العربية وعلق عليه ووضع له فهرساً O.Houdas & W. Marcais Public de L'Ecole des Langues or viv. Série IV. t. VI suiv جـ ١ - ٣ ، باريس ١٩٠٣ - ١٩٠٨

٢ - Le liver: F. Oeltier des testaments du Cahih d'el Bokhari مترجم عن العربية مع التعليق والشرح ، باريس ١٩٠٩

٣ - المؤلف نفسه : Le livre des ventes du Cohih d'el Bokari ترجمة مع التعليق والشرح ، باريس ١٩١٠

---

(١) لم أجد نص كلام ابن عساكر ، وكاتب المقال أحال على كتاب جولد سيهر وهو بلغة أجنبية ، لاندرى مبلغ صحته فى النقل . أحمد محمد شاكر

٤ – المؤلف نفسه : Le Livre des ventes du mouwatta de Malik ben Anas مترجم مع التعليق ، الجزائر ١٩١١

٥ – Le: W.Marcais taqrib de en-Newawi ترجمة وتعليق (Journ Asiat ؛ السلسلة التاسعة ، جـ ١٦ ، ص ٣١٥ ومابعدها ، ص ٤٧٨ ومابعدها ، جـ ١٧ ، ص ١٠١ ومابعدها ، ص ١٩٣ ومابعدها ، ص ٥٢٤ ومابعدها : جـ ١٨ ، ص ٦١ ومابعدها) ونشر مستقلا كذلك ، باريس ١٩٠١

٦ – Mishkat ulmasabih: A.N. Matthews or a Collection of the mast authentic Traditions regarding the actions and sayings of Mohammed ، كلكتة ، ١٨٠٩ ١٨١٠

٧ – Zue tenden-: Th Nöldeke ziösen Gestaltung der Urgeschichte des Islam's في Zeitschr. der Deutsch. Morgenl Gesellsch. جـ ٥٢ ، ص ١٦ ، ٣٣

٨ – Die Religion des: I.Goldziher Islam (Kultur der Gegenwart, T.I. Abt. III I Hälfte ص ٩٩ ومابعدها)

٩ – المؤلف نفسه Vorlesungen uber den Islam هيدلبرج ١٩١٠ ، ص ٤٠ ومابعدها ،

* * *

■ الفرق مابين الآيات القرآنية والحديث القدسي والحديث النبوي :

لابد أن يدرك أولا أن الكل أوحى به الله عز وجل إلى الرسول ﷺ .

يقول سبحانه : (ومانيطق عن الهوي ان هو الا وحي يوحى) .

أولا : الفرق مابين القرآن والحديث القدسي :

(أ) تحدي الله بالقرآن المعجز ولم يتحد بالحديث القدسي .

(ب) القرآن والحديث القدسي كلاهما بلفظه ومعناه موحى به من الله ولكنه

يتعبد بالنص القرآنى فيتلى فى الصلاة وليس كذلك الحديث القدسى .

(جـ) أنه يمكن رواية الحديث القدسي بمعناه ، أما القرآن فيروي باللفظ والمعنى .

ثانيا : الفرق مابين الحديث القدسي والحديث النبوي :

ان القدسي معناه ولفظه من الله عز وجل .

أما النبوي فمعناه من الله ولفظه من الرسول .

الحـديث القدسـي :

هو من حيث المعنى من عند الله تعالى ومن حيث اللفظ فهو من رسول الله ﷺ ، فهو ما أخبر الله تعالى به نبيه بالهام أو بالمنام فأخبر عليه الصلاة والسلام عن ذلك المعنى بعبارة نفسه فالقرآن مفضل عليه لأن لفظه منزل أيضا .

■ كتب مصطلح الحديث تدور الدراسة فيها حول موضوعين رئيسيين هما :

(١) النص الحديثى ودرجاته قوة وضعفا .

(٢) دراسة شاملة للرواة على أنا إذا تعمقنا فى الأمر وجدنا أن البحث فى الموضع الأول وان كان ظاهريا يتناول نص الحديث غير أنه فى الحقيقة وزن الحديث من ناحية ارتباطه بالراوي .

* * *

ومن علوم الحديث دراسات الناسخ والمنسوخ كما هو الحال فى الدراسات القرآنية منها :

أولا : كتاب الناسخ والمنسوخ لابى مسلم المغزلي جامع التأويل :

انظر ايضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للعالم اسماعيل باشا محمد أمين بن مير سليم البابانى (منشورات مكتبة

المثني – بغداد . العراق) ..

صححه وطبعه المعلم رفعت بليكه الكليبي ٦١٥/٣ .

فى جامع التأويل لمحكم التنزيل فى التفسير لمحمد بن بحر الاصفهاني المتوفى سنة ٣٢٢ ، وهو تفسير كبير فى أربعة عشر مجلدا على مذهب المعتزلة ، لعله هو أبو مسلم بن محمد بن على بن مهربرد الاصفهاني المتوفى سنة ٤٥٧ قاله فى ميزان الاعتدال ٥٣٨/١ .

من كتاب كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون للاديب مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة .

(مكتبة المثني – بغداد . العراق) .

* * *

ثانيا : علم تأويل الحديث :

ويمهد له حاجى خليفة صاحب كشف الظنون بمقدمة عن علم التأويل سواء فى القرآن أو الحديث يهمنا منها مايخص تأويل الحديث ومما ذكره من مؤلفات فيه :

(أ) تأويل متشابه الأخبار لابى منصور عبد القاهر ابن طاهر البغدادى ٤٢٩ هـ .

(ب) تأويل مختلف الحديث للامام عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى .

ثالثا : أبعاد الحديث عند ابن خلدون :

ويكشف ابن خلدون عن العلوم الدينية التى تفرعت من الحديث النبوى وهى فى رأيه تنحصر فى :

١ – تاريخ الحديث ومنسوخه وهو من أشهر علوم الحديث (المتأخر زمنا ينسخ المتقدم) ... ومن ابرز الاعلام فيه الشافعي .

٢ – طرق الاسانيد والرواة (مراتب الرواية والرواة ومصطلح الحديث في هذا الشأن) .

٣ – دراسات فى لفظ الحديث .

٤ – كان أعلام الحديث من الصحابة متفرقين فى الامصار وأحوالهم معروفة وشهرت بيئة الحجاز بأنها أعلى طرق الحديث (البيئات تتميز بطرق خاصة فى الحديث) .

٥ – كان مالك بن أنس أول من أفرد أحاديث الاحكام على أبواب الفقه .

٦ – عني المحدثون بالطرق المختلفة للحديث الواحد كما عنوا بالحديث يتفرق فى أبواب متعددة من الفقه .

٧ – البخاري جمع ما اتفق عليه المتحدثون ونشره على حسب أبواب الفقه ومن هنا يجيء الحديث مكررا فى أكثر من باب .

٨ – أمهات كتب الحديث البخاري/ مسلم/ أبو داود/ الترمذي/ النسائي .

٩ – دراسات فى الحديث ودارسوه : الناسخ والمنسوخ/ القريب/ المؤتلف والمختلف/ الحاكم . ابن الصلاح/ النووي .

١٠– تقويم بن خلدون لامهات كتب الحديث الخمسة .

١١– تفاوت المحدثون فى الاكثار من الحديث والاقلال (علة ذلك) .

١٢– الطحاوي ومسنده توسع فى الرواية عن مستور الحال ولم يكن ذلك مجمعا عليه فى الصحيحين .

* * *

رابعـا : شـروح الحـديث :

ظفر تاريخ الحديث بشروح توقف على فهم نصه من اهمها :

العينـي :

هو بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني ٨٥٥هـ .

النـــووي :

هو محي الدين أبو زكريا يحي بن شرف النووي ت ٦٧٦ هـ

القســـطلاني :

هو أحمد بن محمد بن أبى بكرة بن عبد الملك بن أحمد بن محمد بن الحسين القسطلاني القاهري الشافعي ت ٩٢٣ هـ

ابن حجـــر العسقـــلاني :

هو شهاب الدين أحمد بن على بن محمد بن محمد بن حجر العسقلاني . ت ٨٥٢ هـ .

* * *

شـــروح البخـــاري :

(١) عمدة القاري فى شرح صحيح البخاري لبدر الدين العينى .
(٢) فتح البـــاري — لابن حجر العســقلاني .
(٣) ارشـــاد الســـاري — للقســـطلاني .
(٤) بهجـــة النفوس — للكـــرمانـــي .

شـــروح مســـلم :

(١) صحيح مســـلم — شـــرح النـــووي .

كتب الســـنن الأربعـــة :

(١) النســـائى .
(٢) الترمـــذي .

(٣) أبو داود .

(٤) ابن ماجـه .

(٥) المستدرك على الصحيحين للحاكم وله تعليق عليه للذهبى .

(٦) سنن البيهقى لبيان درجة الحديث .

(٧) سنن الدارقطني .

(٨) شرح الدارمي .

شـروح الترمـذي :	شـروح أبى داود :
– تحفة الاحوزي .	– عون المعبود لأبى داود .

كشف الظنون ٦٣٧/١

أول من صنف فى الحديث عبد الملك بن جريج ، ومالك بن أنس – الربيع بن صبيح – البخاري ومسلم – أبو عيسي محمد بن عيسي الترمذي – أبو داود سليمان بن الاشعب السحبتاني – أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى .

شرح الحديث شرح غريبه واعرابه ومعناه دون تعرض لذكر الاحكام

– أبو عبيد القاسم بن سلام .

– أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة .

أضاف غيرهما ذكر الاحكام وآراء الفقهاء :

– أبو سليمان محمد بن محمد الخطابى فى معالم السنن واعلام السنن .

فمنهم من ذكر الغريب دون المتن واستخرج الكلمات الغريبة ودونها ورتبها وشرحها كما فعل أبو عبيد أحمد بن محمد المروزي .

ومنهم من قصد استخراج الاحاديث ترغيبا وترهيبا وأحاديث متضمنة أحكاما شرعية غير جامعة فدونها وأخرج متونها كما فعل أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي .

- ومنهم من جمع بين كتاب رزين وبين الاصول السنة لتهذيبه وترتيب أبوابه وتسهيل مطلبه وشرح غريبه وهو :

أبو السعادات مبارك بن محمد بن الاثير الجزري فى جامع الاصول

وشرح صحيح البخاري :

ابن حجر والقسطلاني والعيني .

مجاميـع الحـديث

ثمة مناهج فى جمع مادة الحديث بين صحاح ومسانيد وسنن ...

وتفاوتت مناهج الجمع كما تراوحت درجة الوثاقة فى مادة الحديث المجموعة ، وكان للعلماء جامعي الحديث مناهجهم التى بينوا خططهم العلمية والشرائط التى وفروها لمادتهم المجموعة ..

فمثلا الحديث المعلق ماحذفت أسانيده ، فهو فى الحديث الصحيح كما هو فى الضعيف ..

فهو عند البخاري مثلا لانه يقطع الحديث بحسب موضوعه .. أما مسلم فحذف للاختصار ...

* * *

خامساً : الحديث والتفسير والفقه :

ان أمين الله على وحيه محمدا ﷺ هو أول مفسر له بوحي من الله ... ولهذا نجد أن موطأ مالك بن أنس يمثل الصورة الأولى للتفسير القرآنى فى صفائه وسلاسته ...

ورد عن النبى ﷺ ، وهو كذلك الصورة الأولى للفقه الاسلامي المستمد من النص القرآنى كما أثر عن رسول الله ..

ونسوق فيما يلي نماذج من هذا الشكل الحديثي الذي يعرض للتفسير والفقه منفردين أو مجتمعين .

ص ٤٥ جـ ٢ موطـأ مالك :

وفيما يلي أمثلة من نصوص عرض منها بن مالك التفسير الاتى القرآنى مستنبطا منه الحكم الشرعي للحديث النبوي فى ذلك ..

وحدثنى عن مالك عن عبد الله بن أبى بكر بن حزم عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة زوج النبى ﷺ أنها قالت كان فيما أنزل من القرآن عشر صفات معلومات يمر من ثم نسخن بخمس معلومات فتوفى رسول الله ﷺ وهو فيما يقرأ من القرآن . قال يحي قال مالك وليس على هذا العمل .

ص ٥٩ جـ ٢ موطـأ مـالك :

وحدثنى عن مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء ابن يسار أن معاوية ابن أبى سفيان باع سقاية من ذهب أو ورق بأكثر من وزنها فقال أبو داود سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذا الا مثلا بمثل فقال له معاوية ما أري بمثل هذا بأسا ، فقال أبو الدرداء من يعذرني من معاوية أنا أخبره عن رسول الله ﷺ ويخبرنى عن رأيه : لا أساكنك بأرض أنت بها ثم قدم أبو الدرداء على عمر بن الخطاب فذكر له فكتب عمر بن الخطاب إلى معاوية أن لاتبع ذلك الا مثلا بمثل ووزنا بوزن .

ص ٣٦ جـ ٢ موطـأ مـالك :

وحدثنى عن مالك عن يحي بن سعيد عن سليمان بن يسار أن عبد الله ابن عباس وأبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف اختلفا فى المرأة تنفس بعد وفاة زوجها بليال ، فقال أبو سلمة إذا وضعت مافى بطنها فقد حلت للازواج ، وقال ابن عباس آخر الأجلين فجاء أبو هريرة فقال أنا مع ابن أخى يعنى أباسلمة فبعثوا كريبا مولى عبد الله بن عباس إلى أم سلمة زوج النبى ﷺ

نسألها عن ذلك فجاءهم فأخبرهم أنها قالت ولدت سبيعة الاسلمية بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال قد حللت فانكحي من شئت ...

قال مالك وهذا الأمر الذي لم يزل عليه أهل العلم عندنا .

ص ١٤٧ جـ ١ موطـأ مـالك :

ماجاء فى التكبير والقراءة فى صلاة العيدين :

حدثني يحي بن مالك عن ضمرة بن سعيد المازني عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي ماكان يقرأ به رسول الله ﷺ فى الاضحى والفطر فقال كان يقرأ بـ « ق والقرآن المجيد » اقتربت الساعة وانشق القمر » .

ص ١٥٥ جـ ١ موطـأ مـالك :

ماجاء فى القبلـة :

وحدثني عن مالك عن يحي بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال : صلى رسول الله ﷺ بعد أن قدم المدينة ستة عشر شهرا نحو بيت المقدس، ثم حوّلت القبلة قبل بدر بشهرين .

ص ٤٠ جـ ١ موطـأ مالك :

بـاب الوضـوء :

وحدثني عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن حمر عن مولى عثمان بن عفان أن عثمان بن عفان جلس على المقاعد فجاء المؤذن فآذنه بصلاة العصر فدعا بماء فتوضأ ، ثم قال : والله لأحدثنكم حديثا لولا أنه فى كتاب الله ماحدثتكموه ، ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : مامن امريء يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يصلى الصلاة الا غفر له مابينه وبين الصلاة الاخري حتى يصليها

قال يحي قال مالك اراه يريد هذه الاية : أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات وذلك ذكري للذاكرين .

ص ٢٦ - ٢٧ جـ ١ موطـــأ مـــالك :

بـــاب الوضـــوء :

حدثني يحي عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ حين قفل من خيبر أسري حتى إذا كان من آخر الليل عرّس ، وقال لبلال اكلأ لنا الصبح ، ونام رسول الله ﷺ وأصحابه وكلأ بلال ماقدر له ، ثم أسند إلى راحلته وهو مقابل الفجر فغلبته عيناه ، فلم يستيقظ رسول الله ﷺ ولا بلال ولا أحد من الركب حتى ضربتهم الشمس ففزع رسول الله ﷺ فقال بلال : يارسول الله أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك ... فقال رسول الله ﷺ اقتادوا فبعثوا رواحلهم واقتادوا شيئا ، ثم أمر رسول الله بلالا فأقام الصلاة فصلى بهم رسول الله ﷺ الصبح ثم قال حين قضي الصلاة ، من نسي الصلاة فليصلها إذا ذكرها ، فان الله تبارك وتعالى يقول فى كتابه أقم الصلاة لذكري .

* * *

ســادسا : قصة الحديث والجرح والتعديل

إذا كان الجانب الأول من دراستنا هو الجانب التاريخي من حياة الحديث النبوي والجانب الثاني هو دراسة لنص هذا الحديث فانه من الطبيعي أن يكون ثالث الجوانب هو دراسة نقدية للحديث نلم فيها بأهم المقاييس التى تمثل الاتجاهات الرئيسية فى نقد الحديث وفى تشريح سلسلة الرواية .

واذن فلنبدأ مع التاريخ الحديث وعلى ماعودنا القدماء من ضبط علمي نقول إن مفهوم الحديث هو ماصح نسبته إلى الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير وعلى هذا الاعتبار فان المجال الزمنى للحديث هو عصر الرسول لكن كان يعاصر الرسول الصحابة وهؤلاء كانوا يعاشرون الرسول يسمعون قوله ويرون فعله ويسألونه فى أمور الحياة اليومية ويأخذون منه الجواب ، وعلى هذا فانه

بعد عصر الرسول ضم إلى الحديث مارواه الصحابة من أخبار ماسمعوا وشاهدوا عن الرسول ، ومن ثم ينفسح المجال الزمني للحديث حتي عصر الصحابة الذين عاشوا زمنا بعد الرسول ثم تتسع دائرة الحديث الزمنية فتشمل أيضا تلامذة الصحابة من التابعين الذين أخذوا عن الصحابة ماسمع أولئك ورأوه من قول الرسول ﷺ وفعله وتقريره وبهؤلاء التابعين يقف المجال الزمنى للحديث يرويه رواية حية من سمع أو شاهد أو سأل .

قصة الحديث شائقة حملت معها سمات من التاريخ الاسلامى وأحداثه أثرت فيه وتأثرت به ، فرجال التشريع الاسلامي وجدوا فى الحديث مصدرا وثيقا يلى القرآن ولكنه يحدد ما أجمل فى القرآن فإذا كان القرآن يدعو إلى الصلاة فان فعل الرسول ﷺ وقوله أو باصطلاحنا هنا فان حديث الرسول ﷺ قد فصل كيفية الصلاة ووقتها وعدد ركعاتها والغرض منها ، والنافلة هذه ناحية ، ناحية نجد فيها الحديث يتعرض لتنظيم أمور الحياة العملية والدينية أيام الحرب والسلم على السواء ، فعلى مدي ثلاث وعشرين سنة كان يعرض للناس أيام الرسول ﷺ أشياء فى حياتهم اليومية يسألون الرسول فيها ويجيب عنها أو تطرأ عليهم مسائل فى دينهم يستفهمون الرسول فيوضحها أو ثمة شئون فى السلوك الفردي أو الاجتماعي أو الخلقى تحتاج جميعا إلى بيان من المعلم الاسلامي الأول وعلاقات بين المسلمين والمشركين أوقات السلم أو الحرب للرسول فيها رأي ولجماعة المسلمين استشارة وفكر ، كل هذا سجله الحديث ويتنوع أبوابا حسب الموضوع الذي ينتسب إليه فى كتب الحديث المعتمدة والتى سنعرض لأمهاتها فيما بعد ...

ذلك جانب تبدو فيه قيمة الحديث الدينية كمصدر من مصادر التشريع فى الاسلام ، ومع ما للحديث من هذه القيمة فقد أحاطت به عوامل شككت فى بعضه أول الأمر ، فالقرآن مثلا منذ بداية نزوله كانت تحوطه أسباب الصيانة والحفظ إذ اتخذ الرسول ﷺ كتبه للوحي يدونونه كلما نزل بينما لانجد الرسول يتخذ كتبه للحديث بل تجد فى بعض الروايات نهيا واضحا عن تدوين الحديث من مثل مارواه مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدري عن النبى

ﷺ أنه قال : « لاتكتبوا عنى ، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عنى فلا حرج ، ومن كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

ومن جهة أخري نجد من الروايات مايبيح تدوين الحديث من مثل مارواه البخاري فى صحيحه عن أبى هريرة من أن خزاعة قتلوا رجلا من بنى ليث عام فتح مكة بقتيل منهم قتلوه ، فأُخبر بذلك النبى ﷺ فركب راحلته فخطب فقال : « ان الله حبس عن مكة القتل وسلط عليهم رسول الله ﷺ والمؤمنون ، وانها لم تحل لأحد قبلى ولن تحل لأحد بعدي ، ألا وانها أحلتِ لى ساعة من نهار وانها ساعتي هذه حرام لايختكي شوكها ولايعضد شجرها ولاتلتقط ساقطتها الا لمنشد ، فمن قتل له قتيل فهو بخير النظر بين اما أن يقتل ، وأما أن يفاد أهل القتيل ، فجاء رجل من أهل اليمن فقال اكتب لى يارسول الله (يريد أن يكتب له الخطبة التى سمعها منه) فقال ﷺ : « اكتبوا لأبى فلان » .

وكذلك ماروي من أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يدون ما يسمعه من حديث الرسول أولا بأول .

ويقف العلماء من هذين الموقفين المتناقضين يوفقون بينهما فيرون أن كلمة النهى عن التدوين إنما كانت أول نزول القرآن وخشية أن يلتبس الحديث بالقرآن خاصة الاسلام مايزال فى بدايته واعتماد العرب على الذاكرة والحفظ ، وعلى أي الاحوال فان الحديث إذا لم يكن كله قد دوّن فان كثيرا منه وعته ذاكرة المسلمين ، وان لم يكن هذا الحفظ متساويا فى القسمة بين الراوين والحافظين .

ويفارق الرسول ﷺ الدنيا مخلفا بعده القرآن وقد دوّن أما الحديث فيروي شفاها بغير تدوين ، ويتولى الصحابة من بعده تطبيق المباديء الاسلامية معتمدين فى ذلك على القرآن كمصدر أول وعلى حديث الرسول ﷺ كمصدر ثان ، وكانوا يتحرجون بخاصة فى الأخذ بحديث الرسول ﷺ حتى يستوثقوا من صدقه ، وفى كتب الحديث كثير من الروايات عن أبى بكر وعمر وعلى وغيرهم مما يؤيد مظاهر هذا التحرج فى الرواية عن الرسول ﷺ ، ولم

يكن هذا التحرج لأن عوامل الكذب قد بدأت تأخذ سبيلها إلى حديث رسول الله ﷺ ليس بعد وفاة الرسول فحسب وإنما كان بعصره ذاته محدثون .

« من كذب عليّ عامدا متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » ...

إنما هو تصور لملفقات ومزورات وضعت على رسول الله ﷺ وكان من الطبيعي أن توضع فى حياته كمظهر من مظاهر الحرب النفسية أو الحرب القولية ان جاز التعبير ، فإذا ما كان عهد أبى بكر وحركة الارتداد أتيح مناخ آخر للوضع والتلفيق وهكذا تجدّ على المسلمين فى تاريخهم ظروف تحمل على الكذب فى حديث الرسول وتعاون فى هذا الكذب ناس من أعداء الاسلام وآخرون من المسلمين أنفسهم .

وتصور لنا كثير من الروايات مظاهر هذا الوضع فى الحديث سواء على يد من ساءت نيتهم أو بواسطة من حسن مقصدهم ، فعبد الكريم بن أبى العوجاء يقر بوضع أربعة آلاف حديث ، وعبد الكريم هذا هو خال معن بن زائدة الذي اتهم المانونية أحاديثه فيها من التشبيه والتعطيل وتغيير أحكام الشريعة الشيء الكثير الذي يتنافى والاسلام وهذه أحاديث التفسير وقد بلغت بضعة آلاف لم يصح منها عند ابن حنبل شيء ، وإذا كانت عدة الاحاديث فى صحيح البخاري سبعة آلاف منها ثلاثة آلاف مكررة فانه يقال أن البخاري انتخبها من نحو ستمائة ألف حديث استفاضت روايتها فى عصره .

ويذكر مسلم رواية لابن سعيد القطان أنه قال : « لم نر الصالحين فى شيء أكذب منهم فى الحديث ، ويفسر هذا مسلم بأنه يجري الكذب على لسانهم ولايتعمدون الكذب وسنعرض عما قليل لتفصيل هذا .

لقد كان بعض الرواة سليم النية فيما يروي فهو يجمع كل ما أتاه على أنه صحيح وهو فى ذاته صادق لكن ماجمعه فيه نظر مثال هذا ماقيل فى عبد الله بن المبارك من أنه ثقة صدوق اللسان ولكنه يأخذ عمن أقبل وأدبر .

وجماعة أخري كانت لاتري بأسا فى الوضع مادام الكلام فى ذاته حقا ، منهم طوائف الوعاظ والقصاص والزهاد يقول واحد منهم هو محمد بن سعيد الدمشقي إذا كان كلام حسن لم أر بأسا أن أجعل له اسنادا .

وليس هنا مجال تفصيل القول فى مظاهر وضع الحديث فذلك أمر يطول ولكن كان للوضع أسباب أهمها مايلى :

أولا : الخصومة السياسية بين الصحابة وكان المتعصبون يضعون الاحاديث فى فضل صاحبهم بينما تكون أحاديثهم الأخرى الموضوعة فى طعن خصمهم نجد مظهرا من هذا فيما وضعته الشيعة من أحاديث فى فضل علي والطعن فى أبى بكر ، وعلى نفس المنوال صنع المتعصبون لأبى بكر وجاءنا من هذا فيمن نتج عن الخصومة بين على ومعاوية وبين عبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان ثم بين الامويين والعباسيين والعلويين بعضهم مع بعض .

ويتصل بهذه الخصومة السياسية الخصومة القبلية فوجدت القبائل فى الحديث مجالا تتفاخر فيه وتنازع غيرها السيادة والشرف وجاءنا من الحديث الموضوع كثير فى فضل قريش وجهين وأسلم ... الخ .

كذلك كان الحديث موضوعا للعصبية الجنسية فكان هناك الحديث الذي يرفع من شأن العرب ويحط من شأن الاجناس الاخري كالفرس والروم والترك والحبشة ... الخ .

وكان على الأخيرين أن يضعوا من الحديث مايحط من شأن العرب ويرفع من أمر جنسياتهم ، وتعدي الحديث الموضوع نطاق السياسة والقبيلة والجنس إلى مجال الاماكن والبلدان فقل أن نجد بلدا كبيرا الا وفيه حديث يشيد بفضله فمصر ومكة والمدينة ودمشق وبيت المقدس ... الخ كلها فيها أحاديث موضوعه .

ثانيا : الخلافات الكلامية والفقهية :

فلقد حاولت كل فرقة كلامية أن تدعم مذهبها بأن تسند مبادئها إلى أحاديث وآثار عن الرسول وأن تذكر من جهة ثانية أحاديث أخرى تطعن فى الفرق المخالفة لها ولا تكتفى بهذا وإنما يجيء من الحديث مافيه طعن صريح يتضمن اسم رئيس الفرقة المخالفة ويفصل

فى دقائق المسائل الكلامية مما لايعقل صدوره عن الرسول ﷺ وليس مما يتفق وطبيعة الاشياء أن يكون حتى فى عصر الرسول نفسه وفى ميدان الفقه نجد أنه فى الخلافات الدقيقة يجلب الفقهاء الاحاديث المناصرة لتفريعاتهم الفقهية حتى أننا نجد فى كتب الفقه الحنفى الكثير جدا من الاحاديث التى تنصر هذا الجانب من الرأي الفقهي وفى الوقت عينه أحاديث أخري تؤيد الجانب المخالف ويستفيض هذا الحديث فى كتب الفقه الحنفى بينما صاحب المذهب نفسه الامام أبو حنيفة لم يصح عنده من الاحاديث شيء ، بل ان ابن خلدون يذكر أن ما استجازه أبو حنيفة من الحديث لايتجاوز سبعة عشر حديثا .

ثالثا : رأي بعض من أحبوا الدنيا أن يتوسلوا إلى الامراء والخلفاء بالدين فوضعوا الحديث الذي يتفق وهوي هؤلاء الامراء والخلفاء وساروا بذلك فى تيار النفاق الذي سلكه من قبلهم الادباء شعراء وكتاب .

رابعا : قصد بعض الصالحين قصدا حين رأوا اقبال الناس على الدنيا واشتغالهم بغير الدين أن يضعوا الحديث مرغبين ومرهبين فكان منهم من تصدي لوضع أحاديث فى فضائل سور القرآن سورة سورة ونجد أمثلة لها فى تفسير الكشاف يجيء بها فى نهاية تفسير كل سورة وعمل فى هذا الطريق جماعة الزهاد والقصاص .

خامسا : حين اتسعت الدولة الاسلامية بفتحها أمصارا ذات حضارات قديمة وديانات بائدة وثقافات مختلفة كان من الطبيعي والسيادة ماتزال للدين متمثلا فى الكتاب والسنة ... كان من الطبيعي أن تتسرب آثار هذا كله عن طريق الحديث لكي يقبله الناس ولكى يجد سبيلا إلى قلوبهم وبذلك كان الحديث معرضا متباين الصور تري فيه الحكم الفقهي المصنوع والحكمة الهندية والفلسفة الزردشتية والموعظة الاسرائيلية أو النصرانية .

دفعت هذه الفوضي فى صناعة الحديث وروايته جماعة من العلماء الثقات إلى أن ينهجوا مناهج فى تنقية الحديث وتمييز صادقه من كاذبه ومن ثم كانت الحاجة ماسة إلى نقد الاسناد لمعرفة قيمة المحدث وهكذا بدأ هؤلاء فى تشريح الرجال المحدثين بتجريحهم أو تعديلهم مستثنين الصحابة وان كان فريق آخر يخضع الصحابة لمقاييس النقد .

« قال الغزالى : والذي عليه سلف الأمة وجماهير الخلف أن عدالتهم (أي الصحابة) معلومة بتعديل الله عز وجل اياهم وثنائه عليهم فى كتابه ، فهو معتقدنا فيهم الا أن يثبت بطريق قاطع ارتكاب واحد لفسق مع علمه بذلك ، وذلك مما لايثبت فلا حاجة لهم إلى التعديل ، وقد زعم قوم أن حالهم كحال غيرهم فى لزوم البحث وقال قوم : حالهم العدالة فى بداية الأمر إلى ظهور الحرب والخصومات ثم تغيرت الحال وسفكت الدماء فلابد من البحث ... ثم فسر الصحابى المعني بهذا بمن كثرت صحبته للنبي ﷺ » .

ونتوقف هنا عند مؤلف فى القرن الهجري هو شمس الدين الذهبى (ت ٧٤٨) فى كتابه ميزان الاعتدال فانه يوضح لنا فى مقدمته أمورا هامة يبدأها بذكر أهم المؤلفات فى الجرح والتعديل .

« فهذا كتاب جليل مبسوط فى ايضاح نقلة العلم النبوي وحملة الآثار ألفته بعد كتابى المبعوث بالمغني وطولت العبارة ، وفيه أسماء عدة من الرواة زائدا على من فى المغنى زدت معظمهم من الكتاب الحامل المذيل على الكامل لابن عدي ...

وقد ألف الحفاظ مصنفات جمة فى الجرح والتعديل ما بين اختصار وتطويل ، فأول من جمع كلامه فى ذلك الامام الذي قال فيه أحمد بن حنبل مارأيت بعيني مثل يحي بن سعيد القطان وتكلم فى ذاك بعده تلامذته يحي بن معين وعلى بن المديني وأحمد بن حنبل وعمرو بن على الفلاس وأبو خيثمة وتلامذتهم كأبى زرعة وأبى حاتم والبخاري ومسلم وأبى اسحق الجوزجاني السعدي وخلق من بعدهم مثل النسائى وابن خزيمة والترمذي والدولابى والعقيلى وله مصنف مفيد فى معرفة الضعفاء ولأبى حاتم بن حبان كتاب كبير

عندي فى ذلك ولأبى أحمد بن عدي كتاب الكامل وهو اكمل الكتب وأجلها فى ذلك ، وكتب أبى الفتح الازري وكتاب أبى محمد بن أبى حاتم فى الجرح والتعديل والضعفاء للدارقطني والضعفاء للحاكم وغير ذلك ، وقد ذيّل ابن طاهر المقدسي على الكامل لابن عدي بكتاب لم أره وصنف أبو الفرج بن الجوزي كتابا كبيرا فى ذلك كنت اختصرته أولا ثم ذيلت عليه ذيلا بعد ذيل ويشرح منهجه فى كتابه : « والساعة فقد استخرت الله عز وجل فى عمل هذا المصنف ورتبته على حروف المعجم حتى فى الآباء ليقرب تناوله ورمزت عليه اسم الرجل من أخرج فى كتابه من الأئمة الستة البخاري ومسلم وأبى داود والنسائى والترمذي وابن ماجة برموزهم السائرة ، فان اجتمعوا على اخراج رجل فالرمز ع وان اتفق عليه أرباب السنن فالرمز عو ، وفيه من تكلم فيه مع ثقته وجلالته بأدنى لين وبأقل تجريح فلولا أن ابن عدي أو غيره من مؤلفى كتب الجرح ذكروا ذلك الشخص لما ذكرته لثقته ولم أر من الرأي أن أحذف اسم أحد ممن له ذكر بتليين مافى كتب الائمة المذكورين خوفا من أن يتعقب على لا أنى ذكرته لضعف فيه عندي وماكان فى كتاب البخاري وابن عدي وغيرهما من الصحابة فاني اسقطهم لجلالة الصحابة رضى الله عنهم ولا أذكرهم فى هذا المصنف إذ كان الضعف إنما جاء من جهة الرواة إليهم ، وكذا لا أذكر فى كتابى من الائمة المتبوعين فى الفروع أحدا لجلالتهم فى الاسلام وعظمتهم فى النفوس مثل أبى حنيفة والشافعي والبخاري فان ذكرت أحدا منهم فاذكره على الانصاف ومايصيره ذلك عند الله ولا عند الناس إذ إنما يضير الانسان الكذب والاصرار علي كثرة الخطأ والتجري على تدليس الباطل فانه خيانة وجناية والمرء المسلم يطبع على كل شيء الا الخيانة والكذب » .

ويسرد فئات من الكذابين والوضاعين ممن احتواهم كتابه « فقد احتوي كتابى هذا على ذكر الكذابين والوضاعين المعتمدين قاتلهم الله ، وعلى الكاذبين فى أنهم سمعوا ولم يكونوا سمعوا ثم المتهمين بالوضع أو التزوير ، ثم على الكذابين فى لهجتهم لافى الحديث النبوي ، ثم على المتروكين الهلكى الذين كثر خطأهم وترك حديثهم ولم يعتمد على روايتهم ثم على الحفاظ الذين فى دينهم رقة وفى عدالتهم وهن ، ثم على المحدثين الضعفاء من قبل حفظهم فلهم غلط وأوهام ولم

يترك حديثهم بل يقبل ماروره فى الشواهد والاعتبار بهم لا فى الاصول والحلال والحرام ، ثم على المحدثين الصادقين أو الشيوخ المستورين الذين فيهم لين ولم يبلغوا رتبة الأثبات المتقنين ، ثم على خلق كثير من المجهولين ممن ينص أبو حاتم الرازي على أنه مجهول أو يقول فيه غيره لايعرف أو فيه جهالة أو يجهل أو نحو ذلك من العبارات التى تدل على عدم شهرة الشيخ بالصدق إذ المجهول غير محتج به ، ثم على الثقات الأثبات الذين فيهم بدعة وضعهم مع الكذابين بسبب النقد وان كان متعنتا وهم ليسوا من هذه الفئة ، أو الثقات الذين تكلم فيهم من لايلتفت إلى كلامه فى ذلك الثقة لكونه تعنت فيه وخالف الجمهور من أولى النقد والتحرير فانّا لاندعي العصمة من السهو والخطأ فى الاجتهاد فى غير الأنبياء عليهم السلام » .

ثم البدعة كبري وصغري روي عاصم الأحول عن ابن سيرين قال لم يكونوا يسألون عن الاسناد حتى وقعت الفتنة فلما وقعت نظروا من كان من أهل السنة أخذوا حديثه ومن كان من أهل البدع تركوا حديثه ..

وروي هشام عن الحسن قال : لاتفاتحوا أهل الاهواء ولاتسمعوا منهم فالتليين بالبدعة باب خلف فيه اختلاف بين العلماء ليس هذا موضع تقريره ... ولم أتعرض لذكر من قيل فيه محله الصدق ولا من قيل فيه لابأس به ولا من قيل هو صالح الحديث أو يكتب حديثه ، أو هو شيخ فان هذا وشبهه يدل على عدم الضعف المطلق ويتلوهم بذكر مراتب الثقات المعدلين .

فأعلى العبارات فى الرواة المقبولين ثبت حجة حافظ وثقة متقن ، وثقة ثم ثقة ، ثم صدوق ، ولا بأس به ، وليس به بأس ثم محله الصدق ، وجيد الحديث ، وصالح الحديث ، وشيخ وسط وشيخ حسن الحديث ، وصدوق ان شاء الله ، وصويلح ، ونحو ذلك .

ويبين تفصيلا مراتب الجرح « وأردأ عبارات الجرح : دجال كذاب ، أو وضاع يضع الحديث ، ثم حقهم بالكذب ، ومتفق على تركه ثم متروك ، ليس بثقة ، وسكتوا عنه ، وذاهب الحديث ، وفيه نظر وهالك ، وساقط ، ثم واه بمرة ، وليس بشيء ، وضعيف جدا ، وضعفوه ضعيف واه ، وفيه ضعف ،

وقد ضعف ، ليس بالقوي ، ليس بحجة ، ليس بذاك ، يعرف وينكر ، فيه مقال ، تكلم فيه ، لين ، سيء الحفظ لايحتج به ، اختلف فيه ، صودق لكنه مبتد » ، ونحو ذلك من العبارات التى تدل بوضعها على اطراح الراوي بالاصالة أو على ضعفه أو علي التوقف فيه ، أو على جواز أن يحتج به مع لين مافيه .

نعم وكذلك من قد تكلم فيه المتأخرين لا أورد منهم الا من قد تبين ضعفه واتضح أمره من الرواة إذ العمدة فى زماننا ليس على الرواة بل على المحدثين والمقيدين والذين عرفت عدالتهم وصدقهم فى ضبط اسماء السامعين ، ثم من المعلوم أنه لابد من صون الراوي وستره فالحد الفاصل بين المتقدم والمتأخر هو رأس سنة ثلثمائة ولو فتحت على نفسي تليين هذا الباب لما سلم معى الا القليل إذ الأكثرون لايدرون مايروون ولا يعرفون هذا الشأن إنما سمعوا في الصغر واحتيج إلى علو سندهم فى الكبر ، فالعمدة على من قرأ لهم وعلى من أثبت طباق السماع لهم كما هو مبسوط فى علوم الحديث .

أمثلة تطبيقية على الجرح والتعديل

من ميزان الاعتدال للذهبي

ابراهيـم بن خـالد	ص ١٥
ابراهيـم بن عبد الله	ص ٢٠
جابر بن زيد الجعفـي	ص ١٧٦
خـالد بن زكـوان	ص ٢٩٦
سويدة بنت جابـر	ص ٤٣٧
شبيب بن بشـر	ص ٤٤٠
صـالح بن أبى حسان	ص ٤٥٥
ضمرة بن حبيب الحمصي	ص ٤٧٣
طلحـة بن جبيـر	ص ٤٧٧
ظبيـان	ص ٤٨١

ويبدو أن تاريخ الجرح والتعديل يمتد فى الزمان إلى عصر مبكر فقد كان من ذلك روايات نسبت إلى عهد الصحابة على لسان عبد الله بن عباس وعبادة بن الصامت وأنس بن مالك ، ويزداد الامر اتساعا فى عهد التابعين فيكون من أعلام الجرح والتعديل كالشعبى وابن سيرين والحسن البصري وسعيد بن المسيب وغيرهم ، وكان للخلاف المذهبى أكبر الاثر فى الجرح والتعديل فبينما كان رجال السنة يجرحون الاحاديث التى ترويها الشيعة عن على ويرون أنه لايصح الرواية عنه الا عن غير طريق الشيعة مثل طريق عبد الله بن مسعود بينما كان الامر هكذا من جانب أهل السنة نري أهل الشيعة لايعدلون من الاحاديث المنسوبة لعلى الا ما كان طريقه الرواه الشيعيين وهكذا

وكان من أثر هذا أن من يجرحه قوم قد يعدله آخرون واستفاض الأمر إلى حد تصوره عبارة شمس الدين الذهبى حين يقول (لم يجتمع اثنان من علماء هذا الشأن على توثيق ضعيف ولا على تضعيف ثقة) وإذا عدونا ماقد يكون فى هذه العبارة من مبالغة الا أنها من غير شك دليل على مدي سعة الخلاف بين القوم فى التجريح والتعديل .

وعلى كل حال فقد كان مدار اهتمام نقاد الحديث هو سلسلة السند أو الرواة أما متن الحديث نفسه فقل أن نظفر منهم فيه بنقد يقبله أو يزيفه ، ولنا عودة إلى بيان بعض تلك المقاييس التى كان يمكن اتخاذها فى نقد نص الحديث .

اختلف الصحابة فى الحديث عن رسول الله كثرة وقلة حسب ما أتيح لهم من مدة الصحبة وكثرة من روي عنهم وحياتهم زمنا بعد الرسول ﷺ إلى غير ذلك من أمور يمكن تبينها حين نتعرض لترجمات حياتهم . فأكثرهم حديثا أبو هريرة وعائشة أم المؤمنين وعبد الرحمن بن عمر وعبد الله بن عباس وجابر وأنس بن مالك فحديث أبى هريرة ٥٣٧٤ حديثا ، ولعائشة ٢٢١٠ ولعبد الله بن عمر وأنس بن مالك مايقرب من مسند عائشة ، ولكل من جابر بن عبد الله وعبد الله بن عباس أزيد من ١٥٠٠ ، على حين أنا نجد مثلا لعمر بن الخطاب ٥٣٧ حديثا لم يصح منها الا نحو الخمسين .

وتتلمذ على الصحابة جماعة التابعين وتكونت منهم على مر العصور سلاسل

من الرواة والمحدثين ذكر لنا نقاد الحديث أعدلها وأوثقها رواية للحديث قالوا مثلا أصح أسانيد أبي بكر : (اسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عن أبى بكر) ، وأصح أسانيد عمر (الزهري عن سالم عن أبيه عن جده وهو عمر -) ، وأصح أسانيد أبي هريرة : (الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة) وأصح أسانيد عائشة (عبيد الله بن عمر عن القاسم عن عائشة) وهكذا ..

ونتوقف قليلا عن الخوض فى شأن توثيق الحديث اسنادا أو نصا لنتابع رحلة الحديث فى التاريخ فيلفتنا أن القرن الأول جميعه يكاد يمضي ولم يصبغ الخلفاء الحديث بالصيغة الرسمية التى كان القرآن قد سبق واتخذها ، نقصد أن الخلفاء لم يفكروا فى أن يجمعوا مافى أيدي الناس من الحديث المروي ويستوثقوا منه ثم يعهدوا إلى جماعة من الصحابة بتدوين تلك الاحاديث الموثقة فى كتاب يضم شتاتها وترسل منه نسخ إلى الامصار المختلفة .

كان من غير شك ثمة عوائق كثيرة لعل من أخطرها أن الرسول ﷺ حين لحق بربه كان عدد من خلفه من الصحابة يقرب من نحو مائة وأربعة عشر ألف صحابى فيهم من سمع الحديث أو الحديثين أو مافوق ذلك ومنهم من شهد من المناسبات وأحداث التاريخ الاسلامى وتصرف الرسول ﷺ فيها قولا أو فعلا ما لم يشهد غيره .

كان اذن من الصعب جمع هذا العدد الجم واستعراض مالديهم من حديث قد تفرق فى كل أنحاء الدولة الاسلامية المتسعة وجلهم ان لم يكونوا جميعا إنما يعتمدون على الذاكرة فربما قد نسوا الكثير مما سمعوه وإنما يثيرهم مناسبة أو ظرف ما فيطفو إلى ذاكرتهم حديث قاله الرسول ﷺ أو فعل أقر عليه إلى كثير غير ذلك من عوامل يمكن تصورها ، ومن ثم ادراك مدي صعوبته ، بل واستحالة أن يدون الحديث وسط هذا الجو لكنه مامن شك فى أن الفوضي التى أصابت رواية الحديث قد كان يمكن تجنبها لو أن فكرة التدوين اقتصر فيها على مابين أيدي كبار الصحابة ويجتمع الناس من بعد على رواية هذا المجموع المدون الموثق .

وقد تأرجحت هذه الفكرة (فكرة جمع الحديث وتدوينه) بين الظهور والاختفاء فعرضت لعمر بن الخطاب ، يروي عروة أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن واستشار فيه أصحاب رسول الله ﷺ فأشار عليه عامتهم بذلك ، فلبث شهرا يستخير الله فى ذلك شاكا فيه ، ثم أصبح يوما وقد عزم الله له ، فقال : « انى ذكرت لكم من كتابة السنن ماقد علمتم ، ثم تذكرت فإذا أناس من أهل الكتاب من قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كتبا فانكبوا عليها وتركوا كتاب الله وانى والله لا ألبس كتاب الله بشيء » .

وفى العصر الاموي يطلب عمر بن عبد العزيز إلى بعض أهل العلم بل يوجه نداءا عاما إلى أهل الآفاق يطلب منهم أن يجمعوا مابين أيديهم من حديث ويدونوه لكن التاريخ لم يحفظ لنا نتيجة عملية لهذا الطلب فلعل عمر بن عبد العزيز قد توفى قبل أن تتحقق فكرته وأهمل من بعده هذا الامر .

ثم ماتلبث هذه الفكرة أن تظهر فى العصر العباسي فى عهد أبى جعفر المنصور يروي مالك بن أنس : لما حج المنصور قال لى : قد عزمت على أن آمر بكتبك هذه التى وضعتها فتنسخ ، ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين منها نسخة وآمرهم أن يعملوا بما فيها ولايتعدوه إلى غيره ، فقلت يا أمير المؤمنين لاتفعل هذا فان الناس قد سبقت إليهم أقاويل وسمعوا أحاديث ورووا روايات ، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم ، ودانوا به ، فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم » .

ونستنبط من هذا الخبر أن النية لم تكن مقصورة لديه فحسب على جمع الحديث وتدوينه إنما تعدته إلى أخذ الناس جميعا بتشريع واحد يتطور فيما بعد .

وهكذا مضي القرن الأول ولم يتخذ تدوين الحديث صفة رسمية وإنما كان يدونه نفر قليل لأنفسهم ، ويجيء القرن الثانى الهجري فتنهض جماعة من الامصار المختلفة تجمع الحديث لا بالمعنى الذي ذكرنا قبل ، ولكن بمعنى أن كل عالم جمع الاحاديث التى رويت له وصحت عنده قال ابن حجر فى شرح البخاري : « وأول ماجمع من الحديث ذلك الربيع بن صبيح المتوفى سنة ١٦٠ هـ ، وسعيد بن أبى عمرويه (سنة ١٥٦ هـ) إلى أن انتهى الأمر إلى كبار

الطبعة الثالثة ، وصنف الامام مالك الموطأ بالمدينة ، وعبد الملك بن جريج بمكه ، والاوزاعي بالشام وسفيان الثوري بالكوفة ، وحماد بن سلمة بن دينار بالبصرة ، ثم تلاهم كثير من الائمة فى التصنيف كل على حسب ماسنح له وانتهي إليه علمه « فمنها مارتب حسب أبواب الفقه كالموطأ والبخاري ومسلم ، ومنها مارتب حسب الرواة ، فيجمع ماروي أبو هريرة مثلا ثم ماروي أنس بن مالك ، وهكذا كمسند الامام أحمد ، ولانتعرض لوصف هذه الكتب فانها ألفت بعد عصرنا الذي نؤرخه .

* * *

أمثلة تطبيقية من كتاب

« ميـزان الاعتـدال لشمس الديـن الذهبـي »

حـــرف الألـــف

١ – أبان ابن اسحاق (ت الترمذي) المدني ، عن الثباح بن محمد ، وعنه يعلى بن عبيد . قال ابن معين وغيره ليس به بأس ، وقال أبو الفتح الازدي : متروك ، قلت : لايترك ، فقد وثقه أحمد والعجلي ، وأبو الفتح يسرف الجرح ، وله مصنف كبير إلى الغاية فى المجروحين ، جمع فأوعي ، وجرح خلقا بنفسه لم يسبقه أحد إلى التكلم فيهم ، وهو المتكلم فيه ، وسأذكره فى المحمدين أخبرنا أحمد بن هبة الله عن عبد المعز بن محمد ، أنبأنا زاهر ، أنبأنا أبو بكر البيهقى ، أنبأنا جناح القاضي ، حدثنا أبان بن اسحاق عن الصباح ، حدثنا بن دميم حدثنا أحمد بن أبى عرزه ... أنبأنا يعلي ... حدثنا أبان بن اسحاق بن محمد ، عن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود قال : رسول الله ﷺ : « استحيوا من الله حق الحياء » .

(الحديث أخرجه الترمذي والصباح) .

٢ – أبان بن تغلب (م . عو) الكوفى شيعي جلد . لكنه صدوق ، فلنا

صدقه .. وعليه بدعته ... وقد وثقه أحمد بن حنبل ، وابن معين وأبو حاتم ، وأورده ابن عدي وقال : كان غاليا فى التشيع .

وقال السعدي : ذائع مجاهر .

فلقائل أن يقول : كيف ساغ توثيق مبتدع وحدّ الثقة العدالة والاتقان ؟

فكيف يكون عدلا من هو صاحب بدعة ؟

وجوابه أن البدعة على ضربين : فبدعة صغري كغلو التشيع أو كالتشيع بلا غلو ولا تحرف فهذا كثير فى التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق ..

فيورد حديث هؤلاء جملوة لما رووا من الآثار النبوية فهذه مفسدة بينة ، ثم بدعة كبري كالرفض الكامل للرافضة والغلو فيه والحط من أبى بكر وعمر رضي الله عنهما والادعاء إلى غير ذلك فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة ...

وأيضا فمما استحضر الآن فى هذا الضرب رجلا لا صادقا ولا مأمونا بل الكذب شعارهم ، والنفاق دثارهم ... فكيف يقبل نقل من هذا حاله ؟

فالشيعي الغالى فى زمان السلف وعرفهم هو من تكلم فى عثمان والزبير وطلحة ومعاوية وطائفة ممن حارب عليا رضى الله عنه وتعرض لسبهم ... والغالى فى زماننا وعرفنا هو الذي يكفره هؤلاء السادة ويتبرأ من الشيخين أيضا فهذا ضال مقصر (ولم يكن أبان بن تغلب يعرض للشيخين أصلا بل قد يعتقد عليا أفضل منهما) .

* * *

سابعاً : علم الرقائق :

ونقصد به ذلك العلم الذى يتجه إلى الوعظ وترقيق القلوب بالقرآن والحديث . ونذكر هنا مايخص الحديث .

(أ) كتاب الترهيب والترغيب[1]

تأليف : الحافظ المنذرى

هو من رجال الحديث المصريين المبدعين فى القرن السابع الهجرى إذ أن الحافظ المنذرى قد صنف الحديث النبوى وفقا لموضوعى الترغيب والترهيب بينما الحديث فى كتب الصحاح والسنن مرتب على أبواب الفقه .

وللمنذرى مقدمة عن منهجه فى الكتاب الذى يصرح بأن فيه أحاديث ضعيفة من علاماتها بدؤه الحديث بلفظة (عن ..) وعدم تعليقه على الحديث فى نهاية روايته .

ولهذا الكتاب طبقتان الأولى بتحقيق (الهراس) وينبه على الأحاديث الضعيفة فى نهايتها . والطبعة الثانية لمصطفى عمارة بلا تعليق .

---

(١) تحقيق مصطفى محمد عمارة ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع من ص ٣٥-٣٨ ، ٩٢ ، ٩٤ .

« وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فخُذُوهُ وَمَانَهَاكُمْ عنْهُ فَانْتَهُوا »

(قرآن كريم)

بســـم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام الحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى رحمه الله تعالى :

الحمد لله المبدىء المعيد[١]، الغنىّ الحميد ، ذى العفو الواسع والعقاب الشديد ، من هداه فهو السعيد السديد[٢] ومن أضله فهو الطريد البعيد[٣]، ومن أرشده إلى سبيل النجاة ووفقه فهو الرشيد كل الرشيد ، يعلم ماظهر ومابطن ، وماخفى وماعلن[٤]، وما هجن[٥] وماكمل ، وهو أقرب إلى كل مريد من حبل الوريد[٦]، قسم الخلق قسمين ، وجعل لهم منزلتين ، فريق فى الجنة وفريق فى السعير ، إن ربك فعّال لما يريد ، ورغب فى ثوابه ، ورهب[٧] من عقابه ، ولله الحجة البالغة ، ومن عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وماربك بظلام للعبيد . أحمده هو أهل الحمد والتحميد ، وأشكره والشكر لديه من أسباب المزيد[٨]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ذو العرش المجيد ، والبطش[٩] الشديد ، شهادة كافلة لى عنده بأعلى درجات أولى التوحيد ، فى دار القرار[١٠] والتأييد . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله البشير[١١] النذير، أشرف من أظلت السماء وأقلّت البيد[١٢] ﷺ تسليما كثيرا

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والسلام على رسول الله ، وبعد :

فهذا شرحى على الترغيب والترهيب المسمى (فتح جديد) أسأل الله أن ينفع به كما نفع بأصله إنه هو الحميد المجيد .

(١) المحيي الخلائق يوم الحشر . (٢) الموفق للصواب . (٣) المحروم من رحمة الله عز وجل .

(٤) ظهر . (٥) هجن ، الهجنة فى الكلام : العيب والقبح (٦) المريد : من له إرادة ، يعنى به الإنسان ، والوريد : عرق فى العنق : أى أن الله تعالى أقرب من مجرى الدم فى العروق وأولى بالنصر وطلب الإعانة . (٧) خوف من عقابه . (٨) تكثير النعم . (٩) الانتقام .

(١٠) الدار : اثنتان الجنة والنار ، والمراد هنا الجنة . والقرار : الاستقرار فى المكان ، والمعنى أنه يشهد لله شهادة تكون كافلة له بالاستقرار فى الجنة . (١١) يبشر الصالحين بالجنة ، ويخوف العاصين من النار . (١٢) أقلت : حملت . والبيد جمع بيداء كصحراء وزناً ومعنى ، والمراد جميع الأرض

وعلى آله وأصحابه أولى[1] المعونة على الطاعة والتأييد صلاة دائمة فى كل حين تنمو وتزيد ، ولا تنفد[2] مادامت الدنيا والآخرة ولاتبيد .

أما بعد : فلما وفقنى الله سبحانه وتعالى لإملاء كتاب مختصر أبى داود ، وإملاء كتاب الخلافيات ، ومذاهب السلف ، وذلك من فضل الله علينا وسعة منه . سألنى بعض الطلبة أولى الهمم العالية ممن اتصف بالزهد فى الدنيا والإقبال على الله عز وجل بالعلم والعمل ، زاده الله قربا منه وعزوفا[3] عن دار الغرور[4] أن أملى كتابا جامعا فى : الترغيب والترهيب ، مجرّدا عن التطويل بذكر إسناد أو كثرة تعليل ، فاستخرت الله تعالى وأسعفته بطلبته ، لما وقر عندى من صدق نيته وإخلاص طويته ، وأمليت عليه هذا الكتاب : صغير الحجم غزير العلم ، حاويا لما تفرّق فى غيره من الكتب مقتصراً فيه على ماورد ، صريحا فى الترغيب والترهيب ، ولم أذكر ما كان من أفعال النبى ﷺ المجرّدة عن زيادة نوع من صريحهما إلا نادراً فى ضمن باب أو نحوه لأنى لو فعلت ذلك لخرج هذا الاملاء إلى حدّ الإسهاب المملّ ، مع أن الهمم قد داخلها القصور[5]، والبواعث قد غلب عليها الفتور[6]. وقصر العمر مانع من استيفاء المقصود ، فأذكر الحديث ثم أعزوه[7] إلى من رواه من الأئمة أصحاب الكتب المشهورة التى يأتى ذكرها ، وقد أعزوه إلى بعضها دون بعض طلبا للاختصار لاسيما إن كان فى الصحيحين أو فى أحدهما ، ثم أشير إلى صحة إسناده وحسنه أو ضعفه ونحو ذلك ، إن لم يكن من عزوته إليه ممن التزم إخراج الصحيح فلا أذكر الإسناد كما تقدّم ، لأن المقصود الأعظم من ذكره إنما هو معرفة حاله من الصحة والحسن والضعف ونحو ذلك ، وهذا لايدركه إلا الأئمة الحفاظ أو لو المعرفة التامة والإتقان فإذا أشير إلى حاله أغنى عن التطويل بإيراده ، واشترك فى معرفة حاله من له يد فى هذه الصناعة وغيره . وأما دقائق العلل فلا مطمع فى شىء منها لغير الجهابذة[8] من النقاد أئمة هذا الشأن ، وقد أضربت عن ذكر كثير منها فى هذا الكتاب طلبا للاختصار وخوفا من التنفير المناقض للمقصود ، ولأن من تقدّم

---

(١) الذين نصروه وعزروه .　　(٢) تفنى　　(٣) أى زهداً وانصرافا

(٤) الدنيا الفانية .　　(٥) العجز .　　(٦) الملل .　　(٧) أنسبه .

(٨) العلماء الأفاضل الراسخون فى العلم .

من العلماء رضى الله عنهم أساغوا[1] التساهل فى أنواع من الترغيب والترهيب ، حتى إن كثيراً ذكروا الموضوع ولم يبينوا[2] حالة ، وقد أشبعنا الكلام على حال كثير من الأحاديث الواردة فى هذا الكتاب وفى غيره من كتبنا ، فإذا كان إسناد الحديث صحيحا أو حسنا أو ما قاربهما صدّرته بلفظة : عن ، وكذلك إن كان مرسلا أو منقطعا أو معضلا أو فى إسناده راوٍ مبهم أو ضعيف وثقُ أو ثقة ضعف وبقية رواة الإسناد ثقات أو فيهم كلام لايضرّ . أو روى مرفوعا والصحيح وقفه . أو متصلا والصحيح إرساله أو كان إسناده ضعيفا لكن صححه أو حسّنه بعض من خرّجه ، أصدّره أيضا بلفظه : عن ، ثم أشير إلى إرساله وانقطاعه أو عضله أو ذلك الراوى المختلف فيه ، فأقول فى رواية أو من طريق فلان أو فى إسناده فلان أو حول هذه العبارة ولا أذكر ماقيل فيه من جرح وتعديل خوفا من تكرار ماقيل فيه كلما ذكر وأفردت لهؤلاء المختلف فيهم بابا فى آخر الكتاب ، أذكرهم فيه مرتبا على حروف المعْجم ، وأذكر ماقيل فى كل منهم من جرح وتعديل على سبيل الاختصار ، وقد لا أذكر ذلك الراوى المختلف فيه ، فأقول إذا كان رواة إسناد الحديث ثقات وفيهم من اختلف فيه : إسناده حسن أو مستقيم أو لا بأس به ونحو ذلك حسبما يقتضيه حال الإسناد والمتن وكثرة الشواهد ، وإذا كان فى الإسناد من قيل فيه كذاب أو وضاع أو متهم أو مجمع على تركه أو ضعفه أو ذاهب الحديث أو هالك أو ساقط أو ليس بشىء أو ضعيف جدًا أو ضعيف فقط أو لم أر فيه توثيقا بحيث لايتطرق إليه احتمال التحسين صدّرته بلفظة : روى ، ولا أذكر ذلك الراوى ولا ما قيل فيه ألبتة فيكون للإسناد الضعيف دلالتان : تصديره بلفظة : روى ، وإهمال الكلام عليه فى آخره ، وقد استوعبت جميع

---

(١) أجازوا .

(٢) يريد أن يعتذر عن ترك بيان كثير من دقائق العلل ، فاعتذر بأن كثيراً من العلماء أجازوا التساهل فى أنواع من الترغيب والترهيب ، حتى أدى التساهل لبعضهم إلى ذكر أحاديث موضوعة مع عدم بيان وضعها ، فإذا كانوا قد تساهلوا إلى هذا الحد ، فليس بعيب على المؤلف أن لايبين دقائق العلل ، وهذا عذر مقبول ، وليس مراد المؤلف أن يجوز رواية الحديث الموضوع من غير بيان حالة ، فقد قال ﷺ « من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » رواه مسلم . فعلى راوى الحديث أن يتثبت من صحته ولا يروى ضعيفه وإن أجازه بعض العلماء فى ذكر الترغيب فى الخير وبيان فضائل الأعمال .

ما كان من هذا النوع من كتاب :

(١) موطأ مالك

(٢) وكتاب مسند الإمام أحمد

(٣) وكتاب صحيح البخارى

(٤) وكتاب صحيح مسلم

(٥) وكتاب سنن أبى داود وكتاب المراسيل له

(٦) وكتاب جامع أبى عيسى الترمذى

(٧) وكتاب سنن النسائى الكبرى وكتاب اليوم والليلة له

(٨) وكتاب سنن ابن ماجه

(٩) وكتاب المعجم الكبير ، وكتاب المعجم الأوسط ، وكتاب المعجم الصغير ، الثلاثة للطبرانى

(١٠) وكتاب مسند أبى يعلى الموصلى

(١١) وكتاب مسند أبى بكر البراز

(١٢) وكتاب صحيح ابن حبان

(١٣) وكتاب المستدرك على الصحيحين للحاكم أبى عبد الله النيسابورى

(١٤) رضى الله عنهم أجمعين ولم أترك شيئا من هذا النوع فى الأصول السبعة ، وصحيح ابن حبان ومستدرك الحاكم إلا ماغلب علىّ فيه ذهول حال الإملاء أو نسيان أو أكون قد ذكرت فيه مايغنى عنه ، وقد يكون للحديث دلالتان فأكثر فأذكره فى باب ثم لا أعيده فيتوهم الناظر أنى تركته ، وقد يرد الحديث عن جماعة من الصحابة بلفظ واحد وبألفاظ متقاربة فأكتفى بواحد منها عن سائرها ، وكذلك لا أترك شيئا من هذا النوع من المسانيد والمعاجم إلا ماغلب علىّ فيه ذهول أو نسيان أو يكون ماذكرت أصلح إسنادا مما تركت أو يكون ظاهر النكارة جدّا : وقد أجمع علي وضعه أو بطلانه . وأضفت إلى ذلك جملا من الأحاديث معزوّة إلى أصولها كصحيح ابن خزيمة

(١٥) وكتب ابن أبى الدنيا

(١٦) وشعب الإيمان للبيهقى . وكتاب الزهد الكبير له

(١٧) وكتاب الترغيب والترهيب لأبى القاسم الأصبهانى

وغير ذلك كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى ، واستوعبت جميع مافى كتاب أبى القاسم الأصبهانى مما لم يكن فى الكتب المذكورة وهو قليل ، وأضربت عن ذكر ماقيل فيه من الأحاديث المتحققة الوضع ، وإذا كان الحديث فى الأصول السبعة لم أعزه إلى غيرها من المسانيد والمعاجيم إلا نادراً لفائدة طلبا للاختصار ، وقد أعزوه إلى صحيح ابن حبان ومسند الحاكم إن لم يكن متنه فى الصحيحين ، وأنبه على كثير مما حضر فى حال الإملاء مما تسهل أبو داود رحمه الله تعالى فى السكوت عن تضعيفه أو الترمذى فى تحسينه أو ابن حبان والحاكم فى تصحيحه ، لا انتقاداً عليهم رضى الله عنهم بل مقياسا لمتبصر فى نظائرها من هذا الكتاب ، وكل حديث عزوته إلى أبى داود وسكت عنه فهو كما ذكر أبو داود[1] ولا ينزل عن درجة الحسن ، وقد يكون على شرط الصحيحين أو أحدهما . وأنا أستمد العون على ماذكرت من القوىّ المتين ، وأمدّ أكف الضراعة إلى من يجيب دعوة المضطرّين ، أن ينفع به كاتبه وقارئه ومستمعه وجميع المسلمين وأن يرزقنى فيه من الإخلاص ، ما يكون كفيلا لى فى الآخرة بالخلاص ، ومن التوفيق مايدلنى على أرشد طريق ، وأرجو منه الإعانة على حزن الأمر وسهله ، وأتوكل عليه ، وأعتصم بحبله ، وهو حسبى ونعم الوكيل ، ثم بعد تمامه رأيت أن أقدم فهرست مافيه من الأبواب والكتب ليسهل الكشف على من أراد شيئا من ذلك ، والله المستعان .

---

(١) نقل ابن داسة عن أبى داود أنه قال : « ذكرت فى كتابى : الصحيح ومايشبهه وما يقاربه ، وما كان فيه وهن شديد بينته » فأنت ترى أيها القارىء دقة رواية المؤلف وحسن الأدب مع النبى ﷺ وبذل الجهد فى تمييز درجة الحديث فما عليك إلا أن تتبع الأبواب لتتغذى بلبان الحكمة وتروى ظمأك بالماء القراح قال تعالى : « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب » وأنا أقدم على شرح الحديث راجيا من الله المعونة والمثوبة والهداية ، فأشرح الألفاظ وأبين معناها . ثم أردف معنى الحديث ، والله الموفق .

من ترك السنة وارتكاب البدع والأهواء . الترغيب : فى البداءة بالخير ليستن به . الترهيب : من البداءة بالشرّ خوفا أن يستنّ به

كتــاب العــلم

الترغيب فى العلم وطلبه وتعلمه وتعليمه

وما جاء فى فضل العلماء والمتعلمين

١ - عَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسول الله ﷺ مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ[١] فِي الدِّينِ ، روَاه البخارى وَمسلم وَابن ماجه ، وَروَاه أبو يعلى وزارد فيه : وَمَنْ لَمْ يُفَقِّهْهُ لَمْ يُبَالِ بِهِ[٢]، وروَاه الطبرانى فى الكبير ، وَلفظه : سَمِعْتُ رَسول الله ﷺ يَقُولُ : يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا العِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ ، وَالْفِقْهُ بِالتَّفَقُّهِ ، وَمَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ، وَإِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ[٣]، وفى إسناده راوٍ لم يسمّ ،

٢ - وَعَنْ عَبْدِ اللهِ ، يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسولُ الله ﷺ : إِذَا أَرَادَ اللهُ بَعْبدٍ خَيْرًا فَقَّهَهُ فِي الدِّينِ وَأَلْهَمَهُ رُشْدَهُ[٤]، روَاه البزاز وَالطبرانى فى الكبير بإسناد لابأس به ،

٣ - وَعَنِ ابْنِ عُمر رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا قال قالَ : رَسولُ الله ﷺ : أَفْضَلُ

---

(١) يعلمه أحكام شرعه ليعبد الله ضوء الحق إذ الفقه العلم بدقائق الأمور .

(٢) لم يقبل عبادته إذا عمل على جهل ، ولم يكترث بدعواته إذا أمكنه التعلم ولم يتعلم وفى أى واد هلك .

(٣) العلماء العاملون أكثر الناس خوفاً من عقابه جل وعلا .

(٤) وفقه إلى الرشد فعمل صالحا .

الْعِبَادَةِ الْفِقْهُ ، وَأَفْضَلُ الدِّينِ الْوَرَعُ[1] رواه الطبراني في معاجيمه الثلاثة وفي إسناده محمدُ ابن أبي ليلى .

٤ – وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قالَ : قالَ رَسول الله ﷺ : فَضْلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنَ الْعِبَادَةِ ، وخير دِينِكُمُ الْوَرَعُ ، رواه الطبراني في الأوسط ، والبزار بإسناد حسن .

٥ – وَعَنْ عَبْدَ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قالَ : قَلِيلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ الْعِبَادَةِ ، وَكَفَى بِالْمَرءِ فِقْهاً إِذَا عَبَدَ اللهَ ، وَكَفَى بالمرء جَهْلاً إذَا أعجَبَ بِرَأْيِهِ ، رواه الطبراني في الأوسط وفي إسناده إسحق بن أسيد وفيه توثيق لين ، ورفع هذا الحديث غريب ، قال البيهقي وروَيناه صحيحاً من قول مطرف بن عبد الله ابن الشخير ثم ذكره ، والله أعلم .

فصــــل

٦ – عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : مَنْ نَفَّسَ[2] عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً[3] مِنْ كُرَبِ الدُّ نيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً من كرب يَوْمِ القِيامَةِ وَمَنْ سَتَرَ[4] مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا والآخِرَة ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أخِيهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ[5] عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ ،

---

(١) الزهد ، وتحرى الحقائق ، واجتناب الشبهات .

(٢) فرج . (٣) ضيقاً وشدة وعسراً . (٤) غطى على عيوبه ولم يفضحه ونصحه بينه وبينه ، وإلا رفع أمره إلى من يردعه ويزجره – ولاستر على مثل سرقة أو مؤامرة قتل ، وهكذا ، فلابد من القبض على يديه في مثل هذه الأمور .

(٥) أنفق على طالب علم أو أنشأ معهداً أو ساعد على فهم مسألة عويصة .

وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ[1] اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ[2] بَيْنَهُمْ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ[3] الْمَلاَئِكَةُ ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ[4] وَغَشِيَتْهُمُ[5] الرَّحْمَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فيمن عِنْدَهُ ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ[6]، رواه مسلم وَأبو داود وَالترمذى وَالنسائى وَابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما .

٧ – وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسول الله ﷺ يَقُولُ : مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً سهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ ، وإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أجنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضاً لِماَ يَصْنَعُ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّي الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سائِرِ الْكَوَاكِبِ ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ ، إِنَّ الأَنْبِيَاء لَمْ يُوَرِّثوا[7] دِينَارًا وَلاَدِرْهَماً إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ ، روَاه أبو داود والترمذى وابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه والبيهقى ، وقال الترمذى : لايعرف إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة ، وليس إسنادهُ عندى بمتصل ، وإنما يروى عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن داد بن جميل عن كثير بن قيس عن أبى الدرداء عن النبى ﷺ وهذا أصلح .

(قال المملى) رحمه الله : ومن هذه الطريق رواه أبو داود ، وابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه ، والبيهقى فى الشعب وغيرها ، وقد روى عن

(١) تشمل المساجد ومعاهد الدرس وكل أمكنة طاهرة نظيفة .

(٢) يشرحون معناه ويفسرون كلامه ويفقهون مراميه . (٣) أحاطت بهم ملائكة الرحمة .

(٤) ظلة البهاء والوقار ، ونور الله جل جلاله . (٥) عمتهم .

(٦) معناه والله أعلم : أن المقصر فى حقوق الله ، والتارك العمل الصالح يحاسب حساباً عسيراً ويتأخر عن دخول الجنة حتى ينال عقابه ، ولم ينفعه شرفه الذى ينتسب إليه وإن اعظم ، والله يعذب العاصى وإن كان شريفاً قرشياً ، ويقرب المطيع وإن كان عبداً حبشياً ، وقد ضرب لذلك دستوراً لرضوانه : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) . قال تعالى : « فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » .

(٧) لم يتركوا مالا ، ولاضيعة ، ولا قصوراً لأولادهم وورثتهم ، وإنما تركوا العلم والفقه ليعمل به المهتدون فينالوا السعادة والنعيم .

الأوزاعى عن كثير بن قيس عن يزيد بن سمرة عنه ، وعن الأوزاعى عن عبد السلام بن سليم عن يزيد بن سمرة عن كثير ابن قيس عنه ، قال البَخارىُ : وهذا أصح ، وروى غير ذلك ، وقد اختلف فى هذا الحديث اختلافاً كثيراً ذكرت بعضه فى مختصر السنن ، وبسطته فى غيره ، والله أعلم .

٨ – وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : تَعَلَّمُوا الْعِلْمِ ، فَإِنْ تَعَلُّمَهُ لله خَشْيَةٌ[1] وَطَلَبُهُ عِبَادَةٌ ، ومذاكرته تَسْبِيحٌ ،

ثامنــاً : فى التوحيــد :

من معطيات سيرة الرسول ﷺ :

ان المعرفة الصحيحة بالله وبالتوحيد طريقها الرسول محمد ﷺ ...

قال الله سبحانه وتعالى :

« هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة »

وهو الامين على وحي الله أبلغه للناس وفصّله ووضحه بالسنة قولا وعملا ...

ومن هنا فسيرة الرسول ﷺ من أهم الابواب فى دراسات التوحيد ...

وإلى أمور وأمور فى سيرة الرسول وصلتها بدرس الوحيد .

* * *

لابن قتيبة كتاب تأويل مختلف الحديث ... وسبقته جهود فى جمع صحيح الحديث ، فجمعه هو صحيح التفسير ...

وفيما يلى أهم مافى الكتاب :

١ – ماذا عاب المتكلمون على أهل الحديث (فقد جاء الطبرانى فى عصر المتكلمين) .

(١) رهبة أى يدعو إلى الخوف منه جل وعلا ، ويحث على العمل الصالح .

٢ – الطعن الذي يوجهه أهل السنة للمنهج العقلى كثرة الاختلاف مع أن الآلة واحدة وهى العقل ص ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ويعيبهم ابن قتيبة ص ١٦ بأنهم باستخدامهم اللفظ الفلسفى يحملون القرآن معاني تلك الالفاظ .

٣ – الصحابة عند المعتزلة موضع للنقد للنظام ينقد عمرا وأبا بكر ص ٢٤ ، وعليا وابن مسعود ص ٢٥ ، ص ٢٦ ، وحذيفة بن اليمان وأبا هريرة ص ٢٧ ، ص ٢٨ .

٤ – استغل أهل السنة قصص العجم وآثارهم الادبية فى خدمة الاثبات (تاريخ المنهج القصصي) ص ٣٧ ، ص ٣٨ .

٥ – رأي النظام فى الاحاديث ص ٥٣ .

٦ – حضور ابن قتيبة مجالس المعتزلة وهو شاب .

٧ – تفاسير الرافضة ص ٨٤ ، ص ٨٥ ، ص ٨٦ ، ص ٨٧ ، ص ٨٨ .

٨ – جهود رجال الحديث فى جمع الحديث ص ٨٨ ، ص ٨٩ . .

٩ – ص ٦٩ مايأخذه ابن قتيبة على أهل السنة (ولهذا قام الطبري الروايات فى تفسيره) .

ص ١٠٢ قتادة وابن أبى وغيرهما لهم هوي اعتزالى ومع ذلك يروي عنهما أهل السنة ... فلم ؟؟ .

ص ١٠٤ أصحاب المنهج العقلى وهم المعتزلة هاجموا المنهج النقلى لما فيه من تناقض ولمخالفته للكتاب الذى يفهمونه وفق رأيهم المذهبي فمنذ عقد ابن قتيبة ص ١٠٤ حتى نهاية الكتاب بابا فى (ذكر الاخاديث التى أدّعوا عليها التناقض والاحاديث التى تخالف عندهم كتاب الله تعالى والاحاديث التى يدفعها النظر وحجة العقل .

وسنري ابن قتيبة المتأثر فى شبابه بمنهج المعتزلة يتخذ نفس سلاحهم وهو التأويل لنص السنة ، كما يتبين المتتبع لكتابه من أوله لآخره ثم انظر صراحة غرضه من تأليف كتابه ص ١٥٣ .

نقد المعتزلة متن الحديث الواحد أمثلة ص ١٦٠ وهناك أمثلة تتلوها ص ١٧١ قراءة ابن قتيبة فى التوراة ، وص ١٨٣ قراءته فى الانجيل ، ص ٢٦٢ ، ص ٢٦٩ ، ص ٢٠٦ ، ص ٢٠٧ جبريل عليه السلام يأتى بالقرآن والسنن للرسول . .

ص ٢٤٦ ، ص ٢٤٩ السنن عند ابن قتيبة ثلاث .

ص ٣٥٣ ومابعدها (قبلها تري ابن قتيبة يستعمل لفظة تخييل التى عيب بها الزمخشري .

ص ٣٥٦ ، ص ٣٥٧ عن القصاص .

ص ٣٦٦ عبد الله بن عمرو عارف بالسريانية والعربية .

* * *

تاسعاً : علم الرواية :

ونشأ عنه الترجمة لرواة الحديث والتاريخ لنشاطهم العلمى ، باعتبارهم حفظة هذا الحديث الضابطين لروياته .

ومن أهم مصادرها :

(أ) طبقات الحفاظ للسيوطى بتحقيق على محمد عمر ط مكتبة وهبة القاهرة من ص ٥ - ٩ من ٢٨ - ٣٠ .

(ب) تذكرة الحفاظ للذهبى ط دار إحياء التراث العربى ص ٤٨ ، ٤٩ من الجزء الأول .

(أ) طبقات الحفاظ للسيوطى

يقدم المحقق للكتاب مبرزاً وظيفة كتب الطبقات فى علم الحديث ، قائلاً :

لست بحاجة إلى تعريف القراء والباحثين بأهمية كتب الطبقات وفهارس العلماء فيما يناسب الحياة العقلية فى العصور الإسلامية السالفة وتطور الأوساط العلمية عبر هذه القرون .

وليست دراسة تلك الطبقات أقل فائدة من المصادر التى عنيت بالدول الماضية وحال رعايا البلاد ، بل كاد الباحث فيها يستجلب من أكثر صفحاتها مادة جديدة وفوائد إضافية ، مختصة بتاريخ الإسلام السياسى والاجتماعى .

ومما يدعو إلى الغبطة فى هذا الشأن أن العرب دونوا تاريخهم بعناية قل أن تساويهم فيها أمة من الأمم ، وافتنوا فى ذلك افتنانا يدعو إلى الدهشة والإعجاب ، فألفوا فى التاريخ السياسى الأسفار الطوال ، وبسطوا القول فى الحديث عن الملوك والخلفاء ، والأفراد ، والحروب ، ومظاهر الحضارة ، ودرسوا مجتمعاتهم من النواحى المختلفة ، نقرأ ذلك فى كتب الطبرى والمسعودى وابن الأثير ، كما نقرؤه فى كتب الواقدى ، واليعقوبى ، وابن خلدون ، والمقريزى ، وغير هؤلاء .

كما صنفوا فى تاريخ البلدان ، وتراجم من وردها من الصحابة والتابعين ، وتراجم من نشأ فيها وتوطنها ونسب إليها أو إلى نواحيها ، ومن دخلها من غير

كما صنفوا فى تاريخ البلدان ، وتراجم من وردها من الصحابة والتابعين ، وتراجم من نشأ فيها وتوطنها ونسب إليها أو إلى نواحيها ، ومن دخلها من غير أهلها غازيا أو تاجرا أو طالب علم كما فعل الخطيب البغدادى . فى « تاريخ بغداد » وكما فعل ابن عساكر فى « تاريخ دمشق » والرافعى القزوينى فى « تاريخ قزوين » وأبو نعيم الأصبهانى فى « تاريخ أصبهان » وكثير غير هؤلاء بل مما يدعو إلى الإعجاب والإكبار أن علماء المسلمين ألفوا فى طبقات شتى من الناس ، فألف فى « طبقات الفرسان » معمر بن المثنى ، وألف فى « طبقات أهل العلم والجهل » واصل بن عطاء ، وألف فى « طبقات البلغاء » و« طبقات الخطباء » أحمد بن محمد بن يوسف الأصبهانى ، وألف فى « طبقات المغنين » سليمان ابن أيوب المدينى .

بل ذهب علماء المسلمين إلى أبعد من ذلك ، فصنفوا فى البخلاء ، والأذكياء ، والحمقى ، والعميان ، والعور .

وكان رواة الحديث من هؤلاء الذين عنى بهم فريق من المصنفين عناية خاصة ، بل لقد ظهرت عناية المسلمين بتراجم هؤلاء الرجال منذ العصر الأول

للإسلام ، فتحدثوا عن فضائل بعض الصحابة كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وكثير غير هؤلاء مما ملئت به كتب الحديث ، فكان هذا داعياً للمؤرخين بعد ذلك لأن يحتذوا هذا الحذو ، ويقفوا على فضائل التابعين ومن بعدهم .

وأقدم كتب الطبقات التى وصلت إلينا كتاب « الطبقات الكبرى » لابن سعد المعروف بكاتب الواقدى المتوفى سنة ٢٣٠ هـ .

وطبقات ابن سعد لم تسبق – فى علمنا – إلا بطبقات أستاذه الواقدى ، وأكبر الظن أن الباعث على تأليفهما هو باعث الحديث ، ليعرف المسلمون من يصح الأخذ عنه ومن لايصح .

ثم كان أول من صنف كتاباً – بعد طبقات ابن سعد – فى تراجم المحدثين وتاريخ حياتهم هو : أبو زكريا يحيى بن معين ، المتوفى سنة ٢٣٣ هـ . وتبعه فى ذلك أبو الحسن محمد بن عبد الله بن حيوة ، المتوفى سنة ٣٦٦ هـ .

وكان من نتائج اتساع الحركة العلمية وكثرة رواية الحديث أن رأى العلماء أنفسهم بين أصناف متعددة من الرواة .

وقد قام العلماء فى هذا الباب بما يدعو إلى العجب ، فبحثوا عن كل راو وحللوه ، وتعددت الآراء المختلفة فى التجريح والتعديل . فجمعت الأخبار فى نقد المحدثين وبيان صادقهم من كاذبهم ، بل ذهب بهم الأمر إلى أبعد من ذلك « فما إن يظهر أحد بالعلم والمعرفة – ولو برواية حديث واحد أو خبر واحد – إلا يهجم عليه العلماء ويرحلون إليه يأخذون عنه ، ويعد العالم ظفرا كبيرا أن يعثر على رجل أو امرأة من هؤلاء لم يصل إليه غيره ، فيقيد عنه ما أخذ ويروى ماسمع ، وما إن يموت هذا المروى عنه الحديث أو الخبر ، أو من اشتهر بعلم أو معرفه حتى يتسابق المؤرخون إلى تدوين أصله ونسبه ، والبلاد التى تنقل فيها ، والشيوخ الذين أخذ عنهم ، والأحداث التى عرضت له فى حياته ، وتاريخ وفاته[1]. كما فعل البخارى . والنسائى والذهبى وابن حجر وغيرهم .

(١) ضحى الإسلام ٣٥٢/٢ .

فعل العلماء ذلك بل وأكثر منه لارتباط ذلك بالمسائل المتعلقة بكتاب الله الكريم وسنة نبيه ، ولارتباط ذلك أيضاً بأصول التشريع الإسلامى ، وقدم العلماء بصنيعهم هذا بين يدى النقد التاريخى عملا قيما لايعرف له الناس مثيلا فى آداب العصور الوسطى .

وقد رتبت معظم الكتب التى ألفت فى هذا الميدان إما طبقاً لأحيال المحدثين والرواة ، أو طبقاً لمواطنهم والبلاد التى نشأوا فيها أو طبقاً للترتيب الهجائى لأسمائهم .

وكتاب « طبقات الحفاظ » للسيوطى الذى نقدمه اليوم رتبت التراجم فيه طبقاً لأجيال المحدثين وطبقاتهم .

وقد لخص الإمام السيوطى طبقاته هذه من « طبقات الحفاظ » لمؤرخ الإسلام الحافظ الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ . وجمع فيها تراجم من يرجع إلى اجتهادهم فى التوثيق والتجريح ، والتضعيف والتصحيح ، وذيلها بذكر من جاء بعدهم من الحفاظ والأصوليين والمحدثين ورتبها على أربع وعشرين طبقة ، تبتدىء الطبقة الأولى من كبار الصحابة ، وتنتهى الطبقة الأخيرة بابن حجر المتوفى سنة ٨٥٣ هـ .

على أننى بعد أن قارنت مافى « طبقات الحفاظ » للسيوطى بما فى « طبقات الحفاظ » للذهبى ، رأيت أن السيوطى لم يتقيد تماماً بما ذكره الذهبى فى طبقاته : فقد وجدت عند السيوطى من الآراء والقول ماليس مذكورا عند الذهبى ، وهذا الأمر يدل على أن السيوطى كان يختار ويؤلف ، ولايلخص فقط ، ومن هنا يمكن أن نستنتج أنه لاغنى للباحثين عن كل من الكتابين ، وأن لكل منهما مزاياه وسماته الخاصة .

وثمة مظهر آخر من مظاهر شأن طبقات السيوطى ، هو أنه ذيل عليها بالحفاظ الذين تلوا عصر الذهبى إلى طبقة الحافظ ابن حجر .

وقد طبع هذا الكتاب فى أوروبا مع ترجمة فرنسية سنة ١٨٣٣م . وهى طبعة يشيع فى معظمها التصحيف والتحريف والخطأ ، وربما سقط فى كثير من

المواضع مما كان سبباً فى الانصراف عن الرجوع إليها ، ولأن الرجوع إليها والحالة هذه سوف يثقل حواشى النص المحقق بذكر مافى هذه النسخة من أخطاء وتصحيفات يطول تعدادها ، نتجت عن عدم فهم النص العربى .

وينبغى أن أذكر فى هذا المقام أن الذى قام بنشر هذا الكتاب لم يكن من المتفقهين فى اللغة العربية أو من العارفين لأصولها ، ولذا رأيت أن أمثل لما جاء فى هذه الطبعة من أخطاء دون أن أحصيها .

فقد قرأ عبارة : « كان أصحاب عبد الله الذين يقرئون الناس ويعلمونهم السنة علقمة والأسود » قرأها هكذا : « كان أصحاب عبد الله المدينى يقربون الناس ويعلمونهم السنة علقمة والأسود » .

وكذلك قرأ عبارة : « هو أعنم من أهل طبقته بصناعة الحديث وأبرعهم » قرأها هكذا : « هو أعنه من أهل طبقته بصناعة الحديث وابن عميم » . وهكذا كانت معالجة الأجانب لتراثنا العربى فى بعض الأحيان عملا يثير السخرية والضحك .

هذا ولم أحاول الرجوع إلى هذه النسخة إلا فى حالة واحدة[1].

وحينما شرعت فى تحقيق هذا الكتاب رجعت إلى نسخة مخطوطة بمكتبة مصطفى فاضل بدار الكتب المصرية برقم ٥٩ تاريخ م ، وهى نسخة مكتوبة بقلم معتاد ، بخط محمد بن على الجمانى ، فرغ من كتابتها فى يوم السبت ثالث عشر من شهر رمضان سنة ١١١٨ هـ ، وتقع فى ١٩٨ ورقة وفى كل صفحة ٢١ سطرا ، ومتوسط الكلمات فى كل صفحة تسع كلمات ، ووضعت العنوانات بخط مخالف ، وفى حواشيها مايفيد إلى قراءتها ومقابلتها ، وقد اتخذت هذه النسخة أصلا فى التحقيق ، ورمزت لها بالحرف «م» .

كما رجعت إلى نسخة أخرى مخطوطة بالمكتبة التيمورية بدار الكتب برقم ٤٧٣ تاريخ — تيمور ، تمت كتابتها فى يوم السبت عاشر يوم فى رمضان سنة ١٠٨٨ هـ ، تقع فى ٣١٢ صفحة . وفى كل صفحة ٢٣ سطرا ، ومتوسط

---

(١) انظر حواشى ص ١٥٣ من هذا الكتب .

الكلمات فى كل سطر عشر كلمات ، كتبت بخط معتاد ، ووضعت العنوانات بخط مخالف ، وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف «ت» .

هذا وقد قمت بالعمل فى هذا الكتاب على الطريقة التى سرت عليها فى كتاب « طبقات المفسرين » للداودى ، من الرجوع إلى الأصول ، ورد المحرف إلى أصله ، وذكر مراجع كل ترجمة فى الحواشى ، كما قمت بضبط الكثير من أسماء الأعلام بالشكل أو باللفظ حتى يمكن الإفادة منها .

كذلك قمت فى آخر الكتاب بعمل الفهارس المتنوعة حتى يقرب النفع ، وتكمل الفائدة .

الطبقة الثالثة الوسطى من التابعين

٦٤ – الحسن بن أبى الحسن يسار البصرى ، أبو سعيد[1].

مولى زيد بن ثابت ، وقيل جابر بن عبد الله ، وقيل أبو اليسر .

ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، قال أبو بردة : أدركت الصحابة فما رأيت أحدا أشبه بهم من الحسن .

وقال خالد بن رياح الهذلى : سئل أنس بن مالك عن مسألة فقال : سلوا مولانا الحسن ، فقيل له فى ذلك ، فقال : إنه قد سمع وسمعنا ، فحفظ ونسينا .

وقال سليمان التيمى : الحسن شيخ أهل البصرة .

مات فى رجب سنة عشر ومائة .

٦٥ – جابر بن زيد أبو الشعثاء الأزدى اليَحْمَدِى الجَوْفي[2].

---

(١) له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ ٧١/١ ، وتهذيب ٢٦٣/٢ ، وحلية الأولياء ١٣١/٢ ، وخلاصة تذهيب الكمال ٦٦ ، وشذرات الذهب ١٣٦/١ ، وطبقات ابن سعد ج ٧ ق ١ ص ١٢٨ (ترجمة مطولة) ، وطبقات الشيرازى ٨٧ ، وطبقات القراء لابن الجزرى ٢٣٥/١ ، وطبقات المفسرين الداودى ١٤٧/١ ، والعبر ١٣٦/١ ، وميزان الاعتدال ٥٢٧/١ ، والنجوم الزاهرة ٢٦٧/١ ، ووفيات الأعيان ١٢٨/١ .

(٢) له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ ٧٢/١ ، وتهذيب التهذيب ٣٨/٢ ، وخلاصة تذهيب الكمال

قال ابن عباس : لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علماً من كتاب الله .

وقال الزيات : سألت ابن عباس عن شيء فقال : تسألونى وفيكم جابر بن زيد ، هو أحد العلماء .

مات سنة ثلاثين وتسعين ، أو ثلاث ومائة أو أربع ومائة .

٦٦ – أبو الخير مرثد بن عبد الله اليَزَنِي[١].

مفتى أهل مصر فى زمانه .

مات سنة تسعين .

٦٧ – إبراهيم التيمى بن زيد بن شريك أبو أسماء[٢] الكوفى[٣].

من العباد .

مات سنة اثنتين وتسعين ولم يبلغ أربعين .

٦٨ – إبراهيم النَّخَعِي بن يزيد بن قيس بن الأسود ، أبو عمران[٤] فقيه أهل الكوفة ومفتيها هو والشعبى فى زمانهما .

---

٥٠ ، وشذرات الذهب ١٠١/١ ، وطبقات ابن سعد ج ٧ ق ١ ص ١٣٠ ، وطبقات الشيرازى ٨٨ ، والعبر ١٠٨/١ ، والذهب ٢٥٤/١ .

(١) له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ ٧٣/١ ، وتهذيب التهذيب ٨٢/١٠ ، وخلاصة تذهيب الكمال ٣١٨ ، شذرات الذهب ٩٩/١ ، وطبقات ابن سعد ج ٧ ق ٢ ص ٢٠٠ ، وطبقات الشيرازى ٧٨ ، والعبر ١٠٥/١ ، واللباب ٣٠٨/٢ ، والنجوم الزاهرة ٢٢١/١ .

(٢) كذا فى مصادر الترجمة ، وفى الأصل : « أبو اسماعيل » .

(٣) له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ ٧٣/١ ، وتهذيب التهذيب ١٧٦/١ ، وخلاصة تذهيب الكمال ٢٠ ، وشذرات الذهب ١٠٠/١ ، وطبقات ابن سعد ١٩٩/٦ ، وطبقات القراء لابن الجزرى ٢٩/١ ، والعبر ١٠٦/١ ، واللباب ١٩٠/١ ، وميزان الاعتدال ٧٤/١ ، والنجوم الزاهرة ٢٢٥/١ .

(٤) له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ ٧٣/١ ، وتهذيب التهذيب ١٧٧/٣ ، وخلاصة تذهيب الكمال ٢٠ ، شذرات الذهب ١١١/١ ، وطبقات ابن سعد ١٨٨/٦ ، وطبقات الشيرازى ٨٢ ، وطبقات القراء لابن الجزرى ٢٩/١ ، والعبر ١١٣/١ ، واللباب ٢٢٠/٣ ، ميزان الاعتدال ٧٤/١ ، ووفيات الأعيان ٣/١ .

قال الأعمش . كان صيرفيا [فى][1] الحديث .

وقال إسماعيل بن أبى خالد . كان الشعبى ، وابراهيم ، وأبو الضحى مجتمعين فى المسجد يتذاكرون الحديث ، فإذا جاءهم شىء ليس عندهم فيه رواية رأوه بأبصارهم .

وقال الشعبى : ماترك بعده أعلم منه ولا الحسن ولا ابن سيرين ، ولا من أهل الكوفة ولا البصرة ولا الحجاز ولا الشام .

مات سنة ست وتسعين ، عن تسع وأربعين ، أو ثمان وخمسين .

٦٩ — على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، أبو الحسين ، وأبو الحسن أو أبو محمد أو أبو عبد الله المدنى زين العابدين[2].

قال الزهرى : مارأيت قرشيا أفضل منه ولا أفقه .

وقال مالك : كان من أهل الفضل .

وقال ابن المسيب : مارأيت أورع منه .

وقال ابن أبى شيبة : أصح الأسانيد كلها الزهرى عن على بن الحسين عن أبيه عن على .

ولد سنة ثلاث وثلاثين ، ومات سنة اثنتين وتسعين أو ثلاث أو أربع أو خمس أو تسع وتسعين ، أو سنة مائة .

٧٠ — يَحْيى بن يَعْمر البصرى أبو سليمان أو أبو سعيد أو أبو عدى[3]. قاضى مرور ، أول من نقط المصاحف .

---

(١) من تذكرة الحفاظ .

(٢) له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ ٧٤/١ ، وتهذيب التهذيب ٣٠٤/٧ ، وخلاصة تذهيب الكمال ٢٣١ ، وشذرات الذهب ١٠٤/١ ، وطبقات ابن سعد ١٥٦/٥ ، وطبقات الشيرازى ٦٣ ، وطبقات القراء لابن الجزرى ٥٣٤/١ ، والعبر ١١١/١ ، والنجوم الزاهرة ٢٢٩/١ ، ووفيات الأعيان ٣٢٠/١ .

(٣) له ترجمة فى : اخبار النحويين البصريين ٢ ، وارشاد الأريب ٢٩٦/٧ ، وبغية الوعاة ٣٤٥/٢ ، وتذكرة الحفاظ ٧٥/١ ، وتقريب التهذيب ٣٦١/٢ ، وتهذيب التهذيب ٣٠٥/١١ ، وخلاصة تذهيب الكمال ٣٦٩ ، وروضات الجنات ٢٧٢ ، وشذرات الذهب ١٧٥/١ ، وطبقات القراء

(ب) تذكرة الحفاظ للذهبى

وهذا هو المصدر الثانى فى علم الرواية ويقدم المؤلف لكتابه بقوله :

أما بعد . فهذا كتاب « طبقات الحفاظ » ومعدّلى (١) حملة العلم النبوى ومن يرجع (إلى)(٢) اجتهادهم فى التوثيق والتجريح ، والتضعيف والتصحيح . لخصتها من « طبقات » إمام الحفاظ أبى عبد الله الذهبى ، وذيلت عليه من جاء بعده .

والله أسأل الإعانة ، وبه العصمة والاستعانة .

[الطبقة الثانية من الكتاب]

كبراء التابعين وهم الطبقة الثانية من الكتاب

٢٤ ½ ع – علقمة بن قيس بن عبد الله فقيه العراق

الامام ابو شبل النخعى الكوفى خال ابراهيم النخعى وعم الاسود ولد فى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولحق الجاهلية وسمع من عمر وعثمان وابن مسعود وعلى وابى الدرداء وجوّد القرآن على ابن مسعود . وتفقه به وكان من انبل اصحابه . قال عبد الرحمن بن يزيد قال ابن مسعود : ما اقرأ شيئا وما اعلم شيئا الا وعلقمة يقرؤه ويعلمه .

قال قابوس بن ابى ظبيان قلت لابى : لأى شىء كنت تدع الصحابة وتأتى علقمة ؟ قال ادركت ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

لابن الجزرى ٣٧٢/٢ ، والفهرست لابن النديم ٤١ ، ومراتب النحويين ٢٥ ، ومرآة الجنان ٢٧١/١ ، والنجوم الزاهرة ٢١٧/١ ، ونزهة الألباء ١٦ ، ووفيات الأعيان ٢٢٦/٢ .
قال ابن خلكان : « ويعمر بالفتح ، وقيل بضم الميم ، والأول اصح وأشهر ، وسمى بذلك تفاؤلا بطول العمر » .

(١) فى ت « ومعدنى » والمثبت فى : م ، وتذكرة الحفاظ .

(٢) ساقط من : ت ، وهو فى : م .

وهم يسألون علقمة ويستفتونه .

قلت كان فقيها اماما بارعا طيب الصوت بالقرآن ثبتا فيما ينقل صاحب خير وورع كان يشبه ابن مسعود فى هديه ودلّه وسمته وفضله وكان اعرج ، اخذ عنه ابراهيم[1]، وابراهيم بن سويد النخعى ، وابو الضحى مسلم ابن صُبيح ، والشبعى ، والقاسم بن مخيمرة ويحيى بن وثاب وطائفة . مات سنة اثنتين وستين رحمه الله تعالى .

فائدة إنما توانيت فى تخريج حديث فى ترجمة علقمة وخلق كثير من المتقدمين لشهرة رواياتهم فى الكتب الستة وقصرت تراجمهم لئلا يطول الكتاب ، والله الموفق للصواب والأصول محفوظة .

٢٥ $\frac{٢}{٢}$ م ٤ – أبو مسلم الخولانى

الفقيه العابد الزاهد ريحانة الشام الذى القاه الاسود العنسى فى النار فنجا منها ذكر ذلك شرحبيل بن مسلم ، هاجر فى خلافة ابى بكر رضى الله عنه ، وروى عن عمر ومعاذ وابى عبيدة والكبار ، حدثّ عنه ابو ادريس الخولانى وابو العالية الرياحى وجبير بن نفير وعطاء وابو قلابة وطائفة وثقّه ابن معين وغيره وله مناقب وكرامات وكان يقال : هو حكيم هذه الأمة رحمه الله ومات قريبا من اثنتين وستين قال ابن سعد وغيره : مات فى دولة يزيد .

٢٦ $\frac{٣}{٢}$ ع – مسروق بن الأجدع

الامام أبو عائشة الهمدانى الكوفى الفقيه احد الاعلام وكان ابوه فارس اهل اليمن فى زمانه ومسروق هو ابن اخت البطل الكرار عمرو بن معدى كرب اخذ عن عمر وعلى ومعاذ وابن مسعود وابى وعنه ابراهيم والشعبى وابو الضحى وابو اسحاق وخلق .

فعن الشعبى ان عائشة كانت قد تبنّت مسروقا ، وعن الشعبى قال

---

(١) يعنى ابن زيد النخعى .

ماعلمت احدا كان اطلب للعلم منه وكان اعلم بالفتوى من شريح وكان شريح يستشيره ، وكان مسروق لايحتاج إلى شريح ، وقال ابو اسحاق : حج مسروق فما نام الا ساجدا حتى رجع ، وعن امرأة مسروق انه كان يصلى حتى يتورم قدماه . قال ابن المديني : ما اقدم على مسروق احدا من اصحاب عبد الله ،

* * *

عاشراً : منهج المحدثين فى نقد الحديث :

يعد الحديث مجالا خصبا لدراسات متنوعة ، ففى المقام الأول يعتبر الحديث مصدرا ثانيا من مصادر التشريع الاسلامي بعد القرآن وفى مجال التفسير يرجع إلى الحديث فى تفسير آيات القرآن مما روي تفسيره ومنه إلى الرسول ﷺ أو إلى صحابته وتابعيه .

واللغويون يعتبرون نص الحديث ميدانا يفسرون فيه غريب لفظه وفصيح كلماته ، بينما المؤرخون يعدون الحديث مصدرهم الأول في التاريخ للدعوة الاسلامية للوقوف على السيرة النبوية ، بينما رجال الفكر والثقافة يرون فى تاريخ الحديث صورة من الفكر الإسلامي فى القرون الثلاثة الأولى الهجرية ويشارك هؤلاء جميعا فى جهودهم البلاغيون حين يهتمون باستخراج مافى الحديث من صور بلاغية وألوان تعبيرية ، ويعتبر الأدباء الحديث مادة خصبة يرفدون بها أدبهم على حين أن النحويين يتعرضون للحديث من ناحية مافيه من اعراب أو للاستشهاد على وزن صرفى ، ورجل الكلام يدعم مباديء مدرسته الكلامية بنصوص من الاحاديث يفسرها التفسير الذي يخدم مذهبه ، بينما رجل الوعظ يوجه إلى السلوك القويم ويدعو إلى سيادة الاخلاق مستشهدا بروايته للحديث .

ويجد رجال تتوزع اهتماماتهم بين ميادين الحرب أو السياسة أو الاقتصاد أو التربية والتوجيه النفسي والاجتماعى – يجدون فى الحديث مضامين ذات قيمة فى مجال دراساتهم .

* وهمنا هنا الحديث عن جانب المصطلح فى دراسات علوم الحديث :

ينقسم الحديث عند العلماء به إلى صحيح وحسن وضعيف ، فالصحيح هو الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه ، ولايكون شاذا ولا معللا ... الخ ... من الصفات التى اختلف علماء الحديث بشأنها فبعضهم اشترط توفرها فى الصحيح والبعض الآخر لم ير ذلك .

وينبغى أن نتنبه إلى أن الحكم بالصحة إنما هو أولا وبالذات ينسحب على الاسناد فمتى قالوا « هذا حديث صحيح » فمعناه أنه اتصل سنده مع سائر الاوصاف المذكورة وليس من شرط أن يكون مقطوعا به فى نفس الامر إذ منه ماينفرد بروايته عدد واحد وليس من الاخبار التى أجمعت الأمة على تلقيها بالقبول وكذلك إذا قالوا فى حديث أنه « غير صحيح » فليس ذلك قطعا بأنه كذب فى نفس الأمر إذ قد يكون صدقا فى نفس الامر وإنما المراد به أنه لم يصح إسناده على الشرط المذكور .

ثم إن درجات الحديث الصحيح تتفاوت فى القوة بحسب تمكن الحديث من الصفات المذكورة التى تبتنى الصحة عليها وهى لدى علماء الحديث تتشعب إلى أقسام كثيرة يصعب تحديدها بمعني أنه لايمكننا القول بأن أصح الاسانيد على الاطلاق هو كذا ، ولكن نجد من علماء الحديث من رأوا رأيا فى أن أصح الأسانيد هو مثلا مالك عن نافع عن ابن عمر ... الخ .

أول من صنف الصحيح البخاري أبو عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفى مولاهم وتلاه أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري القشيري من أنفسهم ، ومسلم مع أنه أخذ عن البخاري واستفاد منه يشاركه فى أكثر شيوخه ، وكتاباهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز ، وهما لم يستوعبا الصحيح فى صحيحيهما ولا التزما ذلك ، فقد روي عن البخاري أنه قال : ماأدخلت فى كتاب الجامع الا ماصح وتركت من الصحاح لملال الطول .

وروي عن مسلم أنه قال : « ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ههنا يعني فى كتابه الصحيح إنما وضعت ههنا ما أجمعوا عليه .

والكتب المخرجة على كتاب البخاري أو كتاب مسلم رضى الله عنهما لم يلتزم مصنفوها فيها موافقتها فى ألفاظ الأحاديث بعينها من غير زيادة ونقصان لكونهم رووا تلك الاحاديث من غير جهة البخاري ومسلم طلبا لعلو الاسناد فحصل فيها بعض التفاوت فى الألفاظ .

وهكذا ما أخرجه المؤلفون فى تصانيفهم المستقلة كالسنن الكبير للبيهقى وشرح السنة لأبى محمد البغوي وغيرهما مما قالوا فيه : « أخرجه البخاري أو مسلم » ، فلا يستفاد بذلك أكثر من أن البخاري أو مسلما أخرج أصل ذلك الحديث مع احتمال أن يكون بينهما تفاوت فى اللفظ وربما كان تفاوتا فى بعض المعني فليس لك أن تنقل حديثا منها وتقول على هذا الوجه فى كتاب البخاري أو كتاب مسلم الا أن تقابل لفظه أو يكون الذي خرجه قد قال أخرجه البخاري بهذا اللفظ بخلاف الكتب المختصرة من الصحيحين فان مصنفيها نقلوا فيها ألفاظ الصحيحين أو أحدهما .

* * *

الحـــديث الحســـن

يري ابن الصلاح أن الحديث الحسن قسمان :

١ – أحدهما الحديث الذي لايخلو رجال اسناده عن مستور لم يتحقق أهليته غير أنه ليس مغفلا كثيرا الخطأ فيما يرويه ولا هو متهم بالكذب فى الحديث أي لم يظهر منه تعمد الكذب فى الحديث ولا لسبب آخر مفسق ويكون متن الحديث مع ذلك قد عرف بأنه روي مثله أو نحوه من وجه آخر أو أكثر حتى اعتضد بمتابعة من تابع رواية على مثله أو بما له من شاهد وهو ورود حديث آخر بنحوه فيخرج بذلك عن أن يكون شاذا أو منكرا

(٢) القسم الثاني أن يكون راويه من المشهورين بالصدق والامانة غير أنه لم يبلغ درجة رجال الصحيح لكونه يقصر عنهم فى الحفظ والاتقان وهو مع ذلك يرتفع عن حال من يعد ماينفرد به من حديثه منكرا ويعتبر فى كل هذا مع سلامة الحديث من أن يكون شاذا ومنكرا سلامته من أن يكون معللا .

وحين نسأل ما الفرق بين الصحيح والحسن نقول إن الحسن يتقاصر عن الصحيح فى أن الصحيح من شرطه أن يكون جميع رواته قد ثبتت عدالتهم وضبطهم واتقانهم أما بالنقل الصريح أو بطريق الاستفاضة . ولقد يكون راوي الحديث متأخرا عن درجة أهل الحفظ والاتقان غير أنه من المشهورين بالصدق والستر وروي مع ذلك حديثه من غير وجه فقد اجتمعت له القوة من الجهتين وذلك يرقى حديثه من درجة الحسن إلى درجة الصحيح .

مثاله : محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » محمد بن عمرو بن علقمة من المشهورين بالصدق والصيانة لكنه لم يكن من أهل الاتقان حتى ضعفه بعضهم من جهة سوء حفظه ووثقه بعضهم لصدقه وجلالته فحديثه من هذه الجهة حسن ، فلما انضم إلى ذلك كونه روي من أوجه آخر زال بذلك ماكنا نخشاه عليه من جهة سوء حفظه واغتفر به ذلك النقص اليسير فصح هذا الاسناد والتحق بدرجة الصحيح .

ويعد كتاب أبي عيسي الترمذي رحمه الله أصلا فى معرفة الحديث الحسن وهو الذي نوّه باسمه وأكثر من ذكره فى جامعه ويوجد فى متفرقات من كلام بعض مشايخه والطبقة التى قبله كأحمد بن حنبل والبخاري وغيرهما .

* * *

الضعيـــف

كل حديث لم تجتمع فيه صفات الحديث الصحيح ولا صفات الحديث

الحسن المذكورات فيما تقدم فهو حديث ضعيف ، وأطنب أبو حاتم بن حبان البستي في تقسيمه فبلغ به خمسين قسما الا واحدا .

والذي له لقب خاص معروف من أقسام ذلك : الموضوع ، والمقلوب والشاذ ، والمعلل ، والمضطرب ، والمرسل ، والمنقطع ، والمعضل والملحوظ فيما نورده من الأنواع عموم أنواع الحديث لاخصوص أنواع التقسيم الذي فرغنا الآن من أقسامه .

* * *

معرفة المسند

ذكر أبو بكر الخطيب الحافظ رحمه الله أن المسند عند أهل الحديث هو الذي اتصل اسناده من راويه إلى منتهاه ، وأكثر مايستعمل ذلك فيما جاء عن رسول الله ﷺ دون ماجاء عن الصحابة وغيرهم ، وذكر أبو عمر ابن عبد البحر الحافظ أن المسند مارفع إلى النبى ﷺ خاصة .

وقد يكون متصلا مثل : « مالك عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ » ، وقد يكون منقطعا مثل : مالك عن الزهري عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ ، فهذا مسند لأنه قد اسند إلى رسول الله ﷺ وهو منقطع لأن الزهري لم يسمع من ابن عباس رضى الله عنهم .

وحكى أبو عمرة عن قوم أن المسند لايقع الا على ما اتصل مرفوعا إلى النبى ﷺ ، قلت : وبهذا قطع الحاكم أبو عبد الله الحافظ ولم يذكر فى كتابه غيره .

فهذه أقوال ثلاثة مختلفة .

معرفة المتصل

ويقال فيه أيضا الموصول ، ومطلقه يقع على المرفوع والموقوف وهو الذي

اتصل اسناده فكان كل واحد من رواته قد سمعه ممن فوقه حتى ينتهى إلى منتهاه .

مثال المتصل المرفوع من الموطأ مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن رسول الله ﷺ .

ومثال المتصل الموقوف : « مالك عن نافع عن ابن عمر عن عمر قوله » .

معرفـــة المرفـــوع

وهو ما أضيف إلى رسول الله ﷺ خاصة ، ولا يقع مطلقه على غير ذلك نحو الموقوف على الصحابة وغيرهم ، ويدخل فى المرفوع المتصل ، والمنقطع ، والمرسل ونحوها فهو والمسند عند قوم سواء ، والانقطاع والاتصال يدخلان على المرفوع ولايقع المسند الا على المتصل المضاف إلى رسول الله ﷺ .

معرفـــة الموقـــوف

وهو مايروي عن الصحابة رضى الله عنهم من أقوالهم أو أفعالهم ونحوها فيوقف عليهم ولايتجاوز به إلى الرسول الله ﷺ ثم ان منه مايتصل الاسناد فيه إلى الصحابي فيكون من الموقوف الموصول ومنه مالا يتصل اسناده فيكون من الموقوف غير الموصول على حسب ماعرف مثله فى المرفوع إلى رسول الله ﷺ .

وموجود فى اصطلاح الفقهاء الخراسانيين تعريف الموقوف باسم الأثر قال أبو القاسم النورانى منهم فيما بلغنا عنه الفقهاء يقولون : الخبر مايروي عن النبى ﷺ والاثر مايروي عن الصحابة رضوان الله عليهم .

معرفة المقطوع

وهو غير المنقطع الذي يأتى ذكره ان شاء الله تعالى ، ويقال فى جمعه المقاطع والمقاطيع ، وهو ماجاء عن التابعين موقوفا عليهم من أقوالهم أو أفعالهم .

* * *

معرفة المرسل

وصورته التى لاخلاف فيها حديث التابعي الكبير الذي لقى جماعة من الصحابة وجالسهم كعبيد الله بن عدي بن الخيار ثم سعيد بن المسيب وأمثالهما إذا قال : « قال رسول الله ﷺ » والمشهور التسوية بين التابعين أجمعين فى ذلك رضى الله عنهم ، وله صور اختلف فيها أهى من المرسل أم لا ؟

ثم أعلم أن حكم المرسل حكم الحديث الضعيف الا أن يصح مخرجه بمجيئه من وجه آخر كما سبق بيانه فى نوع الحسن ، ولهذا احتج الشافعى رضى الله عنه بمرسلات سعيد بن المسيب رضى الله عنهما فانها وجدت مسانيد من وجوه أخر .

معرفة المنقطع

وفيه وفى الفرق بينه وبين المرسل مذاهب لأهل الحديث وغيرهم ومنها أن المنقطع مثل المرسل وكلاهما شامل لكل مالا يتصل اسناده وهذا المذهب أقرب ماصار إليه طوائف من الفقهاء وغيرهم .

معرفة المعضل

وهو لقب لنوع خاص من المنقطع ، فكل معضل منقطع وليس كل منقطع

معضلا ، وهو عبارة عما سقط بعد اسناده اثنان فصاعدا ... وأصحاب الحديث يقولون أعضل فهو معضل بفتح الضاد وهو اصطلاح مشكل المأخذ من حيث اللغة ، وبحثت فوجدت له قولهم « أمر عضيل » .. أي مستغلق شديد ولا التفات فى ذلك إلى معضل بكسر الضاد وان كان مثل عضيل فى المعنى ، ومثاله مايرويه التابعي قائلا فيه « قال رسول الله ﷺ » ، وكذلك مايرويه من دون تابعي التابعي « عن رسول الله ﷺ » أو عن أبى بكر وعمر وغيرهما غير ذاكر للوسائط بينه وبينهم .

معرفـة التدليس وحكـم المدلـس

التدليس قسمـــان :

أحدهما تدليس الاسناد ، وهو أن يروي عمن لقيه مالم يسمعه منه موهما أنه سمعه منه ، أو عمن عاصره ولم يلقه موهما أنه قد لقيه وسمعه منه . ثم قد يكون بينهما واحد وقد يكون أكثر ، ومن شأنه أن لايقول فى ذلك « أخبرنا فلان » ولا « حدثنا » وما أشبههما وإنما يقول « قال فلان أو عن فلان » ونحو ذلك ، مثال ذلك مارويناه عن على بن خشرم قال كنا عند ابن عيينة ، فقال قال الزهري ، فقيل له : « حدثكم الزهري » ؟ فسكت ثم قال : قال الزهري ، فقيل له : « سمعته من الزهري » ؟ فقال لا لم أسمعه من الزهري ولا ممن سمعه من الزهري حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى » .

القســم الثانى :

تدليس الشيوخ وهو أن يروي عن شيخ سمعه منه فيسميه أو يكنيه أو ينسبه أو يصفه بحال يعرف به كى لايعرف .

مثال : « ماروي لنا عن أبى بكر بن مجاهد الامام المقري أنه روي عن أبى بكر عبد الله عن أبى داود السجستاني فقال حدثنا عبد الله بن أبى عبد الله وروي عن أبى بكر محمد بن الحسن النقاش المفسر المقري فقال : حدثنا محمد بن سند نسبه إلى جد له » .

أما القسم الأول فمكروه جدا ذمه أكثر العلماء ، وأما القسم الثانى فأمره أخف وفيه تضييع للمروي منه وتوعير لطريق معرفته على من يطلب الوقوف على حاله وأهليته .

ويختلف الحال فى كراهة ذلك بحسب الغرض الحامل عليه ، فقد يحمله على ذلك كون شيخه الذي غير سمته غير ثقة ، أو كونه متأخر الوفاة قد شاركه فى السماع منه جماعة دونه ، أو كونه أصغر سنا من الراوي ، أو كونه كثير الرواية عنه فلا يحب الاكثار من ذكر شخص واحد على صورة واحدة وتسمح بذلك جماعة من الرواة المصنفين .

معرفـــة الشـــاذ

روينا عن يونس بن عبد الاعلى قال : قال الشافعي رحمه الله : ليس الشاذ من الحديث أن يروي الثقة مالا يروي غيره إنما الشاذ أن يروي الثقة حديثا يخالف ماروي الناس .

ويقول ابن الصلاح : إذا انفرد الراوي بشيء نظر فيه ، فان كان ما انفرد به مخالفا لما رواه من هو أولى منه بالحفظ لذلك وأضبط كان ما انفرد به شاذا مردودا ، وان لم تكن فيه مخالفة لما رواه غيره وإنما هو أمر رواه هو ولم يروه غيره فينظر فى هذا الراوي المنفرد فان كان عدلا حافظا موثوقا باتقانه وضبطه قبل ما انفرد به ولم يقدح الانفراد فيه كما سبق من الامثلة ، وان لم يكن ممن يوثق بحفظه واتقانه لذلك الذي انفرد به كان انفراده حارما له مزحزحا له عن حيز الصحيح .

ثم هو بعد ذلك دائر بين مراتب متفاوتة بحسب الحال ، فان كان المنفرد به غير بعيد من درجة الحافظ الضابط المقبول تفرده استحسنا حديثه ذلك ولم نحطه إلى قبيل الحديث الضعيف ، وان كان بعيدا من ذلك رددنا ما انفرد به وكان من قبيل الشاذ المنكر فخرج من ذلك ان الشاذ المردود قسمان : أحدهما

الحديث المفرد المخالف ، والثاني الفرد الذي ليس فيه راويه من الثقة والضبط مايقع جابرا لما يوجب التفرد والشذوذ من النكارة والضعف .

معرفــة المنكــر من الحــديث

بلغنا عن أبي بكر أحمد بن هارون البرديجي الحافظ أنه الحديث الذي ينفرد به الرجل ولايعرف متنه من غير روايته لامن الوجه الذي رواه منه ولا من وجه آخر ، فأطلق البرديجي ذلك ولم يفصل واطلاق الحكم على التفرد بالرد أو النكارة أو الشذوذ موجود فى كلام كثير من أهل الحديث والصواب فيه التفصيل الذي بيناه آنفا فى شرح الشاذ .

وعند هذا نقول : المنكر ينقسم قسمين على ماذكرناه فى الشاذ فانه بمعناه مثال الاول وهو المنفرد المخالف لما رواه الثقات .

ومثال الثانى : وهو المفرد الذي ليس فيه راويه من الثقة والاتقان مايتحمل معه تفرده .

معرفــة المضطــرب من الحــديث

المضطرب من الحديث هو الذي تختلف الرواية فيه ، فيرويه بعضهم على وجه ، وبعضهم على وجه آخر مخالف له ، وإنما نسميه مضطربا إذا تساوت الروايتان ، أما إذا ترجحت أحداهما بحيث لاتقاومها الاخري بأن يكون راويها أكثر حفظا أو أكثر صحبة للمروي عنه أو غير ذلك من وجوه الترجيحات المعتمدة ، فالحكم للراجحة ولايطلق عليه حينئذ وصف المضطرب ولا له حكمه ، ثم قد لايقع الاضطراب فى متن الحديث ، وقد لايقع فى الاسناد وقد يقع ذلك من راو واحد وقد وقع من رواة له جماعة والاضطراب موجب ضعف الحديث لاشعاره بأنه لم يضبط .

معرفة المدرج فى الحديث

وهو أقسام ، منها ما أدرج فى حديث رسول الله ﷺ من كلام بعض رواته بأن يذكر الصحابى أو من بعده عقيب مايرويه من الحديث كلاما من عند نفسه فيرويه من بعده موصولا بالحديث غير فاصل بينهما بذكر قائله فيلتبس الأمر فيه على من لايعلم حقيقة الحال ويتوهم أن الجميع عن رسول الله ﷺ ومن أمثلته المشهورة : « ماورويناه عن التشهد عن أبى خثيمة زهير بن معاوية عن الحسن بن الحر عن القاسم بن مخيمرة عن علقة عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ علمه التشهد فى الصلاة فقال قل : التحيات لله فذكر التشهد وفى آخره أن لا اله الله وأشهد أن محمدا رسول الله فإذا قلت هذا فقد قضيت صلاتك ، ان شئت أن تقوم فقم وان شئت أن تعقد فاقعد ، هكذا رواه أبو خثيمة عن الحسن بن الحر ، فأدرج فى الحديث قوله : « فإذا قلت هذا إلى آخره » وإنما هذا من كلام ابن مسعود لامن كلام رسول الله ﷺ .

ومن أقسام المدرج أن يكون متن الحديث عن الراوي له بإسناد الا طرفا منه فانه عنده باسناد ثان ، فيدرجه من رواه عنه على الإسناد الأول ، ويحذف الإسناد الثاني ويروي جميعه بالاسناد الأول .

مثاله : « حديث ابن عيينة وزائدة بن قدامة عن عاصم بن كليب عن أبيه عن وائل بن حجر فى صفة صلاة رسول الله ﷺ وفى آخره أنه جاء فى الشتاء فرآهم يرفعون أيديهم من تحت الثياب » والصواب رواية من روي عن عاصم بن كليب بهذا الاسناد صفة الصلاة خاصته وفصل ذكر رفع الايدي عنه ، فرواه عن عاصم عن عبد الجبار بن وائل عن بعض أهله عن وائل بن حجر .

ومنها أن يدرج فى متن حديث بعض متن حديث آخر مخالف للأول في الاسناد ، مثاله : « رواية سعيد بن أبى مريم عن مالك عن الزهري عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « لاتباغضوا ولاتحاسدوا ، ولاتدابروا ، ولاتنافسوا ... الحديث » .

فقوله : « لاتنافسوا » أدرجه ابن أبي مريم من متن حديث آخر رواه مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة فيه : « لاتجسسوا ، ولا تحسسوا ولاتنافسوا ، ولاتحاسدوا » والله أعلم .

ومنها أن يروي الراوي حديثا عن جماعة بينهم اختلاف فى اسناده فلا يذكر الاختلاف بل تدرج روايتهم على الاتفاق .

معرفــة الموضــــوع

وهو المختلق المصنوع ، اعلم أن الحديث الموضوع شر الاحاديث الضعيفة لاتحل روايته لأحد علم حاله فى أي معنى كان الا مقرونا ببيان وضعه بخلاف غيره من الأحاديث الضعيفة التى يحتمل صدقها فى الباطن حيث جاز روايتها فى الترغيب والترهيب على مانبينه قريبا ان شاء الله تعالى .

وإنما يعرف كون الحديث موضوعا باقرار واضعه أو مايتنزل منزلة إقراره ، وقد يفهمون الوضع من قرينة حال الراوي أو المروي ، فقد وضعت أحاديث طويلة يشهد بوضعها ركاكة ألفاظها ومعانيها .

وفيما روينا عن الامام أبي بكر السمعاني أن بعض الكوافية ذهب إلى جواز وضع الحديث فى باب الترغيب والترهيب ، ثم ان الواضع ربما وضع كلاما من عند نفسه فرواه ، وربما أخذ كلاما لبعض الحكماء أو غيرهم فوضعه على رسول الله ﷺ ، وربما غلط غالط فوقع فى شبه الوضع من غير تعمد كما وقع لثابت بن موسي الزاهد فى حديث « من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار » .

مثال : « روينا عن أبي عصمة وهو نوح بن أبي مريم أنه قيل له : من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس فى فضائل القرآن سورة سورة ؟ فقال انى رايت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي محمد بن اسحاق فوضعت هذه الأحاديث حسبة » وهكذا حال الحديث الطويل الذي يروي عن أبي بن كعب عن النبى ﷺ فى فضل القرآن سورة فسورة بحث باحث

عن مخرجه حتى انتهي إلى من اعترف بأنه وجماعة وضعوه وأن أثر الوضع لبين عليه ولقد أخطأ الواحدي المفسر ومن ذكره من المفسرين فى ايداعه تفاسيرهم « والله أعلم » .

ولكن ما يلفتنا فى دراسة المحدثين النقدية للحديث ذلك المنهج العلمى الدقيق الذي قاسوا به الحديث منبهين إلى صحيحه وسقيمه ونحن نرصد هنا دراسة تحليلية ثمار درسهم النقدي نشفعه بوجهة نظرنا .

(أ) فرجال الحديث وضعوا منهجا علميا دقيقا لنقد رواة النص وصرفوا كثيرا جدا من اهتمامهم إلى رجال السند بهدف توثيق النص فمثلا رأوا أن من شرط الصحيح أن يكون رواته كلهم ثقة ومع ذلك يحتمل ألا يكون الحديث صحيحا فى حد ذاته ويبدو أن هذا القسم من الأحاديث الصحيحة الاسناد والتى نصها غير صحيح قد استبعدها البخاري ومسلم .

(ب) يلفتنا أن القدماء تنبهوا إلى الامانة فى الاستشهاد العلمى حين قالوا بأن هناك فرقا بين قولنا « أخرجه مسلم أو البخاري » فقد يعنى هذا اختلاف النص المنقول عن الاصل فى اللفظ أو بعض المعني بينما قولنا أخرج الصحيحان هذا الحديث مثلا بلفظه يعنى لابد من التزام الحرفية التامة فى النص .

(جـ) وقد فرق العلماء بين رواة الحديث الصحيح ورواة الحسن من الحديث بأن رجال الصحيح أكثر ثقة وضبطا وهم أشهر من رجال الحسن من الحديث .

(د) كان لهم منطق سليم فى أن الحديث الحسن قد يرتفع إلى درجة الحديث الصحيح إذا كان هناك من الأحاديث مايؤيده ويقويه من طريق رواية غير الطريق الأول ، وكذلك الشأن فى المرسل الذي يرويه التابعي عن الرسول ﷺ فانه بهذه الصورة الصحيحة ضعيف ولكن إذا كانت هناك شواهد تقويه من نصوص أحاديث أخري ارتفع إلى درجة الحديث الصحيح .

(هـ) من أمهات مصادر الحديث الصحيحان وهما مصدر الأحاديث الصحاح أما جامع الترمذي فهو مصدر الأحاديث الحسنة وهنالك مصادر أخري لما دون ذلك من مراتب الحديث .

(و) خصصوا أنواع النصوص فى دائرة الحديث فمن الحديث ما ينسب للرسول ﷺ ومنه ماينسب إلى الصحابة رضوان الله عليهم ثم ماينسب إلى التابعين ، فالنص الذي للرسول ﷺ سموه مسندا أو مرفوعا والذي للصحابة سموه موقوفا أما نص التابعين فهو مقطوع .

(ز) وفيما يتصل بترابط الحلقات فى سلسلة الرواة نجد المحدثين يجعلون الحديث المسند الذي سقط أحد رواته مسندا مقطوعا أما الذي اكتمل رواته فهو مسند متصل ، وكذلك الشأن فى الحديث الموقوف ، وينبغى أن نميز بين ثلاثة أنواع من الرواة فى حالة الانقطاع :

١ - المرسل : رواية تابعى عن الرسول ﷺ .

٢ - المنقطع : يكون فى الحديث المسند أو الموقوف أو المقطوع .

٣ - المعضل : ماسقط من رواته اثنان فصاعدا .

(حـ) حوّم النقاد حول توثيق النص وان لم يقتربوا من النص فقالوا ان من التدليس تدليس الاسناد بمعنى أن يوهم الراوي أنه سمع حديثا من شيخ لقيه وليس الواقع أنه سمع منه هذا الحديث أو هو يوهم بسماعه حديثا من شيخ لم يلقه وفى كلا الامرين فان النص غير واضح النسبة إلى من رواه .

وفى النوع الثاني من التدليس وهو تدليس الشيوخ لحظ النقاد أن الراوي يلقى ظلالا من الغموض على من روي عنه الحديث ونبهوا إلى أمور قد تشجع على هذا الصنيع منها كون الشيخ غير ثقة أو هو أصغر سنا من تلاميذه ... الخ .

(ط) اتبع النقاد منهج المقابلة لتوثيق النص الذي وصفوه بالشذوذ فان النص الشاذ يقابل بمعانى الأحاديث الاخري فان خالفها وكان رواة الاحاديث

الاخري أولى منه بالثقة اعتبر نصا شاذا مرفوضا أما إذا وافقت معانى الاحاديث الاخرى فينظر فى الراوي فان كان ثقة عد حديثه شاذا انفرد به ولم يروه غيره .

وبمقياس المقابلة أيضا وجدوا أن الحديث الذي ينفرد راويه به مخالفا لسائر الاحاديث يوضع فى مرتبة المنكر ، ونقدهم هنا متجه لمناقضة معنى هذا النص من الحديث لمعانى النصوص الاخري .

كذلك رأى النقاد أن الراوى حين يكون غير ثقة فليس ينبغى له أن ينفرد برواية حديث ..

ومما يتصل أيضا بهذا المنهج فى المقارنة مقابلتهم حديثين فيلحظون أن المعنى فيهما مضطرب مع أن درجة العدالة فى رواتهما متساوية ، أما إذا كان رواة أحد النصين أوثق من الآخرين فان نص الضعفاء هو الذي يحكم عليه بالاضطراب ، بمعنى أن النقاد هنا يقيمون موازنة بين روايتين فى الحديث فيلحظون هل المعنى متفق أم مختلف ، وهل الرواة متساوون أم ينبغى الترجيح بينهم وبعد هذا كله يحكمون باضطراب الحديث أو عدم اضطرابه .

(ي) ويوقفنا عنايتهم بتحرير النص فنجدهم فى المدرج يفطنـون إلى تداخل ماهو من كلام الرسول ﷺ فى كلام غيره أو تداخل بعض أحاديث فى حديث أو تداخل اسناد فى اسناد آخر .

(ك) تنبه النقاد إلى الحديث الموضوع والاعتبارات التى تحيط بالوضع وفيما عهدناه من الاهتمام الاكثر بالراوي قالوا بضرورة النظر فى شأن هذا الراوي ، ثم نبهوا أيضا إلى الالتفات إلى نص الحديث فان ركاكة ألفاظه ومعانيه دليل على هذا الوضع .

واذن مما سبق نجد أن نقاد الحديث أفرغوا جانبا كبيرا من اهتمامهم إلى توثيق رواة الحديث ومع أنه كانت لهم اشارتهم البارعة إلى النص الا أنها تأخذ مكانا متواضعا من اهتمامهم .

ونحن نسأل إذا كان رجال الحديث أنفسهم يعترفون أن صحة الرواة قد لاتعنى صحة النص فلماذا لم يوازنوا فى نقدهم للحديث بتوزيع قدر من الاهتمام على النص تماما مثل ما أعطوه لرجال السند ؟

ولنكون منصفين فاننا نقول أن منهج رجال الحديث فى النقد يمكن أن نفيد منه أعظم الفائدة فى تصور خطة علمية تقوم على توثيق النص وتوثيق راويه والموازنة بين النصوص بالترجيح بينها وفقا لاعتبارات تحيط بالنص وراويه .

* * *

حادى عشر : الحديث وتكنولوجيا العصر :

قام كمال الدين عبد الغنى ببحث موضوعه « منهج الترمذي فى نقد الحديث » تقدم به لكلية الآداب جامعة الإسكندرية . فبرمج القواعد النظرية التى رآها الترمذى لقياس مراتب الحديث الحسن ، ومتى يكون صحيحا ، ومتى يكون غريباً ، وذلك فى الحاسب الآلى . بالأكاديمية البحرية بالاسكندرية .

وانتهى الحاسب الآلى إلى النتائج التطبيقية عينها التى قاس بها الترمذى الحديث نظرياً . أعنى أن القواعد النظرية للترمذى وتطبيقاته عليها ، أدت إلى النتائج نفسها فى الحاسب الآلى ، مما يكشف عن أصالة الفكر الإسلامى ، وأمانته ودقته .

الفصـــل الثالث

الحديث وعلوم العربية من لغة ونحو

أولا : فى لغة الحديث :

يؤرخ الدكتور حسين نصار للتأليف فى غريب الحديث ، ويقول :

لم يبدأ التدوين فى هذا النوع من اللغة مع نظيره « غريب القرآن » بل تأخر كثيرا ، وإن كان من المحتمل أن الكلام فيهما بدأ فى وقت واحد . فقد رأينا كتابا فى غريب القرآن ينسب إلى عبد الله بن عباس ، ولكننا لم نجد كتبا فى غريب الحديث تنسب إلى هذا الحبر ، أو أحد من معاصريه ، أو تلاميذه المباشرين . وإنما عزا أكثر الباحثين الكتاب الأول فى غريب الحديث إلى أبى عبيدة معمر بن المثنى (٢١٠ هـ) تبعا لابن الأثير . ولكن هذا القول يجب ألا يؤخذ قضية مسلمة ، فقد نسب ابن النديم[1] الكتاب الأول من هذا النوع إلى أبى عدنان عبد الرحمن بن عبد الأعلى ، إذ قال : « وله ... كتاب غريب الحديث ، وترجمته : « ماجاء من الحديث المأثور عن النبى ﷺ مفسراً » ، وعلى أثره « مافسر العلماء من السلف » . وكان أبو عدنان راوية « لأبى البيداء الرياحىّ ، وهو معاصر ليونس بن حبيب ، أستاذ أبى عبيدة » . فأبو عدنان إذن وأبو عبيدة متعاصران ، ومن المحتمل أن يسبق أحدهما الآخر فى التأليف فى غريب الحديث . ولكن إذا كان لنا أن نعتمد على مؤرخ ، فالأجدر بالترجيح ابن النديم ، لأنه أقدمهم وأقربهم إلى عصر هؤلاء المؤرخين ، فتقدم بذلك أبا عدنان على أبى عبيدة . ولم يصل إلينا كتاب أبى عدنان ، ولكن وصفه بابن درستويه فى قوله[2]: « ذكر فيه الأسانيد ، وصنفه على أبواب السنن والفقه ، إلا أنه ليس بالكبير » .

ولم يصل إلينا كتاب أبى عبيدة أيضا ، ولكنه دخل فى كتبُ الغريب التى ألفت بعده . ووصفه ابن الأثير فى مقدمته بقوله : « فقيل إن أول من جمع فى هذا الفن شيئاً وألف أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى . فجمع من ألفاظ غريب الحديث والأثر كتابا صغيرا ، ذا أوراق معدودات . ولم تكن قلته لجهله بغيره

(١) الخطيب : تاريخ بغداد ٤٠٤/١٣ .

(٢) نفس المصدر : ١٢ : ٤٠٥ .

من غريب الحديث ، وإنما كان ذلك لأمرين : أحدهما : أن كل مبتدىء لشيء لم يسبق إليه ، ومبتدعٍ لأمر لم يتقدم فيه عليه ، فإنه يكون قليلا ثم يكثر ، وصغيرا ثم يكبُر . والثانى : أن الناس يومئذ كان فيهم بقية ، وعندهم معرفة ، فلم يكن الجهل قد عم ، ولا الخطب قد طَمَّ » . وقد نقد ابراهيم الحربىَ كتاب أبى عبيد ، باحتوائه على عدة أحاديث لا أصل لها ، أخذها من كتاب أبى عبيدة ، مما يدل على أن الحربىّ كان لايثق بأحاديث أبى عبيدة المذكورة فى كتابه ، وإن كان غيره وثَّق أبا عبيدة ، كما يظهر من تهذيب ابن حجر ثم يسرد الباحث من صنفوا فى غريب الحديث .

* * *

وبعد هذا الحديث التاريخى عن لغة الحديث نعرض تطبيقياً لأهم المؤلفات فيه عند أبى على القالى[١] وابن الأثير الجزرى[٢].

(أ) أما أبو على القالى فكان في الغالب على ثقافته الحديث واللغة وبهذا انطبعت مؤلفاته وهو أصلاً من منازجرد بأرمينيه ثم لبث فى العراق خمساً وعشرين سنة وتتلمذ هناك على أئمة اللغة والحديث فمن المحدثين سليمان بن الاشعث السجستاني وتوفى سنة ٣٥٦ هـ بالاندلس . ومن اللغويين والنحاة ابن درستويه – الزجاج – الاخفش الصغير – نفطوية – ابن درستويه – ابن السراج – ابن الانباري – ابن قتيبة .

ونتبين منهجه فى بحث الحديث فيما نصه : « وأودعته فنوناً من الاخبار ، وضرباً من الأشعار ؛ وأنواعاً من الأمثال ، وغرائب من اللغات ؛ على أني لم أذكر فيه باباً من اللغة إلا اشبعته ، ولا ضرباً من الشعر إلا اخترته ، ولافنّاً من الخبر إلا انتحلته ، ولا نوعاً من المعاني والمثل إلا إستجدته . ثم لم أُخله من غريب القرآن وحديث الرسول ﷺ ،

---

(١) ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٨ من ص ٩–١٢ من الجزء الأول ، ومن ص ٢٦٧ إلى ٣٠٠ من الجزء الثانى .

(٢) تحقيق طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطفاحى ط عيسى البابى الحلبى بالقاهرة سنة ١٩٧١م من ص ٧٤–٧٧ .

على أنني أوردت فيه من الإبدال مالم يورده أحد ، وفسَّرت فيه من الإتباع مالم يفسره بشر ؛ ليكون الكتاب الذى استنبطه إحسان الخليفة جامعاً والديوان الذي ذكر فيه اسم الإمام كاملاً .

(أ) الأمـالى لأبى عـلى القـالى

وحدثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال حدثنا اسمعيل بن أحمد بن حفص سمعان النحوى قال حدثنا أبو عمر الضرير قال حدثنا عباد بن حبيب بن المُهَلَّب عن موسى بن محمد بن ابراهيم التيمى عن أبيه عن جده قال بيْنَا رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم جالس مع أصحابه إذ نشأت سحابة فقالوا يارسول الله هذه سحابة فقال كيف تَرونَ قَواعدَها قالوا ما أَحْسَنَها وأشَدَّ تَمَكُّنها قال وكيف ترَوْنَ رَحَاها قالوا ما أحسنَها وأشدّ استدراتَها قال وكيف ترون بَوَاسقَها قالوا ما أحسنها وأشد استقامتها قال وكيف ترون بَرقَها أوميضا أم خَفياً أم يَشُقُّ شَقًّا قالوا بل يَشُقُّ شَقًّا قال فكيف تَرَوْنَ جَوْنَها قالوا ما أحسنَه وأشد سوادَه فقال عليه السلام الحَيَا فقالوا يارسول الله مارأينا الذى هو منك أفصح قال ومايمنعنى من ذلك فإنما أنزِل القرآن بلسانى لسان عَرَبِي مُبين ﴿ قال أبو علي ﴾ قَوَاعِدُها أسافلُها واحدتها قاعدة فأما القواعد من النساء فواحدتها قاعد وهى التى قعدَتْ عن الوَلَد وذَهَب حُرْمُ الصلاة عنها ورَحَاها وَسَطُها ومُعْظَمُها وكذلك رَحَى الَحرب وَسَطُها ومعظمها حيث استدار القوم قال الشاعر

قـدارَت رَحَانـا بفُرسـانهم * فَعَـادُوا كأَنْ لم يَكُونوا رَمِيما

وبَوَاسقُها ماعلا منها وارتفع واحدتها باسِقَة وكل شيء ارتفع وطال فقد بَسَقَ يقال قد بَسَقَت النَّخْلَةُ قال الله عز وجل « والنَّخْلَ باسقات » وكذلك بسَقَ النَّبْتُ فكثر فى كلامهم حتى قالوا بَسَقَ فلان على قومه أى علاهم فى الشرف والكَرَم . والوَمِيض اللَّمْعُ الخفِي

قال أمرؤ القيس

أعِنّي على بَـرْق أراه وَميض * يُضيء حُبيًّا فى شَمـارِخَ بِيض

ويقال أوْمَضَ البرق يُومِض إيماضًا إذا لَمَعَ لَمْعاخَفيًّا وأومَضَ بَعْينهِ إذا غَمَرَ بعينه . والخَفْىُ البَرْقُ الضعيف قال أبو عمر وخَفَى البَرْقُ يَخْفي خَفْيًا إذا بَرَق بَرْقا ضعيفا وقال الكسائى خَفَابَخْفُو خَفْوًا . وجَوْنُها أسوَدُها والجَوْنُ من الاضداد يكون الأسودَ ويكون الأبيض (قال الاصمعى) وأُتِي الحَجَّاج بدِرْع وكانت صافية بيضاء فجعل لايرى صفاءها فقال له رجل وكان فصيحا « قال أبو عمر وهو أُنَيْس الجَرْمِىُّ » إن الشمس جَوْنَةٌ يعنى شديدة البريق والصفاء فقد غلب صفاؤُها بياضَ الدرع وأنشد

يُبَـادِرُ الآثـارَ أن تَؤُبـا * وحاجِـبَ الجَوْنَـةِ أن يِغَيبـا

وأنشد أبو عبيــدة

غَـيَّرَ يا بِنْتَ الحُـلَيْسِ لَونْي * طُولُ اللَّيالي واختِلاف الَجوْن

وسَفَـر كان قَلِيـلَ الأَوْن

أى الفتور، وقال الفَرزَدْقَ يصف قصرا أبيض

وجَوْنٍ عليه الجِصُّ فيه مريضة * تَطَلَّعُ منها النفسُ والموتُ حاضِرُهْ

والحَيَا مقصور الغيث والخصْب وجمعه أحياء قال الأخطل

رَبِيع حَياً مَايَستَقُّل بحَمْلِـه * سَؤُوم ولامُستَنْكِشُ البَحْرِ ناضِبُه

وأنشدنا أبو بكر بن الانبارى رحمه الله

إنَّا مُلوكُ حَيا للتابعـين لنـا * مِثْلُ الربيــع إذا مانَبْتُه نَضَرا

وقرىء على أبى بكر يوسف بن يعقوب بن اسحق بن البُهْلُول الأزرق فى مسجد الرُّصَافة وأنا أسمع قال حدثنا حميد قال حدثنا عبد الله بن نُمير قال حدثنا

عثمان بن حكيم قال أخبرنا عامر بن سعد عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ أُحَرِم مابَيْنَ لابَتيِ المدينة أن يُقْطَعُ عِضاهُها أو يقتل صيُدها وقال المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لايَخُرجُ منها أحدُ رَغْبةً عنها الأ أبْدَل الله فيها من هو خير منه ولايَصْبِرُ أحد على لأوائها وجَهْدها الا كنت شهيداً أو شفيعا يوم القيامة هكذا سمعت بلاَلَهُ ﷺ قال أبو على ﷺ اللاَّبَةُ واللُّوبَةُ الحَرَّة فمن قال لابة قال فى جمعها لأب ومن قال لُوبة قال فى الجمع نُوب قال سَلاَمة ابن جندل

حتى تركْنا وماتثْنى ظَعَائنُنا . يَأْخُذْ بيْنَ سَوَاد الخطِّ فلُّوبِ

والعضَاه كلُّ شجر له شوك يَعْظُم ومن أعْرَفِ ذلك الطَّلْح والسَّلَم والسَّيَال والعُرْفُط والسَّمُرُ والشَّبَهانُ والكَنَهْبَلُ والواحدة عِضَة قال الراعي

وخَادَعَ المَجْدَ أقوام لهم وَرَق رَاحَ العضاهُ به العِرْقُ مَدْخُولُ

واللأواءَ الشدَّة قال رؤبة

* لأواءَها والأزْل والمَضَاظَا * الأزْل الضيِّقُ والمِظَاظُ المُشارَّة يقال ماظَظْت فلانا مماظَّةً ومِظَاظا * قال أبو على ﷺ وقرىء على الأزرق وأنا أسمع قال حدثنا بشر بن مطر قال حدثنا سفيان عن عمرو وعن أبى العباس عن عبد الله بن عمرو قال قال لى رسول الله ﷺ ألَمْ أُخْبَرْ أنك تقوم الليل وتصوم النهار فقلت انى أفعل ذلك فقال انك أن فعلتَ ذلك هَجَمَتْ عيناك ونَفِهَتْ نفْسك إنَّ لَعيْنك حَقًّا ولأهْلك حقا ولنفسك حقا فقم ونم وصم وأفطر * قال أبو على ﷺ قال أبو عمر والشيبانى هَجَمَتْ عينُه وخَوصَتْ وقَدَحَتْ ونَقْنَقَتْ عينُه نَقْنَقَة كل ذلك إذا غارت . وقال الاصمعى حَجَّلَتْ عينُه وهَجَمَتْ كلاهما غارت . وجاء حاجلةً عينُه وأنشد

وأهلَكَ مُهرَ أبيك الدَّوا * ء لَيْسَ له من طعام نَصيبُ
فتُصبحُ حاجلةً عينُه * لحِنْواسْه وصَلاَهُ غُيُوبُ

وحاجلةً مِنْ حَجَلَتْ بالتخفيف والأكثر سَجَّلَتْ بالتشديد فهى مُحَجِلة . ونَفِهَتْ أعْيَتْ ويقال للمُعْي نافه ومُنَفَّه وجمع النافِهِ نُفَّه قال رؤبة

بِـهِ تَمَطَّتْ غَـوْلَ كُلِّ مِيـلَه * بِنَا حَرَاجِيجُ المَهَارِى النُّفَّه

والمِيلَهُ الذى يُوَله سالكَه بُحَيِّرِه *

قال وحدثنا أبو بكر بن الانبارى قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن خالد البزاز قال حدثنا عبيد الله بن عمرو قال حدثنا يحيى بن سفيان قال سمعت عمر وبن مرة يقول حدثنا عبد الله بن الحرث عن طُلَيْق بن قَيْس عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول فى دعاء له رَبِّ تَقَبَّلْ تَوبَتى وأَجِبْ دَعْوَتى واغْسِلْ حَوبَتى وثَبِّتْ حُجَّتى واهْد قَلْبي وسَدِّدْ لسانى واسْلُلْ سخيمة قَلْبي قال أبو بكر الحَوْبة الفَعْلة من الحُوب وهو الاثم يقال حابَ الرجل إذا أَثِم قال الله عز وجل « انه كان حُوبًا كبيرا » وقرأ الحسن انه كان حَوْبًا كبيرا فقال الفراء الحَوْبُ المصدر والُحوبُ الاسم وقال نابغة بنى شيبان

نَمَـاكَ أَرْبعـة كانـوا أئمتَنا * فكانَ مُلْكُك حَقًّا ليس بالحُوبِ

والسَّخيمة الحقد وفيه لغات يقال فى قلبى على فلان ضِغْن . وحِقْد . وضَب . وِوَتْر ودِعْث . وطائرة وتِرة . وذَحَل . وتَبْل . ووَغْم . ووَغْر . وغِمْر . ومِئرة . وإحْنة . ودِمنة . وسَخِيمة . وحَسيكة . وحسيفة . وكَتيفة . وحِشْنة . وحَزَازَة . وحَزَاز ويقال حَزَّاز قال الشاعر

فَتًى لايَنـام على دِمنـة * ولايَشـرب المـاءَ الا بِـدَم

وقال لبيد * بينى وبينهم الاحقادُ والدِّ مَنْ * وقال الأعشى

يَقُومُ على الوَغْـمِ فى قـومه * فيَعْفُـو إذا شـاء أو يَنتقـم

وقال أيضا

ومـنْ كاشـحٍ ظاهـر غمْره * إذا ما انْتَسَبْتَ له أنْكَرَنْ

وقال ذو الرمة :

إذا ما امرُؤٌ حاوَلْنَ أن يَقْتَتِلْنَه * بلا إحْنةٍ بين النُّفوسِ ولا ذَحْلِ

وقال نُصَيب :

أمِن ذِكْرِ لَيْلَى قد يُعاودني التَّبْلُ * على حين شاب الرأس واستوسق العقل

وقال القطامى

أخُوكَ الذى لاتَملِك الحِس نَفْسُه * وتَرْفَضُّ عند المُحفِظاتِ الكَتائفُ[1]

أى الاحقاد واحدُها كَتيفة . والكتيفة أيضا الضَّبَّة الحديد وأنشد أبو محمد الأموى فى الجِشْنة

ألا لا أرَى ذا جِشْنةٍ فى فُؤادِه * يُجَمْجِمُها إلا سيبدو دفينها

وأنشدنا محمد بن القاسم قال أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوى

إذا كانَ أولادُ الرجال حَزازة * فأنتَ الحَلالُ الحُلْو والباردُ العَذْبُ

وحدثنا محمد بن القاسم قال حدثنا محمد بن يونس الكُدَيْمى قال حدثنا ابراهيم بن زكريا البزاز قال حدثنا عمرو بن أزهَر عن أبانَ عن أنس قال قال النبى ﷺ « أكل السَّفَرْجَلِ يَذْهبُ بطَخَاء القَلْب » قال أبو بكر الطَّخاء الثِّقَلُ والظُّلْمة يقال ليلة طَخْياء وطاخية قال وأنشدنا أبو العباس ثعلب عن ابن الاعرابى

لَيتَ زَماني عَادَلى الاوّلُ * وما يَرُدُّ لَيْتُ أو لَعَلُّ

وليلة طَخْياء يُرْمِعِلُّ * فيها على السارى ندَى مُخْضَلُّ

﴿ قال أبو على ﴾ يقال أرمَعَل وارْمَعَنّ إذا سال وقال الطَّخَاء الغَيْم الكثيف ﴿ قال أبو على ﴾ لم أسمع الطَّخَاء الغَيم الكثيفَ الا منه فاما الذى عليه عامة

(١) قال الأزهرى هكذا روى أبو عبيد الحس بكسر الحاء ومعنى هذا البيت معنى المثل السائر الحفائظ تحلل الأحقاد يقول إذا رأيت قريبى يضام وأنا عليه واجد أخرجت مافى قلبى من السخيمة ولم أدع نصرته ومعونته ، والمحفظات الأمور التى تحفظ الرجل أى تغضبه كذا فى اللسان كتبه مصححه .

اللغويين فالطَّخَاء الغيم الذى ليس بكثيف (وقال الأصمعى) الطَّخاء والطَّهاءُ والطَّخافُ والعَماءُ الغيم الرقيق كذلك رَوَى عنه أبو حاتم . وقال أبو عبيد عنه الطَّخاء السحاب المرتفع وفسر أبو عبيد حديث النبى ﷺ قال الطَّخاء الغَشْىُ والثقَلُ وهذا شبيه بالقول الاوّل ﴿ قال أبو على ﴾ وحقيقته عندى أنه ماجَلَّلَ القَلْبَ حتى يَسُدَّ الشَّهْوةَ ولذا قيل للسَّحاب طَخاء لانه يُجلل السماء ولذلك قيل لليلة المظلمة طَخْياء لانها تُجَلِّلُ الأرضِ بظُلمتها .

* * *

« إنَّ أحَبَّكُم وأقْربكَم منى مَجْلساً يوم القيامة أحاسنُكم أخلاقا وأبغْضكم الىَّ وأبعْدَكمْ منى مَجْلسًا يوم القيامة الثَّرثارُونَ المُتشَدّقون الُمتَفيهقُون قالوا يارسول الله قد عَرَفْنا الثرثارين والمُتَشَدّقين فَمِن المُتَفَيْهقُون قال المُتكبّرون »

قال أبو بكر قال اللغويون منهم يعقوب ابن السَكّيت الثرثارون الذين يكثرون القول ولايكون الا قولا باطلا ويقال نَهْر ثَرْثار إذا كان ماؤُهُ مُصَوِتاً ومَطَر ثَرْثار وأنشد يعقوب

لشَخْبِها فى الصَّحْنِ للأعشارِ * بَرْبَرة كصَخَبِ المُمَارِى * مِنْ قادِمٍ مُنْهَمِرٍ ثَرْثارِ

وكان أبو بكر بن دريد يقول نَهْر ثَرْثار إذا كان ماؤه كثيرا ولذلك سمى النهر المعروف بالثَّرْثار وناقة ثَرَّة إذا كانت غَزِيرة اللبن وسحابة ثَرَّة كثيرة المطر وعين ثَرَّة كثير الدموع وأنشدنى

يامَنْ لعَـينٍ ثَـرةٍ المَدامـعَ * يَحْفشُها الوَجْدُ بماء هـامع

يَحفشُها يَستَخْرج كلَّ مافيها ومثل قول أبى بكر قاله أبو العباس محمد بن يزيد ﴿ قال أبو على ﴾ حدثنى بذلك عبد الله بن جعفر النحوى وأنشدنا أبو العباس لعنترة بن شداد

جادَتْ عليـها كُلُّ عين ثَرَّة * فترَكَنْ كُلَّ قرارة كالدرْهَـمِ

وقال أبو بكر يقال ثَرَرْتُ الشيءَ وثَرْثَرتهُ إذا فرقته وبددته ﴿ قال أبو على ﴾ ومنه قيل ناقة ثرور وهى مثل الفَتُوح وهى الواسعة الأَحاليل وقد فَتَحَتْ وأفْتَحَتْ الواسعة الاحاليل يخرج شَخْبها متفرقا منتشرا (وقال) غير

يعقوب المُتَفَهّق الذى يَتّسع شدْقُه وفُوه بالكلام الباطل وأصله من الفهق وهو الامتلاء قال الاعشى

تَرُوحُ عـلى آلِ المُحَلـق جَفْنة * كَجابيةِ الشَّيخ العراق تَفْهَقُ

وكان أبو مُحْرِز خَلَف يَرْوِى كجابية السَّيح ويقول الشيخ تصحيف والسَّيْح الماء الذى يَسيح على وجه الأرض أى يذهب ويَجرْى والجابية الحوضُ الذى يُجْبَى فيه الماء أى يُجْمَع وجمعها جواب قال الله عز وجل « وجِفَانٍ كالجوابِ »

* * *

(ب) النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير

لمجد الدين أبى السعادات المبارك بن محمد بن محمد الجرزي المعروف بابن الاثير .

يقول ابن الاثير فى مقدمته :

ص ٧ ... إلى عهد الامام أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي رحمه الله فصنف كتابه المشهور فى غريب الحديث وسماه الفائق ولقد صادف هذا الاسم مسمي وكشف عن غريب الحديث كلّ معّمى ورتبه على وضع اختاره مقفي على حروف المعجم ولكن فى العثور على طلب الحديث منه كلفه مشقة وان كانت دون غيره من متقدم الكتب لانه جمع فى التقفية بين ايراد الحديث مسروداً جميعه أو أكثره أو أقله ثم شرح مافيه من غريب فيجيء شرح كل كلمة يشتمل عليها ذلك الحديث فى حرف واحد من حروف المعجم فترد الكلمة فى غير حرفها وإذا تطلبها الانسان تعب حتى يجدها .

* * *

﴿ أنح ﴾ (هـ) فى حديث عمر رضى الله عنه « أنه رأى رجلا يَأنِحُ بِبطْنه » أى يُقلُّه مُثْقَلاً به ، من الأنُوح وهو صَوْت يُسْمع من الجوف معه

نَفَس وبُهْرٌ ونَهيج يَعْتَرِى السَّمين من الرجال . يقال أَنَح يأْنِحُ أُنوحاً فهو أَنُوحٌ .

﴿ أندر ﴾ (س) فيه « كان لأيوب عليه السلام أَنْدَرانِ » الأَنْدَر : البَيْدرُ ، وهو الموضع الذى يُداسُ فيه الطَّعام بلغة الشام . والأَنْدَر أيضا صُبْرة من الطَّعام ، وهَمْزة الكلمة زائدة .

﴿ أندرودية ﴾(س) فى حديث على رضى الله عنه « أنه أقبل وعليه أَنْدَرْوَرْدية » قيل هى نَوع من السَّراويل مُشَمَّر فوق التُّبَّان يُغَطِّى الرُّكبة . واللفظة أعجمية .

ومنه حديث سلمان رضى الله عنه « أنه جاء من المدائن إلى الشام وعليه كساء أندرورْد كأَنّ الأول منسوب إليه .

﴿ أندرم ﴾ فى حديث عبد الرحمن بن يزيد « وسئل كيف يُسَلِّم على أهل الذمة فقال قل أَنْدَرَايْمَ » قال أبو عبيد : هذه كلمة فارسية معناها أأَدْخُل . ولم يُرِدْ أن يَخُصَّهُم بالاسْتِئذان بالفارسية ولكنهم كانوا مَجوسا فأَمره أن يُخَاطِبَهُم بِلِسَانهم . والذى يُراد منه أنه لم يذكر السَّلام قَبْل الاسْتئذان ، ألاَ تَرَى أنه لم يقل السلام عليكم أندرايِنم .

﴿ أنس ﴾ فى حديث هاجر وإسماعيل « فلما جاء إسماعيل عليه السلام كأنه آنَسَ شيئاً » أى أَبْصَرَ ورَأى شيئاً لم يَعهْدَه . يُقال آنَسْتُ منه كذا : أى عِلِمتُ ، واسْتَأْنَسْتُ : أى اسْتَعْلَمْتُ .

(هـ) ومنه حديث ابن مسعود رضى الله عنه « كان إذا دخل داره اسْتَأنس وتكلَّم » أى اسْتَعْلم وتَبَصّر قَبْل الدخول .

ومنه الحديث « ألم تَر الْجِنّ وإبْلاَسَها ويأسها من بعد إينَاسها » أى أنها يئست مما كانت تعرفه وتُدركه من اسْتِراق السَّمع ببعثَةِ النبى ﷺ .

ومنه حديث نَجْدة الحَرُورِىّ وابن عباس « حتى يُؤْنَس منه الرشدُ » أى يُعْلَم منه كمالُ العقل وسَدَادُ الفعل وحُسْن التَّصرُّف . وقد تكرر فى الحديث .

(س) وفيه « أنه نهى عن الْحُمُرِ الإنْسِيَّة يوم خَيْبر » يعنى التى تالف البُيوت . والمشهور فيها كسر الهمزة منسوبة إلى الإِنْس وهم بَنُو آدم ، الواحد إنْسِيٌّ . وفى كتاب أبى موسى مايدل على أن الهمزة مضمومة ، فإنه قال : هى التى تألف البيوت والأُنْسَ ، وهو ضِدّ الوَحْشة ، والمشهور فى ضِدّ الوحشة الأُنْسُ بالضَّم ، وقد جاء فيه الكَسْر . قال وروَاه بعضهم بفتح الهمزة والنون ، وليس بشيء . قلتُ : إن أراد أن الفتح غير معروف فى الرواية فيجوز ، وإن أراد أنه ليس بمعروف فى اللغة فلا ، فإنه مَصْدر أَنِسْتُ به آنَسُ أنساً وأنَسَة .

وفيه « لو أطاع الله الناس فى الناس لم يكن ناس » قيل معناه أن الناس إنما يُحِبُّون أنْ يُولَد لهم الذُّكْرانُ دون الإناث ، ولَو لَم يكُن الإناث ذهَبَت النَّاس . ومعنى أطاع : استجاب دعاءهم .

وفى حديث ابن صياد « قال النبى ﷺ ذات يوم : انْطَلِقُوا بِنَا إلى أُنَيْسَيان قَدْ رَابنا شأنُه » هو تصغير إنسان جاء شَاذًا على غير قياس ، وقياس تصغيره أُنَيْسَان .

﴿ أنف ﴾ (هـ) فيه « المؤمنون هيِّنُون ليِّنُون كالجمل الأَنِف » أى المأنوف ، وهو الذى عَقَر الخِشَاشُ أنفَهَ فهو لايَمْتَنع على قائِده للْوَجَع به . وقيل الأَنِفُ الذَّلُول . يقال أَنِفَ البعير يَأْنَفُ أَنَفاً فهو أَنِفٌ إذا اشتكى أَنْفَهَ من الخِشَاش . وكان الأصل أن يقال مأْنُوف لأنه مفعول به ، كما يقال مَصْدورٌ ومَبْطُون للذى يشْتَكى صدره وبَطْنه . وإنما جاء هذا شاذًا ، ويروَى كالجمل الآنِف بالمدّ ، وهُو بمعناه .

وفى حديث سبق الحدث فى الصلاة « فليأخذُ بأنفهِ ويَخْرُج » إنما أمره بذلك ليُوهِم المصلين أنّ به رعُافا ، وهو نَوْع من الأدب فى ستْر العَوْرة وإخفاء القبيح ، والكناية بالأحسنَ عن الأقْبح ، ولايَدخُل فى باب الكذب والرّياء ، وإنما هو من باب التَّجُّمل والحياء وطلَب السلامة من الناس .

(هـ) وفيه « لكل شيء أنفَةَ وأُنْفَةُ الصلاة التَّكْبِيرَةُ الأُولى » أُنُفَة الشيء :

ابتداؤه ، هكذا روى بضم الهمزة . قال الهروى : والصحيح بالفتح .

(هـ) وفى حديث ابن عمر رضى الله عنهما « إنما الأمر أُنُفٌ » أى مُسْتأنَفٌ استئنافا من غير أن يكون سبق به سابق قضاء وتقدير ، وإنما هو (مقصور)[1] على اختيارك ودخولك فيه .

قال الأزهرى : استأنَفْتُ الشىء إذا ابتدائته ، وفَعَلْتُ الشىء آنفا ، أى فى أول وقت يقرب منى .

(هـ) ومنه الحديث « أنزلت علىَّ سورة آنفاً » أى الآن . وقد تكررت هذه اللفظة فى الحديث .

(هـ) ومنه حديث أبى مسلم الخولانى « وَوَضَعها فى أنِف من الْكلا وصفو من الماء » الأُنُف - بضم الهمزة والنون - : الكلا الذى لم يُرعَ ولم تطأه الماشية .

وفى حديث معقل بن يسار « فَحَمِى من ذلك أَنَفاً » يقال أَنِف من الشىء يأنف أنفاً إذا كرهه وشَرُفَتْ نفسه عنه . وأراد به هاهنا أخذته الحمية من الغَيْرة والغَضَب . وقيل هو أَنْفا بسكون النون للعضو ، أى اشتد غيظُه وغضبه ، من طريق الكناية ، كما يقال للمتغيِّظ وَرِم أَنْفُه :

(هـ) وفى حديث أبى بكر فى عَهْده إلى عمر رضى الله عنهما بالخلافة « فكلُّكُم ورِمَ أَنْفُهُ » أى اغْتاظ من ذلك ، وهو من أحسن الكنايات ، لأنَّ المغتاظ يرِمُ أَنْفُه ويَحْمَرّ .

(هـ) ومنه حديثه الآخر « أما إنك لو فعلت ذلك لجعَلْتَ أَنْفَك فى قفاك » يريد أعْرَضْتَ عن الحق وأقبلت على الباطل . وقيل أراد إنك تُقْبل بوجهك على من ورَاءك من أشياعك فتؤثرهُم بِبرِّك .

﴿ أنق ﴾ فى حديث قَزَعة مولى زياد « سمعت أبا سعيد يحدّث عن رسول

(١) الزيادة من الهروى .

الله ﷺ بأربع فآنقنى » أى أعجبْنَنى . والأنَق بالفتح الفَرح والسرور ، والشيء الأنيق الْمعجِب . والمحدِّثون يروونه أينقنى ، وليس بشيء . وقد جاء فى صحيح مسلم : « لاأينَق بحديثه » أى لا أعجب[1]، وهى كذا تروى .

(هـ) ومنه حديث ابن مسعود رضى الله عنه « إذا وقعتُ فى آل حَم وقعتُ فى روضات أتأنَّق فيهن » أى أعْجَبِ بهنَ ، وأستَلِذِ قراءتهن ، وأتتبَّع محاسنهن .

(هـ) ومنه حديث عبيد بن عمير « مامن عاشِيَةٍ أطْولَ أنقاً ولا أبعدَ شبعاً من طالب العلم » أى أشد إعجابا واستحسانا ومحبة ورغبة . والعاشية من العشاء وهو الأكل فى الليل .

وفى كلام على رضى الله عنه « ترقَّيت إلى مرقاة يقصُر دونها الأنُوق » هى الرَّخَمَة لأنها تبِيض فى رءوس الجبال والأماكن الصعبة فلا يكاد يُظْفَر بها .

ومنه حديث معاوية « قال له رجل افرض لى قال : نعم ، قال : ولولدى ، قال : لا ، قال : ولعشيرتى ، قال : لا ، ثم تمثل بقول الشاعر :

طَلب الأبلَقَ العَقُوقَ فلما لـم يَجِــدْهُ أراد بَيْض الأنُوق

العَقُوق : الحامل من النوق ، والأبْلَق من صفات الذُّكور ، والذَّكَر لا يَحمْل ، فكأنه قال : طلب الذَّكر الحامل وبَيَضْ الأنوق ، مَثَل يُضرب للذى يطلب المحال الممتنع . ومنه المثل « أعَزُّ من بيض الأنُوق ، والأبْلَقِ العَقُوق »

﴿ إنك ﴾ (س) فيه « من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صُبَّ فى أذُنه الآنُكُ » هو الرَّصاص الأبيض . وقيل الأسود . وقيل هو الخالص منه . ولم يَجِيء على أفعُل واحداً غَير هذا . فأما أشُدُّ فُمخْتلف فيه هل واحد أو جمع . وقيل يَحتمل أن يكون الآنُك فاعُلا لا أفْعُلا ، وهو أيضا شاذ .

---

(١) قال الهروى : ومن أمثالهم : ليس المتعنق كالمتأنق . ومعناه : ليس القانع بالعلقة – وهى البلغة – كالذى لايقنع إلا بآنق الأشياء : أى بأعجبها .

ومنه الحديث الآخر « من جلس إلى قَيْنة ليسمعَ منها صُبَّ فى أُذُنَيه الآنك يوم القيامة » وقد تكرر ذكره فى الحديث .

﴿ أنكلس ﴾ فى حديث على رضى الله عنه « أنه بعث إلى السُّوق فقال : لا تأكلوا الأنْكَلِيس » هو بفتح الهمزة وكسرها : سمك شبيه بالحيَّات ردِىء الغذاء ، وهو الذى يسمى المَارْمَاهِي . وإنما كرهه لهذا لا لأنه حرام . هكذا يُروى الحديث عن على رضى الله عنه . ورواه الأزهرى عن عمار وقال : « الأنقْلِيس » بالقاف لغة فيه .

﴿ أنن ﴾ فيه « قال المهاجرون : يارسول الله إن الأنصار قد فَضَلونا ، إنهم آوَوْنا وفعلوا بنا وفعلوا ، فقال . تَعْرِفون ذلك لهم ؟، قالوا : نعم ، قال : فإنَّ ذلك » هكذا جاء مقطوعَ الخبر . ومعناه أن اعترافكم بصَنِيعهم مُكافأةٌ منكم لهم .

ومنه حديثه الآخر « من أزِلَّتْ إليه نعمة فلْيُكافِىء بها فإن لم يجدْ فَلْيُظْهر ثناء حَسَنا فإنَّ ذلك » .

* * *

ثانيا : إعراب الحديث :(*)

نقدم دراسة جامعية لهذا الموضوع بعرض مشكلاته وقضاياه يقول صاحبها :

أما الصحابة والتابعون فقد كانت لغتهم العربية وصفاً غريزياً فيهم ، لأنهم من العرب الخلص ، لذا لم يكونوا في حاجة لقواعد يضبطون بها كلامهم . أما مَنْ جاء بعدهم فلابدَّ لهم من قواعد تضبط لهم طريق استعمال العرب في لسانها ، ومعرفة أسلوب العرب في كلامها .

ولقد تناولْتُ في كتابي « الحديث النبوي في النحو العربي » ظاهرة « الاحتجاج بالحديث النبوي ، والاستشهاد به » ، لأن علَم الحديث

(*) الحديث النبوى فى النحو العربى – للدكتور محمود فجال ط نادى أبها بالسعودية من ص ٦–١٣

الشريف ، رفيعُ القدر ، عظيمُ الفخر ، شريفُ الذكر ، لايَعتني به إلاّ كلّ حَبْرٍ ، ولا يُحْرَمُهُ إلاّ كلُّ غُمر[1]، ولا تفنى محاسنُه على ممر الدهر[2].

فالحديث النبوي كما أنه المصدر الثاني للتشريع واللغة بلا منازع . فكذلك هو المصدر النَّحْوِيُّ في قولين من ثلاثة .

وسيبقى الحدِيثُ إلى جانب القرآن في الاستدلال والاحتجاج ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، فالتمسك بهما سر نجاح الأمة الإسلامية وتقدمها ، مصداقاً لقوله – ﷺ : ﴿ **تَرَكْتُ فيكُمْ شيْئَيْنِ لن تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا : كِتابُ الله ، وسُنَّتي** ﴾[3].

وقد قسَّمْتُ الخلاف في الاحتجاج بالحديث النبوي ، إلى ثلاثة اتجاهات :

الاتجاه الأول : صحةُ الاحتجاج بالحديث النبوي في النحو العربي .

ذهب إلى ذلك طائفة من النحاة ، منهم : « ابنُ خَروف » – ٢٠٩ هـ ، و« ابنُ مالك » – ٦٧٢ هـ ، و« ابنُ هشام » – ٧٦١ هـ .

وهذا الاتجاه عليه المعوّل ، وإنيه المصير .

وقد أفسح لنا « ابنُ مالك » دائرةَ الاستشهاد باعتبار الحديث مصدراً من مصادرها .

وليت شعري ، مَنْ أولى مِن « ابن مالك » في عصره ، بتمييز صحيح الحديث من زائفه !! وهو الذي ذُكر بين طبقات الشافعية ، وروى له « السيوطيُّ » بعض الأحاديث بسنده ، وتَلْمَذَ له الإمام « اليونينيُّ » و« ابنُ جماعة » ، وغيرهما من كبار الأئمة ، وكتابُهُ « شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح » خيرُ دليل على أن الرجل لم يَجْرِ في غير ميدانه ، ولم يتعلق بما ليس من شأنه ، بل إنه الإمام الذي يُطمأن إليه فيما يأخذ وما يدع

(١) الغُمر – بضم الغين – : غير المجرب .

(٢) انظر مقدمة « تدريب الراوي » .

(٣) رمز « السيوطي » في « الجامع الصغير » بأنه أخرجه «الحاكم» « في « المستدرك » عن أبي هريرة أهـ . قاله النبي – ﷺ – في حجة الوداع . وانظر « فيض القدير » ٣ : ٢٤١ .

من أحاديث الرسول – ﷺ – حين يرى الاستشهاد بشيء من هذه الأحاديث[1].

وقال « ابن حزم » : « ... والذي لاشك فيه فهو أنه – عليه السلام – أفصحُ من امرىء القيس ، ومن الشماخ ، ومن الحسن البصري ، وأعلمُ بلغة قومه من الأصمعي ، وأبي عبيدة ، وأبي عبيد .

فما في الضلال أبعد من أن يحتج في اللغة بألفاظِ هؤلاء ، ولايحتج بلفظه فيها – عليه السلام – فكيف وقد أضاف ربه – تعالى – فيه إلى ذلك العصمة من الخطأ فيها ، والتأييد الإلهي ، والنبوة والصدق ... »[2].

الاتجاه الثاني : رفضُ الاستشهاد بالحديث والاحتجاج به صراحة ذهب إلى ذلك طائفة من النحاة ، منهم « أبو حيان » – ٧٤٥ هـ ، و« أبو الحسن ابن الضائع » – ٦٨٠ هـ . وأولع « السيوطي » ٩١١ هـ بنقل كلامهما ، وألْهَجَ به في كتبه ، ظاناً أنه من الفوائد الغريبة ، متلقياً له بالقبول تقليداً غافلاً عن أنه في هذا الباب لايسمن ولايغني .

وقد تَعلَّق مَنْ قال بهذا الاتجاه بعلتَيْن :

- جواز الرواية بالمعنى .
- ووقوع اللحن كثيراً في الأحاديث لأن كثيراً من الرواة كانوا غير عرب ، ولا يعلمون لسان العرب بصناعة النحو .

ونحن نحمل مسؤوليّة هذا الرفض « أبا حيان » و« ابنَ الضائع » ، النقلُ بالمعنى إنما كان في الصدر الأول ، قبل تدوينه في الكتب ، وقبل فساد اللغة ، وغايتُه تبديل لفظٍ بلفظ ، يصح الاحتجاج به ، فلا فرق . وادعاءُ وقوع اللحن في الحديث النبوي باطلٌ ، لأن ذلك يمكن أن يتخرج على وجه من الوجوه النَّحْويةِ الصحيحة أو يتخرج على لغةٍ عربيةٍ غيرِ مشهورةٍ .

---

(١) انظر تمهيد « ابن مالك : تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد » ٤٧-٤٨ .

(٢) « الإحكام في أصول الأحكام » ٥٣٩-٥٤١ .

والقولُ بأن في رواة الحديث أعاجم قولٌ لا يُعْتَدُّ به ، لأن ذلك يقالُ في رواة الشعر والنثر ، اللذَيْنِ يُحتج بهما ، فإن فيهم الكثير من الأعاجم، وهل في وسعهم أن يذكروا لنا محدِّثاً ممن يعتد به أن يوضع في صف « حمَّاد الراوية » الذي كان يَكذب ، ويَلْحَنُ ، ويَكسرِ الشعر[1]. وروى « الكوفيون » أن حَمَّاداً الراوية كان حَفِظَ القرآن من المُصحف ، فكان يُصَحِّف نَيِّفاً وثلاثين حرفاً[2]. ومع ذلك لم يتورع الكوفيون ومَنْ نهج منهجهم عن الاحتجاج بمروياته . ولكنهم تحرجوا في الاحتجاج بالحديث النبوي .

ولِمَ تَرَفَّعَ النَّحْوِيُّون عما ارتضاه اللغويون من الانتفاع بهذا الشأن ، والاستقاء من ينبوعه الفياض ، العذب ، الزلال ، فأصبح رَبْعُ اللغة به خصيباً بقدر ماصار رَبْعُ النحو جديباً ؟!

● ومَنِ اطَّلَعَ على منهج المحدِّثين في النقد ، وطريقتهم في التعديل ، ومبالغتهم في حقيقة الراوي ، والأخذ بالظنة والتهمة في ردِّ مروياته ، يكادُ يجزم بأن تجويز الكذب على الراوي المستجمع للشروط أمر لا يُصَدِّقُهُ عقل ، ولا يتفق عليه اثنان .

● ونحن لانعذر القدامي في عدم احتجاجهم بالحديث ، ولكن عَدَمُ ممارستهم لهذا الفن الجليل صَرَفَهُمْ عن الاحتجاج به ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه .

الاتجاه الثالث : التوسط بين المنع والجواز

ومِنْ أبرز مَنْ نهج هذا النهج « أبو اسحاق الشاطبي » – ٧٩٠هـ فقد قَسَّمَ الحديث إلى قسمين :

القسم الأول : مايُعْتنى ناقلُه بمعناه دون لفظِهِ ، وهذا لم يقع به استشهاد أهل اللسان .

القسم الثاني : عُرِفَ اعتناء ناقله بلفظه ، لمقصود خاص ، كالأحاديث

---

(١) « مراتب النحويين » : ١١٨ .

(٢) « شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف » : ١٢ ، و« حماد » هذا هو حماد بن سابور بن المبارك ، أبو القاسم (٩٥–١٥٥هـ) وانظر ترجمته في « الأعلام » ٢ : ٢٧١ .

التي قُصد بها فصاحتُه – ﷺ – والأمثال النبوية . وهذا يصح الاستشهاد به في النحو .

ثم أضاف « محمد الخَضِر حُسيَنْ » – ١٣٧٧ هـ قسماً ثالثاً ، هو في الواقع تفصيل لما أجْمَلَ « الشاطبيُّ » ، وقد عَالَجَ هذا الموضوع في « مجلة مجمع اللغة العربية » على خير مايعالجه عالمٌ ثَبَتٌ[1]، وانتهى من بحثه إلى النتيجة الآتية :

من الأحاديث ما لاينبغي الاختلاِف بالاحتجاج به في اللغة و(القواعد) وهي ستة أنواع :

أولها : مايُرْوَى بقصد الاستدلال على كمال فصاحته ، ومحاسن بيانه .

ثانيها : مايُرْوَى من الأقوال التي يُتَعَبَّدُ بها .

ثالثها : ما يُرْوَى على أنه كان يخاطب كل قوم من العرب بلغتهم . ومما هو ظاهر أن الرواة يقصدون في هذه الأنواع الثلاثة إلى رواية الحديث بلفظه .

رابعها : الأحاديث التي وردت من طرق متعددة ، واتحدث ألفاظها . سواء أكان ذلك من لفظ النبي – ﷺ – أم الصحابة ، أم التابعين ، الذين ينطقون الكلامَ العربيَّ فصيحاً .

خامسها : الأحاديث التى دونها من نشأ في بيئةٍ عربيةٍ لم ينتشر فيها فساد اللغة ، كـ « مالك بن أنس » ، و« عبد الملك بن جريج » ، و« الشافعي » .

سادسها : ما عرف من حال رواته أنهم لايجيزون رواية الحديث بالمعنى . مثل : « ابن سيرين » و« علي بن المديني » و« رجاء بن حَيْوَة » ...

إلى غير ذلك من النتائج ، وقد ذُكرت في مكانها من هذا المؤلف وأخيراً فلقد تعرضتُ لكثير من الشبهات والآراء ، وناقشتُها ، ورددت على الساقط منها ، وبيَّنت وجه الحق مدعوما بالأدلة والبراهين .

---

(١) يقال : رجل ثَبْتٌ – بسكون الباء – مُثَبْتٌ – بفتحتين – إذا كان عدلاً ضابطاً ، والجمعْ : أثباتٌ ، مثل سَبَب . مصباح (ثبت) .

واشتمل هذا التأليف بعد هذه « التقدمة » على « تمهيد » ذكرت فيه « فصاحة النبي - ﷺ - وبلاغة قوله » ، وإنما ذكرت هذا التمهيد بساطاً وتوطئة لما سأبسُطُه من الاحتجاج بالحديث النبوي . لا لأُبين فصاحته ، وبلاغة قوله ، فهو افصح من نطق بالضاد . لا ينازع في ذلك أحدٌ .

وقد قسَّمْتُ هذا التأليف إلى قسمين :

القسم الأول : (دراسة مستفيضة لظاهرة الاستشهاد بالحديث النبوي في النحو العربي)

وفيه ثلاثة أبواب :

البـاب الأول : مدخل إلى علم النحو العربي .

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : معرفة اللغة والإعراب أصل لمعرفة الحديث النبويّ .

الفصل الثاني : فائدة تعلّم النحو .

الفصل الثالث : آراء علماء الشريعة في تعلم النحو .

الباب الثاني : مدخل إلى علم الحديث النبوي .

وفيه فصلان :

الفصل الأول : تعريف الحديث ، والفرق بينه وبين الخبر والأثر .

الفصل الثاني : تدوين الحديث النبوي .

● تصحيح خطأ .

الباب الثالث : المحدثون يتمتعون بدقةٍ منقطعةِ النظير .

وفيه فصلان :

الفصل الأول : صفة رواية الحديث ، وشرط أدائه .

● آراء العلماء في رواية المعنى .

وفيه مسائل :

المسألة الأولى : بيان مايقولُه مَنْ يروي حديثاً بالمعنى .

المسألة الثانية : حكم اختصار الحديث الواحد .

ورواية بعضه دون بعض والزيادة فيه .

المسألة الثالثة : حكم تقطيع متن الحديث الواحد ، وتفريقه في الأبواب .

المسألة الرابعة : طريق السلامة من اللحن والتصحيف في الحديث .

المسألة الخامسة : اللحن والتصحيف .

المسألة السادسة : تقويم اللحن بصلاح الخطأ .

المسألة السابعة : اتباع المحدّث على لفظه وإن خالف اللغة الفصيحة .

الفصل الثاني : الاحتجاج بالحديث والاستشهادُ به .

● مطلب : معنى الاستشهاد ، والاحتجاج ، والتمثيل .

وهذه الفصول والمسائل التي درستُها شديدة المِسَاسِ بظاهرة « الاحتجاج والاستشهاد بالحديث النبوي » .

وحين أبحث ذلك فإنني لم أخرج عن إطار البحث النحوي الجاد الذي فيه أوَفّي الموضوع حقّه من البحث والتنقيب ، معتصماً بالصبر ، ومستعيناً بالله .

وتخلصنّا من دراستنا هذه إلى أنه من المسلمات الأولية أنَّ الخطأ واللحن لم يقُلْه النبي – ﷺ – ولا أصحابُه ، ولا التابعون .

القســم الثاني :

دراسة نحويةٌ للأحاديث النبوية الواردة في أكثر شروح ألفية « ابن مالك »

وفيه ثمانيةٌ وثلاثون باباً .

وهذه الأبواب مشتملة على مسائل .

وعددها : عشر ومائة مسألة

وقد تضمنت هذه المسائل شواهد حديثية نبوية ، مبيناً فيها وجه الاستشهاد .

وقد اقتَصَرْتُ على الأحاديث الواردة في شروح الألفية التالية :

(١) « شرح ألفية ابن مالك »

ومؤلفه : « محمد بن محمد بن مالك ، بدر الدين ، ابن جمال الدين » — ٦٨٠ هـ .

(٢) « توضيح المقاصد والمسالك ، بشرح ألفية ابن مالك » ومؤلفه : « الحسن ابن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي ، المعروف بابن أمّ قاسم » — ٧٤٩ هـ .

(٣) « أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك »
ومؤلفه : « عبد الله ، جمال الدين ، أبو محمد ، ابن هشام الأنصاري » — ٧٦١ هـ .

(٤) « شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك »
ومؤلفه : « عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل الهاشمي » — ٧٦٩ هـ .

(٥) « المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية »
ومؤلفه : « ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي ، أبو إسحاق الشاطبي » — ٧٩٠ هـ .

(٦) « شرح الأشموني على ألفية ابن مالك »
ومؤلفه : « نور الدين ، علي بن محمد ، أبو الحسن الأشموني » — نحو ٩٠٠ هـ وقيل في وفاته غير ذلك .

وبنهاية المطاف عقدت « خاتمة » بينتُ فيها النتائج التي وصلتُ إليها من بحثي .
ثم يجيء دور الفهارس العامة .

● وبهذا أكون قد استوعبت في هذا الكتاب : دراسةَ ظاهرة الاستشهاد بالحديث عند النحاة ، وما يتصل بهذه الظاهرة ، مع المناقشات السديدة ، والآراء المفيدة ، كما درستُ طائفة كبيرة من الأحاديث التي استشهد بها شرّاح الألفية ، وعُنيتُ بتخريجها عناية تامة من المصنفات الحديثيّة .

وفي الختام : أستغفر الله العظيم مما طغى به القَلَمُ ، أو زَلَّ به الفكر ، على أنه قد قيل : ليس من الدَّخَلِ[1] أن يطغى قلم الإنسان ، فإنه لايكادُ يسلم منه أحدٌ .

قال « ابن الأثير » في « المثل السائر » :

« ليس الفاضل من لا يَغْلَطُ ، بل الفَاضِلُ من يُعَدُّ غَلَطُهُ »

ومن مصادر التراث التى بقيت لنا فى هذا الجانب مصدران :

(أ) اعراب الحديث النبوى للعكبرى[2]

(ب) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك[3]

* * *

(أ) إعراب الحديث النبوى للعكبرى

يشرح منهجه وتطبيقه بقوله :

الحمدُ لله على إفضاله ، وصلى الله على محمد أشرف المرسلين وآلهِ ، والمذعنين بتصديق إرساله . أما بعدُ : فإنَّ جماعة من طلبة الحديث التمسوا مني أنْ أمليَ مختصراً في إعراب مايُشكِلُ من الألفاظ الواقعةِ في الأحاديث ، وأنَّ بعضَ الرواةِ قد يخطىءُ فيها ، والنبيُّ ﷺ : وأصحابه بريؤون من اللحن ؛ فأجبتهم إلى ذلك ، واعتمدت على أتمِّ المسانيدِ وأقربِها إلى الاستيعاب وهو : جامع المسانيد[4] للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بنِ الجوزي رحمه الله ،

---

(١) العيب .

(٢) تحقيق عبد الاله نبهان ط دمشق ١٩٧٦م من ص ١-٣ ومن ٩٣-٩٧

(٣) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ط بيروت عالم الكتب من ص ١١٦-١٣٣

(٤) قال صاحب الرسالة المستطرفة ١٧٦ ، ولأبي الفرج ابن الجوزي أيضاً كتاب جامع المسانيد بالخص الأسانيد ، جمع فيه الصحيحين والترمذي ومسند أحمد ، ورتبه أيضاً على المسانيد في سبع مجلدات ، ورتبه الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد الله الطبري ثم المكي وهو المعروف بالمحب . وذكر الزركلي في الأعلام ٤/٩٠ أن الكتاب (جامع المسانيد والألقاب) مخطوط في حمص —

فذكرت ذلك منه ، وهذا الكتاب موضوع على أسماء الصحابة مرتبةً على حروف المعجم ، والله الموفق للصواب[1].

=مجلدات . وقد ورد بهذا الاسم في فهارس دار الكتب المصرية مخطوط ١٩١ ، والموجود هناك الجزء الأول منه .

(١) تختلف مقدمة النسخة (د) عن النسخ أ-ب-حـ بزيادة بعد عبارة (على حروف المعجم) : « ولنعم ماذهب إليه ، ثم إنه يرتب ذلك ترتيباً آخر ، فيبدأ بما في الصحيحين ثم بما انفرد به كل واحد منهما ، ثم بما في مسند أحمد ثم بما في الترمذي ثم بما في سنن أبي داود والموطأ لمالك وغير ذلك من السنن المؤلفة في الحديث وبما عساه أن يمر في الأجزاء مما هو خارج عن هذه الكتب من إعراب مافي الأحاديث الواهية والموضوعة ، لأن رفضها في الاحتجاج بها يغني عن تصويب إعرابها ، ونحن نذكرها عن هذا الوصف ، والله الموافق للصواب » . وكان بدء الحمدلة في النسخة (د) كما يلي : « الحمد لله على ما أولى » وصلواته على محمد المقدم في الآخرة والأولى ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه ، أما بعد فإن بعض المتشاغلين بعلم الحديث وفقهم الله تعالى ذكر أنه يمر في الحديث ألفاظ يشكل إعرابها وأنه التمس مني أن يخرج لي ذلك أتكلم عليه فأحببت إليه رغبة في الثواب ورجاء النفع به وذكر أن الأسهل أن يرتب ذلك على مسانيد الصحابة مرتباً على حروف المعجم » .

كتاب الهمــزة

مسند أبيّ بن كعب الأنصاري[1]

ذكر مافي الصحيحين منه : الحديث الأول[2]:

١ – روى أبيّ عن النبي ﷺ[3]: ﴿ يَغْسِلُ مامسَّ المرأةَ منه ﴾[4].

قال الشيخ[5]: (ما) بمعنى الذي ، وفاعل (مس) مضمر فيه[6] يعود على الذي ، ، و(الذي)[7] وصلتها مفعول (يغسل) ؛ و(المرأة) مفعول (مس) ولايجوز أن ترفع (المرأة بـ (مس) على معنى مامست المرأة ، لوجهين : أحدها : أن تأنيث (المرأة) حقيقى ، ولم يفصل بينها وبين الفعل فلا وجه لحذف التاء . والثاني : أن إضافة اللمس[8] إلى الرجل وإلى أبعاضه حقيقة . [قال][9] ولذلك قال تعالى : « أَوْ لمستمُ النساءَ »[10] وإضافة اللمس إليها في الجماع تجوّز . لدلالة الفعل الثاني عليه كقوله تعالى : (والقمرَ قدرناه منازلَ)[11] على قراءة من نصب[12] وكذا قوله : (وكلَّ إنسانٍ

الحديث ١ – المسند ١١٣/٥ . صحيح البخاري ٤١/١ كتاب الغسل .

(١) انفردت النسخة (أ) بهذا العنوان (٢) انفردت النسخة (أ) بهذه العبارة .

(٣) في النسخ ب،جـ،د : في حديث أبي بن كعب الأنصاري عن النبي ﷺ .

(٤) كلمة (منه) ساقطة من (د) .

(٥) النسخة (د) تسقط عبارة (قال الشيخ) دائماً . وكذلك النسخة (جـ) ستسقطها اعتباراً من اللوحة (٣٦) .

(٦) كلمة (فيه) ساقطة من د،جـ . (٧) كلمة (الذي) ساقطة من أ .

(٨) في ب،جـ،د : المس . واللمس والمس من أصل واحد .

(٩) يبدو أن كلمة (قال) مقحمة على النسخة (أ) فقط . والضمير المستكن فيها يعود على الشيخ .

(١٠) النساء : ٤٣ . في الأصول لمستم بغير ألف وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف : النشر ٢٤١/٢ ، وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر : (أو لامستم) بالألف : كتاب السبعة ، ٢٣٤

(١١) الآية ٣٩ سورة يس .

(١٢) قال في الاتحاف ٤٤٥ (والقمر) فنافع وابن كثير وأبو عمرو وروح : بالرفع على الابتداء ، وافقهم الحسن واليزيدي . والباقون بالنصب على إضمار فعل الاشتغال . وانظر : الكشاف ١٢/٤ ، وإملاء ما من به الرحمن ١٠٩/٢ .

ألزمناه)[1] ولو رفع على الابتداء جاز على ضعف لأنه نكرة وليس في الكلام مايصح أن يُقدَّر مبتدأً ليكون (أربع) خبراً عنه .

وقوله فيه[2]: ﴿ فمن جاء بثلاثٍ لم يُغْنِيْنَ عنه شيئاً حتى يأتي بِهِنَّ جميعاً : الصلاة والزكاةُ وصيامُ رمضان وحجُّ البيت ﴾ .

الجيد : (الصلاة) ومابعدها بالرفع أي : هنَّ الصلاة . ولو نصب على . إضمار أعني جاز ، ولو جرّ على البدل من الضمير في بهنَّ جاز .

باب السين

[حديث السَّائب بن خَـلاد]

١٧٠٠ – وفي حديث السَّائب بن خَلاد : ﴿ ما من شيءٍ يصيبُ المؤمنَ ، حتى الشوكة إلاّ كُتب له بها حسنةٌ ﴾ .

قال الشيخ : يجوز (الشوكةِ) بالجر بمعنى إلى ، أي : ولو انتهى ذلكَ إلى الشوكة . وبالنصب على تقدير يجد الشوكة ، أو مع الشوكة . وبالرفع على جوازٍ فيه[3]، وفيه وجهان : أحدهما : هو معطوف على الضمير في يصيب . والثاني : هو مبتدأ أي : حتى الشوكةُ تشوكه .

---

(١) الآية ١٣ سورة الإسراء .
(٢) في أ : (ثم فمن جاء) ولا وجه لها .
الحديث ١٧٠ – المسند ٥٦/٤ ، وفيه : ما من شيء يصيب المؤمن حتى الشوكة تصيبه إلا كتب الله له بها حسنة أو حط عنه بها خطيئة . وانظر صحيح مسلم ١٥/٨ ، كتاب البر ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها .
(٣) عبارة (على جواز فيه) انفردت بها .

[حديث سَبْرَة بن معبد]

١٧١ – وفي حديث سَبْرة بن مَعْبد أبي الربيع الجُهنيّ : ﴿ علّموا الصبيَّ الصلاة ابنَ سبع ، واضربوه عليها ابنَ عشر ﴾[١]. قال الشيخ : (ابن) بالنصب فيهما ، وفيه وجهان : أحدهما : هو حال من (الصبي) والمعنى إذا كان ابن سبع ، وإذا كان ابن عشر ، أو علمّوه صغيراً/ واضربوه مراهقاً . والثاني : (٣٤ جـ) أن يكون بدلاً من الصبي ومن الهاء في (اضربوه)[٢].

[حديث سعد بن أبي وقّاص]

١٧٢ – وفي حديث سَعْد بن أبي وقّاص : ﴿ إنَّك ياسعدُ أنْ تَدَعَ ﴾ .

قال الشيخ : الهمزة مفتوحة ، وهي (أن) الناصبة للفعل ، وموضع المصدر (٣٨) على وجهين : أحدهما : هو بدل الاشتمال أي : إن تركك[٣]. والثاني/ : أن يكون في موضع رفع بالابتداء و﴿ خير ﴾ خبره . وفيه : ﴿ حتى اللقمة ﴾ الوجه النصب عطفاً على ﴿ نفقة ﴾ ولو رفع جاز على أنه مبتدأ و﴿ تجعلها ﴾[٤] الخبر .

١٧٣ – وفي حديثه : ﴿ أيامُ أكْلٍ وشرْبٍ ﴾ .

الحديث ١٧١ – الترمذي ١٢٦/٢ ، برقم ٤٠٧ ، وفيه : علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين واضربوه عليها ابن عشر . وانظر المسند ٤٠٤/٣ ، ولم يرد فيه الحديث بلفظه هذا . وانظر تيسير الوصول ١٨٨/٢ .

(١) في د : تسع .　　(٢) في ب : فاضربوه .

الحديث ١٧٢ – المسند ١٧٦/١ ، ونصه : إنك ياسعد أنْ تدعَ ورثتك أغنياء خيرٌ لك من أن تدعهم عالة يتكففون الناس ، إنك ياسعد لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى اللقمة تجعلها في امرأتك ... الخ .

(٣) في ب،د : إنك .　　(٤) في أ : تجعله والتصويب من المسند وبقية النسخ .

الحديث ١٧٣ – المسند ١ ١٦٩–١٧٤ ، والنص : أمرني رسول الله ﷺ أن أنادي أيام منى : إنها أيام أكل وشرب فلا صوم فيها – يعني أيام التشريق – انظر تعليقات محقق الترمذي على الحديث ١١٦/٣ ، برقم ٧٣٣

الأفصح الأقيس فتح الشين ، وهو مصدر مثل الأكل ، وأمَّا ضم الشين ، وكسرها فقيه لُغتان في المصدر أيضاً ؛ والمحققون على أنَّ الضم والكسر أسماء للمصدر ، وقد قرىء في قوله تعالى : (فشاربون شرْب الهِيم)[1] بالأوجه الثلاثة ، وتوجيهها ماذكرنا .

[حديث أبي سعيد الخُدْري سعد بن مالك]

١٧٤ - وفي حديث أبي سعيد الخُدْري سعدِ بن مالك عن النبي ﷺ : ﴿ ما منْ رجلٍ يخرجُ من بيته متطهراً فيصليٌّ مع المسلمين الصلاةَ ثم يجلسُ في المجلسِ ينتظرُ الصلاةَ الأخرى ، ألا[2] إنَّ الملائكة تقولُ : اللهمّ اغفر له ﴾ .

قال الشيخ : وقع في هذه الرواية (ألا إنَّ الملائكة) وعلى هذا لايكون الكلام قبله تاماً ، لأنَّ[3] (ما) لابد لها من خبر وليس في الكلام لها خبر ، ولكن يجوز أن يكون الخبر محذوفاً لدلالة مابعده عليه وتقديره : إلا غفر اللهُ[4] له ، ثم فسر ذلك بقوله : ألا إن الملائكة . وإن جاء في رواية أخرى (إلا أنَّ الملائكة) على الاستثناء كان الخبر تاماً .

١٧٥ - وفي حديثه قوله : ﴿ أيَّ أبٍ كنتُ لكم ؟ قالوا : خيرَ أب ﴾ .

قال الشيخ : الصواب نصب (أيّ) على أنه خبر (كنت) وجب تقديمه لكونه[5] استفهاماً ؛ وأمَّا قولهم : (خير أب) فالجيد نصب (خيرَ)[6] على

---

(١) الآية ٥٥ سورة الواقعة . قال في الإتحاف ٥٠٢ ، واختلف في (شرب الهيم) فنافع وعاصم وحمزة وأبو جعفر بضم الشين ، وافقهم الحسن والأعمش . والباقون بفتحها وهما مصدر (شرب) كالأكل ، وقيل بالفتح المصدر والضم الاسم . وانظر النشر ٣٦٦/٢ ، وقال ابن الأنباري : قرىء (شرب) بفتح الشين وضمها ، فمن قرأ بالفتح جعله مصدراً ومن قرأ بالضم جعله اسماً . انظر البيان ٤١٧/٢ ، وكتاب السبعة ٦٢٣

الحديث ١٧٤ - المسند ٣/٣

(٢) (إلا) ليست في المسند .

(٣) في أ : وما . وفي د : وإن ما .

(٤) (الله) انفردت بها أ .

الحديث ١٧٥ - المسند ٧٧/٣

(٥) في ب،جـ : يكونه .

(٦) في ب،جـ : فالجيد النصب في خير .

تقدير : كنت خيرَ أبٍ ، ليكونَ موافقاً لما هو جواب عنه ؛ والرفع جائز على معنى أنت خيرُ أب .

١٧٦ – وفي حديثه : ﴿ فأولتُهما هذانِ الكذابان ﴾ .

إنّما وقع : (هذان الكذابان) لأنه أراد ففسرت ما رأيت ثم استأنف فقال : هما هذان فحذف المبتدأ لدلالة الكلام عليه ، أو يكون التقدير : تأويلهما هذان .

١٧٧ – وفي حديثه : ﴿ يُرى مخُّ ساقها مِنْ وراءِ لحومهم أو دمائهم[1] أو حُللهم ﴾ .

هكذا وقع / في هذا الطريق ، وهو مشكل من ثلاثة أوجه : أحدها : تذكير ضمير الجمع وهو المؤنث ، والثاني قوله : (أو دمائهم أو حللهم) وهذا الموضع يليق به الواو لأن كل واحدة منهن تسترها[2] هذه الأشياء الثلاثة ، والثالث : أنّه أفرد الضمير في ساقها وجمع فيما بعد ذلك . والوجه فيه[3]: أنه نُزّل المؤنث منزلة المذكر على ماجرت به العادة في صيانة المؤنث ،

الحديث ١٧٦ – المسند ٨٦/٣ ، وفيه عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس على منبره وهو يقول : أيها الناس إنت قد أريت ليلة القدر ثم أنسيتها ، ورأيت أن في ذراعي سوارين من ذهب فكرهتهما فنفختهما فطارا ، فأنزلتهما هذين الكذابين صاحب اليمن وصاحب اليمامة . وانظر الترمذي : حديث ٢٢٩٣ .

الحديث ١٧٧ – المسند ١٦/٣ ، وفيه : إن أول زمرة تدخل الجنّة يوم القيامة صورة وجوههم على مثل صورة القمر ليلة البدر . والزمرة الثانية على لون أحسن من كوكب دري في السماء لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها وراء لحومها ودمها وحللها . وانظر الترمذي حديث ٣٥٣٥

(١) (أو دمائهم) ساقطة من أ . (٢) في أ : سترها .

(٣) يعود المؤلف لتفصيل القول في الوجوه الثلاثة مبتدئاً بالوجه الأول . وفي أ : والوجه الثالث . وقد ذكر في النسخة د ، مايلي : وجمع بعد ذلك ، ووجه تصحيحه أنه أفرد الضمير في ساقها إما لأن المذكور قبل ذلك مفرد أو لأنه أراد الجنس ، وأما الجمع في الضميرين الأخيرين وتذكيرهما فإن الحور وإن كن إناثاً فحكمهن حكم الإنسان أو المخلوق وقد جاء في الشعر : (من السريع) .

قامت تُبكّيه على قبره ... من ليَ [من] بعدك ياعامرُ
تركتني في الحي ذا غربة ... قد ذلّ مَنْ ليس له ناصر

أي ذات غربة . وذكرّ على معنى الإنسان أو المذكور . وقد يذكر مثل ذلك في المؤنث لستر =

وأمّا (أو) فيجوز أن تكون بمعنى الواو ، ويجوز أن يراد بها : أن بعضهن كذا وبعضهن كذا وتشير إلى التفصيل ، وأما إفراد الضمير فيرجع إلى الواحدة أو إلى الجماعة ، وأوقع المفرد موقع الجمع .

١٧٨ – وفي حديثه : ﴿ إنّي تارك فيكم الثَّقلين ، كتابَ الله وعِترتي ، كتابَ الله حبلا ممدوداً من[1] السماء إلى الأرض ، وعِترتي أهلَ بيتي ﴾ .

أمّا (كتاب الله وعترتي) الأولين فبدلان من (الثقلين) . وأمّا (كتاباً) الثاني.فهو بدل من (كتاب) الأول ، وجوّز ذلك وحسنّه ما اتصل به من زيادة المعنى وهو قوله : (حبلاً ممدوداً) وكذلك (عترتي أهل بيتي) ، ونصب (حبلاً ممدوداً) على أنه حال أو مفعول ثان لـ (تارك) ، ولو روي (كتابُ الله حبلُ ممدود) جاز على أنه مستأنف .

١٧٩ – وفي حديثه : ﴿ قال رجلُ : يا رسول الله أرأيت هذه الأمراضَ التي تصيبنُا مالنا بها ؟ قال : كفاراتُ ﴾ .

قال الشيخ : فيه وجهان أحدهما : هو مبتدأ والخبر محذوف أي : لكم بها كفاراتٌ . والثاني : خبر مبتدأ أي : هي كفارات . وفيه قوله : ﴿ وإنْ شوكةٌ ﴾ تقديره : وإنْ كان شوكة كقولهم : إن خيراً فخير .

١٨٠ – وفي حديثه : ﴿ قال : لايخرجِ الرجلان يضربانِ الغائط كاشفان عورتَهما ﴾ .

قال الشيخ : هكذا وقع في هذه الرواية بالرفع ، ووجه أن يكون التقدير : وهما كاشفان وإن روي (كاشفين) كان حالاً .

=الحال . وأما « أو » فظاهره أنه شك من الراوي .

الحديث ١٧٨ – المسند ١٤/٣ – ١٧ – ٢٦ – ٥٩ ، وفي هذه الروايات كلها (حبلٌ ممدودٌ) بالرفع ، ولم أعثر في المسند على رواية (حبلاً ممدوداً) .

(١) في أ : إلى .

الحديث ١٧٩ – المسند ٢٣/٣

الحديث ١٨٠ – المسند ٣٦/٣ ، وتمام الحديث : فإن الله يمقت على ذلك . ويضربان الغائط أي : يقضيان الحاجة .

(ب) شواهد التوضيح

ومن نماذج تطبيقات ابن مالك فى كتابيه :

(البحث الحادى والأربعون)

فى إعادة ضمير مؤنث إلى مذكر

ومنها قول رسول الله ﷺ « ما العمل فى أيام أفضل منها فى هذه الأيام » . قالوا : ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال « ولا الجهاد فى سبيل الله ، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشىء »(1).

قلت : فى هذا الحديث إشكال من جهتين : إحداهما : عود ضمير مؤنث فى « منها » إلى العمل ، وهو مذكر .

والثانية : استثناء رجل من الجهاد ، وإبداله منه ، مع تباين جنسيهما .

فأما الأول فوجه أن الألف واللام فى العمل لاستغراق الجنس ، فصار بهما فيه عموم مصحح لتأوله بجمع . كغيره من أسماء الأجناس المقرونة بالألف واللام الجنسية . ولذلك يستثنى منه نحو : إنَّ الإنْسَانَ لَفِى خُسْرٍ . إلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا (2) ، ويوصف به الجمع . كقوله تعالى : أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا (3) وكقول بعض العرب : أهلك الناس الدرهم البيض والدينار الحمر .

فكما جاز أن يوصف بما يوصف به الجمع ، لما حدث فيه من العموم – كذلك يجوز أن يعاد إليه ضمير كضمير الجمع ، فيقال : الدينار بها هلك كثير

---

(1) اخرجه البخارىّ فى : ١٣ – كتاب العيدين ، ١٩ – باب فضل العمل فى أيام التشريق . هذا النص بالهامش .

(2) ١٠٣/العصر/٢و٣ ونصها : إنَّ الإنْسَانَ لَفِى خُسْرٍ . إلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وتَوَاصَوْا بالْحَقِّ وتَوَاصَوْا بالصَّبْرِ .

(3) ٢٤/النور/ ٣١ ونصها : وَلاَيُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ، إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ ... أو الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء ... الخ .

من الناس . لأنه فى تأويل الدنانير . وما العمل فى أيام أفضل منها فى هذه الأيام . لأنه فى تأويل الأعمال . ويجوز أن يكون أنّث ضمير العمل لتأويله بحسنة – كما أوّل الكتابَ بصحيفةٍ ، مَنْ قال : أتته كتابى .

وأما الثانى فالوجه فيه أنه على تقدير : ولا الجهاد إلاّ جهاد رجل . ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه .

والأصل فى – ولا الجهاد – أوَلا الجهاد ؟ لأن قائل ذلك مستفهم لامخبر – فظهور المعنى سوّغ حذف الهمزة كما سوغه فى قول النبىّ ﷺ « وإن زنى وإن سرق » فإن الأصل فيه : أو إن زنى وإن سرق ؟

(البحث الثانى والأربعون)

فى اتصال نون الوقاية بالاسم الفاعل

ومنها قول النبىّ ﷺ لليهود « فهل أنتم صادقونى » كذا فى ثلاثة مواضع فى أكثر النسخ [1].

قلت : مقتضى الدليل أن تصحب نون الوقاية الأسماء المعربة المضافة إلى ياء المتكلم لنفيها خفاء الإعراب . فلما منعوها ذلك كان كأصلٍ متروك ، فنبهوا عليه فى بعض الأسماء المعربة المشابهة للفعل . كقول الشاعر :

وليس بمُعيينى وفى الناس مُمْتِعٌ صديقٌ إذا أعْيَا عَلَىّ صَدِيق[2]

(١) أخرجه البخارى في : ٧٦ – كتاب الطب ، ٥٥ – باب ماذكر فى بسمّ النبىّ ﷺ . هذا النص بالهامش .

(٢) من شواهد الأشمونى . وقائله مجهول معيينى ، اسم فاعل من قولهم اعياك الأمر إذا أعجزك .

ممتع ، قال فى اللسان : ومتّعه الله بكذا ، أبقاه ليستمتع به . يقال : أمتع الله فلانا بفلان إمتاعا أى أبقاه ليستمتع به فيما يحب من الانتفاع به والسرور بمكانه . وأمتعه الله بكذا ومتّعه بمعنى ..

يقول : إذا شق علىّ بعض الأصدقاء وعاملنى معاملة الهجران والصدود ، فليس يعجزنى أن أجد صديقا غيره حسن العشرة طيب الصحبة ، مادام بين الناس الكاملون فى صفات الخير .

وكقول الآخر :

وليس المُوَافِينِي لِيُرفَدَ خائبـا فإن لَهُ أضعاف ما كان أمَّلاَ[1]

ومنه قول النبى ﷺ لليهود « فهل أنتم صادقونى »

ولما كان لأفعل التفضيل شبه بفعل التعجب ، اتصلت به النون المذكورة أيضاً فى قول النبىّ ﷺ « غير الدجال أخوفنى عليكم »[2]

والأصل فيه : أخوف مخوفاتى عليكم . فحذف المضاف إلى الياء وأقيمت هى مقامه ، فاتصل « أخوف » بها مقرونة بالنون ، كما اتصل مغنى والموافى بها فى البيتين المذكورين .

(البحث الثالث والأربعون)

وكذا الرابع والأربعون

فى تنازع الفعلين وإعمال الثانى وإسناد الأول إلى ضمير

ومنها قول ابن عمر ، فى إحدى الروايتين « لما فُتِح هذين المصرين ، أتوا عمر[3] ففيه تنازع فتح وأتوا . وهو على إعمال الثانى وإسناد الأول إلى ضمير عمر .

---

(١) البيت من شواهد الأشمونىّ : وقائله مجهول .

يقال وافيت فلانا إذا أتيته . والمعنى : وليس الذى يوافينى أى يأتينى ليرفد أى ليُعْطى ، من الرفد وهو العطاء . والموصول مع صلته اسم ليس . وخائبا خبره . واللام للتعليل وكذا الفاء فى (فان) وأضعاف اسم إن . وله خبره مقدما وما موصولة . وكان أمّلا صلتها . والعائد محذوف . أى عامله . والألف فيه للاطلاق .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه فى : ٥٢ – كتاب الفتن وأشراط الساعة ، حديث رقم ١١٠ (طبعتنا) .

(٣) أخرجه البخارى فى : ٢٥ – كتاب الحج ، ١٣ – باب ذات عرق لأهل العراق . النص بالهامش

وفيه حجة على الفرّاء ، فإنه لايجيز : وأكرمني وأكرمت زيداً . لا على حذف الفاعل ولا على إضماره . ويجيزه الكسائي على الحذف ، لاعلى الإضمار . فيجب على مذهبه أن يكون فاعل فُتِح محذوفا لدلالة المذكور آخراً عليه .

ويجب على مذهب البصريين ، فى مثل هذا ، الإضمارُ ويمتنع الحذف . ويظهر الفرق بين الحذف والإضمار بالتثنية والجمع . فيقال على الإضمار : ضرباني وضربت الزيدَين . وضربوني وضربت الزيدِين . ويقال على الحذف : ضربني فى الإفراد وغيره .

ومنها قول أبي شريح الخزاعيّ « سمعتْ أذناى وأبصرت عيناى رسول الله ﷺ حين تكلم »[1] .

قلت : فى هذا الحديث تنازع الفعلين مفعولا واحداً ، وإيثار الثاني بالعمل . أعني أبصرتْ . لأنه لو كان العمل لسمعت لكان التقدير : سمعت أذناى النبيّ ﷺ ، وكان يلزم ، على مراعاة الفصاحة ، أن يقال : وأبصرته . فإذا أُخّر المنصوب وهو مقدم فى النية ، بقيت الهاء . متصلة بأبصرت ، ولم يجز حذفها . لأن حذفها يوهم غير المقصود . فإن الحذف مع العلم بأن العمل للأول ، حكم بفتحه وعُدَّ من الضرورات .

ومن تنازع الفعلين وجَعْل العمل للثاني فى قوله تعالى : ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً[2] وفى الحديث المذكور شاهد على أنه قد يتنازع منصوبا واحدا فعلا فاعلين متباينين . فيستفاد من « سمعت أذناى وأبصرت عيناى النبيّ ﷺ » جواز : أطعم زيد وسقى محمد جعفرا .

وأكثر النحويين لايعرفون هذا النوع من التنازع .

---

(١) أخرجه البخاريّ فى : ٧٨ – كتاب الأدب ، ٣١ – باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره .

* * *

(٢) ١٨/الكهف/٩٦ ونصها : ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ، حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخوا ، حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً .

ونظيره قول الشاعر :

أَضْنَتْ سُعَادُ وَأَضْنَتْ زينب عُمَرَا ... وَلَمْ يَنَلْ مِنهُمَا عَيْناً وَلاَ أَثَراً[1]

وفى الحديث المذكور أيضاً اكتفاء سمع بالمفعول الأول مقدراً ، مع أنه اسم لايدرك بالسمع . الأصل خلاف ذلك .

وحسَّن الحذفَ دلالة (حين تكلم) على المحذوف ، كما حسنه فى قوله تعالى : هل يسمعونكم دلالة (إذ تدعون) على المحذوف .

قلنا أن نجعل التقدير : هل يسمعون دعاءكم . فحذف المضاف وهو من مدركات السمع ، وأقيم المضاف إليه مقامه .

ولنا أن نجعل التقدير : هل يسمعونكم داعين . واستغنى عن داعين ، لقيام (إذ تدعون) مقامه .

وكذا الحديث . لنا أن نقدر : سمعت أذناى كلامَ النبى ﷺ . ولنا أن نقدر : سمعت أذناىَ النبى متكلما .

(البحث الخامس والأربعون)

فى أن (عدّ) قد توافق (ظنّ) فى المعنى والعمل

ومنها قول بعض الصحابة رضى الله عنهم « جاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال : ماتعدّون أهل بدرفيكم ؟ قال : من أفضل المسلمين »[2] .

قلت : فى هذا الحديث شاهد على أن (عَدَّ) قد توافق (ظن) فى المعنى والعمل . فـ (ما) من قوله : ماتعدون أهل بدر ؛ استفهامية فى موضع نصب ، مفعول ثان . وأهل بدر مفعول أول . وقدم المفعول الثانى لأنه مستفهم به ، والاستفهام له صدر الكلام .

---

(١) لم أقف على هذا البيت فيما بين يدىّ من الكتب . ومعناه واضح جلىّ .

(٢) أخرجه البخارىّ فى : ٦٤ – كتاب المغازى ، ١١ – باب شهود الملائكة بدراً

وإجراء (عد) مجرى (ظن) معنى وعملا ، مما أغفله أكثر النحويين . وهو كثير فى كلام العرب .

ومن شواهده قول الشاعر :

فلا تَعْدُدِ المولى شَرِيكك فى الغنى ولكنما المولى شريكك فى العُدْم[1]

ومثـله :

لاتَعْدُدِ المرءَ خِلاًّ قبـل تجربةٍ فربَّ ذى مَلَقٍ فى قلبه إحَنُ[2]

ومثـله :

لا أعُدُّ الإقْتَارَ عُدْمًا وَلـكن فَقْدُ مَنْ قَدْ فَقَدْتُهُ الإعْـدَامُ[3]

---

(١) من شواهد الأشمونىّ . وقائله النعمان بن بشير الصحابىّ .
لاتعدد : لاتظن . المولى هو الحليف والناصر والصاحب . العُدمْ هو الفقر . وأصله فقدان الشيء وذهابه .
المعنى : لاتظن أن صديقك هو الذى يشارك فى أوقات غناك ومسرتك . فإن صديقك على الحقيقة هو المشارك فى الشدائد والمحن وأوقات الفقر .

(٢) لم أقف عليه فيما بين يدىّ من الكتب .
فى اللسان المَلَقُ الودّ واللطف الشديد . وأصله التليين . وقيل : الملق شدة لطف الودّ . وقيل الترفّق والمداراة . والمعنيات متقاربات .
أحن الرجل يأحن ، من باب تعب ، حقد وأضمر العداوة . والإحْنَة اسم منه ، والجمع إحَـنٌ مثل سِدْرة وسِدَر .

(٣) قال العينى : قائله هو أبو دواد واسمه جارية بن الحجاج .
الإقتار إما من أقتر فى النفقة على عياله إذا ضيق عليهم فيها ، أو من أقتر الرجل إذا افتقر والإعدام من قولك : أعدمه الله إذا جعله معدوما . ويقال أعدم الرجل إذا افتقر .
والمعنى : لا أظن التضـيق والفقر عدما ، ولكن العدم فقدان من فقدته من الأحباب والأصحاب .

(البحث السادس والأربعون)

فى مجىء (اختص) بمعنى (خص) وحذف العائد على الموصول

ومنها قول عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه « ولم يختص قريباً دون من أحوج إليه »[1] . (فى المتن : يخص)

قلت : المشهور فى (اختص) أن يكون موافقاً لـ (خص) فى التعدى إلى مفعول . وبذلك جاء قوله تعالى : يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ[2]. وقول عمر بن عبد العزيز « ولم يختص قريبا » .

وقد يكون اختص مطاوع خص ، فلا يتعدّى . كقولك : خصصتك بالشيء فاختصصت به .

وقوله « دون من أحوج إليه » أصله : دون من هو أحوج إليه . فحذف العائد على الموصول ، وهو مبتدأ ، مع كون الصلة غير مستطالة ، وفيه ضعف . وهو مع ذلك مستعمل .

---

(١) أخرجه البخارىّ فى : ٥٧ – كتاب فرض الخمس ، ١٧ – باب ومن الدليل على أن الخمس للامام وأنه يعطى بعض قرابته دون بعض .

(٢) ٢/البقرة/١٠٥ ونصها : مَايَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ، واللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِه مَنْ يَشاء ، واللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيم .

و ٣/آل عمران/٧٤ ونصها : يَخْتَصُّ بِرَحْمتِهِ مَنْ يَشَاء ، واللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

الفصـــل الرابــع

تصنيف الحــديث

وقبل أن تظهر الفهرسة وعلم التصنيف في مجال النشاط المكتبي كان لعلمائنا محاولات فى تصنيف الحديث لسهولة الكشف عن نص الحديث وموضوعه فى مجاميع الحديث المختلفة .

ومنها محاولة الشيخ عبد الغنى النابلسى[1] وفى أوساط المستشرقين ظهرت محاولة جادة للمستشرق فنسك .

وسنقوم هنا بعرض نموذج لمحاولة عالمنا فى التراث الشيخ النابلسىَ ، نتبعها بمقدمة الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى[2] الذى عَرَّب مفتاح كنوز السنة لفنسك ويحاول أن يعطينا المفتاح للاهتداء بهذا الدليل إلى نصوص الحديث فى دواوينه ومجاميعه .

(أ) ذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث

الحمد لله الكبير المتعال . المفيض ذخائر المواريث . بأنواع الأحاديث . من أنوار الأحوال . على أهل الكمال . والموصل سند الأخلاف بالأسلاف . مع تحقيق الأطراف . في المبدأ والمآل .

والصلاة والسلام على سيدنا وسندنا (محمد) الذي رفع الله تعالى قدره بالبعث والارسال ، لهداية الأمة بسنته الغراء الثابتة بأسانيد الرجال . تأكيداً للهداية بحكم كتابه المجيد في الماضي والاستقبال . فتهذبت ملته الحنيفية بالصحيحين من المعقول والمنقول على كل حال .

---

(١) ذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث من ص ٢-٦ وصفحات متفرقة من الكتاب ط دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت

(٢) مفتاح كنوز السنة ترجمة محمد فؤاد عبد الباقى المقدمة و ص ٢،٢ ط لاهور بالهند .

ورضوان المالك تعالى الموطأ بفائض إحسانه عن جميع الآل . وبقية كتب كمالاته الاربعة الذين هم الخلفاء بعده في شريف المآثر والخصال . وسائر أصحابه السادة الائمة الجهابذة الابطال .

﴿ أما بعد ﴾ فيقول العبد الفقير إلى مولاه الخبير (عبد الغنى اسماعيل بن عبد الغنى بن اسماعيل بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة النابلسي الدمشقي الحنفي) عاملهم الله تعالى في الدنيا والآخرة بلطفه الخفي — : لما كانت كتب الحديث الشريف النبوي جامعة لأنواع الروايات . ولامعة في آفاق قلوب الافاضل بأسرار العلوم والدرايات . وحاوية للأسانيد المختلفة . والتخاريج والتحاويل المؤلفة . عن الأساتذة الثقات . وكانت الكتب الستة من بين كتب الحديث مشهورة عند علماء الاسلام . وقد اعتنت بروايتها ودرايتها الأكابر الأماجد من الحفاظ الاعلام . وهى (كتاب الصحيح من السنن) للشيخ الامام محمد بن إسماعيل البخاري و (كتاب الصحيح) للامام مسلم بن الحجاج النيسابوري . و(كتاب السنن) للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني و(كتاب السنن) للحافظ أبي عيسى محمد بن الترمذي و (كتاب السنن الصغرى) المسماة بـ (المجتي من السنن) للحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن على النسائى . وقد اختلف في السادس : فعند المشارقة هو (كتاب السنن) لابي عبد الله محمد بن ماجه القزوينى . وعند المغاربة (كتاب الموطأ) للامام مالك بن أنس الأصبحى . رحمهم الله تعالى . وكانت الحاجة داعية لعمل أطراف لهذه الكتب السبعة المذكورة . على طريقة الفهرست ، لمعرفة موضع كل حديث منها ، ومكان كل رواية مأثورة . وأن يكون ذلك على وجه الاختصار . من غير إخلال ولا إملال ولا إكثار . شرعت في كتابي هذا على الوصف المشروح . فجاء بحمد الله تعالى مما تقرّبه العين ويفرح به القلب ، وتنشط له الروح . وقد سبقنى إلي التصنيف فى ذلك أجلاء الائمة من العلماء الأخيار . فتشبثت بأذيالهم في اقتفاء هذا الأثر ولحوق هذا الغبار . إذ كان أول من صنف فى ذلك الامامان الحافظان أبو محمد خلف بن محمد بن على الوسطي وأبو مسعود إبراهيم بن محمد عبيد الدمشقى فجمعا

أطراف الصحيحين فقط . فكان كتاب خلف أحسنهما جمعاً وأقلهما خطأ ووهما ، ثم صنف في ذلك الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي فجمع أطراف الكتب الستة المذكورة غير الموطأ ، لكن حصل فى كتابه من الخلل ماشهد به بعض أقرانه من أئمة القول والعمل . ثم صنف بعده الحافظ الامام أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي أطراف الكتب الأربعة ، وهى : ماعدا الصحيحين والموطأ ، فانه اكتفى بأطراف خلف وأبي مسعود المذكورين . فلما رأى ذلك العلامة عمدة الحفاظ أبو الحجاج يوسف المزي مشى على طريقته الأنيقة . وسار على سيرته متمسكا بعراه الوثيقة . وجمع أطراف الكتب الستة أكمل جمع . فشرح صدر الطالبين وأطرب السمع . ولكنه أطال إلي الغاية وأسهب . وركب فى تكرار الروايات كل أدهم وأشهب ، وأكثر من ذكر الوسائط فيما بعد الصحابي من الرواة . بحيث من أراد استخراج حديث منه فلابد من معرفة صحابيه وتابعيه وتابع تابعيه وما بعد ذلك بلا اشتباه ، وسرد أسانيد الكتب الستة على التمام مما يحصل به الغنية بمراجعة المتون الموجودة بأيدي أهل السلام . مع إخلاله فى بعض المواضع بروايات لم يحذ فيها على حذره فى إتمام الاسانيد الموجودة عند الثقات . حتى جاء الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى فاستدرك عليه أشياء عديدة . ومواضع محتاجة إلي البيان مما كانت إعادته لها مفيدَة . في مجلد كبيروافٍ بعلم كثير[1]. سماه (النكات الظراف على الأطراف)

وقد ظفرنا للشيخ الامام العمدة الرحلة الشريف ابن الشريف أبي المحاسن محمد بن على بن الحسن بن حمزة بن أبي المحاسن الحسينى تلميذ الحافظ المزي ببعض أجزاء من أطراف للكتب الستة أحاديثها مرتبة على حروف المعجم ، وأسماء الصحابة فيها مذكورة في أثناء ذلك ، وقد تبع فيه شيخه المزي في سرد الأسانيد كلها من الكتب الستة ولكنه حذف الوسائط والتكرار . وسلك فيه مسلكا لطيفاً تنشرح به الخواطر والافكار .

(١) أقول : وللحافظ ابن حجر رحمه الله كتاب سماه (إتحاف المهره بأطراف العشرة يعنى الكتب الستة والمسانيد الاربعة فى ثمان مجلدات ، وأفرد منه تأليفه المسمي بأطراف المسند المعتلى بأطراف المسند الحنبلى فى مجلدين ، وله أيضاً اطراف المختارة . ع

فدونك يا أيها الطالب الراغب في حصول أسنى المواهب . كتابي هذا المفيد للمراد . بأدنى ارتياد . وقد سلكت فيه مسلك من تقدمنى من الترتيب ، وبنيته على مثال تلك الأبنية مع التبويب ، ولكنى اقتصرت على بيان الرواية المصرح بها دون المرموزة . ولم أذكر من الأسانيد غير مشايخ أصحاب الكتب على طريقة وجيزة .

واقتصرت على ذكر الصحابة الأولين . وتركت ذكر الوسائط كلها من التابعين وتابعى التابعين .

ولم أكرر رواية . بل وضعت كل شيء في موضعه بداية ونهاية .

وزدت أطراف روايات الموطأ للامام مالك . من رواية يحيى بن الليثى الأندلسي فانها المشهورة بين الممالك

وجعلت مكان سنن الامام النسائى الكبرى – حيث قل وجودها في هذه الاعصار – : سننه الصغرى المسماة بـ (المجتبى من سنن النبي المختار) .

وقد اعتبرت المعنى أو بعضه دون اللفظ في جميع الروايات . بحيث تذكر الرواية من الحديث ويشار برموز الحروف إلى مايوافقها في المعنى دون الكلمات . فعلى الطالب أن يعتبر في مطلوبه المعاني ، وهذا أمر واضح عند من يتداول كتب الأطراف ولها يعاني .

وإن روى الحديث الواحد عن جملة من الصحابة ذكرت أسماؤهم في محل واحد – : أذكر ذلك في مسند واحد منهم ، اكتفاء بحصول المقصود والاصابة .

وإذا أردت الاستخراج منه فتأمل في معنى الحديث الذي تريده في أي شيء هو ، ولاتعتبر خصوص ألفاظه ثم تأمل الصحابي الذي عنه رواية ذلك الحديث فقد يكون في السند عن عمر أو أنس مثلا والرواية عن صحابي آخر مذكور في ذلك الحديث ، فصحح الصحابى المروي عنه ، ثم اكشف عنه في محله تجده إن شاء الله تعالى .

ورمزت للكتب السبعة بالحروف هكذا (خ) لصحيح البخاري (م) لصحيح مسلم (د) لسنن أبي داود السجستاني (ت) لسنن الترمذي (س) لسنن النسائي (ه) لسنن ابن ماجه (ط) لموطأ الامام مالك .

ورتبته على سبعة أبواب ، كل باب منها مرتب مافيه على ترتيب حروف المعجم ، تسهيلا للاستخراج منه على أولي الالباب .

(الباب الأول) فى مسانيد الرجال من الصحابة أهل الكمال

(الباب الثانى) في مسانيد من اشتهر منهم بالكنية أبو هريرة .

(الباب الثالث) فى مسانيد المبهمين من الرجال على حسب ماذكر فيهم من الأقوال

(الباب الرابع) فى مسانيد النساء من الصحابيات .

(الباب الخامس) فى مسانيد من اشتهر منهن بالكنية .

(الباب السادس) فى مسانيد المبهمات من النساء الصحابيات .

(الباب السابع) فى ذكر المراسيل فى الأحاديث ، وفى آخره ثلاثة فصول فى الكنى وفى المبهمين وفى مراسيل النساء عن سعيد بن المسيب أن التى قال

وسميت كتابي هذا ﴿ ذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الاحاديث ﴾ وأسأل من الله تعالى أن يوفقنى إلى اكماله واتمامه . ويرزقنى حسن الخاتمة بحسن اختتامه . وأن يعصمنى من الزلل . ويحفظنى من الخطأ فيه والخطل . وينفع به من استعمله من علماء هذا الشان . ويسهل عليهم به كل إيضاح وتبيان . إنه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

الباب الأول من الجزء الأول

فى مسانيد الرجال من الصحابة « أهل الكمال »

حـرف الهـمزة

أبيض بن حمال الحميري المأربي عن النبي ﷺ

١ - ﴿ حديث ﴾ : « أنه وفدالى النبي ﷺ فاستقطعه الملح الذي بمأرب » وفيه « لاحمى إلا فى الأراك » (د) فى الخراج عن قتيبة بن سعيد ومحمد بن المتوكل وعن محمد بن أحمد القرشي (ت) في الأحكام عن قتيبة (٥) فيه عن محمد بن يحي بن أبي عمر

٢ - ﴿ حديث ﴾ : « أنه كلم رسول الله ﷺ فى الصدقة فقال : يا أخا سبأ ، لابد من صدقة » (د) فى الخراج عن محمد بن أحمد القرشي وهارون بن عبد الله الحمال ﴿ آبي اللحم الغفاري ﴾ واسمه الحويرث بن عبد الله ، عن النبي ﷺ ، لقب بذلك لانه كان يأبى أكل ماذبح للأصنام

٣ - ﴿ حديث ﴾ : « أنه رأي النبي ﷺ عند أحجار الزيت يستسقي وهو مقنع بكفيه يدعو » (ت س) فى الصلاة عن قتيبة بن سعيد

أبي بن عمارة الانصاري عن النبي ﷺ

٤ - ﴿ حديث ﴾ : « يارسول الله أمسح على الخفين » وفيه ترك التوقيت فى المسح (د) فى الطهارة عن يحيى بن معين (٥) فيه عن حرملة بن يحيى وعمرو بن سواد ﴿ أبي بن كعب الانصاري ﴾ سيد القراء عن النبي ﷺ

٥ - ﴿ حديث ﴾ : « كنا نري هذا من القرآن حتى نزلت « ألهاكم التكاثر » يعنى : لو كان لابن آدم واد من ذهب » (خ) فى الرقاق وقال لنا أبو الوليد

٦ – ﴿ حديث ﴾ : « كنا مع النبي ﷺ وإنما وجهنا واحد ، فلما قبض نظرنا هكذا وهكذا (ه) فى الجنائز عن اسحاق بن منصور

٧ – ﴿ حديث ﴾ : « أنه قال : يارسول الله : إذا جامع الرجل ولم ينزل » (خ) فى الطهارة عن مسدد (م) فيه عن أبي الربيع الزهراني وعن أبي كريب وعن ابن مثنى (د) فيه عن محمد بن مهران الرازي وعن أحمد بن صالح المصري (ت) فيه عن أحمد بن منيع (ه) فيه عن محمد بن بشار

٨ – ﴿ حديث ﴾ : « لما كان يوم أحد أصيب من الانصار أربعة وستون رجلا » (ت) فى التفسير عن أبي عمار الحسين بن حريث المروزى

٦٥٧٨ ﴿ حديث ﴾ : « كان إذا ذهب إلى الغائط ابعد » (ه) فى الطهارة عن يعقوب بن حميد

« يوسف بن عبد الله بن سلام » عن النبي ﷺ

٦٥٧٩ ﴿ حديث ﴾ : « وضع تمرة على كسرة وقل هذه إدام » (د) في الايمان والنذور عن محمد بن غيسي

« الباب الثانى »

الجزء الثالث

« فى ذكر من اشتهر بالكنية من الصحابة ومن لم يعرف اسمه أو اختلف فى اسمه منهم »

حرف الألــف

أبو إبراهيم محمد بن حاطب

« أبو أبى ابن أم حرام خالة أنس اسمه عبد الله » عن النبى ﷺ

٦٥٨٠ ﴿ حديث ﴾ : « عليكم السناء والسنون » (ه) فى الطب عن ابراهيم ابن محمد بن يوسف الفريابي

« أبو الازهر الانمارى ويقال أبو زهير » عن النبي ﷺ

٦٥٨١ ﴿ حديث ﴾ : « كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال بسم الله وضعت جنبى » فى الادب عن جعفر بن مسافر

« ابو اسحاق سعد بن أبي وقاص

« ابو اسحاق كعب بن عجرة »

« أبو الاسقع واثلة أبو الاسود السلمى هو أبو اليسر كعب ابن عمرو بن عياد »

« أبو أسيد الساعدى مالك بن ربيعة »

« أبو أسيد الانصارى » عن النبي ﷺ

٦٥٨٢ ﴿ حديث ﴾ : « كلوا من الزيت وادهنوا به » (ت) فى الاطعمة عن محمود بن غيلان

« أبو امامة الانصارى اسهد بن سهل بن حنيف »

« أبو امامة الانصارى اياس بن ثعلبة »

« أبو امامة الباهلي صدي بن عجلان » عن النبي ﷺ

« حـرف اليـاء »

« أبو يحيى » صهيب

« أبو يحيى » سهل بن أبي حمة

« أبو يحيى » اسيد بن حضير

« أبو يزيد » معقل بن سنان

« أبو يسار » معقل بن يسار

« أبو أليس » كعب بن عمرو الانصاري

« أبو يعلى » شداد بن أوس

« أبو اليقظان » عمار بن ياسر

« أبو يوسف » عبد الله بن سلام

الباب الثالث

الجزء الرابع

فى المبهمين من اسماء الرجال من الصحابة أهل الكمال مرتبة على ترتيب اسماء الرواة عنهم

« أسعد بن سهل » بن حنيف الانصارى عن بعض أصحاب النبى ﷺ من الانصار

١٠٤٦٦ ﴿ حديث ﴾ : « اشتكى رجل منهم حتى اضني فعاد جلده على عظمه » (د) فى الحدود عن أحمد بن سعيد

١٠٤٦٧ ﴿ الحديث ﴾ : « بينا أنا نائم إذ رأيت الناس يعرضون على » (ت) فى الرؤيا عن الحسين بن محمد الجريري

« اسماعيل بن ابراهيم » عن رجل من بني سليم

١٠٤٦٨ ﴿ حديث ﴾ : « خطبت إلى النبي ﷺ امامة بنت عبدالمطلب » (د) في النكاح عن محمد بن بشار

« الاسود بن هلال » عن رجل من بنى ثعلبة بن يربوع

١٠٤٦٩ ﴿ حديث ﴾ : « كان يخطب فى أناس من الانصار فقالوا هؤلاء بني ثعلبة قتلوا فلانا » (س) فى القود عن أبى داود

« أنس بن مالك » عن أصحاب رسول الله ﷺ

١٠٤٧٠ ﴿ حديث ﴾ : « في الصوم فى السفر » (م) فى الصوم عن أبي بكر

« أنس بن مالك » عن بعض أصحاب النبى ﷺ

١٠٥٩٥ ﴿ حديث ﴾ : « ان جارية لكعب بن مالك » (خ) فى الذبائح عن موسى بن اسماعيل وعن اسماعيل بن عبد الله

١٠٥٩٦ ﴿ حديث ﴾ : « النهى عن استقبال القبلة بغائط أو بول » (ط) في الصلاة عن نافع

« النعمان بن سالم » عن رجل حدثه

١٠٥٩٧ ﴿ حديث ﴾ : « أمرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا إله الا الله » (س) في المحاربة عن أحمد بن سليمان

« يحيى بن سعيد » الانصاري عن رجل من الانصار

١٠٥٩٨ ﴿ حديث ﴾ : « ان امرأة سألته الطلاق فقال إذا حضت فآذنينى » (ط) فى الطلاق عن يحيى بن سعيد

« يزيد بن عبد الله » بن الشخير العامرى عن رجل من اصحاب النبى ﷺ يقال انه النمر بن تولب الشاعر

٢٠٥٩٩ ﴿ حديث ﴾ : « كنا بالمربد فجاء رجل اشعث الرأس » (د) فى الخراج عن مسلم بن ابراهيم (س) فى قسم الفىء عن عمرو يحيى بن الحارث

« يزيد بن نمران » عن رجلا مقعد بتبوك

١٠٦٠٠ ﴿ حديث ﴾ : « رأيت رجلا مقعدا بتبوك » (د) فى الصلاة عن محمد بن سليمان

« يسار المكى » عن رجلين من بني بكر

١٠٦٠١ ﴿ حديث ﴾ : « خطب بين أوسط أيام التشريق » (د) فى الحج عن محمد بن العلاء

« يعقوب بن أوس » ويقال عقبة بن أوس عن رجل من أصحاب النبى ﷺ

١٠٦٠٢ ﴿ حديث ﴾ : « خطب يوم فتح مكة فكبر ثلاثا » (س) فى القود عن اسماعيل بن مسعود وعن محمد بن عبد الله بن يزيع

« فصل في الكنى من مبهمين الرجال »

الجزء الرابع

« أبو ابراهيم » الاشهلى عن أبيه عن النبى ﷺ

١٠٦٠٣ ﴿ حديث ﴾ : « اللهم اغفر لحينا وميتنا » (ت) فى الجنائز عن على ابن حجر » (س) فيه عن اسماعيل بن مسعود

١٦٠٩ ﴿ حديث ﴾ : « اعطى كل انسان منا سهما (د) في الجهاد عن أحمد ابن حنبل

« أبو عمير » عبد الله ابن أنس

« أبو العلاء » يزيد بن عبد الله

« أبو قلابة » عبد الله بن يزيد

« أبو مالك » غزوان

« أبو المليح » عامر بن أسامة

« أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل »

« أبو نجيح » المكى يسار

« أبو هاشم » عبد الله بن محمد بن الحنفية

« أبو وائل » شقيق بن سلمة

« فصل فيمن اشتهر بالنسبة إلى أبيه أو جده »

أو نحو ذلك من مبهمين الرجال

« ابن ابزى » عبد الرحمن بن ابزي

« ابن الاسقع » واسلة بن الاسقع

« ابن بجيد الانصارى الحارثي » واسمه محمد بن بجيدة

١٠٦١٠ ﴿ حديث ﴾ : « ردوا المسكين ولو بظلفه محرق » (ط) فى الجامع عن زيد بن اسلم

« ابن بجينة » عبد الله بن مالك بن القشب

« ابن جزء » عبد الله بن الحارث بن جزء

« ابن جودان » ويقال انه جودان

« ابن حزن » البصري نصر بن حزن

« ابن الحضرمى » العلاء بن الحضرمى

« ابن الحنظلية » سهل بن الحنظلية

« ابن حوالة » عبد الله بن حوالة

« ابن خلاد » السائب بن خلاد

« ابن سرجس » عبد الله بن سرجس

« والد مطرف » عبد الله بن الشخير جد بهز بن حكيم معاوية بن حيدة

« والد أبي الاحوص » مالك بن نضلة الجشمي

* * *

« فصل » فيما روته النساء عن من انبهم من الرجال عن النبي ﷺ .

« بهيسة » الفزارية عن أبيها

١٠٦١٧ ﴿ حديث ﴾ : « استأذن النبى ﷺ فدخل بينه وبين قميصه فجعل يقبل ويلتزم » (د) الزكاة وفي البيوع عن عبيد الله بن معاذ

« حسناء » ويقال خنساء بنت معاوية بن سليم الصريمية عن عمها

١٠٦١٨ ﴿ حديث ﴾ : « النبي فى الجنة والشهيد فى الجنة » (د) فى الجهاد عن مسدد

* * *

« فصل » فيما رواه من لم يسم عن من لم يسم عن النبى ﷺ .

« ثوير » بن أبي فاختة عن رجل من أهل قباء عن أبيه

١٠٦١٩ ﴿ حديث ﴾ : « أمر النبى ﷺ ان نشهد الجمعة من قباء » (ت) فى الصلاة عن عبد حميد ومحمد بن أحمد

« حرب » بن عبيد الله عن جده أبى أمه عن أبيه

١٠٦٢٠ ﴿ حديث ﴾ : « إنما العشور على اليهود والنصارى » (د) فى الخراج عن مسدد

« زيد بن أسلم » عن رجل من بنى ضمرة عن أبيه أو عمه

١٠٦٢١ ﴿ حديث ﴾ « رأيت النبى ﷺ وهو على المنبر بعرفة » (د) فى الحج عن هناد

١٠٦٢٢ ﴿ حديث ﴾ : « سئل عن العقيقة » (ط) فى العقيقة عن زيد بن أسلم

« زيد بن أسلم » عن رجل من أصحابه عن رجل من أصحاب النبى ﷺ

١٠٦٢٣ ﴿ حديث ﴾ : « لا يفطر من قاء ولا من احتلم ولا من احتجم » (د) فى الصوم عن محمد بن كثير

« سعيد » بن اياس الجريري عن السعدى عن أبيه أو عمه

﴿ حديث ﴾ : « كان يتمكن فى ركوعه وسجوده » (د) فى الصلاة عن مسدد

« سماك بن حرب » البكري عن رجل من قومه عن آخر منهم

١٠٦٣٤ ﴿ حديث ﴾ : « سئل متى يصلي الصبى فقال إذا عرف يمينه من شماله (د) فى الصلاة عن سليمان بن داود

« هلال بن يسار » الاشجعي عن رجل من ثقيف عن رجل من جهينة

١٠٦٣٥ ﴿ حديث ﴾ : « لعلكم تقاتلون قوما فتظهرون عليهم » (د) فى الخراج عن مسدد وسعيد بن منصور

« يوسف بن ماهك » المكي عن فلان عن أبيه

١٠٦٣٦ ﴿ حديث ﴾ : « أد الامانة إلى من ائتمنك» (د) في البيوع عن أبى كامل

الباب الرابع

فى مسانيد النساء من الصحابة أولات الهداية والنجابة ، مرتبة على ترتيب حروف المعجم

(حـرف الالـف)

« أسماء بنت أبى بكر الصديق » عن النبى ﷺ

١٥٦٣٧ ﴿ حديث ﴾ : « مالى شيء الا ما أدخل على الزبير وفيه انفقى ولاتحصى فيحصى الله عليك ولاتوعي » (خ) فى الزكاة عن صدقة بن الفضل وفيه وفى الهبة عن أبى عاصم (م) فى الزكاة عن محمد بن حاتم وهارون بن عبد الله وعن أبي بكر بن أبي شيبة وعن عمرو الناقد وزهير بن حرب واسحاق بن ابراهيم (د) فيه عن مسدد (ت) فى البر عن أبي الخطاب زياد بن يحيى (س) فى الزكاة عن الحسن بن محمد وعن محمد بن آدم

١٠٣٨ ﴿ حديث ﴾ : « خرجنا مع النبى ﷺ ونزلنا » (د) فى الحج عن أحمد بن حنبل ومحمد بن العزيز (٥) فيه عن أبى بكر أبى شيبة

١٠٦٣٩ ﴿ حديث ﴾ : « في سدرة المنتهى » (ت) فى صفة الجنة عن أبي كريب

١٠٦٤٠ ﴿ حديث ﴾ : « فى الكسوف ، وفيه ذكر الجنة والنار ، وفيه أوحى إلى أنكم تفتنون فى قبوركم ، وفيه الامر بالعتاقة » (خ) فى الصلاة وفى الشرب عن سعيد بن أبي مريم وفى الطهارة عن اسماعيل وفى الكسوف عن عبد الله بن يوسف وعن الربيع بن يحيى وفى الاعتصام عن القعنبى وفى الجمعة وقال محمود وفي العلم عن موسي بن اسماعيل وفى السهو عن يحيى بن سليمان وفى العتق عن محمد بن أبى بكر وعن موسي بن مسعود (م) فى الصلاة عن يحيى بن حبيب وعن أحمد بن سعيد وعن بن حرب وعن أبي كريب (س) فيه عن ابراهيم بن يعقوب (٥) فيه عن محرز بن سلمة (ط) فيه عن هشام بن عروة

١١٨٦١ ﴿ حديث ﴾ : « أنهلك وفينا الصالحون » (ط) فى الجامع مالك بلغه

« يسيرة عن النبى ﷺ وهى من المهاجرات وقيل من الانصار »

١١٨٦٢ ﴿ حديث ﴾ : « ان النبى ﷺ امرهن ان يراعين بالتكبير والتهليل » (د) في الصلاة عن مسدد (ت) فى الدعوات عن موسى بن حزام وعبد بن حميد وغير واحد

فيمن اشتهر بالكني من النساء الصحابيات

« ام ايمن حاضنة رسول الله ﷺ ويقال اسمها بركة » عن النبى ﷺ

١٠٨٦٣ ﴿ حديث ﴾ : « قال ابو بكر لعمر انطلق بنا إلى ام ايمن نزورها » (٥) فى الجنائز عن الحسن بن الخلال

١١٨٦٤ ﴿ حديث ﴾ : « انها غربلت دقيقا فصنعت للنبى ﷺ » (٥) فى الاطعمة عن يعقوب بن حميد

« ام ايوب زوج ابى ايوب » عن النبى ﷺ

١١٨٦٥ ﴿ حديث ﴾ : « ان النبى ﷺ نزل عليهم فتكلفوا له طعاما فيه منْ بعض هذه البقول » (ت) فى الاطعمة عن الحسن بن الصباح (٥) فيه عن ابى بكر بن أبي شيبة

« ام بجيد الانصارية ويقال اسمها حواء » عن النبى ﷺ

١١٨٦٦ ﴿ حديث ﴾ : « انها قالت يارسول الله ان المسكين ليقوم على بابي فما اجد له شيئا اعطيه اياه وفيه ردوا السائل ولو بظلف محرق » (د) فى الزكاة عن قتيبة (ت) فيه عن قتيبة (س) فيه عن قتيبة وعن هارون بن عبد الله (ط) فى الجامع عن زيد بن اسلم

« ام جندب الازدية والدة سليمان بن عمرو بن الاحوص » عن النبى ﷺ

١١٨٦٧ ﴿ حديث ﴾ : « رأيت النبى ﷺ يرمى الجمرة من بطن الوادى وهو راكب » (د) فى الحج عن ابراهيم بن مهدى وعن ابى ثور ابراهيم بن خالد الكلبي ووهب بن بيان

« ام حبيبة بنت ابى سفيان ام المؤمنين رملة »

« ام حبيبة بنت جحش حمنة »

« أم معقل » زوج أبى معقل الاسدى عن النبى ﷺ

١١٩٠٦ ﴿ حديث ﴾ : « قالت أم معقل قد علمت أن على حجة وفيه عمرة في رمضان تعدل حجة » (د) فى الحج عن أبي كامل (ت فيه عن نصر بن علي (٥) فيه عن جبارة بن مغلس

١١٩٠٨ ﴿ حديث ﴾ : « لما حج رسول الله ﷺ حجة الوداع وكان لنا جمل فجعلة أبو معقل فى سبيل الله » (د) فى الحج عن محمد بن عوف الطائى

« ام المنذر » بنت قيس الانصارية ويقال اسمها سلمي عن النبي ﷺ

١١٩٠٩ ﴿ حديث ﴾ : « دخل علي رسول الله ﷺ ومعه علي على ناقة ولنا دوال معلقة » (د) فى الطب عن هارون بن عبد الله (ت) فيه عن عباس بن محمد الدورى (٥) فيه عن محمد بن بشار وعن أبى بكر

« أم هانى » بنت أبى غالب فاختة

« أم هشام بنت حارثة بن النعمان الانصارية » عن النبى ﷺ

١١٩١٠ ﴿ حديث ﴾ : « قالت ما أخذت (ق والقرآن المجيد) إلا من في رسول الله ﷺ يقرأ بها على المنبر فى كل جمعة » (م) فى الصلاة عن عبد الله بن عبد الرحمن وعن محمد بن بشار وعن عمرو الناقد (د) فيه عن محمد بن بشار وعن محمود بن خالد (س) فيه عن عمر ان بن يزيد وعن محمد بن المثنى (٥) فى الصلاة عن محمد بن مثني

١١٩١١ ﴿ حديث ﴾ : « أن النبى ﷺ لما غزا بدرا قالت له يارسول الله ائذن لي فى الغزو معك » (د) فى الصلاة عن عثمان

« أم ياسر » يسيره

الباب السادس

فى المنبهم من أسماء النساء الصحابيات مرتبة على ترتيب اسماء الرواة عنهم عن النبى ﷺ

« اسيد » بن أبي اسيد البراد عن امرأة من المبايعات عن النبى ﷺ

١١٩١٢ ﴿ حديث ﴾ : « كان فيما اخذ علينا رسول الله ﷺ فى المعروف الذى اخذ علينا ان لاتعصيه فيه » (د) فى الجنائز عن مسدد

« تمامة » بن حزن القشيرى عن حبشية كانت تخدم النبى ﷺ ولعلها بريرة عن النبى ﷺ

١١٩١٣ ﴿ حديث ﴾ لقيت عائشة فسألتها عن النبيذ فدعت جارية حبشية فقالت .

« عروة » بن الزبير عن أزواج النبى ﷺ عن النبي ﷺ

١١٩٢٢ ﴿ حديث ﴾ : « أبى سائر أزواج النبى ﷺ أن يدخل عليهن أحد بتلك الرضاعة » (د) فى النكاح عن أحمد بن صالح

« عروة » بن الزبير عن امرأة من بني النجار عن النبى ﷺ

١١٩٢٣ ﴿ حديث ﴾ : « كان بيتى من اطول بيت حول المسجد فكان بلالا يؤذن عليه الفجر » (د) فى الصلاة عن أحمد بن محمد بن أيوب

« عكرمة » مولى ابن عباس عن بعض ازواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ

١١٩٢٤ ﴿ حديث ﴾ : « انه كان إذا أراد من الحائض شيئا ألقى على فرجها ثوبا » (د) فى الطهارة عن موسى بن اسماعيل

« عمرو » بن سعد بن معاذ ويقال عمرو بن معاذ عن جدته

١١٩٢٥ ﴿ حديث ﴾ : « ان رسول الله ﷺ قال يا نساء المؤمنات لاتحقرن احداكن لجارتها » (ط) فى الجامع عن زيد بن اسلم وعنه أيضا

« قريع الضبى » الكوفي عن امرأة ابي موسى الاشعرى عن النبى ﷺ

١١٩٢٦ ﴿ حديث ﴾ : « دخلت على ابى موسي وهو ثقيل فذهبت امرأته لتبكى وفيه ليس منا من حلق وسلق وحرق » (د) في الجنائز عن عثمان بن أبي شيبة

« موسي بن عبد الله بن يزيد الخطمي عن امرأة من بني عبد الاشهل » عن النبى ﷺ

١١٩٢٧ ﴿ حديث ﴾ : « انها قالت يارسول الله ان لنا طريقا إلى المسجد وإنها منتنة » (د) فى الطهارة عن عبد الله بن محمد التفيلى واحمد بن يونس (٥) فيه عن ابي بكر ابن ابي شيبة

« هنيدة بن خالد الخزاعى عن ام المؤمنين » عن النبى ﷺ

١١٩٢٨ ﴿ حديث ﴾ : « كان النبى ﷺ يصوم من كل شهر ثلاثة أيام » (س) في الصوم عن على بن محمد بن على

« يحيى بن حصين عن جدته ام الحصين »

* * *

(فصل فى النساء الراويات عمن انبهم من النساء) عن النبي ﷺ

« امية بنت ابي الصلت عن امرأة من بنى غفار » عن النبى ﷺ

١١٩٢٩ ﴿ حديث ﴾ : « اردفنى رسول الله ﷺ على حقيبة رحله بطوله فى غسل الحيض » (د) في الطهارة عن محمد بن عمرو الرازى

« زينب بنت ابي سلمة ربيبة النبى ﷺ » عن ام سلمة واخرى من ازواج النبى ﷺ

١١٩٣٠ ﴿ حديث ﴾ : « لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال » (م) فى الطلاق عن عبيد الله بن معاذ وعنه ايضا

« صفية بنت شيبة العبدرية عن امرأة وقيل عن ام ولد لشيبة » عن النبى ﷺ

١١٩٣١ ﴿ حديث ﴾ : « رأيت النبى ﷺ يسعى في بطن المسيل

ويقول لايقطع الوادى الا شدا » (س) فى الحج عن قتيبة (٥) فيه عن ابى بكر وعلى بن محمد

« صفية بنت ابي عبيد » امرأة ابن عمر عن بعض أزواج النبى ﷺ

١١٩٣٢ ﴿ حديث ﴾ : « من اتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة اربعين ليلة » (٥) فى الطب عن محمد بن المثنى

« عمرة بنت عبد الرحمن عن اختها هى ام هشام بنت حارثة بن النعمان »

* * *

(فصل فيما رواه مجهول عن مجهول من النساء) عن النبى ﷺ

« ابراهيم بن ميسرة » عن خالته عن امرأة قال هى مصدقة امرأة صدق

١١٩٣٣ ﴿ حديث ﴾ : « خرجت مع أبى فى حجة النبى ﷺ » (د) فى النكاح عن احمد بن صالح

« ربعى بن حراش عن امرأته عن اخت حذيفة » عن النبى ﷺ

١١٩٣٤ ﴿ حديث ﴾ : « ان النبي ﷺ قال يامعشر النساء اما لكن في الفضة ماتحلين به » (د) فى الخاتم عن مسدد (س) فى الزينة عن على بن حجر وعن محمد بن عبد الاعلي

« عبد الحميد موسي بن هاشم عن امه عن بعض بنات النبى ﷺ » عن النبى ﷺ

١١٩٣٥ ﴿ حديث ﴾ : « ان النبى ﷺ كان يعلمها فيقول قولى حين تصبحين سبحان الله » (د) فى الادب عن أحمد بن صالح

« هنيدة بن خالد الخزاعى عن امرأته وقيل عن أمه » عن بعض أزواج النبى ﷺ

١١٩٣٦ ﴿ حديث ﴾ : « كان النبى ﷺ يصوم تسع ذى الحجة وفيه صيام ثلاثة أيام من كل شهر » (د) فى الصوم عن مسدد (س) فيه عن زكريا بن يحيى وعن أحمد بن يحيى وعن محمد بن عثمان بن أبي صفوان

« عبد الله بن محمد بن معن عن ابنة حارثة ابن النعمان » هي أم هشام
عبيد الله بن علي عن جدته هى سلمى

« عبد الله » بن يسر عن اخته هي الصماء بنت يسر

الباب السابع

فى المراسيل من الأحاديث واسماء رجالها مرتبة على حروف المعجم وفى آخر ذلك ثلاثة فصول فى الكني وفى المبهمين وفى النساء

حـرف الهمـزة

« ابراهيم » بن يزيد النخعى

١١٩٣٧ ﴿ حديث ﴾ : قال النبى ﷺ لعبد الله بن مسعود اقرأ على » (م) فى الصلاة عن أبى بكر وأبى كريب

١١٩٣٨ ﴿ حديث ﴾ : « كان إذا جلس فى الصلاة افترش رجله اليسري » (د) فى الصلاة عن هناد بن السرى

١١٩٣٩ ﴿ حديث ﴾ : « ضربت امرأة ضرتها بعمود فسطاط وهى حبلى فقتلتها » (س) فى القود عن محمد بن رافع

« اسحاق بن ابراهيم الحنينى »

١١٩٤٠ ﴿ حديث ﴾ : « اقطاع النبي ﷺ لبلال بن الحارث » (د) في الخراج عن محمد بن النضر

« اسحاق » بن عبد الله بن الحارث بن نوفل القرشي

١١٩٤١ ﴿ حديث ﴾ : « اشترى حلة ببضعة وعشرين قلوصا فأهداها إلى ذى يزن » (د) فى اللباس عن موسي بن اسماعيل

« إسحاق » بن عبد الله بن أبى طلحة الانصارى

١١٩٤٢ ﴿ حديث ﴾ « كان يؤتى بالتمر فيه دود » (د) فى الاطعمة عن محمد بن كثير

« أسلم » مولى عمر بن الخطاب

١١٩٤٣ ﴿ حديث ﴾ : « كلوا الزيت وادهنوا به » (ت) فى الاطعمة عن أبى داود سليمان بن معبد

« يزيد بن طلحة » بن ركانة

١٢٢٧٠ ﴿ حديث ﴾ : « لكل دين خلق وخلق الاسلام الحياء » (ط) فى الجامع عن سلمة بن صفوان

« يزيد بن عبد الله » بن الشخير

١٢٢٧١ ﴿ الحديث ﴾ : « كان ينسخ حديثه بعضه بعضا كما ينسخ القرآن بعضه بعضا » (م) فى الطهارة عن عبيد الله بن معاذ

« يزيد مولي المنبعث » المدنى

١٢٢٧٢ ﴿ حديث ﴾ : « سئل عن ضالة الغنم » (١) فى الطلاق عن على بن عبد الله

« فصل في الكنى »

« أبو ادريس » عائذ بن عبيد الله

« أبو الاسود » محمد بن عبد الرحمن بن نوفل

« أبو بردة » ابن أبى موسى الاشعرى

١٢٢٧٣ ﴿ حديث ﴾ : « بعث معاذا وأبا موسى إلى اليمن » (خ) فى المغازى عن موسى

١٢٢٧٤ ﴿ حديث ﴾ : « كل مسكر حرام » (خ) في المغازى عن مسلم بن ابراهيم

١٢٢٧٥ ﴿ حديث ﴾ : « لانكاح الا بولى » (ت) في النكاح عن محمود بن غيلان

« أبو بكر » بن حفص بن عمر بن سعد بن أبى وقاص

---

(١) لم نعثر فى الكتب السبعة على هذا الحديث ولم يرمز له فى النسخة . ع

١٢٢٧٦ ﴿ حديث ﴾ : « أن رجلا أتي فقال إنى اصبت ذنبا » (ت) فى البر عن ابن ابى عمر

« أبو بكر » بن سليمان بن أبي خثعمة العدوي

١٢٢٧٧ ﴿ حديث ﴾ : « السهو فى الصلاة » (ط) فى الصلاة عن ابن شهاب

« أبو بكر » بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام

١٢٢٧٨ ﴿ حديث ﴾ : « من أدرك ماله بعينه عند رجل قد أفلس » (د) فى البيوع عن عبد الله بن مسلمة (ط) فيه عن ابن شهاب

١٢٢٧٩ ﴿ حديث ﴾ : « لما تزوج أم سلمة أقام عندها ثلاثا » (م) فى النكاح عن يحيي بن يحيي

١٢٢٨٠ ﴿ حديث ﴾ : « جاءت امرأة فقالت انى قد كنت تجهزت إلى الحج فاعترض لى » فى الحج عن سمى

« أبو العالية » رفيع بن مهران

« أبو عبد الله » مكحول

« أبو عبد الرحمن » القاسم بن عبد الرحمن

« أبو عبيدة » بن عبد الله بن مسعود

١٢٢٩٠ ﴿ حديث ﴾ : « أول مادخل النقص على بني اسرائيل (ت) فى التفسير (ه) فى الفتن عن محمد بن بشار

« أو عثمان » عبد الرحمن بن مل

« أبو عثمان » يزيد بن مرثد

« أبو عمرو » سعد بن إياس

« أبو العلاء » يزيد بن عبد الله بن الشخير

« أبو القاسم » مقسم مولي بني هاشم

« أبو قلابة » عبد الله بن زيد

« أبو مالك » غزوان الغفارى

« أبو مجلز » لاحق بن حميد

« أبو معشر » زياد بن كليب

« أبو المليح » بن أسامة الهذلى البصرى

١٢٢٩١ ﴿ حديث ﴾ : « النهي عن جلود السباع » (ت) فى اللباس عن محمد بن بشار

« ابو ميسرة » عمرو بن شرحبيل

« أبو نجيح » يسار والد عبد الله

« أبو النضر » سالم بن أبى أمية

« أبو نعيم » وهب بن كيسان

« أبو يحيي » مالك بن دينار البصري

« أبو يعفور » العبدى واسمه وقدان

١٢٢٩٢ ﴿ حديث ﴾ : « فى صلاة الليل » (م) فى الصلاة عن يحيى بن يحيى

* * *

« فصل فى المبهمين »

« ابن الخليل » أو أبو الخليل

١٢٢٩٣ ﴿ حديث ﴾ : « أتي على فى امرأة ولدت من ثلاثة » (د) في الطلاق عن عبيد الله بن معاذ

« ابن السباق » مر فى عبيد بن السباق

« ابن صفوان » تقدم فى صفوان

« ربيعة » بن أبي عبد الرحمن عن غير واحد

١٢٢٩٤ ﴿ حديث ﴾ : « اقطع بلال بن الحارث المزنى » (د) فى الخراج عن التعنبى

« مالك » عمن يثق به من أهل العلم

١٢٢٩٥ ﴿ حديث ﴾ : « أرى أعمار الناس قبله » (ط) في الصوم مالك انه سمع

* * *

« فصل فى النساء »

« سائبة » مولاة لعائشة

١٢٢٩٦ ﴿ حديث ﴾ : « نهى عن قتل الحيات التى فى البيوت » (ط) فى الجامع عن نافع

« عمرة » بنت عبد الرحمن الانصارية

١٢٢٨٧ ﴿ حديث ﴾ : « اراد ان يعتكف » (ط) في الصوم عن ابن شهاب

١٢٢٩٨ ﴿ حديث ﴾ : « لعن المختفى والمختفية » (ط) فى الجنائز عن أبى الرجال محمد بن عبد الرحمن

١٢٢٩٩ (وبـه) في البيوع «نهي عن بيع الثمار حتى تزهي »

١٢٣٠٠ (وبـه) فيه : « ابتاع رجل ثمر حائط »

١٢٣٠١ (وبـه) فى الاقضية : « لايمنع نفع بئر »

« ليلى » مولاة ام عمارة الانصارية

١٢٣٠٢ ﴿ حديث ﴾ : « دخل عليها فقدمت إليه طعاما فقال كلى فقلت انى صائمة » (ت) فى الصوم عن علي بن حجر اهـ بحمد الله تعالى وحسن توفيقه وفي نهاية النسخة المخطوطة مايأتى :

« قـال » مؤلفه قدس الله روحه ، ونور مرقده وضريحه ، وقد تمت هذه الجمعية التى أردنا ترتيبها علي وجه الاختصار وضبطها وتهذيبها وكان الابتداء فى يوم السبت العشرين من شهر ربيع الثانى سنة اثنين ومائة والف وحصل

التمام والفراغ فى يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من رجب المبارك من السنة المذكورة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

﴿ التعريف بالكتاب ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

في يوم السبت ٢٢ ربيع الثاني سنة ١٣٤٧ (٦ أكتوبر سنة ١٩٢٨) — حينما كنت في الزقازيق — جاءني بالبريد من أحد أصحاب المكاتب بالقاهرة كتاب باللغة الانجليزية كنت رجوتُ منه أن يطلبه لي من أوربا ، وهو فهرس لبعض كتب الحديث ، ألفه أحد كبار المستعربين — الأستاذ ونْسِنْكْ أستاذ اللغات السامية في جامعة ليدن — وأنا لا أعرف من هذه اللغة شيئاً يعينني على القراءة فيه ، ولكنني فرحت به كأشد ما أفرح بكتاب نفيس يقع إلي .

فحاولت بمعونة بعض إخواني تفهم مقاصده واصطلاحاته للدلالة على مواضع الأحاديث في الكتب التي جعل كتابه فهرساً لها ، ثم أيقنت أني لم أخطيء الظن في فائدة الكتاب ، وأنه كنز من الكنوز التي خفيت على كثير من القارئين .

وكان أخي السيد محمود محمد شاكر إذ ذاك في الحجاز فأرسلت له خطاباً أبشره فيه بهذا الكنز الطريف ، ووصفته له وصفاً تاماً ونصحت له بطلبه من أوروبا ، فاقتناه أيضاً ، وكان رأيه موافقاً لما رأيته .

وقد اقتنعت كل الاقتناع بأن هذا الكتاب يجب إبرازه في اللغة العربية الشريفة ، حتى يستعين به أبناؤها على الاستفادة من كتب السنة ، وهي من الأصول العظمى في الشريعة الاسلامية ، لاشتمالها على أحاديث الرسول الكريم ﷺ ، وحاولت أن أقوم بهذا الواجب العظيم . وكانت محاولة جريئة من شخص لايعرف اللغة الانجليزية التي كتب بها . وبارك الله في الاخوان المخلصين العاملين ، فقد كان كثير منهم يتطوع بإعانتي حتى نفهم مراد المؤلف . ثم أكتبه على النحو الذي أراه موافقاً لما أعرف من الأحاديث .

وجه الحاجة إلى مفتاح كنوز السنة

أما بعد :

فان خير ما أعرف به هذا الكتاب لقراء العربية ، أن أبين لهم وجه الحاجة إليه ، وطريق الانتفاع به ، وعدم استغناء أعلم علماء الحديث عنه ، بل هم أشد حاجة إليه من غيرهم ، ويتلوهم من دونهم من العلماء ، فمن دونهم من دهماء القراء الذين يقتنون شيئاً من كتب الحديث المشهورة وغيرها مما يراه القراء فى طرته ، وإننى أستمد هذا البيان من تجربتى واختيارى فى السنين الطوال . لا أقوله بادى الرأى ولا أصطاده من سوانح الاستحسان .

اننى وُفّقت لطلب العلم من طريق الدليل ، ثم وُفقّت لنشره بالدليل ، ووُفقت للمناظرين وللافتاء بالدليل ، واشتغلت بعلم الحديث من أول العهد بالطلب . وارتقيت فيه بالتدريج ، وتمرنْت على مراجعة كتبه وكتب الجَرْح والتعديل ، لتخرج الأحاديث ونقدها ، وسرعة الوصول إليها من أقرب طرقها . واشتهرت عند من يعرفنى من أهل العلم والذكاء . كان الأستاذ اللوذعى الشيخ محمد توفيق البكرى يظن أن عندى فهارس لأوائل الأحاديث كلها ، ومعجماً لمفرداتها كهذا الكتاب يبين عند كل كلمة مواضع كل حديث وردت فيه من كتبها ، ثم علم أنه ماثم إلا مفتاح الصحيحين المطبوع المشهور ، وهو خاص بأوائل أحاديث الصحيحين القولية والمسندة وبيان مواضعها من المتن وشروح الحافظ العسقلانى والقسطلانى والعينى لصحيح البخاري (فى طبعاتها الأولى) وشرح النووى لصحيح مسلم المطبوع على هامش شرح القسطلانى للبخارى

ولو وجد بين يدى مثل هذا المفتاح لسائر كتب الحديث لوفر علىّ أكثر من نصف عمرى الذى أنفقته فى المراجعة ، ولكنه لم يكن ليغنينى عن هذا الكتاب (مفتاح كنوز السنة) فان ذاك انما يهديك إلى مواضع الأحاديث القولية التى تعرف أوائلها ، وهذا يهديك إلى جميع السنن القولية والعملية ومافى معناهما كالشمائل والتقريرات والمناقب والمغازى وغيرها .

﴿ آدم عليه السلام ﴾

* احْتجاجُ آدَمَ وَمُوسَى – بخ – ك ٦٠ ب ٣١ ؛ ك ٦٥ سورة ٢٠ ب ١و٣ ؛ ك ٨٢ ب ١١ ؛ ك ٩٧ ب ٣٧ مس – ك ٤٦ ح ١٣ – ١٥ بد – ك ٣٩ ب ١٦ تر – ك ٣٠ ب ٢ مج – المقدمة ب ١٠ ما – ك ٤٦ ح ١ حم – ثان ص ٢٤٨، ٢٦٤ قا ٢٦٨ و٢٨٧و٣١٤و٣٩٢و٣٩٨و٤٤٨ قا ٤٦٤

* آدَمُ فى السماء الأُولى – بخ – ك ٨ ب ١ مس – ك ١ ح ٢٥٩ نس – ك ٥ ب ١ هش – ص ٢٦٩

* ما كان مِنْ عَذْبِ الأرض فى خلِقْه وما كان مِنْ مَالَحِها – عد – جـ ١ ق ١ ص ٦

* كَيْفَ صَنَعَ الله بِطِينَته – عد – جـ ١ ق ١ ص ٦ قا حم – ثالث ص ١٥٢و٢٢٩و٢٤٠و٢٥٤ ط – ح ٢٠٢١

* فى يوم جُمُعَة خُلِقَ آدَمُ وَاسكنَ الْجَنَّة وَاُهبِط منها – مس – ك ٧ ح ١٧و١٨ ؛ ك ٥٠ ح ٢٧ بد – ك ٢ ب ٢٠٠ تر – ك ٤ ب ١و٢ نس – – ك ١٤ ب ٤و٥و٤٥ مج – ك ٥ ب ٧٦ ؛ ك ٦ ب ٦٤ مى – ك ٣ ب ٢٠٦ ما – ك ٣ ح ٨٩ عد – جـ ١ ق ١ ص ٨ قا حم – ثان ص ٣١١و٣٢٧و٥٤٠

* طولُ قامَتِهِ – بخ – ك ٦٠ ب ١ ؛ ك ٧٩ ب ١ مس – ك ٥١ ح ٢٨ عد – جـ ١ ق ١ ص ٩و١٠و١٣ حم – ثان ص ٢٣٢و٣١٥و٣٢٣و٥٣٥

* لاتُقْتَلُ نفس ظلماً ألاَّ كان عَلَىَ ابن آدم الأوَّل كِفْل مِنْ دَمها – بخ – ك ٦٠ ب ١ ؛ ك ٨٧ ب ٢ ؛ ك ٩٦ ب ١٥ مس – ك ٢٨ ح ٢٧ مج – ك ٢١ ب ١ حم – أول ص ٣٨٣و٤٣٠و٤٣٣

* خَلْقُهُ مِنْ قَبضةٍ قبضها الله مِنْ جميع الأرض –

بد – ك ٣٩ ب ١٦ تر – ك ٤٤ سورة ٢ ح ١ قا عد – جـ ١ ق ١ ص ٥و٦ حم – رابع ص ٤٠٠و٤٠٦

* وإذْ أخذ ربك مِنْ بنى آدم مِن ظُهورهم ذرّيّتَهُم –

تر – ك ٤٤ سورة ٧ ح ٢و٣ ما – ك ٤٦ ح ٢ عد – جـ ١ ق ١ ص ٧و٨و٩ حم – أول ص ٢٧٢ ؛ ثالث ص ١٢٧و١٢٩ ؛ خامس ص ١٣٥ ؛ سادس ص ٤٤١

* هِبَةُ آدم لداودَ أربعين عاماً مِنْ عُمُرِهِ –

تر – ك ٤٤ سورة ٧ ح ٣ عد – جـ ١ ق ١ ص ٧ حم – أول ص ٢٥١و٢٩٨و٣٧١ ط – ح ٢٦٩٢

* تسليمُ آدم على الملائكة وتسليمُهُمْ عليه –

بخ – ك ٧٥ ب ١ عد – جـ ١ ق ١ ص ٩ حم – ثان ص ٣١٥

* هبوطه مِن الجنة واجتماعُه بحَوَّاء وحَجُّه إلى مكة ونُسُكهُ –

عد – جـ ١ ق ١ ص ١٢

* الشجرةُ التى أكل منها هى الكرْم عد – جـ١ ق ١ ص ١١

* آدمُ أولُ الأنبياء –

عد – جـ ١ ق ١ ص ٢٦ حم – خامس ص ١٧٨و١٧٩و٢٦٥ ط – ح ٤٧٩

* بناؤه المحرابَ بمكَّةَ

عد – جـ ١ ق ١ ص ١٥

* خبَرُ أولاده –

عد – جـ ١ ق ١ ص ١٠و١٣و١٦

* وَفاتهُ ودَفنُهُ –

عد – جـ ١ ق ١ ص ١١و١٨ حم – خامس ص ١٣٦ ط – ح ٥٤٩

﴿ آدمِىّ ﴾

انظر : الانسان

﴿ آل مُحَمَّدٍ ص ﴾

* إنّى قد تركتُ فيكم مَا إنْ أخَذْتُمْ به لن تَضلُّوا كتاب الله وعِتْرتى أهل بيتى –

تر – ك ٤٦ ب ٣١

* أصحاب الكِساء –

تر – ك ٤٤ سورة ٣٣ ح ٧ ؛ ك ٤٦ ب ٣١و٦٠ حم – أول ص ٣٣٠ ؛ رابع ص ١٠٧ ؛ سادس ص ٢٩٢و٢٩٦و٢٩٨و٣٠٤و٣٢٢

* إنى وإياك وهذين وهذا الراقدَ فى مكان واحد يوم القيامة –

حم – أول ص ١٠١ ط – ح ١٩٠

* والذى نفسى بيده لايدخلُ قلبَ رجل الايمانُ حتى يحبُّكم لله ولرسوله –

تر – ك ٤٦ ب ٢٨ جه – المقدمة ب ١١ (العباس)

* النبىِّ حرْبٌ لمن حاربهَم وسَلْم لمن سالمهم –

تر – ك ٤٦ ب ٦٠ قا حم – ثان ص ٤٤٢

* مَن هم آلهُ ص –

تر – ك ٤٤ سورة ٣ ح ٧ حم – أول ص ١٨٥

* أجْرُ حُبِّهم يومَ القيامة –

حم – أول ص ٧٧

﴿ آمِنَةْ ﴾

انظر أيضاً : محمد ص

عد – جـ ١ ق ١ ص ٥٨ – ٦٤و٧٣

* وفاتُها –

هش – ص ١٠٧

﴿ آمِين ﴾

* كيف يقولُ آمين فى الصلاة –

بخ – ك ١٠ ب ١١١ بد – ك ٢ ب ١٦٧ تر – ك ٢ ب ٧٠ مج – ك ٥ ب ١٤ مى – ك ٢ ب ٣٩ حم – رابع ص ٣١٦و٣١٨

* فَضْلُ التأمين فى الصلاة –

بخ – ك ١٠ ب ١١١ – ١١٣ قا ك ٥٩ ب ٧ ؛ ك ٦٥ سورة ١ ب ٢ ؛ ك ٨٠ ب ٧٣ مس – ك ٤ ح ٧٢–٧٦ بد – ك ٢ ب ١٦٧ تر – ك ٢ ب ٧١ نس – ك ١١ ب ٣٣–٣٥ مج – ك ٥ ب ١٤ مى – ك ٢ ب ٣٨ ما – ك ٣ ح ٤٤و٤٥و٤٦ حم – ثان ص ٢٣٣و٢٣٨و٢٧٠

٣١٢و٤٤٠و٤٤٩و٤٥٩ قا سادس ص ١٢و١٥ ط – ح ١٠٢٤و٢٥٧٧

﴿ الأنِيَـةُ ﴾

* ماحُظِر استعمالُه منها فى الأشربةِ

بخ – ك ٢ ب ٤ ؛ ك ٣ ب ٢٥ : ك ٩ ب ٢ : ك ٢٤ ب ١ ؛ ك ٥٧ ب ٢ قا ؛ ك ٦١ ب ١و٥ ؛ ك ٦٤ ب ٦٩ ؛ ك ٧٤ ب ٤و٨

مس – ك ١ ح ٢٧و١٣ ؛ ك ٣٦ ح ٣٠و٦٠ بد – ك ٢٥ ب ٧و٩و١٢

تر – ك ٢٤ ب ٤و٥ ؛ ك ٣٨ ب ٥ نس – ك ٤٣ ب ٣٦ ؛ ك ٥١ ب ٥و٩و٢٣و٢٨–٣٨و٤٨

مج – ك ٣٠ ب ١٣و١٥ مى – ك ٩ ب ١٤

الفصـــل الخـــامس

السيره والأنواع الادبية

عن الحديث والأنواع الأدبية : عن السيرة النبوية ، يمكن أن تتفرع دراسة لتاريخ الأدب العربى فى فترة البعثة النبوية والخلفاء الراشدين ، ثم ماتبع بالضرورة . تلك الدراسة التاريخية للأدب من نقد يتصل بهذه الفترة من تاريخ العرب والإسلام . ثم إن هذه السيرة النبوية تلهم إبداع أدب الرحلة بما تثيره الأماكن المقدسة ، أو أحداث التاريخ من ذكريات تثير العاطفة ، وتلهب الوجدان ، وتدفع إلى التعبير عن أشواق النفوس وأتواقها ، وتصوير مايتدافع فيها من فرح أو ترح . وخوف أورجاء ، وتوبة أو ندم .

ومن مثيرات السيرة النبوية الإبداعية المدحة النبوية ، وفيها فيض زاخر من عواطف الحب للرسول ، وبيان أياديه على البشرية منذ بعثته ، ثم توظيف تلك المدائح للنهوض بالمجتمعات الاسلامية من كبواتها ، لأنها عامل مثير للنهضة واليقظة .

ولقد هدت جهود الباحثين إلى تصنيف الحديث النبوية باعتباره نصاً أدبيا إلى : أدب الدعاء - الرسالة - الخطبة - المثل - القصة .

فالسيرة أنشأت أدباً ، والحديث النبوى نفسه كان أنواعاً من الأدب ، وهذا مايميـز شخصية الرسول فعلا وقولاً عن غيره من سائر الرسل والأنبياء .

ومن السيرة لابن هشام* يمكن ان نستخلص النص الأدبى الذى يؤرخ لتاريخ الاسلام بخاصة وللأدب العربى بعامة وفيما يلى من نصوص نجد ان ابن هشام يضيىء النص الادبى بما حوله من احداث التاريخ الاسلامى

(*) حققها مصطفى السقا وابراهيم الابيارى وعبد الحفيظ شلبى ط دار أحياء التراث العربى بيروت من ص ٣١-٣٨

أولا : السيرة النبوية والأدب العربى

ذكر الأسباب الموجبة المسير إلى مكة وذكر فتح مكة
فى شهر رمضان سنة ثمان

الحرب بين خزاعة وبكر :

قال ابن إسحاق :

ثم أقام رسول الله ﷺ بعد بعثه إلى مؤتة جمادى الآخرة ورجبا .

ثم أن بنى بكر بن عبد مَناة بن كِنانة عَدَت على خُزاعة ، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له : الوَتِير ، وكان الذى هاج مابين بنى بكر وخُزاعة أنّ رجلا من بنى الحَضْرمى ، واسمه مالك بن عبَّاد - وَحِلْف الحَضْرمى يومئذ إلى الأسود ابن رَزْن[1] خرج تاجرا ، توسط أرض خزاعة عَدَوا عليه فقتلوه ، وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من خُزاعة فقتلوه ، فعَدت خزاعةُ قبيل الإسلام على بنى الأسود بن رزَن الدِّيلى - وهم مَنْخَرُ[2] بنى كنانة وأشرافهم - سَلْمى وكُلثوم وذؤيب - فقتلوهم بعرَفة عند أنصاب الحرم[3].

قال ابن إسحاق : وحدثنى رجل من بنى الديل قال :

كان بنو الأسود بن رزن يُوْدَوْن فى الجاهلية ديتين ، ونُودَى دِيةً دية ، لفضلهم فينا .

---

(١) رزن : يروى بكسر الراء وفتحها ، وإسكان الزاى وفتحها ؛ وقيده الدارقطنى بفتح الراء وإسكان الزاى لاغير . (راجع شرح السيرة)

(٢) كذا فى ا . ويريد بالمنخر : المتقدمين ، لأن الأنف هو المقدم من الوجه . وفى سائر الأصول : « مفخر » بالفاء .

(٣) أنصاب الحرم : حجارة تجعل علامات بين الحل والحرم .

قال ابن إسحاق :

فبينا بنو بكر وخزاعة على ذلك حَجَر بينهم الإسلام ، وتشاغل الناس به . فلما كان صلحُ الحديبية بين رسول الله ﷺ وبين قريش ، كان فيما شَرَطو الرسول ﷺ وشَرَط لهم ، كما حدثنى الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، عن المِسْوَر بن مَخْرمة ومروان بن الحكم وغيرهم من علمائنا :

أنه من أحبَّ أن يدخل فى عَقْد رسول الله ﷺ وعهده فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه . فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ، ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله ﷺ وعهده[1].

قال ابن إسحاق : فلما كانت الهُدْنة اغتنمها بنو الديل من بنى بكر من خزاعة ، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأراً بأولئك النفر الذين أصابوا منهم ببنى الأسود ابن رَزْن ، فخرج نوفل بن معاوية الدِّيلى فى بنى الديل ، وهو يومئذ قائدهم ، وليس كل بنى بكر تابَعه[2] حتى بيَّت خزاعة وهم على الوتير ، ماء لهم ، فأصابوا منهم رجلا ، وتحاوزوا واقتتلوا ، ورفدت بنى بكر قريشٌ بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا ، حتى حازوا[3] خُزَاعةَ إلى الحَرمَ ، فلما انتهَوا إليه ، قالت بنو بكر : يانَوْفل ، إنَّا قد دخلنا الحرم ، إلهكَ إلهكَ ، فقال : كلمة عظيمة ، لا إله له اليوم ، يابنى بكر أصيبوا ثأركم ، فلعمرى إنكم لتَسْرِقون[4] فى الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه ، وقد أصابوا منهم ليلة بيّتوهم بالوتير رجلا يقال له مُنَبِّه ، وكان منبه رجلا مَفْئودا[5] خرج هو ورجل من قومه ، يقال له تميم ابن أسد ، فقال له مُنَبِّهُ : ياتميم ، انجُ بنفسك ، فأما أنا فوالله إنى لميّت ، قتلونى أو تركونى ، لقد انبَتَّ[6] فؤادى ، وانطلق تميم فأفلت ، وأدركوا مُنَبِّها فقتلوه ، فلما دخلت خزُاعة مكة لجئوا إلى

(١) هذه الكلمه سلقطة فى (١) .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « بايعته » .

(٣) كذا فى ا . وحازوهم : ساقوهم . وفى سائر الأصول : « حاوزوهم » .

(٤) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « لتسرفون » .

(٥) مفؤودا : ضعيف الفؤاد .

(٦) انبت : انقطع .

دار بُدَيْل بن ورقاء ودار مولى لهم يقال له رافع ، فقال تَميم بن أسَد يعتذر من فراره عن مُنَبِّه :

لمـا رأيتُ بنـى نُفَاثَـةَ أقْبَلُـوا يَغشَوْن كلَّ وَتِيَـرةٍ[1] وَحِجـابِ[2]

صخْراً وَرَزْناً لاعَـرِيبَ سِوَاهُـمُ يُزْجُـون كلَّ مُقَـلَّص خَنـابِ[3]

وذكـرتُ ذَحْلاً[4] عندنا مُتقادِماً فيما مَضَى مِن سالِفِ الأحْقَابِ[5]

ونَشَيْتُ ريحَ الموتِ من تِلْقائهـم ورهِـبْتُ وَقْـعَ مُهنَّـدٍ قَضَّابِ[6]

وعرفتُ أنْ مَنْ يَثقَفُـوُهُ يَتْرُكـوا لَحْمـاً لُمِجرِيَـةٍ وشِلْـوُ غُرَابِ[7]

قَوَّمتُ رِجْلاً لا أخافُ عِثارَهـا وطرحت بالمَتْن العَـراءِ ثِيـابِى[8]

ونَجوْتُ لاينجـو نجائى أحْـقَبٌ عِلْـجٌ أقَبُّ مشمَّـرُ الأقْـرَابِ[9]

تَلْحَى ولـو شَهِدَتْ لكان نكيرُها بَوْلاً يَبُـلُّ مَشافـرَ القَبْقَـابِ[10]

القـومُ أعـلم ماتركـت مُنَبِّهـا عن طِيب نَفْس فاسألى أصحـابِى

(١) كذا فى الأصول . وفى شرح السيرة : « وثيرة » بالثاء المثلثة . قال أبو ذر : « من رواه بالثاء المثلثة فهى الأرض اللينة الرطبة . ومنه يقال : فراش وثير : إذا كان رطبا . ومن رواه بالتاء باثنتين ، يعنى الأرض الممتدة » .

(٢) الحجاب : ما اطمأن من الأرض وخفى .

(٣) لاعريب : أى لا أحد ، يقال : ما بالدار عريب ولاكتيع ولاذبيح ، فى أسماء غيرها ، وكلها بمعنى : مابها أحد . ويزجون : يسرقون . والمقلص : الفرس المشمر . والخناب : الفرس الواسع المنخرين . ويروى : خباب ، أى مسرع ، من الخبب ، وهو السرعة فى السير .

(٤) كذا فى أكثر الأصول . والدخل : طلب الثأر . وفى ا : « دخلا » .

(٥) الأحقاب : السنون .

(٦) نشى : شم والمهند القضاب : السيف القاطع .

(٧) المجرية : اللبؤة التى لها جراء ، أى أولاد . والشلو : بقية الجسد .

(٨) المتن : ماظهر من الأرض وارتفع . والعراء : الخالى لايختفى فيه شيء .

(٩) نجوت : أسرعت . وأحقب : أى حمار وحش أبيض المؤخر ، وهو موضع الحقيبة ، وعلج : غليظ . وأقب : ضامر البطن . ومشمر الأقراب : متقبض الخواصر وماليها . ويروى : « مقلص الأقراب » ، وهو بمعناه .

(١٠) تلحى : تلوم . والمشافر : النواحى والجوانب . والقبقاب: من أسماء الفرج .

قال ابن هشام :

وتروى لحبيب بن عبد الله [الأعْلم][1] الهُذَلى . وبيته : « ذكرت ذحلا عندنا متقادما » عن أبى عبيدة ، وقوله « خناب » و« علج أقب مشمر الأقراب » عنه أيضا .

قال ابن إسحاق :

وقال الأَخْزَر بن لُعْط الدِّيلى ، فيما كان بين كِنانة وخُزاعة فى تلك الحرب :

ألاَهَلْ أتَى قُصْوَى الأحابِيشِ أنَّنـا ... رَدَدْنَا بَنى كَعْب بأفْـوَق نَاصِلِ[2]

حَبَسنَاهُـمُ فى دَارَةِ العبـد رافـع ... وعنْدَ بُدَيْلٍ مَحْبِساً غيْر طَائـل[3]

بِدَار الذَّلِيلِ الآخِذِ الضَّيْم بَعْدَمَـا ... شَفَيْنـا النفـوسَ منهُـمُ بالمَنَـاصِل[4]

حبسناهُـمُ حتى إذا طال يومُهـم ... نفحْنَا لهُـمْ مِن كلِّ شِعْب بِوَابل[5]

نُذَبِّحُهُـمْ ذبْـحَ التُّيـوس كأنَّنـا ... أسودٌ تَبـارَىَ فيهمُ بالفواصِـل[6]

هُمُ ظلمونـا واعتـدَوْا فى مَسيرهـم ... وكانـوا لَدى الأنصاب أولَ قاتـل

كأنهُـمُ بالجِزْع[7] إذ يطـردونهم ... بفاثـور[8] حُفَّانُ النَّعامِ الجوافِـلِ[9]

---

(1) زيادة عن ا .

(2) قصوى : أبعد . والأحابيش : كل من حالف قرشا ، ودخل فى عهدها من القبائل . ويريد بقوله « بأفوق ناصل » : أنها ردت خائبة ، والأفوق (فى الأصل) : السهم الذى انكسر فوقه ، وهو طرفه الذى يلى الوتر . والناصل : الذى زال نصله ، أى حديدته التى تكون فيه .

(3) الدارة : الدار .

(4) الضيم : الذل . والمناصل : جمع منصل ، وهو السيف .

(5) نفحنا : وسعنا . والشعب . المطمئن بين جبلين . والوابل : المطر الشديد ، وأراد به هنا دفعة الخيل .

(6) يريد « بالفواصل » : الأنياب .

(7) الجزع : ما انعطف من الوادى .

(8) كذا فى أكثر الأصول . وفاثور : موضع بنجد ، قال أبو ذر : « ظاهره أنه اسم موضع . ومن وراه : قفاثور ، فثور : اسم جبل بمكة ، ومنعه هذا الشاعر الصرف ، لأنه قصد به قصد البقعه . وقفاه : وراؤه » . وفى ا : « فعاثور » .

(9) حفان النعام : صغارها . والجوافل : المولية المسرعة .

فأجابه بُدَيْل بن عبد مَناة بن سَلَمة بن عمرو بن الأجب[1] ، وكان يقال له : بُديل بن أم أصرم ، فقال :

تفَاقَـد قومٌ يفخـرون ولم نَدَعْ لهم سيِّدا يَنْدُوهُـمُ غيـرَ نافـلِ[2]
أمِنْ خِيفَـة القوم الألَـى تزدَريهمُ تُجيز الوَتِير خائفا غيـرَ آئـلِ[3]
وَفي كلِّ يوم نحنُ نَحْبُو حِباءنـا لعَقْـل ولا يُحْبَى لنا فى المَعَاقـلِ[4]
ونَحن صبَحنا بالتَّلاعة دارَكُـمْ بأسيافنـا يَسْبِقْـن لوم العـواذل[5]
ونحنُ منَعْنـا بين بَيْض وعِتْـوَدٍ إلى خَيْف رَضْوَى[6] مِن مَجَرٌ القَنَابِل[7]
ويوْمَ الغَمِيـم قد تُكَفِّتَ ساعيـاً عُبَيْسٌ فجعناهُ بجَلْـدٍ حُلاحِـل[8]
أأَن أجْمَرت فى بيتها أمُّ بعضكـم بجُعْمُوسِها تنـزُونَ أنْ لم نُقاتِـل[9]
كَذبْتُم وبيـتِ الله ما إن قَتَلْتُـمُ ولكـنْ تَرَكْنا أمْـرَكم فى بلابـل[10]

قال ابن هشام : قوله « غير نافل » وقوله « إلى خَيْف رَضوى » عن غير ابن إسحاق .

---

(1) فى ا : « الأحب ، بالحاء المهملة » . وفى الاستيعاب لابن عبد البر : « الأخنس » . وقد ساق ابن عبد البر نسبه فقال : « هو أحد المنسوبين إلى أمهاتهم ، وهو بديل بن سلمة ابن خلف بن عمرو بن الأخنس بن مقياس بن حبتر بن عدى بن سلول بن كعب الخزاعى .

(2) يندوهم : يجمعهم فى الندى ، وهو المجلس .

(3) الوتير : اسم ماء بأسفل مكة لخزاعة ، وغير آئل : غير راجع .

(4) نحبو : نعطى . والعقل : الدية .

(5) التلاعة (بالفتح والتخفيف) : ماء لبنى كنانة الحجاز . ويسبقن لوم العواذل : يشير إلى المثل المعروف : « سبق السيف العذل » .

(6) بيض (بالفتح) : من منازل بنى كنانة بالحجاز : وعتود (بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح الواو . وروى بفتح أوله) : ماء لكنانة أيضاً . والخيف : ما انحدر من الجبل . ورضوى : جبل بالمدينة .

(7) كذا فى ا . والقنابل : جمع قنبلة ، وهى القطعة من الخيل .

(8) الغميم : موضع بين مكة والمدينة . وتكفت : حاد عن طريقه . وعيس : رجل . والجلد : القوى . والحلاحل : السيد .

(9) الجعموس : العذرة . و« أجمرت ... الخ » أى رمت به بسرعة ، وهو كناية عن ضرب من الحدث يسمج وصفه ، يريد الفزع وعدم الاطمئنان .

(10) البلابل : اختلاط الهم ووساوسه .

قال ابن هشام :

وقال حسان بن ثابت فى ذلك :

لحَا الله قوماً لم ندعْ من سراتهم · لهم أحَداً يَنْدُوهُمُ غيرَ ناقبِ[1]
أخُصْيَىْ حِمارٍ ماتَ بالامس نوفلاً · متى كنتَ مِفْلا حَاً عدوَ الحقائِب[2]

قال ابن إسحاق :

فلما تظاهرت بنو بكر وقُريش على خُزاعة ، وأصابوا منهم ما أصابوا ، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق ، بما استحلُّوا من خزُاعة ، وكان فى عَقْده وعهده ، خرج عمرو بن سالم الخُزاعىُّ ، ثم أحد بنى كعب ، حتى قدِم على رسول الله ﷺ المدينة ، وكان ذلك مما هاج فتح مَكّة ، فوقف عليه وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى الناس ، فقال :

يارِبَّ إنّى ناشدٌ محمداً · حِلْفَ أبينا وأبيه الأتْلَدا[3]
قد كنتمُ وُلْداً وكنَّا وَالِدَا · ثُمَّتَ أسْلَمنا فلم ننْزِعْ يدَا[4]
فانصُرْ هَداكَ الله نصراً أعتدا · وادعُ عبادَ الله يأتوا مَدَدا[5]
فيهم رسولُ الله قد تجرّدَا · إن سِيمَ خَسْفاً وجهُهُ تَرَبَّداً[6]

---

(١) سراة القوم : أشرافهم وخيارهم . ويندوهم : يجمعهم فى النادى ، وناقب : رجل . (عن أبى ذر والمسان) .

(٢) المفلاح : من الفلاح ، وهو بقاء الخير ، والحقائب : جمع حقيبة ، وهو مايجعله الراكب وراءه إذا ركب (عن أبى ذر) .

(٣) ناشد : طالب ومذكر . والأتلد : القديم .

(٤) يريد أن بنى عبد مناف أمهم من خزاعة ، وكذلك قصى أمه فاطمة بنت سعد الخزاعية . والولد (بالضم) : بمعنى الولد (بالتحريك) . وأسلمنا : من السلم . قال السهيلى : « لأنهم لم يكونوا آمنوا بعد ، غير أنه قال : « ركعا وسجدا » فدل على أنه كان فيهم من صلى الله فقتل : (راجع الروض) .

(٥) أعتد : حاضر ، من الشيء العتيد ، والمدد : العون .

(٦) تجرد : من رواه بالحاء المهمله ، فمعناه ، غضب : ومن رواه بالجيم ، فمعناه : شمر وتهيأ للحرب . وسيم : طلب منه وكلف . والخسف : الذل ، وتربد : تغير إلى السواد .

فى فَيْلق كالبَحْر يَجْرِى مُزْبِدا إن قريشاً أَخْلفوك المَوْعِدا[1]

ونقضُوا ميثاقَك المُؤكَّدَا وجَعَلوا لى فى كَدَاء رُصَّدا[2]

وزَعموا أنْ لستُ أدعُو أحَدَا وهُمْ أذلّ وأقَلّ عَددا

هُمْ بَيَّتونا بالوتير هُجَّدا وقَتَلونا رُكَّعا وسُجَّدا[3]

[يقول : قُتِلنا وقد أسْلمنا][4]

قال ابن هشام : ويروى [أيضا]

فانصر هداك الله نصرا أيِّدا[5]

قال ابن هشام : ويروى أيضا :

[نحن ولدناك فكنت ولدا]

قال ابن إسحاق :

فقال رسول الله ﷺ : نُصِرْتَ ياعمرو بن سالم[6]. ثم عرض لرسول الله ﷺ عَنان[7] من السَّماء ، فقال : إن هذه السَّحابة لتستهل بنصر بنى كعب .

ثم خرج بُدَيل بن ورقاء فى نفر من خُزاعة حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينَة ، فأخبروه بما أصيب منهم ، وبمُظاهرة[8] قُريش بنى بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة ، وقد قال رسول الله ﷺ للناس : كأنكم بأبى

---

(١) الفيلق: العسكر الكثير .

(٢) كداء بوزن سحاب : موضع بأعلى مكة ، ورصد كركع جمع راصد ، وهو الطالب للشىء الذى يرقبه ، ويجوز أن يكون رصداً كسبب ، وهو بمعنى الأول .

(٣) الوتير : اسم ماء بأسفل مكة لخزاعة . والهجد : النيام ، وقد يكون « الهجد » أيضا : المتيقظين ، وهو من الأضداد . ورواية هذا الشعر فى الاستيعاب تخالف روايته هنا تقديما وتأخيراً وزيادة وحذفا .

(٤) مابين القوسين ساقط فى ا .

(٥) أيدا : قويا ، وهو من الأيد ، وهو القوة .

(٦) فى الاستيعاب : « فقال رسول الله ﷺ : « لانصرنى الله إن لم أنصر بنى كعب » .

(٧) عنان : سحاب .

(٨) المظاهرة : المعاونة .

سفيان قد جاءكم ليشُد العَقْد ، وَيزيد فى المُدة ومضى بُدَيل ابن ورقاء وأصحابه حتى لقُوا أبا سُفيان بن حرب بِعُسفان[1]، قد بعثته قُريش إلى رسول الله ﷺ ، ليشُد العقد ويَزيد فى المُدة . وقد رَهِبوا الذى صنعوا . فلما لقى أبو سُفيان بُديْل بن ورقاء ، قال : من أين أقبلت يابُديل ؟ وظن أنه قد أتى رسولَ الله ﷺ ؛ قال : تَسَيرت فى خزاعة فى هذا الساحل ، وفى بطن هذا الوادى ؛ قال : أو ماجئت محمدا ؟ قال : لا ؛ فلما راح بُديل إلى مكة ، قال أبو سُفيان : لئن جاء بُديل المدينة لقد عَلف بها النوى ، فأتى مَبْرك راحلته ، فأخذ من بَعرها فَفته ، فرأى فيه النوّى ، فقال : أحلف بالله لقد جاء بُدَيل محمدا .

ثانيا : المدحـــة النبوية :

زخرت دواوين الشعراء بالمديح النبوى ، وهذا مانَعُدُّه نصوصاً إبداعية نجتزئ منها هنا مما جاء عند شاعرين هما البحترى والشريف الرضى نتبعها ببحث أدبى عن المدحة النبوية للزميل الأستاذ الدكتور أحمد النجار ، ونحب أن نشير هنا إلى جهد سابق فى هذا البحث لأدب المدحة النبوية عند الدكتور زكى مبارك .

(أ) من ديوان البحتـــري :

تحقيق حسن كامل الصيرفى م ٢ ص ٨٦١ .

لله ماحبت الحـــــداة ومـــاسمت	تخدي به قلص المهـــاري الضمـــر
متقلقـلات بالسماحة والنــــدي	يطلبن خيف «مني» وحنو المشعر
حتى رمين إلى الجمـــار ضحيـــة	والــركب بين محلــق ومــقصر
وثـــنين نحو قصور يثرب آخـــذا	منهن سير مغـــلس ومهجـــر
يجشمـــن من بعـــد أداء تحيـــة	للـــقبر ثم ومسحـــة للمنـــبر
حج تقبلـــه الالـــه وأوبـــــة	كانت شـفـاء جوي لنـا وتذكـــر

(١) عسفان : على مرحلتين من مكة ، على طريق المدينة . (راجع معجم البلدان) .

وقال :

فأقسمت بالركب الذين تدرعوا ... من الليل اقطاع السري وهم سفر
على أينق مثل القسي سواهم ... ضوامر لاحتها الهواجر والقفر
بكل معراة السباريت سملق ... ومجهولة تيه مخارمها غبر
إلى أن أطافوا بالحطيم وضمهم ... غداة الطواف البيت والركن والحجر

* * *

(ب) من ديوان الشريف الرضي

ما امرك وما احلاك

قال قدس الله سره في المحرم سنة
٣٩٥ وهي من لواحق الحجازيات أيضاً :

يَاظَبيَةَ البَانِ تَرْعَى فِي خَمَائِلِهِ ... لِيَهْنَكِ اليَوْمَ أَنَّ القَلبَ مَرْعَاكِ
المَاءُ عِنْدَكِ مَبْذُولٌ لِشَارِبِهِ ، ... وَلَيسَ يُرْوِيكِ إِلا مَدمعَي البَاكي
هَبَّتْ لَنَا مِنْ رِيَاحِ الغَوْرِ رَائِحَةٌ ... بَعْدَ الرقادِ عَرَفْنَاهَا بِرَيَّاكِ
ثُمَّ انْثَنَيْنَا ، إِذَا مَا هَزَّنَا طَرَبٌ ... عَلَى الرِّحَالِ ، تَعَلَّلْنَا بِذِكْرَاكِ
سَهْمٌ أَصَابَ وَرَامِيهِ بِذِي سَلَمٍ ... مَن بِالعِرَاقِ ، لَقَد أَبْعَدْتِ مَرْمَاكِ
وَعْدٌ لِعَيْنَيكِ عِنْدِي مَاوَفَيْتِ بِهِ ، ... يَا قُرْبَ مَا كَذَبَتْ عَيْنَيَّ عَيْنَاكِ
حَكَتْ لِحَاظُكِ مَا فِي الرِّيمِ مِن مُلَحٍ ... يَوْمَ اللِّقَاءِ فَكَانَ الفَضْلُ لِلحَاكِي
كَأَنَّ طَرْفَكِ يَوْمَ الجِزْعِ يُخبِرُنَا ... بِمَا طَوَى عَنْكِ مِن أَسْمَاءِ قَتْلاكِ
أَنْتِ النَّعِيمُ لِقَلبِي وَالعَذَابُ لَهُ ، ... فَمَا أَمَرَّكِ فِي قَلْبِي وَأَحْلاكِ
عِنْدِي رَسَائِلُ شَوْقٍ لَسْتُ أَذْكُرُهَا ... لَوْلا الرَّقِيبُ لَقَدْ بَلَّغْتُهَا فَاكِ
سَقَى مِنَى وَلَيَالِي الخَيْفِ مَاشَرِبَتْ ... مِنَ الغَمَامِ وَحَيَّاهَا وَحَيَّاكِ
إِذ يَلتَقِي كُلُّ ذِي دَيْنٍ وَمَاطِلُهُ ، ... مِنَّا ، وَيَجْتَمِعُ المَشْكُوُّ وَالشَّاكِي
لَمَّا غَدَا السِّرْبُ يَعطُو بَيْنَ أَرْحُلِنَا ، ... مَا كَانَ فِيهِ غَرِيمُ القَلبِ إِلاّكِ
هَامَتْ بِكِ العَيْنُ لَم تَتبَعْ سِوَاكِ هَوىً ... مَنْ عَلَّمَ البَيْنَ أَنَّ القَلبَ يَهْوَاكِ

حتّى دَنَا السِّرْبُ مَاأحييتِ من كمَدٍ   قتلى هَوَاكِ ، وَلا فاديتِ أسرَاكِ
ياحَبّذا نفحَةٌ مَرّتْ بفيكِ لَنَا ،   وَنُطفَةٌ غُمِستْ فيها ثَنَايَاكِ
وَحَبّذا وَقفَةٌ ، وَالرّكْبُ مُغتفِلٌ   إلى ثرى وخدت فيهِ مَطَايَاكِ
لَوْ كانَتِ اللِّمّةُ السّوداءُ من عُدَدي   يَوْمَ الغَمِيمِ ، لمَا أفلَتِّ أشرَاكي

يا قلب

قال قدس الله سره :

ياقَلْبُ لَيتَكَ حينَ لمْ تَدَعِ الهَوى   عَلّقْتَ مَنْ يَهوَاكَ مثلَ هَوَاكَا
لَوْ كَانَ حَرُّ الوَجْد يُعقِبُ بَعدَهُ   بَرْدَ الوِصَالِ غَفَرْتَ ذاكَ لذاكَا
لابَلْ شُجيتَ بِمَنْ يَبيتُ مُسلَّماً   خالي الضّلوعِ ، وَلا يُحسّ شَجاكَا
إنْ يُصْبحوا صَاحِينَ من خمرِ الهَوى ،   فَلَقَدْ سَقَوْكَ مِنَ الغَرَامِ دِرَاكَا
ياليتَ شُغلَكَ بايسَى أعداهُمُ ،   أوْ لا ، فَلَيتَ فَرَاغَهُمْ أعدَاكَا
أهوَى وَذُلاً في الهَوَى وَطَمَاعَةً ،   أبَداً ، تَعَالَى الله مَا أشقَاكَا

وفى الدرس الأدبى كان مضمون المدحة النبوية مبحثا للدكتور أحمد النجار – عالج فيه ما اتسمت به المدحة النبوية من لون إسلامى يميزها عن المدحة فى الأدب الجاهلى وإن كان بينها ثمت خصائص مشتركة باعتبار المدحة النبوية والمدحة الجاهلية من مكونات الأدب العربى . وكما أخضع الباحث المدحة النبوية لدرسة الأدبى عرض أيضا لرأى النقاد فى تحليلهم الأدبى لمضمون المديح فى الأدب العربى .

ثالثا : أدب الدعاء :

أفرد من الحديث النبوي ومن السيرة : محيى الدين النووي ماكان يدعو به الرسول ربه ويناجيه فى كل الأحوال بالليل أو بالنهار وسماه (الاذكار) ..

ويمكن بلا ريب أن نعُدَّ هذا فنا من فنون الآداب النبوية وهو فن الدعاء

كتاب أذكار النووى
المنتخبة من كلام سيد الأبرار
تأليف
الإمام العالم الربانى شيخ الإسلام والمسلمين
محيى الدين النووى الشافعى مذهبا الدمشقى
محتدا رحمه الله تعالى رحمة واسعة ونفعنا
به والمسلمين جميعا أمين .

أما بعد فقد قال الله العظيم العزيز الحكيم فاذكرونى أذكركم وقال تعالى وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون فعلم بهذا أن من أفضل حال العبد حال ذكره رب العالمين واشتغاله بالأفكار الواردة من رسول الله ﷺ سيد المرسلين وقد صنف العلماء رضى الله عنهم فى عمل اليوم والليلة والدعوات والأذكار كتباً كثيرة معلومة عند العارفين ولكنها مطولة بالأسانيد والتكرير فضعفت عنها همم الطالبين فقصدت تسهيل ذلك على الراغبين فشرعت فى جمع هذا الكتاب مختصرا مقاصد ماذكرته تقريبا للمعتنين وأحذف الأسانيد فى معظمه لما ذكرته من إيثار الاختصار ولكونه موضوعا للمتعبدين وليسوا إلى معرفة الأسانيد متطلعين بل يكرهونه وإن قصر إلا الأقلين ولأن المقصود به معرفة الأذكار والعمل بها وإيضاح مظانها للمسترشدين وأذكر إن شاء الله تعالى بدلا من الأسانيد ماهو أهم منها مما يخل به غالبا وهو بيان صحيح الأحاديث وحسنها وضعيفها ومنكرها فإنه مما يفتقر إلى معرفته جميع الناس إلا النادر من المحدثين وهذا أهم مايجب الاعتناء به وما تحققه الطالب من جهة الحفاظ المتقنن والأئمة الحذاق المعتمدين وأضم إليه إن شاء الله الكريم جملاً من النفائس من علم الحديث ودقائق الفقه ومهمات القواعد ورياضات النفوس والآداب التى تتأكد معرفتها على السالكين . وأذكر جميع ما أذكره موضحا بحيث يسهل فهمه على العوام والمتفقهين وقد روينا فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لاينقص ذلك من أجورهم شيئا . فأردت مساعدة أهل الخير بتسهيل طريقه

والإشارة إليه وإيضاح سلوكه والدلالة عليه فأذكر فى أول الكتاب فصولا مهمة يحتاج إليها صاحب هذا الكتاب وغيره من المعتنين . وإذا كان فى الصحابة من ليس مشهورا عند من لايعتنى بالعلم نبهت عليه فقلت . روينا عن فلان الصحابى يشك فى صحبته وأقتصر فى هذا الكتاب على الأحاديث التى فى الكتب المشهورة التى هى أصول الإسلام وهى خمسة صحيح البخارى وصحيح مسلم وسنن أبى داود والترمذى والنسائى ، وقد أروى يسيرا من الكتب المشهورة غيرها .

وأما الأجزاء والمسانيد فلست أنقل منها شيئا إلا فى نادر من المواطن ولاأذكر من الأصول المشهورة أيضا من الضعيف إلا النادر مع بيان ضعفه وإنما أذكر فيه الصحيح غالبا . فلهذا أرجو أن يكون هذا الكتاب أصلا معتمدا ثم لا أذكر فى الباب من الأحاديث إلا ما كانت دلالته ظاهرة فى المسألة . والله الكريم أسأل التوفيق والإنابة والإعانة والهداية والصيانة وتيسير ما أقصده من الخيرات والدوام على أنواع المكرمات والجمع بينى وبين أحبابى فى دار كرامته وسائر وجوه المسرات وحسبى الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم ماشاء الله لاقوة إلا بالله توكلت على الله اعتصمت بالله استعنت بالله وفوضت أمرى إلى الله واستودعت الله دينى ونفسى ووالدىّ وأخوانى وأحبابى وسائر من أحسن إلى وجميع المسلمين وجميع ما أنعم به على وعليهم من أمور الآخرة والدنيا فإنه سبحانه إذا إستودع شيئا حفظه ونعم الحفيظ

باب مايقول إذا إستيقظ من منامه

روينا فى صحيحى إمامى المحدثين أبى عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخارى وأبى الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى رضى الله عنهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة مكانها عليك ليل طويل فارقد فإن استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فإن توضأ انحلت عقدة فإن صلى انحلت عقدة كلها فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان هذا لفظ رواية البخارى ورواية مسلم بمعناه وقافية

الرأس آخره . وروينا فى صحيح البخارى عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما وعن أبى ذر رضى الله عنه قالا كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال باسمك اللهم أحيا وأموت وإذا إستيقظ قال الحمد لله الذى أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور وروينا فى كتاب ابن السنى بإسناد صحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال إذا إستيقظ أحدكم فليقل الحمد الله الذى رد علىّ روحى وعافانى فى جسدى وأذن لى بذكره . وروينا فيه عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال مامن عبد يقول عند رد الله تعالى روحه لا إله إلا الله وحده لاشريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير إلا غفر الله تعالى له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر . وروينا فيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ مامن رجل ينتبه من نومه فيقول الحمد لله الذى خلق النوم واليقظة الحمد لله الذى بعثنى سالما سويا أشهد أن الله يحيى الموتى وهو على كل شيء قدير إلا قال الله تعالى صدق عبدى . وروينا فى سنن أبى داود عن عائشة رضى الله عنها . قالت كان رسول الله ﷺ إذا هبّ من الليل كبّر عشرا وحمد عشرا وقال سبحان الله وبحمده عشرا وقال سبحان القدوس عشرا واستغفر عشرا وهلل عشرا ثم قال اللهم إنى أعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة عشرا ثم يفتتح الصلاة . وقولها هبّ أى إستيقظ وروينا فى سنن أبى داود أيضا عن عائشة أيضا أن رسول الله ﷺ كان إذا إستيقظ من الليل قال لا إله إلا أنت سبحانك اللهم أستغفرك لذنبى وأسالك رحمتك اللهم زدنى علما ولاتزغ قلبى بعد إن هديتنى وهب لى من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

رابعا : أدب الخطـابة :

بمجيء الإسلام ، وعلى يدى الرسول الكريم ازدهرت الخطبة وكانت السيادة قبله للشعر ، ومن ثمّ نقدم هنا نصاً من خطبه التى جمعها الأستاذ أحمد زكى صفوت[١] نتبعها ببحث جامعى عن الخطابة فى الإسلام[٢]

(١) جمهرة خطب العرب فى عصور العربية الزاهرة – جمع أحمد زكى صفوت ط الحلبى من ١٤٧–١٥٩

(٢) الخطابة فى صدر الإسلام للدكتور محمد طاهر درويش ط دار المعارف ١٩٦٥م عن ١٣٨، ١٣٩ ، ومن ١٧٦–٢٠٢

١ - أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه

حَمِد الله وأثنى عليه ثم قال :

« إنَّ الرَّائِدَ[١] لايَكْذِبُ أَهْلَهُ ، والله لَوْ كَذَبْتُ النَّاسَ جميعاً ما كَذَبْتُكم ، ولو غَرَرْتُ الناس جميعاً ماغَرَرْتكم ، وَالله الذى لاَ إلٰهَ إلاَّ هو إنى لرسُول الله إليكم خاصَّةً ، وَإلى الناس كافَّةً ، والله لتموتُنَّ كما تنامون ، وَلَتُبْعَثُنَّ كما تستيقظون ، ولَتُحَاسَبُنَّ بما تعملون ، وَلَتُجْزَوُنَّ بالإحسان إحساناً ، وبالسوء سوءا ، وإنها لَجنَّةٌ أبداً أو لنار أبداً » .

(السيرة الحلبية ١ : ٢٧٢ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٧)

٢ - أول خطبة خطبها بالمدينة

حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

« أما بعد أيها الناس فَقَدِّموا لأنفسكم ، تَعْلَمُنَّ والله لَيُصْعَقَنَّ أحَدُكُمْ ، ثم ليدَعنّ غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه وليس له تُرْجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولى فبلَّغك ، وآتيتكَ مالا ، وأفضلت عليك ، فما قدَّمت لنفسك ؟ فلينظرن يميناً وشِمَالاً ، فلا يرى شيئا ، ثم لينظرن قُدَّامَهُ فَلاَ يرى غير جَهَنَّمَ ، فمن استطاع أن يقى وجْهَهُ من النار ، ولو بشِقٍ من تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فإن بها تُجْزَى الْحَسَنَةُ عشْرَ أمثالها إلى

---

(١) المرسل فى طلب الكلا .

سبعمائة ضِعْف[1]، والسلام عليكم وعلى رسول الله ﷺ ورحمة الله وبركاته » .

(سيرة ابن هشام ١ : ٣٠٠)

٣ – خطبته فى أول جمعة جمعها بالمدينة

« الحمد لله أَحْمَدُهُ وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأومن به ولا أَكْفُرُهُ وأعادى من يَكْفُرُهُ ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فَتْرَةٍ من الرسل ، وَقِلَّةٍ من العلم ، وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان ، ودنوّ من الساعة ، وقُرْب من الأجل ، من يطع الله ورسوله فقد رَشِدَ[2]، ومن يَعْصِهِمَا فقد غَوِىَ وفرّط ، وَضلّ ضلالاً بعيداً ، وأوصيكم بتقوى الله ، فإنه خَيْرُ ما أَوْصى به المسلمَ أن يَحُضهُ على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله ، فاحْذَروا ماحذَّركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحةً ، ولا أفضل من ذلك ذكراً ، وإن تقوى الله لمن عمل به على وَجَل ومخافة من ربه ، عونُ صِدْق على ماتبغون من أمر الآخرة ، ومن يصلح الذى بينه وبين الله من أمره فى السرِّ والعلانية لاينوى بذلك إلاوَجْهَ الله ، يكن له ذكراً فى عاجل أمره ، وَذُخْراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدَّم ، وماكان من سوى ذلك يودُّ لو أن بينه وبينه أَمَداً بعيداً ، ويحذِّركم الله نَفَسهُ ، والله رءوف بالعباد ، والذى صدَقَ قَوْلَهُ ، وأنجز وَعْدَهُ لاَخُلْفَ لذلك ، فإنه يقول عز وجل : « مَايُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ ، وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيد » فاتقوا الله فى عاجل أمركم وآجله ، فى السر والعلانية ، فإنه من يَتَّقِ الله يُكَفِّرْ عنه سيئاتِهِ ، وَيُعْظِمْ له أجراً ، ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيما ، وإن تقوى الله يوَقِّى مقته ، ويوقى عقوبته ، ويوقى سُخْطَه ، وإن تقوى الله يُبَيِّض الوجوه ، ويرضى الرَّبَّ ، ويرفع الدرجة ، خذوا بِحَظِّكم ولا تُفَرِّطُوا فى جَنْبِ الله ، قد علمكم الله كتابه ، ونَهَجَ لكم سَبِيلَهُ ، ليعلم الذين

---

(١) ضعف الشيء مثله ، وضعفاه مثلاه ، أو الضعف المثل إلى مازاد ، ويقال لك ضعفه يريدون مثليه وثلاثة أمثاله لأنه زيادة غير محصورة .

(٢) كنصر وفرح .

صدقوا وَيعلَم الكاذبين ، فَأَحْسِنُوا كما أحسن الله إليكم ، وَعادُوا أعداءه ، وَجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ، لِيَهْلكَ من هَلكَ عن بيِّنةٍ ، ويحيا من حَيَّ عن بينة ، وَلا قوَّة إلا بالله ، فأكثروا ذكر الله ، وَأعملوا لما بعد اليوم ، فإنه من يُصْلِحْ ما بينه وبين الله يَكْفِهِ الله مابينه وبين الناس ، ذلك بأن الله يقضى على الناس ، ولا يقضون عليه ، وَيملك من الناس ولايملكون منه ، والله أكبر ولاقوَّة إلا بالله العظيم » .

(تاريخ الطبرى ٢ : ٢٥٥)

٤ – خطبة له يوم أحد

قام عليه الصلاة والسلام فخطب الناس فقال :

« أيها الناس أوصيكم بما أوصانى الله فى كتابه ، من العمل بطاعته ، والتناهى عن محارمه ، ثم إنكم اليوم بمنزل أجر وذخرٍ لَمِن ذكر الذى عليه ، ثم وطّن نفسه على الصبر واليقين ، والجد والنشاط ، فإن جهاد العدو شديدٌ كربه ، قليلٌ من يصبر عليه إلا من عُزم له على رشده ، إن الله مع من أطاعه ، وإن الشيطان مع من عصاه ، فاستفتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد ، والتمسوا بذلك ماوعدكم الله ، وعليكم بالذى أمركم به ، فإنى حريص على رشدكم . إن الاختلاف والتنازع والتثبيط من أمر العجز والضعف ، وهو مما لايحبه الله ، ولا يعطى عليه النصر .

أيها الناس إنه قُذف فى قلبى أن من كان على حرام فرغب عنه ابتغاء ماعند الله غَفَرَ له ذنبه ، ومن صلى على محمد وملائكته عشرا ، ومن أحسنَ وقع أجره على الله فى عاجل دنياه ، أوفى آجل آخرته ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فعليه الجمعة يوم الجمعة ، إلا صبيا أو امرأة أو مريضا أو عبدا مملوكا ، ومن استغنى عنها استغنى الله عنه ، والله غنى حميد .

ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله إلا وقد أمرتكم به ، ولا أعلم من عمل يقربكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه ، وإنه قد نَفَث الرُّوح الأَمين فى رُوعى أنه

لن تموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها لاينقص منه شيء وإن أبطأ عنها ، فاتقوا الله ربكم ، وأجملوا فى طلب الرزق ، ولايحملنكم استبطاؤه على أن تطلبوه بمعصية ربكم ، فإنه لايُقدرَ على ما عنده إلا بطاعته ، قد بين لكم الحلال والحرام ، غير أن بينها شُبَها من الأمر لم يعلمها كثير من الناس إلا من عُصم ، فمن تركها حفظ عرضه ودينه ، ومن وقع فيها كان كالراعى إلى جنب الحمى أوشك أن يقع فيه ، وليس ملك إلا وله حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه ، والمؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد ، إذا اشتكى تداعى إليه سائر جسده ، والسلام عليكم » .

(شرح ابن أبى الحديد م ٣ : ٣٦٥)

٥ - خطبته بالخيف

وخطب بالَخيف من منى فقال :

« نَضَّرَ[١] الله عبداً سمعَ مقالتى فوعاها ، ثم أدَّاها إلى من لم يسمعها ، فرب حامِلِ فِقْهٍ لافقه لهُ ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لايَغِلُّ[٢] عَلَيْهِنَّ قَلْبُ المُؤمِنِ : إخلاَصُ الْعَمَلِ لله ، والنصيحة لأولى الأمر ، ولزومُ الجماعة ، إنَّ دعوتهم تكون من ورائه ، ومن كان همه الآخرة جمع الله شملَهُ ، وجعل غِنَاه فى قلبه ، وأتته الدنيا وهى راغمة ، ومن كان همه الدنيا فرَّق الله أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتِبَ له » .

(إعجاز القرآن ص ١١٢)

---

(١) من النضرة والنضارة : وهى الحسن .

(٢) غل صدره يغل كضرب غلا : وهو الحقد والضغن .

٦ – خطبة له عليه الصلاة والسلام

ومن خطبه أيضاً أنه خطب بعد العصر فقال :

« ألا إنَّ الدنيا خَضِرَةٌ حُلْوَة ، ألا وإن الله مستخلِفكم فيها فناظرٌ كيف تعملون فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، ألا لايمنعن رجلا مخافة الناس أن يقول الحق إذا عَلِمَه . ولم يزل يخطب حتى لم تبق من الشمس إلاَّ حمرة على أطراف السَّعَف فقال : إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلاَّ كما بقى من يومكم هذا فيما مضى » .

(إعجاز القرآن ص ١١٣)

٧ – خطبة له عليه الصلاة والسلام

« إن الحمد لله أحمَده وأستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، مَنْ يَهْدِ الله فَلاَمُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِىَ لَهُ ، وأشهد أن لا إلَهَ إلاَّ الله وحده لاشريك له ، إنَّ أحْسَنَ الحَديثِ كِتابُ الله ، قد أفلح مَنْ زَيَّنَهُ الله فى قلبه ، وأدخله فى الإسلام بعد الكفر ، واختاره على ماسواه من أحاديث النَّاس ، إنه أصدق الحديث وأبلغُه ، أحِبُّوا من أحب الله ، وأحِبُّوا الله من كل قلوبكم ، ولاتَمَلُّوا كلام الله وذكره ، ولاتقْسُوا عليه قلوبكم ، اعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً ، اتقوا الله حَق تقُاته[1]، وصَدِّقوا صالح ماتعملون بأفواهكم ، وتحابُّوا بِرُوحِ الله بينكم ، والسلام عليكم ورحمة الله » .

(إعجاز القرآن ص ١٠٠)

---

(١) التقاة : التقوى .

٨ – خطبة له عليه الصلاة والسلام

« أيها الناس إن لكم مَعَالِمَ[١] فانتهوا إلى مَعَالمكم ، وإن لكم نهايةً فانتهوا إلى نهايتكم ، فإن العبد بين مخافتين ، أَجَلٍ قد مضى لايدرى ما الله فاعلٌ فيه ، وَأَجَلٍ بَاقٍ لايدرى ما الله قاضٍ فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الممات ، فوالذى نَفْسُ مُحمّدٍ بيده : مابعد الموت من مُسْتَعْتَب[٢]، ولا بعد الدنيا من دارٍ إلا الجَنَّةُ أو النار .

(تهذيب الكامل ١ : ٥ ، إعجاز القرآن ١١٠ ، البيان والتبين ١ : ١٦٥ ، عيون الأخبار م ٢ : ص ٢١٣ ، وغرر الخصائص الواضحة ١٥٠)

٩ – خطبة له عليه الصلاة والسلام

« أيها الناس كأنَّ الموت فيها على غيرنا قد كُتِب ، وَكأنَّ الحق فيها على غيرنا قد وَجَب ، وَكَأَنَّ الذى نُشَيِّعُ من الأموات سَفْرٌ ، عمَّا قليلٍ إلينا راجعون ، نبوئهم أجداثَهم ، ونأكل من تُراثهم ، كأنَّا مُخَلَّدُونَ بعدهم ، ونسينا كل واعظة ، وأَمِنَّا كلَّ جائحةٍ[٣]، طُوبْى[٤] لِمنْ شغله عَيْبُهُ عن عيوب الناس ، طُوبَى لِمنْ أنفق مالاً اكتسبه من غير معصية ، وجالس أهل الْفِقْهِ والحِكمة ، وخالط أهل الذل والمَسْكَنَةَ ، طُوبَى لِمنْ زَكَتْ وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ ، وَطَابَتْ سَرِيرتُهُ ، وَعَزَل عن الناس شرَّه . طُوبَى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الْفَضْلَ من قوله ، وَوَسِعَتهُ السُّنَّة ، ولم تَستَهْوِهِ الْبِدْعَة » .

(صبح الأعشى ١ : ٢١٣)

---

(١) جمع معلم كمذهب ، وهو الأثر يستدل به على الطريق ، والمراد حدود الشريعة المطهرة .

(٢) استعتبه : أعطاه العتبى (وهى الرضا والصفح) وطلب إليه العتبى .

(٣) الجوح : الإهلاك والاستئصال كالاجتياح ،

(٤) مؤنث أطيب ؛ والحسنى والخير ، وشجرة فى الجنة أو الجنة .

١٠ - خطبة له عليه الصلاة والسلام

ألا أيها الناس ، توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا ، وَبَادِرُوا الأعمال الصالحة قبل أن تُشْغَلُوا ، وَصِلُوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له ، ، وكثرة الصدقة فى السرِّ والْعلاَنِيَةِ ، تُرْزَقوا وَتؤجروا وَتُنْصَرُوا . واعلموا أن الله - عزَّوجلَّ - قد افترض عليكم الجمعة ، فى مقامى هذا ، فى عامى هذا ، فى شهرى هذا ، إلى يوم القيامة ، حياتى ومن بعد موتى ، فمن تركها وله إمامٌ ، فلا جَمَعَ الله له شَمْلَه ، ولا بارك له فى أمره ، ألاَ ولا حجَّ لهُ ، ألاَ ولا صوم لهُ،ألاَ ولا صدقةَ لهُ ، ألاوِلا بِرَّ لهُ ، ألاَ ولا يَؤُمُّ أعْرَابِى مهَاجِراً ، ألاَ ولا يَومُّ فاجِرٌ مؤمناً ، إلاَّ أنْ يَقهَرَهُ سُلطَانٌ يخاف سيفه أو سَوْطَهُ » .

(إعجاز القرآن ص ١١٠)

١١ - خطبته يوم فتح مكة

وقف على باب الكعبة ثم قال : « لا إلَهَ إلاَّ الله وَحْدَهُ لاشريك له ، صَدَق وَعْدَهُ ، ونصر عَبْدَه ، وهزم الأحزاب وَحْدَهُ ، ألاَ كلُّ مَأثُرَةٍ[١] أو دمٍ أو مالٍ يُدَّعَى ، فهو تحت قَدَمىَّ هاتين ، إلاَّ سِدَانةَ البيت[٢]، وسِقَايةَ الحاجِّ ، ألاَ وَقَتْلُ الخطأ مِثْلُ الْعَمْد بالسوط والعصا ، فيهما الديةُ مُغَلَّظَةً ، منها أربعون خَلِفَةً[٣] فى بطونها أولادها ، يامعشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نَخْوَةَ الجاهلية ، وَتَعَظُّمَهَا[٤] بالآباء ، الناسُ من آدمُ ، وآدمُ خَلِقَ من تراب ، ثم تلا : (يَاأَيُّها النَّاسُ إنَّا خَلَقْنَا كُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَى وَجعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتعَارَفُوا إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أتقَاكُمْ) الآية يامعشر قريش (أو يـأهل مكة) ماترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا . خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطُّلقَاء » .

(تاريخ الطبرى ٣ : ١٢٠ ، وإعجاز القرآن ص ١١٢ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١٢١ وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٣) .

---

(١) المأثرة : المكرمة . (٢) خدمة الكعبة . (٣) الخلفة : الحامل من النياق .

(٤) تعظم : تكبر .

١٢ - خطبته فى الاستسقاء

روى أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ وآله فى عام جَدْب ، فقال : أتيناك يارسول الله ، ولم يَبْق لنا صبى يَرْتَضِع ، ولاشَارِفٌ[١] تجترُّ ثم أنشده :

أتينـاك وَالْعَـذْراء يدْمى لبَانُهـا[٢] وقد شُغِلَتْ أمُّ الرضيـع عن الطفـل

وألقى بِكَفَّيْهِ الفتـى لاستكانـةٍ من الجوع حتى مايُمِرّ ولا يحْلي[٣]

ولاشْيْء مما يأكل النـاس عندنـا سوى الحَنْظَل العَامِىِّ والْعِلْهِز الْفَسْلِ[٤]

ولـيس لنـا إلا إلـيك فِرَارُنـا وأين فِرَارُ الناس إلا إلى الرُّسْلِ ؟

فقام النبى صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال :

اللهم اسْقِنَا غَيْثاً مغيثاً ، مَرِيئاً مَرِيعاً[٥] ، سَحًّا سِجاَلاً[٦] ، غَدَقاً[٧] طَبَقاً[٨] ، دِيَماً دِرَراً[٩] ، تُحْيى به الأرض ، وتُنْبِتُ به الزرع ، وَتُدِرُّ به الضَرْع ، واجعله سُقْياً نَافِعَةً ، عاجلاً غيرَ رَائِثٍ[١٠]

فوالله ماردَّ رسول الله ﷺ وآله يده إلى نَحْرِهِ ، حتى ألقت السماء أرْوَاقَها[١١] ، وجاء الناس يَضِجُّونَ : الغرقَ الغرقَ يارسول الله ، فقال : اللهم حَوَالَيْنَا ولا علينا ! فانْجاب[١٢] السحاب عن المدينة ، حتى استدار حولها

(١) الشارف من النوق : المسنة الهرمة كالشارفة . (٢) أى يدمى صدرها لامتهانها نفسها فى الخدمة حيث لاتجد ماتعطيه من يخدمها من الجدب وشدة الزمان . (٣) أى مايضر وماينفع ، أو مايأتى بكلمة ولا فعلة مرة ولا حلوة .

(٤) العامى : الذى أتى عليه عام ، قال الشاعر : « من أن شجاك طلل عامى » والعلهز : طعام من الدم والوبر كان يتخذ فى المجاعة ، والفسل : الرىء الرذل من كل شىء .

(٥) المربع الخطيب ، أى تخصب به الأرض التى ينزل عليها .

(٦) أى متداولا بين البلاد ، ينال كل منها نصيبه منه ، والسجل بالفتح : النصيب والدلو المملوءة العظيمة ، ويقال الحرب سجال : أى نصرتها بين القوم متداولة سجل منها على هؤلاء وآخر على هؤلاء . (٧) الغدق : الماء الكثير .

(٨) أى مالئا للأرض مغطيا لها ، يقال غيث طبق : أى عام واسع يطبق الأرض .

(٩) هو جمع درة بالكسر ، يقال للسحاب درة : أى صب واندفاق ، وقيل الدرر : الدار ، كقوله تعالى : « دِيناً قِيما » أى قائما .

(١٠) أي غير بطيء . (١١) ألقت السحابة أرواقها : أى مطرها ووبلها

(١٢) انكشف .

كالإكليل ، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه[1] .

(شرح ابن أبي الحديد م ٣ ص ٣١٦)

١٣ – خطبته فى حجة الوداع

« الحمد لله نحمده وَنستعينهُ وَنستغفره وَنتوب إليه ، وَنعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومِنْ سَيِّئَات أعمالِنَا ، من يَهْدِ الله فلا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ ، وَأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وَأحثُّكم على طاعته ، وَأستفتح[2] بالذى هو خير ، أما بعد : أيها الناس اسمعوا منى أبين لكم ، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا . أيها الناس : إن دماءكم حرام عليكم ، إلى أن تَلْقَوْا ربكم ، كَحُرْمَةِ يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا . ألا هل بَلَّغْتُ ؟ اللهمَّ اشهد ! فمن كانت عنده أمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إلى من ائتمنهُ عليها ، وَإن ربا الجاهلية موضوع ، وَإن أول رباً أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب ، وَإن دماء الجاهلية موضوعة ، وَإن أَوَّل دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة الحرث بن عبد المطلب[3]، وَإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السِّدانة وَالسِّقَاية ، وَالْعَمْدُ قَوَد[4] ، وَشبه العمد مَاقُتِلَ بالعصا والحجر وفيهِ مائة بعير ، فمن زَادَ ، فهو من أهل الجاهلية .

أيها الناس : إن الشيطان قد يئس أن يعُبد فى أرضكم هذه ، ولكنه[5] قد رضى أن يطاعَ فيما سوى ذلك مما تُحَقِّرُونَ من أعمالكم ، أيها الناس : إنما النَّسِيء[6] زِيَادَةٌ فى الكفر يُضَلُّ به الذين كفروا يحِلُّونَهُ عاماً ، ويحرمونه عاماً

(١) النواجذ : أقصى الأضراس .

(٢) الاستفتاح : الافتتاح والاستنصار . (٣) وكان مسترضعا فى بنى ليث فقتلته بنو هذيل .

(٤) القود : القصاص ، أى من قتل عمدا يقتل . (٥) فى رواية الكامل لابن الأثير : « إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ، ولكنه يطاع فيما سوى ذلك ، وقد رضى بما تحقرون من أعمالكم » .

(٦) أى تأخير حرمة شهر إلى آخر ، وذلك أن العرب فى الجاهلية كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه ، وحرموا مكانه شهرا آخر فيحلون المحرم ، ويحرمون صفرا ، فإن احتاجوا أحلوه ـ

ليواطِئُوا عِدَّة ما حَرَّمَ الله ، وَإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات وَالأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله ، يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حُرُمٌ ، ثلاثة متواليات ، وَوَاحد فرد : ذو القَعدة ، وَذو الحِجَّة ، وَالمحَرَّمُ ، وَرجب[1] الذى بين جُمادَى وشعبان ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد !

أيها الناس : إن لنسائكم عليكم حقًّا ، ولكم عليهنَّ حق ، لكم عليهنَّ ألا يُوطِئن فَرْشكم غيركم ، وَلايُدْخِلْنَ أحَداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تَعْضُلُوهُنَّ[2] وَتهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مُبَرِّحٍ ، فإن انتهين وَأطعنكم فعليكم رِزْقُهُنَّ وَكسوتهن بالمعروف ، وَإنما النساء عندكم عَوَانٍ[3] لاَيَمْلِكْنَ لأنفسهن شيئاً ، أخذتموهن بأمانة الله ، وَأستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله فى النساء ، وَاستوصوا بهن خيراً ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد !

أيها الناس : إنما المؤمنون إخوة ، وَلايَحِلُّ لامرىء مالُ أخيهِ إلا عن طيب نفس منهُ ، ألا هل بلغت ؟ اللهم أشهد ! فلاتَرْجِعُنَّ بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تَضِلُّوا بعده ، كتِاب الله ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد !

= وحرموا ربيعا الأول ، وهكذا حتى استدار التحريم على الشهور السنة كلها ، وكانوا يعتبرون فى التحريم مجرد العدد لاخصوصية الأشهر المعلومة ، وأول من أحدث ذلك جنادة بن عوف الكنانى ، كان يقوم على جمل فى الموسم فينادى : إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ، ثم ينادى فى القبائل : إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم . فحرموه - زيادة فى الكفر ، أى كفر آخر ضموه إلى كفرهم . ليواطئوا : أى يوافقوا عدة الأشهر الأربعة المحرمة ، وكانوا ربما زادوا فى عدد الشهور بأن يجعلوها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ليتسع لهم الوقت ويجعلوا أربعة أشهر من السنة حراما أيضا ، ولذا نص على العدد المبين فى الكتاب والسنة ، وكان وقت حجهم يختلف من أجل ذلك ، وكان فى السنة التاسعة التى حج فيها أبو بكر بالناس فى ذى القعدة ، وفى حجة الوداع فى ذى الحجة ، وهو الذى كان على عهد إبراهيم الخليل ومن قبله من الأنبياء ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام « إن الزمان قد استدار ... الخ » - راجع تفسير الألوسى ج ٣ ص ٣٠٥

(١) قالوا فى تثنية رجب وشعبان رجبان للتغليب .

(٢) العضل : الحبس والتضييق .

(٣) جمع عانية من عنا ، أى خضع وذل ، والعانى : الأسير

أيها الناس : إن ربكم وَاحد ، وَإن أباكم وَاحد ، كُلُّكُمْ لآدم ، وَآدَمُ من تراب ، أكرمُكم عند الله أتقاكم ، وَليس لعربى على عجمى فَضْلٌ إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ! قالوا نعم . قال : فليبلغ الشاهد الغائب .

أيها الناس : إن الله قد قَسَمَ لكل وَارِثٍ نصيبَهُ من الميراث ، وَلايجوز لِوَارِثٍ وَصيَّة ، ولا يجوز وَصيَّةٌ فى أكثر من الثلث ، وَالولد لِلْفِرَاش وَلِلْعَاهِرِ الحَجَرُ[1]، من أدَّعى إلى غير أبيهِ ، أو تولَّى غيرَ مَوالِيهِ ، فعليهِ لعنة الله والملائكة وَالناس أجمعين ، لايُقْبَلُ منهُ صَرْفٌ وَلاَعَدْلٌ[2]، والسلام عليكم ورحمة الله .

(البيان والتبين ٢ : ١٥ ، العقد الفريد ٢ : ١٣ ، إعجاز القرآن ١١١ ، شرح ابن أبى الحديد ١ : ٤١ ، تاريخ الطبرى ٣ : ١٦٨ ، الكامل لابن الأثير ٢ : ١٤٦ ، سيرة ابن هشام ٢ : ٣٩٠)

١٤ - خطبته فى مرض موته

عن الفضل بن عباس قال : جاءنى رسول الله ﷺ ، فخرجت إليهِ فوجدته مَوْعُوكاً قد عَصَبَ رأسه ، فقال : خذ بيدى يافضْلُ ، فأخذت ، بيده حتى جلس على المنبر ، ثم قال ناد فى الناس ، فاجتمعوا إليه ، فقال :

« أما بعد : أيها الناس فإنى أحمدُ إليكم الله الذى لا إلهَ إلاَّ هو ، وإنه قد دنا منى خُفُوقٌ[3] من بين أظْهُركم ، فمن كنْتُ جَلدْتُ لهُ ظَهْراً ، فَهذا ظَهْرِى فَلْيَسْتَقِدْ[4] منه ومن كنت شتمْتُ لهُ عِرضاً ، فهذا عِرْضى فَلْيَسْتَقِدْ منهُ ، ومن

---

(١) وللعاهر : أى الزانى ، أى لاحق له فى النسب ولاحظ له فى الولد ، وإنما هو لصاحب الفراش أى لصاحب أم الولد وهو زوجها أو مولاها ، وهو كقوله الآخر : له التراب ، أى لاشىء له .

(٢) الصرف : التوبة . والعدل : الفدية ، وقيل الصرف القيمة . والعدل المثل ، وأصله فى الفدية يقال : لم يقبلوا منهم صرفا ولا عدلا ، أى لم يأخذوا منهم دية ولم يقتلوا بقتيلهم رجلا واحدا ، أى طلبوا منهم أكثر من ذلك ، ثم جعل بعد فى كل شىء حتى صار مثلا فيمن لم يؤخذ منه الذى يجب عليه وألزم أكثر منه .

(٣) خفق النجم يخفق خفوقا : غاب ، والطائر طار ، والليل ذهب أكثره .

(٤) فليقتص (من القود) وهو القصاص ، أقاد القاتل بالقتيل قتله به ، واستقاد الحاكم سأله أن يقيد القاتل بالقتيل .

أخذت له مالاً فهذا مالى فليأخذ منهُ ، ولايَخْشَ الشَّحْناَء مِنْ قِبَلي ، فإنها ليست من شأنى ، ألاَ وإنَّ أحَبَّكمْ إلىَّ مَنْ أخذ منِّى حقا إنْ كَان لهُ ، أو حَللَّنى فلقيت ربى وأنا طيِّبُ النفس ، وقد أرى أن هذا غير مُغْنٍ عنى حتى أقُومَ فيكم مراراً » .

ثَمَّ نزل فصلَّى الظهر ، ثمَّ رجع فجلس على المنبر فعاد لمقالتهِ الأولى ، فادعى عليهِ رجل بثلاثة دراهم ، فأعطاه عِوضَها ، ثم قال : « أيها الناس ، من كان عنده شيء فَلْيُؤدِّهَ وَلايقل فُضُوحُ الدنيا ، ألا وَإن فضوح الدنيا أهْوَنُ من فضوح الآخرة » ثم صلى على أصحاب أُحُد وَاستغفر لهم ، ثم قال : « إن عبداً خيره الله بين الدنيا وبين ماعنده فاختار ماعنده ، فبكى أبو بكر ، وَقال : فديناك بأنفسنا وَآبائنا » .

(تاريخ الطبرى ٢ : ١٩١ : والكامل لابن الأثير ٢ : ١٥٤)

موضوعات الخطابة وطابعها العام

كان الإسلام نهضة عامة شاملة ، لم يعهد لها من قبل فى العالم مثيل ، وكانت الخطابة ولون من الشعر أخذ طابعها ونحا منحاها عماد هذه النهضة ، وأداة فعالة من أدواتها ، وعلينا الآن أن نتبين كيف أخذت الخطابة طريقها لتأييد النهضة الإسلامية ، وكيف أتيح لها أن تكون منها بهذه المثابة .

لقد كانت هذه النهضة دينية فى روحها وأساسها ، والدين فيض من النور الإلهى والرحمة الربانية ، يمتد من السماء إلى الأرض ، يضىء ظلماتها ، ويبدد غياهب الجهالة فيها ، ويؤدى رسالته الأولى فى إصلاح المجتمع البشرى ، وتحقيق أسباب السعادة له فى حياتيه ، ولم يكن الإسلام دين جمود ، فيقف عند المطالب الأخروية ، شأن ماسبقه من الأديان ، بل جاوزها إلى تحقيق المصالح الدنيوية فكان لابد له من أن يتعرض لكل ما به صلاح أمور البشرية ، فى العقيدة والتشريع والمعاملات والحكم والسياسة والاجتماع والأخلاق والفكر ، ولم يدع مجتمعاً إلا حض عليه ، وأقام من شأنه ، وطلب فيه من القول ماهو ضرورى له ، كخطبة الجمعة والعيدين وموقف عرفات وغيرها ، ولذلك كان صاحب هذه الدعوة يمثل الإمام الهادى ، والفيلسوف المشرع ، والحاكم العادل ، والزعيم السياسى ، والقائد الحربى ، والمصالح الاجتماعى ، والرائد الفكرى ، وكذلك كان خلفاؤه من بعده .

الديـــن :

فهل أخذت الخطابة سبيلها إلى هذه الغايات ، وهل جعلت مجالها هذه الموضوعات ؟ سيرى الدارس المتتبع أن الخطابة فى هذا العصر قد جالت فى هذه الميادين جميعاً ، وإن كانت وجهتها الرئيسية وجهة دينية ، وكان غرضها الأساسى إقامة عمود الدين ، ورفع منار الإسلام ؛ فكانت هناك خطب دينية ، شملت العقائد والدعوة إلى الإسلام ، وتحسين الجهاد والحث عليه ، والتشريع

بما فيه من تبين الحدود وإقامة معالم الحلال والحرام ، والوعظ والإرشاد بما فيه من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وحث على مكارم الأخلاق ، وتبشير وإنذار .

وقد خطب الخطباء فى هذه الشئون جميعا ، فخطب الرسول فى العقيدة والدعوة إلى الإسلام كثيراً[١]، وخطب خالد بن الوليد فى أهل الحيرة[٢]، والجارود بن المعلى فى قومه من أهل البحرين عند الردة[٣]، كما خطب الرسول[٤] وعلى بن أبى طالب[٥]، ورويفع بن ثابت الأنصارى عندما فتح جِرْبة ببلاد المغرب[٦] فى التشريع والأحكام ، وأكثر الرسول من القول فى الوعظ والإرشاد والدعوة إلى التقوى والعمل الصالح ، وتكلم فيه خلفاؤه من بعده ، وجماعة كبيرة من أصحابه[٧]، وقام الرسول وأبو بكر وعمر وعلى وسعد بن أبى وقاص وكثير غيرهم بالحث على الجهاد فى سبيل الله .

بين الخطابة الاسلامية والجاهلية

نستطيع أن نقف بالطابع العام الذى ساد موضوعات الخطابة الإسلامية ، مقارناً بطابع الموضوعات الجاهلية عند هذه الظواهر :

١ - ظهور الطابع الدينى : من دعوة إلى الإسلام ، ودفاع عنه ، وبيان للعقائد ، كوجود الله ووحدانيته وقدرته وخلقه الكائنات ، والإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وسائر الغيبيات ، وسن الشرائع

(١) الكامل لابن الاثير ٢/٢٧ ، ابن هشام ٣/٥٠

(٢) ابن كثير ٦/٣٤٣

(٣) ابن كثير ٦/٣٢٨

(٤) ابن هشام ٤/٥٤،٥٨ إعجاز القرآن ١١٠

(٥) ابن هشام ٤/١٩٠

(٦) ابن هشام ٣/٣٤٥ . أسد الغابة ٢/١٩١ .

(٧) ابن هشام ٤/٥٤،٥٨، ٢٥،٢٨٠،٢/١٤٦، الطبرى ٢/٢٥٥ ، ٣/٣٣١ ٤/٨٤ ، ٨٥،٥/٢٦، ٢٧،٤٣،١٢٦، صبح الاعشى ١/٢١٣ ، إعجاز القرآن ١١٠،١١٢،١١٣،١٢٢، البيان والتبين ١/٢٤٣،٢/٤٣، ابن كثير ٧/٨،٩،٣٧،٥٦،٢٢٦- تاريخ دمشق ٣/٦ زهر الأداب ١/٣٥ . العقد الفريد ٢/١٣١،١٣٢

والأحكام المقيدة للناس والحكام ، المنظمة للحياة الشخصية وللمعاملات بين الناس ، المبينة للفرائض ، الموضحة للحلال والحرام ، وحث على الجهاد ، ووعظ للعامة ، وحض لهم على التزام حدود الشرع الحنيف ، وقصص فيه عبرة ومزدجر .

وإذا كان بعض الجاهلين قد اتجه فى خطابته وجهة الوعظ ، فقد كان أولئك قلة ، وكان وعظهم وعظاً حائراً لم يهتد إلى أسبابه ، ولم يعرف غايته ، وكان كلامهم وليد خواطر وتأملات قلقة ساذجة ، لامنبعثاً عن إيمان قوى ثابت الدعائم ، وعقيدة راسخة واضحة الأهداف والمعالم .

٢ – ظهور اللون السياسى : من كلام وجدل ومشاورة وخطابة ، حول الخلافة والحكم والسلطان وسياسة الرعية وتنظيم العمران ، ونشر أسباب العدل والأمان ، وماتستدعيه حياة الاستقرار بين الناس . وكان اتساع الفتوح وامتداد الإسلام موسعا لدائرة الخطابة السياسية ، فقد كان الخلفاء والأمراء يخطبون عند كل حادث وكل مشكلة ، وكانت الثورة على عثمان عملا سياسياً منبعثاً عن تفكير سياسى . ولما ظهرت الطوائف والأحزاب برز النزاع السياسى جليا ، ثم قوى واشتد ، وحملت الخطابة لونه وطابعه ، وكان الجهاد والوقائع والحرب وليدة الباعث الدينى ، ولكنها ارتدت ثياب السياسة ، حين أصبح من أهدافها أن تقوم للإسلام دولة ، تعلن كلمة التوحيد ، وينتشر له سلطان ، يأوى إلى ظله المسلمون ، ويدين الناس بالولاء والطاعة لأمير المؤمنين .

فالخطابة السياسية التى لم يكن لها وجود متميز ولا ملامح واضحة فى العصر الجاهلى ، والتى إن بدت ماكانت لتبدو إلا فى صورة باهتة من الكلام حول النزاع البدوى ، يتراءى فى ثوب المفاخرة والمنافرة ، متّشحا بالعصبية القبلية ، أصبحت قسما ضخما من أقسام الخطابة الإسلامية ، واضح المعالم والقسمات ، مكتمل العناصر والأركان ، حتى ليمكن أن ننسب الجانب الأكبر من النهضة الخطابية فى الإسلام إلى الناحية السياسية .

٣ – اختفاء المفاخرات والمنافرات الجاهلية ، لأن الاسلام قضى على أسبابها ، وهجّن التفكير المفضى إليها ، والظاهرة الوحيدة من الفخر الجاهلى .

التى بدت فاختفت ، ونجمت فاندثرت ، هى ما كان من وفد تميم حين أقبلوا على الرسول ، فقالوا : يامحمد . جئناك نفاخرك ، فائذن لشاعرنا وخطيبنا ، وقام خطيبهم عطُارد ابن حاجب ، ففخر بالملك والمال والعزة ، والعدد والعدة ، وأنهم رءوس الناس ؛ فنادى الرسول خطيبه ، ثابت بن قيس بن الشماس ، وقال : قم . فأجب الرجل فى خطبته ، فبادله فخرا بفخر ، ولكن فخرة كان إسلاميا ، بالرسول . والكتاب ، والإيمان ، والمهاجرين والأنصار ، وبنصرهم لله ورسوله وجهادهم فى سبيله[1]. ثم لم يبرحوا موقفهم حتى نزعوا عن هذا الفخر ، لأنهم قد نزغوا عن الروح الجاهلية التى ساقته ، وأداروا ظهورهم للبواعث التى أملته .

٤ – اختفاء سجع الكهان ، ولانقصد بهذا اختفاء السجع نفسه ، وبصفة عامة ، ولكن نقصد ذلك النوع من السجع ، المنبعث عن تلك الدوافع الخاصة والذى كانوا به يتكهنون ويحكمون وينفرون ، ونقصد تلك الموضوعات التى ما كانت لتظهر إلا فى ثنايا هذا الطراز من القول ، بما يحمل من أمارات ادعاء معرفة الغيب ، والتنبؤ بالمستقبل ، والكشف عن المجهول ، فى ألفاظ غريبة مثيرة ، غامضة موهمة ، لها رهبة ووقع فى النفس ، ولها إيحاء وجرس ، يذهب بنفوس السامعين وألبابهم مذاهب شتى .

٥ – قيام خطب الجهاد والحرب ، ذات الأهداف الإنسانية العامة ، والغايات الكريمة السامية ، من تحرير النفوس والعقول والأرواح من قيود الشرك والضلالة ، وإخراجها من ظلمات الوثنية والجهالة – مقام خطب الغارات والثأر ، وليدة النظرة الشخصية الضيقة ، والجهل والتفكير الفاسد المحدود .

٦ – اتساع مجال الخطابة الاجتماعية ، فقد أخذت دائرتها تنداح ، وتتجه فى نواحى الحياة العامة وجهات مختلفة نافعة ، وتعرضت من التعاليم والآداب والشئون العامة إلى مالا غنى عنه للناس فى مجتمع يتحضر ، ويأخذ خلفاؤه وولاته بأيدى عامته إلى ما فيه صلاح أمورهم .

(١) ابن هشام ٢٠٧/٤ .

٧ – الانتقال بالخطابة من النطاق المحلى المحدود إلى النطاق العام الشامل ، واتساع الدائرة التى تجول فيها اتساعا أمميا لاقبليا ، والخروج بها إلى مجال التعبير عن الأغراض السامية والفكر الراق ، فى الكون وقيامه ، والوجود ونظامه ، والمجتمع وعوامل بقائه وارتقائه ، وما ينبغى أن يقوم عليه من أسباب ، ويسوده من آداب ، والبعد بها عن الإسفاف بالانحصار فى مطالب العيش الرخيصة ، فكان انقلابا كبيرا أن ترتفع الخطابة لتعبر عن الحياة الانسانية فى صراعها الأدبى والعقلى والعاطفى ، المحتدم حول المبادىء والمعتقدات والآراء ، ولاتسف لتصور الحياة الحيوانية ، فى صراع الدموى حول لقمة العيش وتنازع البقاء ، وأن تسعى سعيها ليقوم الحق والخير والبر والفضيلة مقام الباطل والشر والإثم والرذيلة .

٨ – اتساع المعانى الخطابية التى احتلتها هذه الموضوعات باتساع ميدان الحياة الجديدة ، وكثرة المشاهدات والمعقولات وتنوعها ، متأثرة بتلك الحضارة التى أخذت طريقها من البلاد الراقية التى امتزجت بالعرب ، فاتسعت آفاقهم ، وعرفوا أحوال النفوس ، وتنوعت فنون القول عندهم ، مع قوة تأثيرها ، وامتلاكها المشاعر والوجدان ، لوقوعها منها موقع العذب الزلال من ذى الغلة الصادى .

وقد قوى هذا الفن وارتقى واتسع نطاقه بكثرة الحوار والجدل ، ومحاولة الإقناع فى الدين والسياسة والخصومات المختلفة والشئون العامة ، فى ظل الحرية الشاملة ، والنظر الصحيح .

ومن أجل ذلك كله لايجد المرء مبرراً لمواقفه بعض الباحثين فيما ذهب إليه ، من القول بأنه : « كان للعرب اعتناء بالخطب فى جاهليتهم أكثر من اعتنائهم بها فى إسلامهم »[1]. بل إن ما قدمناه يؤيد غير ذلك ، ويؤكد علوّ شأنها بالإسلام ، واتساع نطاقها وامتداد سلطانها فى هذا العصر ، ويدل على اهتمام المسلمين فى هذا الصدر بالخطابة ، فعليها كان اعتمادهم فى كل مهم جليل ، وإليها كان مفزعهم عند كل أمر خطير بين قلوبهم .

---

(١) بلوغ الأرب ١٥٢/٣

الرسالة والبلاغة :

ولكن محمداً قبل كل شيء ، جاء ليبلغ رسالات ربه ، فمهمته الأولى هى الرسالة والتبليغ ، وما هذه المهام الكثيرة المختلفة التى تولاها إلا فروع لتلك المهمة الكبرى ، ومعينة عليها ، نبتت على حواشيها ، ونشأت فى خدمتها ، والرسالة أو التبليغ لايتم إلا ببلاغة وبيان ، لأن البلاغ والتبليغ إيصال الكلام للسامعين على أحسن صورة ، وبما به يكون الإفهام والإقناع ، فلكل كلام وزن ، وكل قول بمقدار ، قال تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبيِّن لهم » . وقال عن نبيِّه داود : « وآتيناه الحكمة وفصْلَ الخطاب » .

ولهذا قال موسى لربه : « وأخى هارون هو أفصح منى لساناً فأرسله مَعِىَ رِدْءاً يُصَدِّقُنى إنى أخاف أن يكذِّبون » فإذا كانت الفصاحة والبلاغة مطلوبة فى دعوة موسى وغيره من الأنبياء ، فهى فى رسالة محمد أولى وأوجب ، وفى دعوته أعم وأرحب ، وقومه فرسان البيان ، وأئمة القول .

لهذا كان من أبرز صفات الرسول ، وأجلى آيات عظمته البلاغة البليغة ، وأنه فى الذروة العليا من البيان وفصاحة اللسان ، وأن التبليغ البليغ كان السِّمَة المشتركة بين أفانين قوله كله ، وما كان لنا أن نقول فى هذا المقام بعد أن قال تعالى عنه ماقال ، وقال هو عن نفسه « أُعْطِيتُ جوامعَ الكلم » .

نشأ الرسول نشأة قرشية بدوية خالصة ، واستُرْضِع فى بنى سعد بن بكر ، فاجتمعت له فصاحة اللسان واللغة ، واللهجة الجميلة الوقع ، يستريح لها السمع ، والمنطق العذب المفصل ، تجد النفوس حلاوته ، قالت السيدة عائشة : « ماكان رسول الله ﷺ يَسْرُدُ كَسردِكم هذا ، ولكن كان يتكلم بكلام بيِّن فصل ، ، يحفظه من جلس إليه » .

كما اجتمعت له القدرة على تأليف القلوب ، وتحصيل الثقة ، إلى قوة الإيمان بدعوته ، وغيرته البالغة عليها ، وحرصه الشديد على نجاحها ، فاجتمع له بذلك كل أسباب البلاغ للرسول ، والنجاح للخطيب .

وثقة القوم بصدق الداعى أو الخطيب أساس إجابته ، وشرط لنجاح دعوته ، وقد كان رسول الله فى قومه مثلا للأمانة والصدق ، حتى لقبوه فيما بينهم « الصادق الأمين » .

هذه هى الخطوط الأساسية العريضة البارزة التى تشير إلى شخصية الرسول ، وتومىء إلى نزعاته ، وقد بقى أن نصل بينها وبين خطابته ، وننظر آثارها فيها .

من خطب الرسول : خطبته فى عشيرته :

عندما نزل قوله تعالى : « وأَنْذِرْ عشيرتَك الأقربين » أتى رسول الله الصَّفا ، فصعد عليه ، ثم نادى الناس ، فاجتمعوا عليه ، فقال : « يابنى عبد المطلب ، يابنى فِهْر ، يابنى كَعْب . أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغُير عليكم . أكنتم مُصَدِّقِيّ ؟ قالوا : نعم . ماجربنا عليك كذبا . قال : إنى نذير لكم بين يَدَىْ عذاب شديد »[1].

فما سمعنا بمثل هذا الإيجاز ، ولا بمثل هذا الإعجاز ، لقد جعل من خطبته قضية منطقية ، ألزمهم بها الحجة ، وانقطع بها ما كان يمكن أن يقوم من جدل ، وكفى الله المؤمنين القتال .

فهذا قول المُبَلِّغ ، الذى يحرص على ألا يقيم بينه وبين غايته حواجز من التكلف والصنعة ، والغموض والإعراب ، وسبيل الرسول ، الذى يريد أن يصل إلى قلوب سامعيه من أقرب سبيل ، ويبلغ رسالته كأحسن مايكون التبليغ . هذا قول رجل يتذرع بما عرف قومه من صدقه وأمانته للتأثير فيهم ، وترغيبهم فى دعوته ، وحملهم على موافقته .

---

(١) البداية والنهاية ٣٨/٣ .

أولى خطبه العامة :

وخطب بمكة عندما نزل قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » . فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

إن الرائد لايَكْذِبُ أهلَه ، والله لو كَذبت الناس جميعا ماكَذَبتكم ، ولو غَرَرْت الناس جميعا ما غررَتكم ، والله الذى لا إله إلا هو إنى رسول الله إليكم خاصة ، وإلى الناس كافة ، والله لتَموتُنَّ كما تنامون ، ولَتُبْعَثُنَّ كما تستيقظون ، ولتَحاسبُنَّ بما تعملون ، ولتُجْزَونَّ بالإحسان إحسانا ، وبالسوء سوءاً ، وإنها لجَنَّةٌ أبداً ، أو لَنَارٌ أبداً[1].

ألفاظ جزلة ، وعبارات قوية ، رائعة التقسيم ، تسمع فيها صوت البشير النذير ، يؤكد قوله بألوان من التأكيد ، وصُوَرٌ أخاذة ، متنوعة ، متتابعة ، وتآلف بين اللفظ والمعنى ، فى إيجاز هو الإعجاز ، مع الوضوح ، والسلاسة ، والعذوبة ، والطبعية فى اتخاذ الحِلية اللفظية ، فأنت تتأثر بها ، ولاتكاد تلحظها ، لأنها الحِلية التى تليق بالإنسان العظيم ، فالجمل متساوية ، والمقابلة فيها متعددة ، ولكنها غير مصنوعة ولا متعمدة ، وفيها السجع والازدواج اقتضاهما المقام ، فازدان بهما الكلام ، ثم هو يتكىء فى استمالتهم إلى أسباب من المودة والثقة ، قامت من قبل بينه وبينهم ، وألوان من التحَبُّب العاطفى أثِرت عنه ، يفتح بها مغاليق قلوبهم .

فهذه الصفات الكلامية ليست إلا ظلاً للملامح البارزة فى شخصية الرسول ، القادر على تبليغ رسالته ، قوية واضحة مؤثرة طبيعية ، فى إطار من الرفق بقومه ، والمودة لهم ، والثقة التى وجبت له منذ بعيد بينهم ، وقد قدم لهذه الخطبة الوجيزة بكلمات كأحسن ماتكون المقدمات ، صلة بالموضوع ، وضمانا لقبوله ، وإن شئت فقل : إنه وضع أساس الاقتناع بدعوته بتلك الكلمات القلائل .

---

(١) الكامل لابن الاثير ٢٧/٢ .

ولن تجد قولا كهذا يدل على قائله ، وينتسب إلى صاحبه ، ولو أنك عرضته على عالم باللسان العربى ، وبشىء من تاريخ الرسول ، فسألته : من تظن قائل هذا ؟ لأجابك دون تردد : هذا دون ريب قول خاتم المرسلين .

وعلى يَدَىْ هذه المواهب النبوية ، وباهر الآيات الكتابية تخرج البلغاء ، وعنهما أخذت القوانين والأصول البيانية والبلاغية ، وفى مثل هذه الخطبة القصيرة يتمثل بعض الأسس الخطابية الهامة التى ينادى بها المحدثون ، ويذكرون غناءها فى عالم الخطابة ، وأثرها فى نجاحها ، ومن ذلك مايقوله Genung : « ويدخل فى نطاق العلاقة بين الخطيب ومستمعيه مدى حكمته فى كيف يتسلل إلى العواطف والدوافع التى لها أكبر الأثر فيهم ؛ فيصل بذلك إلى نطاق أفكارهم ، وأن يقدر مستوياتهم وذكاءهم ، وأن يضرب على الوتر الحساس ، الذى يمس مايتعاطفون به ، ويستجيبون له »[1].

خامساً : آداب الرسائل :

لم يتوفر على دراسة هذا الفن عند الرسول باحث عربى ، ولم نجد بين أيدينا الاّ المادة الخام لتلك الدراسة التى جمع فيها أحمد زكى صفوت رسائل الرسول عليه الصلاة والسلام من المصادر المختلفة فى واد واحد وسمي مؤلفه « جمهرة رسائل العرب فى عصور العربية الزاهرة »[2]

ومن نماذجها :

١ – كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين المهاجرين والأنصار واليهود بالمدينة

لما قرَّ رسولُ الله ﷺ بالمدينة ، كتب كتابا بين المهاجرين والأنصار وَادَعَ فيهِ اليهودَ وعاهدهم ، وأقرَّهم على دينهم وأموالهم ، وشرط عليهم ، واشترط

(١) Working Principles of Rhetoric p.648

(٢) الطبعة الأولى ١٩٣٧م – ط الحلبى .

لهم ، وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من محمد النبى بين المؤمنين والمسلمين من قُريش ويثْرِب ومن تَبِعهم فلَحِق بهم وجاهَدَ معهم ، أنهم أمَّة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على رِبَاعَتهم يتعاقلون[1] بينهم ، وهم يَفْدُون عانِيَهم بالمعروف والقِسْط[2] بين المؤمنين ، وبنو عوف على رباعتهم يتعاقلون معاقِلَهم الأولى ، وكل طائفة تَفْدِى عانِيَها بالمعروف والقِسْط بين المؤمنين ، وبنو ساعِدَةَ على رِبَاعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تَفْدِى عانِيَها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الحرْث على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تَفْدِى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو جُشَم على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تَفْدِى عانِيَها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النّجّار على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تَفْدِى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عمرو بن عوف على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تَفْدِى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النَّبيت على رباعتهم يتعاقلون مَعَاقِلَهم الأولى ، وكل طائفة تَفْدِى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو الأوْس على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تَفْدِى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وأن المؤمنين لايتركون مُفْرَحاً[3] بينهم أن يُعطُوه بالمعروف فى فِداء أو

(1) رباعة الرجل : شأنه وحاله التى هو رابع عليها ، أى ثابت مقيم ، ويقال : تركناهم على رباعتهم بفتح الراء وكسرها ، ورباعهم بفتحها ، وربعاتهم بالتحريك ، وربعاتهم ككتف ، وربعتهم كعنبة : أى على حالة حسنة من استقامتهم وأمرهم الأول ، لايكون فى غير حسن الحال ، والمعنى : إنهم على أمرهم الذى كانوا عليه . والتعاقل : تفاعل من العقل (وعقل القتيل عقلا : أعطى ديته) والمعاقل : جمع معقلة (بضم القاف) وهى الدية ، ومعنى يتعاقلون معاقلهم الأولى : أى يكونون على ماكانوا عليه فى الجاهلية من أخذ الديات وإعطائها ، أو على مراتب آبائهم ، وأصله من ذلك .

(2) العانى : الأسير . والقسط : العدل .

(3) المفرح : الذى قد أفرحه الدين والغرم : أى فدحه وأثقله ، ولايجد قضاءه (ومعنى أفرحه هنا : سلبه الفرح) . ويروى : « مفرجا » بالجيم . والمفرج : هو الرجل يكون فى القوم من غيرهم =

عَقْل ، ولايخالِفُ مؤمن مَوْلَى مؤمنٍ دونهَ ، وأن المؤمنين المتّقين على من بغى منهم ، أو ابتغى دَسِيسة ظلم ، أو إثمٍ أو عُدْوانٍ أو فسادٍ بين المؤمنين ، وأن أيديَهم عليه جميعاً ، ولو كان ولد أحدهم ، ولايَقْتُل مؤمن مؤمناً فى كافر ؛ ولا يُنْصر كافر على مؤمن ، وأن ذمة الله واحدة . يُجيرُ[1] عليهم أدناهم ، وأن المؤمنين بعضهم مَوالى بعض دون الناس .

وأنه من تَبِعَنا من يَهُودَ[2]، فإن له النصر وَالأُسْوة[3] غير مظلومين ، ولامتناصرين عليهم ، وأنّ سَلْمِ[4] المؤمنين واحدة ، لايسالِمُ مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله إلا على سواء[5] وَعَدْل بينهم ، وأن كل غازية غزَتْ معنا يَعْقُبُ بَعْضُها بعضاً[6]، وأن المؤمنين يُبيء[7] بعضهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله ، وأن المؤمنين المتقين على أحسن هَدْيٍ وأقومه ، وأنه لايُجير مشرك مالا لقريش ، ولانَفْساً ، ولايحول دونه على مؤمن ، وأنه من اعتَبَطَ[8] مؤمنا قَتْلاً عن بَيِّنَةٍ فإنه قَوَدٌ[9] به إلى أن يَرْضَى وَلِيُّ المقتول ، وأن المؤمنين عليه

=فيلزمهم أن يعقلوا عنه . وقيل : هو المثقل بحق دية أو فداء أو غرم . وقيل : أن يسلم الرجل ولا يوالى أحداً ، فإذا جنى جناية كانت جنايته على بيت المال ، لأنه لاعاقلة له . وقيل : هو الذى لامال له . وقيل : هو الذى لاعشيرة له . وقيل : هو القتيل يوجد فى فلاة من الأرض ، فهو يودى من بيت المال ولايطل دمه ، وكان الأصمعى يقول : هو مفرح بالحاء وينكر قولهم مفرج بالجيم .

(١) أى إذا أجار واحد من المسلمين حر أو عبد أو امرأة واحداً أو جماعة من الكفار أو خفرهم وأمنهم جاز ذلك على جميع المسلمين ، لاينقض عليه جواره وأمانه . وفى الأصل : « يخير عليهم » وهو تصحيف . (٢) يقال : « يهود » . بدون ألف ولام ، وهو اسم للقبيلة وعليه قول الشاعر : « أولئك أولى من يهود بمدحة » . وقالوا : « اليهود » . فأدخلوا الألف واللام فيها على إرادة النسب يريدون اليهوديين . (٣) الأسوة بالضم والكسر : القدوة . ويقال : القوم أسوة فى هذا الأمر : أى حالهم فيه واحدة . (٤) السلم بكسر السين وفتحها : الصلح ، ويؤنث ، والمعنى : لايصالح واحد دون أصحابه ، وإنما يقع الصلح بينهم ، وبين عدوهم باجتماع ملئهم على ذلك .

(٥) السواء : العدل والنصفة كالسوية ، ومنه قوله تعالى : « قُلْ يأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ » أى عدل . (٦) أى يكون الغزو بينهم نوبا ، فإذا خرجت طائفة ثم عادت ، لم تكلف أن تعود ثانية حتى تعقبها أخرى غيرها .

(٧) أباءه به : سوّاه به . من البواء بالفتح وهو السواء والتكافؤ . يقال : القوم بواء : أى سواء وما فلان ببواء لفلان : أى ماهو بكفء له .

(٨) أى قتله بلا جناية كانت منه ولاجريرة توجب قتله ، وأصله من اعتبط الذبيحة إذا نحرها من غير داء ولاكسر ، وهى سمينة فتية . (٩) القود : القصاص أى فإن القاتل يقاد به ويقتل .

كافَّةً ، ولا يحِلّ لهم إلا قيامٌ عليه ، وأنه لايَحِلّ لمؤمن أقرَّ بما فى هذه الصحيفة ، وآمَنَ بالله واليوم الآخر أن يَنْصُر مُحْدِثاً[1] ولايُؤوِيهَ ، وأنه مَنْ نَصَره أو آواه ، فإن عليه لعنةَ الله وغَضَبَه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صَرْف ولا عَدْل[2]، وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء ، فإن مَرَدَّهُ إلَى الله عز وجل ، وإلى محمد .

وأن اليهود يُنْفِقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وأن يهود بنى عوف أمَّةٌ مع المؤمنين ، لليهود دينُهم ، وللمسلمين دينُهم ، مَوَاليهم وأنفُسهم ، إلا من ظَلَم وأثِمَ ، فإنه لايُوتِغ[3] إلا نفسهَ وأهل بيته ، وأن لِيَهُودِ بنى النجار مثلَ ما ليهود بنى عوف ، وأن لِيَهود بنى الحْرث مثلَ ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى ساعدة مثلَ ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى جُشَم مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى الأوْس مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى ثَعْلَبَةَ مثلَ ما ليهود بنى عوف ، إلاَّ من ظَلَمَ وأثِم فإنه لايُوتِغ إلا نفسه وأهلَ بيته ، وأن جَفْنَةَ بَطْنٌ من ثعلبة كأنفسهم ، وأن لبنى الشطنة مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن البِرَّ[4] دونَ الإثم ، وأن مَوالِيَ ثعلبة كأنفسهم ، وأن بطانة يهود كأنفسهم ، وأنه لايخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ، وأنه لاينحجز على ثأر جرح ، وأنه من فَتَك فبنفسه فَتَك وأهلِ بيته إلا من ظُلِم ، وأن الله على أبَرِّ هذا[5]، وأن على اليهود نَفقَتَهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ،.وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة ، والبرّ دون الإثم ، وأنه لم يأثم امرؤ بِحَلِيفه ، وأن النصر للمظلوم ، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وأن يثرب حرامٌ جَوْفُها لأهل هذه الصحيفة[6] وأن الجار كالنفس غيرَ مُضَارٍ[7]، ولا آثِم ، وأنه لاتُجار حُرْمَةٌ إلا بإذن أهلها .

(١) أى أن ينصر جانيا ويجيره من خصمه ويحول بينه وبين أن يقتصَّ منه .

(٢) الصرف : التوبة . والعدل : الفدية . وقيل الصرف : القيمة . والعدل : المثل ، وأصله فى الفدية يقال : لم يقبلوا منهم صرفا ولا عدلا ، أى لم يأخذوا منهم دية ، ولم يقتلوا بقتيلهم رجلا واحداً : أى طلبوا منهم أكثر من ذلك ، ثم جعل بعد فى كل شيء حتى صار مثلا فيمن لم يؤخذ منه الشيء الذى يجب عليه وألزم أكثر منه . (٣) أوتغه : أهلكه ، وألقاه فى بلية .

(٤) أى أن البر والوفاء ينبغى أن يكون حاجزا عن الإثم . (٥) أى أن الله وحزبه للمؤمنين على الرضا . (٦) أى حرم لهم لايحل انتهاكه . (٧) ضارّه ضراراً ومضارة : ضره . والحرمة : ما لايحل انتهاكه .

وأنه ماكان بين أهل هذه الصحيفة من حَدَث أو اشتجار[1] يُخاف فسادُه ، فإن مَرَدَّه إلى الله عز وجل ، وإلى محمد رسول الله ، وأن الله على أتقى مافى هذه الصحيفة وأبَرِّه ، وأنه لاتُجار قريش ولا مَن نصَرَها ، وأن بينهم النَّصْرَ على من دَهَمِ يَثْرِبَ ، وإذا دُعُوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه ، فإنهم يصالحونه ويلبسونه ، وأنهم إذا دُعُوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب فى الدين ، على كل أناس حِصَّتهم مِن جانبهم الذى قِبَلَهم ، وأن يَهُودَ الأوس مواليَهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة ، مع البرّ الحسن من أهْلِ هذه الصحيفة ، وأن البرَّ دون الإثم ، لايكسِبُ إلا على نفسه ، وأن الله على أصدق مافى هذه الصحيفة وأبَرِّه ، وأنه لايَحُول هذا الكتاب دون ظالم وآثم ، وأنه من خرج آمن ، ومَن قعد آمن بالمدينة ، إلا من ظَلَم أو أثم ، وأن الله جارٌ لمن بَرَّ واتقى ، ومحمد رسول الله »[2].

(سيرة ابن هشام ۱ : ۳۰۱)

أدب الحكمــة

« فــن المثــل »

انفرد من بين كتب الأحاديث صحيح الترمذى بتخصيصه بابا للأمثال ، بينما كانت كتب التراث الأدبى والبلاغى تورد أمثالاً للرسول الكريم مختارة من بين أحاديثه ، وعلى كل حال ، فليس ما أفرده الترمذى هو كل أمثال الرسول الكريم ، لأن كلامه كله حكمةٌ .

(۱) الاشتجار : التخالف والتنازع .

(۲) وجاء فى الروض الأنف للسهيلى شرح السيرة النبوية لابن هشام : « وقال أبو عبيد فى كتاب الأموال : إنما كتب رسول الله ﷺ هذا الكتاب قبل أن تفرض الجزية ، وإذ كان الإسلام ضعيفا ، قال : وكان لليهود إذ ذاك نصيب فى المغنم إذا قاتلوا مع المسلمين كما شرط عليهم فى هذا الكتاب النفقة معهم فى الحروب » .

ونورد هنا نماذج من الترمذى وشرح الأحوذى له[1]

أبواب الامثال

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

باب مَاجَاءَ فى مَثَلِ الله لعبَاده حدثنا عَلِّي بْنُ حُجْر الْسَّعدِيُّ حَدَّثَنَا بقيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ عَنْ بُجَيْر بْنِ سَعْمد عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنْ جُبَيْرِ ابْنَ نُفَيْرٍ عَنِ الْنَّوَاسِ بْنِ سِمْعَانَ الْكِلاَبِّى قَالَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ إنَّ الله ضَرَبَ مَثَلاً صرَاطاً مُسْتَقِيماً عَلَى كَنَفَى الْصِّرَاطِ دَارَانِ لَهُمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ عَلَى الأَبْوَابِ سُتُورٌ وَدَاعٍ يَدْعُو عَلَى رَأْسِ الْصِّرَاطِ وَدَاعٍ يَدْعُو فَوْقَهُ وَالله يَدْعُو إِلَى دَار الْسَّلاَم وَيَهْدِى مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَالأَبْوَابِ الَّتِى عَلَى كَنَفَى الصِّرَاط حُدُدُ آلله فَلاَ يَقَعُ فِي حُدُود آلله حَتَّى يُكْشَفَ الْسِّتْرُ وَآلَّذِى يَدْعُو مِنْ فَوْقِهِ وَاعظُ رَبِّهَ * قَالَ آبو عيسىَ هَذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَآلله آبن عَبْد آالرَّحْمٰنَ يَقُولُ سَمِعْتُ زكَرِّيا بْنَ عدى يَقُولُ قَالَ أَبُو إِسْحٰقَ آلْفَزَارِىُّ خُذُوا عَنْ بَقِيَّةَ مَا حَدَّثُكم عَنْ الْثِّقَات وَلاَ تَأْخُذُوا عَنْ إِسْمٰعِيلْ بْنِ عَيَّاشٍ مَا حَدَّثَكُمْ عَنْ الْثِّقَاتِ وَلاَ غَيْر الثِّقَاتِ حدثنا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا الْلَّيثُ عَنْ خَالد بْنِ يَزِيدَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أبي هَلاَلٍ أَنَّ جابَر بْنَ عَبْد آلله الأَنْصَارِىَّ قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ آلله عَلَيْهْ وَسَلَّمَ يَوْماً فَقَالَ إِنِّى رَأَيْتُ فى آلْمنَام كَأَنَّ جِبْرِيلَ عِنْدَ رَأْسِى وَمِيكَائِيلَ عنْدُ رِجْلِي يَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ آضْرِبْ لَهُ مَثَلاً فقال آسْمَعْ سَمِعَتْ أُذُنُكَ وَاعْقِلْ عَقَلَ قَلْبُكَ أنَّمَا مَثَلُكَ وَمَثَلُ أُمَّتكَ كَمَثَل مَلِكٍ آتَّخَذَ داراً ثُمَّ بنَى فِيهَا بَيْتاً ثُمَّ جَعَلَ فيها مَائِدَةً ثُمَّ بَعَثَ رَسُولاً يَدْعُو آلنَّاسَ إِلَى طَعَامِهِ فَمِنْهِمْ مَنْ أجَابَ الْرَّسُولَ وَمنْهُم مَنْ تَرَكَهُ فالله هُوَ آلْملَكُ وَآلدَّارُ الأسْلاَمُ وَآلْبَيْتُ آلْجَنَّةُ وَأَنْتَ يَامُحَمَّدُ رَسُولٌ فَمَنْ أَجَابَكَ دَخَلَ آلأَسْلاَمَ وَمَنْ دَخَلَ آلأَسْلاَمَ دَخَلَ آلْجَنَّةَ

---

(١) عارضة الأحوذى بشرح الترمذى لابن عربى المالكى ط دار الكتب العلمية بيروت – الجزء العاشر من ص ٢٩٥ – ٣٢٥

وَمَنْ دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ أَكَلَ مَافِيهَا وَقَدْ رُوِيَ هٰذَا ٱلْحَدِيثُ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنِ ٱلنَّبِي صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باسْنَادٍ أَصَحَّ مِنْ هٰذَا * قَالَ ابُو عيسى هٰذَا حَدِيثٌ مُرْسَلٌ سَعِيدُ بْنُ أَبِي هلاَلٍ لَمْ يُدْرِكْ جَابِرَ ٱبْنَ عَبْدِ ٱللهِ وَفِي ٱلْبَابِ عَنِ ٱبْنِ مَسْعُودٍ حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا ٱبْنُ أَبِي عَدِيّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مَيْمُونٍ عَنْ أَبِي تَمِيمَةَ ٱلْهُجَيْمِيِّ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ عَنِ ٱبْنِ مَسْعُودٍ قَالَ ﷺ ٱلْعِشَاءَ ثُمَّ ٱنْصَرَفَ فَأَخَذَ بِيَدِ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ حَتَّى خَرَجَ بِهِ إِلَى بَطْحَاء مَكَّةَ فَأَجْلَسَهُ ثُمَّ خَطَّ عَلَيْهِ خَطًّا ثُمَّ قَالَ لاَتَبْرَحَنَّ خَطَّكَ فَانَّهُ سَيَنْتَهِي الَيْكَ رِجَالٌ فَلاَتُكَلِّمْهُمْ فَانَّهُمْ لاَيُكَلِّمُونَكَ قَالَ ثُمَّ مَضَى رَسُولُ ٱللهِ ﷺ حيث أَرَادَ فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ فِي خَطِّي إذْ أَتَانِي رِجَالٌ كَأَنَّهُمْ ٱلزُّطُّ أَشْعَارُهُمْ وَأَجْسَامُهُمْ لاَ أَرَى عَوْرَةً وَلاَ أَرَى قِشْراً وَيَنْتَهُونَ إِلَيَّ لاَيُجَاوِزُونَ ٱلْخَطَّ ثُمَّ يَصْدُرُونَ إِلَى رَسُول ٱللهِ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ ٱللَّيْلِ لَكِنْ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ قَدْ جَاءَنِي وَأَنَا جَالِسٌ فَقَالَ لَقَدْ أَرَانِي مُنْذُ ٱللَّيْلَة ثُمَّ دَخَلَ عَلَيَّ فِي خَطِّي فَتَوَسَّدَ فَخِذِي فَرَقَدَ وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ إِذَا رَقَدَ نَفَخَ فَبَيْنَا أَنَا قَاعِدٌ وَرَسُولُ ٱللهِ ﷺ مُتَوَسِّدٌ فَخِذِي إِذَا أَنَا بِرِجَال عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ بِيضٌ ٱللهُ أَعْلَمُ مَابِهِمْ مِنَ ٱلْجَمَالِ فَانْتَهوا إِلَيَّ فَجَلَسَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ عِنْدَ رَأْسِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ وَطَائِفَةٌ مِنْهُمْ عِنْدَ رِجْلَيْهِ ثُمَّ قَالُوا بَيْنَهُمْ مَا رَأَيْنَا عَبْدًا قَطُّ أُوتِيَ مِثْلَ هٰذَا ٱلنَّبِي هٰذَا ٱلنَّبِي إِنَّ عَيْنَيْهِ تَنَامَانِ وَقَلْبُهُ يَقْظَانُ ٱضْرِبُوا لَهُ مَثَلاً مَثَلَ سَيِّدٍ بَنَى قَصْراً ثُمَّ جَعَلَ مَأْدُبَةً فَدَعَا ٱلنَّاسَ إِلَى طَعَامِهِ وشَرَابه فَمَنْ أَجَابَهُ أَكَلَ مِنْ طَعَامِهِ وَشَرِبَ مِنْ شَرَابِهِ وَمَنْ لَمْ يُجِبْهُ عَاقَبَهُ أَوْ قَالَ عَذَّبَهُ ثُمَّ ٱرْتَفَعُوا وَٱسْتَيْقَظَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ فَقَالَ سَمِعْتَ مَاقَالَ هٰؤُلاَءِ وَهَلْ تَدْرِي مَنْ هٰؤُلاَءِ قُلْتُ ٱللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ هُمُ ٱلْمَلاَئِكَةُ فَتَدْرِي مَاٱلْمَثَلُ ٱلَّذِي ضَرَبُوا قُلْتُ ٱللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَال ٱلْمَثَلُ ٱلَّذِي ضَرَبُوا ٱلرَّحْمٰنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَنَى ٱلْجَنَّةَ ودعا إِلَيْهَا عِبَادَهُ فَمَنْ أَجَابَهُ دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ وَمَنْ لَمْ يُجِبْهُ عَاقَبَهُ أَوْ عَذَّبَهُ

* قَالَ ابُو عيسى هٰذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا ٱلْوَجْه وَأَبُو تَمِيمَةَ هُوَ ٱلْهُجَيْمِي وَٱسْمُهُ طَرِيفُ بْنُ مُجَالِدٍ وَأَبُو عُثْمَانَ ٱلنَّهْدِيُّ ٱسْمُهُ

عَبْدُ ٱلرَّحْمٰنِ بْنُ مُلٍّ وَسُلَيْمانُ التَّيْمُّي قَدْ رَوَى هٰذَا الْحَدِيثَ عَنْهُ مُعْتَمِرٌ وَهُوَ سُلَيْمانُ بْنُ طَرْخَانَ وَلَمْ يَكُنْ تَيْمِيًّا وَإِنَّمَا كَانَ يَنْزِلُ بَنِي تَيْمٍ فَنُسِبَ إِلَيْهِمْ قَالَ يَحْيى بْنُ سَعِيدٍ مَارَأَيْتُ أَخْوَفَ لله تَعَالَى مِنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِّي * **باب** مَا جَاءَ فِي مَثَلِ النَّبي ﷺ وَالأَنْبِيَاء قَبْلَهُ **حدثنا** مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمٰعِيلَ حَدَّثَنا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ حَدَّثَنَا سَلِيم ٱبْنُ حَيَّانَ بَصْرِيٌّ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ قال قالق ٱلنَّبِىُّ ﷺ إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي كَرَجُلٍ بَنَى دَاراً فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَها إلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ فَجَعَلَ ٱلنَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ منها وَيَقُولُونَ لَوْلاَ مَوْضِعُ ٱللَّبِنَة وفى ٱلْبَابِ عَنْ أُبَيِّ لْنِ كَعْبٍ وَأَبِى هُرَيْرَةَ * قَالَ ابو عيسى هٰذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هٰذَا ٱلْوَجْهِ * **باب** مَاجَاءَ فِي مَثَلِ ٱلصَّلاَةِ وَٱلصِّيَام وَٱلصَّدَقَه **حدثنا** مُحَمَّدُ ٱبْنُ إِسْمٰعِيل حَدَّثَنَا مُوسٰى بْنُ إِسْمٰعِيلَ حَدَّثَنَا أَبَانُ بْنُ يَزِيدَ حَدَّثَنا يَحْيٰى ٱبْنُ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ سَلاَّمٍ أَنَّ أَبَا سَلاَّم حَدَّثَهُ أَنَّ ٱلْحٰرِثَ ٱلأَشْعَرِىَّ حَدَّثَهُ أَنَّ ٱلنَّبِي ﷺ قَالَ إِنَّ ٱللهَ أَمَرَ يَحْيٰى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْس كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بَنِى إِسْرٰائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا وَإِنَّهُ كَادَ أَنْ يُبْطِيءَ بِهَا فَقَالَ عِيَسى إِنَّ الله أمرك بِخِمْس كَلِمَاتٍ لِتَعْمَلَ بِهَا وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرٰائيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بهَا فَامَّا أَنْ تَأْمُرَهُمَ وَإِمَّا أَنَا آمُرُهُمْ فَقَالَ يَحْيٰى أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنى بِها أَنْ يُخْسَفَ بِي أَوْ أُعَذَّبَ فَجَمَعَ ٱلنَّاسَ فِي بَيْت ٱلمَقْدِسِ فَٱمْتَلأَ الْمَسْجِدُ وَتَعَدُّوا عَلَى ٱلشُّرَفِ فَقَالَ إِنَّ ٱللهَ أَمَرَني بَخِمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَآمُرَكُم أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ أَوَّ لُهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا ٱللهَ وَلاَتُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِٱللهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ ٱشْتَرَى عَبْداً مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْوَرِقٍ فَقَالَ هٰذه دَارِى وَهٰذَا عَمَلِي فَاعْمَلْ وَأَدِّإِلَّى فكَان يَعْمَلُ وَيُؤَدِّى إِلَى غَيْرِ سَيِّده فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذٰلكَ وَإِنَّ الله أَمَرَكُمْ بالصَّلَاةِ فَاذَا صَلَّيْتُمْ فَلاَ تَلْتَفِتُوا فَانَّ ٱللهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْه عَبْدِه فِي صَلاَتِهِ مَالَمْ يَلْتَفِتْ وَآمُرُكُمْ بِٱلصِّيَامِ فَانَّ مَثَلَ ذَلك كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عِصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ فَكُلُّهُمْ يَعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ رِيحُهَا وَإِنَّ رِيحَ ٱلصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ ٱللهِ من رِيحِ ٱلْمِسكِ وَآمُرُكُمْ بِٱلصَّدَقَة فَانَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ ٱلْعَدُوُّ فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ وَقَدَّمُوه لِيَضْرِبوا عُنُقَهَ فَقَالَ أَنَا أَفْدِيهِ مِنكُمْ بِٱلْقَلِيلِ وَٱلْكَثِيرِ فَفَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا ٱللهَ

فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ ٱلْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعاً حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنهُمْ كَذَٰلِكَ ٱلْعَبْدُ لاَيُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ الاَّ بِذِكْرِ ٱللهِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ ٱللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ ٱلسَّمْعُ وَٱلطَّاعَةُ وَٱلْجِهَادُ وَٱلْهِجْرَةُ وَٱلْجَمَاعَةُ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ ٱلجماعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَ ٱلْإِسْلاَمِ مِنْ عُنُقِهِ إلاَّ أَنْ يَرْجِعَ وَ مَنَ ٱدَّعَى دَعْوَى ٱلْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ فَقَالَ رَجُلٌ يَارَسُولَ ٱللهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ قَالَ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ فَٱدْعُوا بِدَعْوَى ٱللهِ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلْمُؤْمنِينَ عِبَادَ ٱللهِ هٰذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمٰعِيلَ ٱلْحَرِثُ ٱلأَشْعَرِي لَهُ صُحْبَةٌ وَلَهُ غَيْرُ هٰذَا ٱلْحَدِيثِ حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ حَدَّثَنَا أَبَانُ بْنُ يزيد عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ زَيْدِ بِنِ سَلاَّمٍ عَنْ أَبِي سَلاَّمٍ عَنِ ٱلْحٰرِثِ ٱلأَشْعَرِيِّ عَنِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ نَحْوَهُ بِمَعْنَاهُ * قَالَ ابو عيسى هٰذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ وَأَبُو سَلاَّمٍ ٱلْحَبَشِيُّ ٱسْمُهُ مَمْطُورٌ وَقَدْ رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ ٱلْمُبَارَكِ عَنْ يَحْيَى بن أَبِي كثيرٍ *

باب مَا جَاءَ فِي مَثَلِ ٱلْمُؤْمِنِ ٱلْقَارِىءِ لِلْقُرْآنِ وَغَيرِ ٱلْقَارِىءِ حدثنا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَثَلُ ٱلْمُؤْمِنِ يَقْرَأُ ٱلْقُرْآنَ كَمَثَلِ ٱلأُتْرُجَّةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ وَمَثَلُ ٱلْمُؤْمِنِ ٱلَّذِي لاَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ ٱلتَّمْرَةِ لاَ رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ وَمَثَلُ ٱلْمُنَافِقِ ٱلَّذِي يَقْرَأُ ٱلْقُرْآنَ كَمَثَلِ ٱلرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ وَمَثَلُ ٱلْمُنَافِقِ ٱلَّذِي لاَيَقْرَأُ ٱلْقُرْآنَ كَمَثَلِ ٱلْحَنْظَلَةِ رِيحُهَا مُرٌّ وَطَعْمُهَا مُرٌّ ★ قال ابو عيسى هٰذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَقَدْ رَوَاهُ شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ أَيْضاً حديثا ٱلْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ٱلْخَلاَّلُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ قَالُوا حَدَّثَنَا عَبْدُ ٱلرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ ٱلزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ ٱلْمُسَيِّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ مَثَلُ ٱلْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ ٱلزَّرْعِ لاَتَزَالُ الرِّيَاحُ تُفِيئُهُ وَلاَيَزَالُ ٱلْمُؤْمِنُ يُصِيبُهُ بَلاَءٌ وَمَثَلُ ٱلْمُنَافِقِ مَثَلُ ٱلشَّجَرَةِ ٱلأَرْزِ لاتهتز حَتَّى تُسْتَحْصَدَ هٰذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ حدثنا إِسْحٰقُ بْنُ مُوسَى ٱلأَنْصَارِيُّ حَدَّثَنَا مَعْنٌ حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ عَبْدِ ٱللهِ دِينَارٍ عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ أَنَّ

رَسُولَ ﷺ قَالَ إنَّ مِنَ ٱلشَّجَرِ شَجَرَةً لاَيَسْقُطُ وَرَقُهَا وَهُوَ مَثَلُ ٱلْمُؤْمِنِ حَدِّثُونِي مَاهِيَ قَالَ عبد ٱللهِ فَوَقَعَ ٱلنَّاسُ فِي شَجَرِ ٱلْبَوَادِي وَوَقَعَ فِي نَفْسى أَنَّهَا ٱلنَّخْلَةُ فَقَالَ ٱلنَّبِى ﷺ هِيَ ٱلنَّخْلَةُ فَٱسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَقُولَ قَالَ عَبْدُ ٱللهِ فَحَدَّثْتُ عُمَرَ بِالَّذِى وَقَعَ فِي نَفْسِي فَقَالَ لأن تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَّي مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا * قَالَ ابو عيسى هذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَفِي الْبَابِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ

* باب مَثَلِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ حدثنا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا الَّلَيْثُ عَنِ ابْنِ الْهَادِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْراهِيمَ عَنْ أَبِي سلمه بْنِ عَبْدِ الرَّحْمنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْراً بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيءٌ قَالُوا لاَيَبْقَي مِنْ دَرَنِهِ شَيءٌ قَالَ فَذلِكَ مَثَلُ الصلوات الْخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا وفِي الْبَابِ عَنْ جَابِرٍ * قَالَ ابو عيسى هٰذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحيح حدثنا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ مُضَرَ ٱلْقُرَشِيُّ عَنِ ٱبْنِ ٱلْهَاد نَحْوَهُ باب حدثنا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ يَحْيى ٱلأَبَحُّ عَنْ ثَابِتٍ ٱلْبُنَانِّي عَنْ أَنَس قَالَ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ مَثَلُ أُمَّتي مَثَلُ ٱلْمَطَرِ لاَيُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أم آخِرُهُ قَالَ وَفِي ٱلْبَابِ عَنْ عَمَّارٍ وَعَبْدِ ٱللهِ بْنِ عَمْرٍو وَٱبنِ عُمَرَ وهٰذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هٰذَا ٱلْوَجْهِ قَالَ وَرُوِىَ عَنْ عَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ بْنِ مَهْدي أَنَّهُ كَانَ يُثَبِّتُ حَمَّادَ بْنَ يَحْيى ٱلأَبَحَّ وَكَانَ يَقُولُ هُوَ مِنْ شُيُوخِنَا *باب مَاجَاءَ فِي مَثَلِ ٱبْنِ آدمَ وَأَجَلِهِ وَأَمَلِهِ حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمٰعيلَ حَدَّثَنَا خَلاَّدُ بْنُ يَحْيى حَدَّثَنَا بَشِيرُ بْنُ ٱلْمُهَاجِرِ أَخْبَرَنَا عَبْدُ ٱللهِ بْنُ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيه قَالَ قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ هَلْ تَدْرُونَ مَاهٰذِهِ وَرَمَى بِحَصَاتَيْنِ قَالُوا ٱللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ هٰذَاكَ ٱلأَمَلُ وَهَذَاكَ ٱلأَجَلُ * قَالَ ابو عيسى هٰذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هٰذَا ٱلْوَجْهِ حدثنا إِسْحَقُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا مَعْنٌ حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ دِينَار عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ قَالَ إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِيمَا خَلاَ مِنَ ٱلأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلاَةِ ٱلْعَصْرِ إِلَى مَغَارِبِ ٱلشَّمْسِ وَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ ٱلْيَهُودِ وَٱلنَّصَارَى كَرَجُلٍ ٱسْتَعْمَلَ عُمَّالاً فَقَالَ مَنْ يَعْمَلُ إِلَى نِصفِ ٱلنَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاط فَعَمِلَت ٱلْيَهُودَ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ فَقَالَ مَن

يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ ٱلنَّهارِ إِلَى ٱلْعَصْرِ عَلَى قِيراطٍ قيراط فَعَمِلَتِ ٱلنَّصَارَى عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ ثمَّ أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ مِنْ صَلاَةِ ٱلْعَصْرِ إِلَى مَغَارِبِ ٱلشَّمْسِ عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ فَغَضِبَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَارَى وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلاً وَأَقَلُّ عَطَاءً قَالَ هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئاً قَالُوا لاَ قَالَ فَإِنَّهُ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ هٰذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ حدثنا ٱلْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ٱلْخَلاَّلُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ قَالُوا حَدَّثَنَا عَبْدُ ٱلرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ ٱلزُّهرِيِّ عَنْ سَالِمٍ عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ إِنَّمَا ٱلنَّاسُ كَإِبِلٍ مِائَةٍ لاَيَجِد ٱلرَّجُلُ فِيهَا رَاحِلَةً * قَالَ ابو عيسى هٰذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ حدثنا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلْمَخْزُومِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بن عُيَيْنَةَ عَنِ ٱلزُّهْرِي بِهَذَا ٱلأَسْنَادِ نَحْوَهُ وَقَالَ لاَتجدُ فِيهَا رَاحِلَةً أَوْ قَالَ لاَتجدُ فِيهَا أَلاَّ رَاحِلَةً حدثنا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا ٱلْمُغَيرةُ بْنُ عَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ عَنْ أَبِى ٱلزِّنَادِ عَنِ ٱلأَعْرَجِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ قَالَ إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمتي كَمَثَلِ رَجُلٍ ٱسْتَوْقَدَ نَاراً فَجَعَلَتِ ٱلذُّبَابُ وَٱلْفَرَاش يَقَعْنَ فِيهَا وَأَنَا آخُذُ بُحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تقَحَّمُونَ قَالَ هٰذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيرِ وَجْهٍ

بسم الله الرحمن الرحيم

كتـــاب الامثـــال

« شـــرح الأحـــوذى »

اَلمثَلُ بفتح الميم وَالمثَلُ عبارة عن تشابه المعانى المعقولة وَالمِثْلُ بكسر الميم واسكان الثاء عبارة عن تشابه الاشخاص المحسوسة ويدخل أحدهما على الآخر وقد أفضنا فيها فى المشكلين وفى قانون التأويل مايكفى لكل امرىء له قلب فى رى الغليل وقد ضرب الله فى كتابه الامثال وضربها النبى عليه السلام وروى عن عبد الله بن عمر أنه قال حفظت عن رسول الله ﷺ الف مثل ولم يصح ولم أر أحدا من أهل الحديث صنف فأفرد لها بابا غير أبى عيسى ولله دره لقد فتح بابا أو بنى قصرا أو دارا ولكن اختط خطا صغيرا فنحن نقنع به ونشكره عليه وجملة ماذكر أربعة عشر حديثا

الحـــديث الأول

روى جبير بن نفير عن النواس بن سمعان أن الله سبحانه ضرب مثلا صراطا مستقيما على كتفى الصراط دور فيها أبواب مفتحة على الأبواب ستور وداع يدعو على رأس الصراط وداع يدعو فوقه والله يدعو إلى دار السلام الآية والابواب حدود الله فلا يقع أحد فى حدود الله حتى يكشف الستر والذى يدعو من فوقه واعظ ربه (قال ابن العربي رحمه الله) فضرب مثلا لخمسة صراط أبواب ستور داع على رأس الصراط داع من فوقه (فالأول) هو الصراط مثل عن الطريق الجادة لكل معنى مستقيم كالهدى والدين والايمان بالله والعدل ونحو ذلك وهو عبارة عما عليه من الكتاب والسنة دليل وليس للبدعة والمعصية إليه سبيل مما عليه سلف الأمة وشهدت له شواهد العبرة يفضى بصاحبه إلى التوحيد ويعينه فى الطاعة على بذل لبمجهود (الثانى) الأبواب وهى تحتمل فى التمثيل معانى كثيرة لكنه قد فسرها بالحدود فتعينت من جملة المحتملات فى الحدود (الثالث) قوله مفتحة وإنما وصفها بالفتح لأن الشهوات إليها شارعة والنفس نحوها نازعة والسبل سهلة لينة كما روى أن الجنة حزن

بربوة وأن النار سهل بشهوة . (الرابع) الستور وهى مثل لكل حاجز عن الحرام حاجب عن المحظور من دين ومروءة وحياة وهمة وعار وعفة (الخامس) الداعى وهو مثل للنبى وخلفائه . (السادس) الداعى الذى من فوقه وهو الواعظ إما من تهديد وإما من رجر باستيفاء الحدود وإما من خوف اليوم المشهود .

الحـــديث الثانى

حديث جابر فى تمثيل الملائكة له المثل بالله والدار والبيت والمائدة وفيه فائدتان (إحداهما) ان الله ضرب المثل تارة بالطريق إلى الاسلام وتارة بالدار والمعنى متقارب لأن الطريق سبب إلى الدار والدار مشتملة على البيت والبيت يحتوى على المائدة وعلى كل مقصود فى المنفعة والبيت (الثانية) أنه جعل المقصود المائدة وهو مايؤكل ويشرب رداً على الصوفية الذين يقولون لامطلوب فى الجنة إلا الوصال ونعم لا وصل لنا إلا باقتضاء الشهوات الجسمانية والنفسانية والمعقولة والمحسوسة وفى الجنة جماع ذلك

الحـــديث الثالث

رواية ابن مسعود فى الخروج مع النبى عليه السلام والخط الذى خط له .
فوئده سبع (الأولى) وضع النبى عليه السلام عليه الخط علامة للتحصين عليه من الجزع والضرر فلم يقدر أحد من الخلق على ضره ولا على البلوغ إليه (الثانية) منعــه من الكلام معهم لأنه حجر بينهم وبينه والكلام خلطه واتصال وهو أول الضرر أو النفع (الثالثة) قوله كأنهم الزط أشعارهم وأجسادهم لا أرى عورة وكان هؤلاء الجن . والزط جيل من السودان من أهل السنة (١) وتقول فيهم تميم سط وهى كلمة أعجمية وعلى هذه الهيأة رأى تميم الدارى الجساسة دابة أهلب كثير الشعر لايعرف قبلها من وبرها (الرابعة)

---

(١) الزت معرب جت وهم قوم يعيشون الآن فى بلاد البنجاب .

دخل الرجال الحسان الخط لأنهم ملائكة لم يحجز عنهم (الخامسة) المأدبة طعام يدعى إليه الناس ابتداء والأطعمة معلومة وقد بيناها فيما قبل بأسبابها (السادسة) قوله ودعا الناس إلى طعامه وشرابه وهذا مثل للثواب كما تقدم بيانه (السابعة) قوله ومن لم يجب عاقبه قالت الحكماء من دعوناه فلم يجبنا فله الفضل علينا فان جاءنا فلنا الفضل عليه . وهذا صحيح فى النظر فأما حكم العبد مع المولى فكما قال الله تعالى فى هذا المثل انه إذا لم يجب الدعوى استحق العقوبة .

الحديث الرابع

روى سعيد بن ميناء عن جابر بن عبد الله حديث اللبنة إذا تأمل المتفطن هذا الحديث رأى أن قدر النبى الله ﷺ فى الخلق أعظم رفعا وأكرم قدرا من لبنة فى حائط . والحديث صحيح ومعناه مما تكررت على الايام فيه بلقاء الانام ولم ألف عند أحد به طريقا إلى الاعلام فرجعت إلى نفسى القاصرة فظهر إلى فيه والله أعلم أن اللبنة كانت من الأس ولولا كون هذه اللبنة فى هذا الأس لانقض المنزل لانها القاعدة والمقصود

الحديث الخامس

حديث الحارث بن الحارث الأشعرى فى أمر الله ليحيى بن زكريا بالعشر كلمات لم يرو غيره ولا رواه غيره رواه عنه أبو منظور الحبشي حدث به عنه زيد بن سلام حسن صحيح . وقال ابن عبد البر لم يحدث به من ابن سلام إلا معاوية بن سلام والترمذى قد رواه صحيحا كما ذكرناه (الكلمة الأولى) أن تعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا وهى المبدأ والغاية والفائدة فى الخلقة والخليقة فى الدنيا والآخرة فما خلق الله الجن والانس إلا ليعبدوه وكذلك كان فانه عبده جميعهم موحدهم مؤمنهم وكافرهم كل يسبح بحمده ويكون فيما سبق من عنده وينفذ قضاؤه فى عبده والآدمى كله بذاته وصفاته وأفعاله كلها خلق الله

فإذا وجدت فيه له أى موافقة لأمره فقد اطرد النظام . قام الحق على التمام وان وجدت لغيره أى مخالفة لأمره فهى له من جهة قضائه وارادته التكليف والثواب والعقاب إنما يتعلق بالأمر والنهى لا بالارادة والقضاء ولما كان وجود ذلك من المخالفات بذات العبد مذموما ضرب الله لها مثلا خدمة عبدك لغيرك وهو تحت إحسانك ورفقك وهو عند الناس مذموم فلم يكونون مع الله كما يكرهون أن يكونوا مع غيره فيجعلون لله مايكرهون إن هذا الا إفك افتروه وأعانهم عليه الشيطان . (الكلمة الثانية) الصلاة قد بينا فى التفسير من معانى الصلاة المتعلقة بها فوائد تكفى الراغب فليرجع إليها فى العرفان عليها ومن فوائدها أنها مناجاة الله واستقباله فمن آدابها الا يلتفت عند ذلك وليقبل على ماهو فيه وكان رسول الله ﷺ يلتفت فى الصلاة يمينا وشمالا كما تقدم من غير أن يخرج عن القبلة . وكان أبو بكر الصديق لايلتفت فى صلاته مقبلا على ماكان بصدده وفيا بعهدة ما التزمه فى إحرامه . واختلف فى التفات النبى عليه السلام على ثلاثة أقوال (الأول) أنه لم يصح (الثانى) انه كان يفعل ذلك رفقا بالأمة لعلمه بأنها ستلتفت فى صلاتها فيكون ذلك تسلية لها (الثالث) انه كان يلتفت تطلعا إلى ما يفعل من معه واعترض على هذا لأنه قد قال ﷺ فى الصحيح ولا تسبقونى يعنى بأفعال الصلاة فانى أراكم من وراء ظهرى وقيل كان فى بعض الأوقات تخلق له الرؤيا فيدرك ماوراءه كما يدرك ما أمامه وفى بعضها كان على حكم الآدمية فيلتفت حينئذ لتحصيل ماكانوا يفعلون . والثانى من هذه الاقوال أقربها إلى المعنى (الكلمة الثالثة) الصيام تقدم فى كتاب الصيام فيه بدائع وقد ضرب يحيى له مثلا فى طيبة المسك وكذلك قال محمد ﷺ لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . والحكمة فى ذلك والله أعلم أن الصائم مكتوم الفعل إذ الصوم فعل لايعلم حقيقته الا الله سبحانه فينشر الله عليه ريح المسك معلما ملائكته وأولياءه أنه صائم مباهاة به وتكرمة له وهذا كله جار على الاصل فى الشريعة فان المكروه فى الدنيا محبوب فى الآخرة ومضرة الدنيا منفعة الآخرة ونصب الدنيا راحة الآخرة وهكذا إلى آخر الرزمة خصلة خصلة وقصة قصة (الكلمة الرابعة) الصدقة إن الله تعالى خلق للعبد بدنه وماله وجعل المال تابعا للبدن خادماً له ومنفعة ورياشا فى المعاش ومعونة

واعلم العبد ذلك قولا وأراه اياه معانية فى نفسه فلما استقرت هذه المعرفة عند العبد ركب فيه الحرص والطمع وغشاه حجاب الأمل والجشع فقلب القوس ركوة وجعل البدن خادما للمال فيسعى به فى جمع المال وتأليفه واختزانه ويقطع الحظوظ منه والحقوق فإذا به قد عاد عليه وباله وساء لذلك مآله وحصل فى ربقة المطالبة وأسر المخالفة فلا يحله من ذلك الا بذلة ولا يفكه الا إعطاؤه . وقوله ولذلك ضرب الله مثلا من كان فى أسر العدو فانه يفدى نفسه باخراجها من الاسر بجميع مافى يديه من ملك وهو مع الحقوق إلى ذلك أحوج وهو عليه أوكد (الكلمة الخامسة) ان تذكروا الله وذكره هو الثناء عليه بما هو أهله والتضرع إليه فيما يؤمل منه وأشرفه ذكره بكلامه وقد بينا من ذلك فى كتاب التفسير مالا يكاد يوجد له نظير والآثار فى ذلك كثيرة هو شرف الانسان وعصمة من الشيطان إذا ذكر العبد ربه غفر على كل الاحوال ذنبه وقد بالغ فيه سبحانه حتى جعله خيرا من الصدقة ومن الجهاد وقال النبى عليه السلام وأنا آمركم بخمس (الكلمة الأولى) السمع وليس المراد به الادراك الحسى وإنما يراد به القبول كما قال تعالى (الذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون) وهو أصل الدين ومبدأ الخيرات (الكلمة الثانية) الطاعة فان المخالفة تعم كل ذنب وتشمل كل كبير وصغير من الخطايا وهى فائدة فانه إذا قبل الامر والنهى كان علامة القبول وفائدته الامتثال والانكفاف (الكلمة الثالثة) الجهاد وهو على قسمين خاص وعام ومن جهة أخرى قاصر ومتعد فالخاص القاصر جهاد المرء لنفسه الامارة بالسوء بكفها عن الشهوات والبطالات والمخلفات والغفلات والعام المتعدى جهاد الأعداء اما كافر يصرفه إلى دين الاسلام واما عاص يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر (الكلمة الرابعة) الهجرة وقد بيناها فى اسم المهاجر فى تفسير القرآن وهى على الاقسام المذكورة هنالك (الأولى) هجرة الذنوب كفرا وفسقا (الثانية) هجرة الوطن لأنه دار كفر بأن يكون أسلم فيه وإما ان يكون دار خوف ظلم واما لأنه موضع غلب فيه الحلال الحرام واما لانه مقر بدعة واما لكثرة المناكير (الكلمة الخامسة) الجماعة وهى لزوم الطريقة التى يتمسك بها الناس ولايكون المرء شاذا خارجا عن منهاجهم وهذه الجماعة هى الصحابة والتابعون والاخيار المسلمون فى جادة الدين ومنهاج الحق المبين وهى

فى جمع الكلمة واجتناب الفرقة والاتفاق على أمره فإذا كان. كذلك والمخالف ليس يلتفت إليه والخارج الآخر لايستبقى عليه بحال التوكيد ثم أكد ذلك ﷺ بقوله من ادعى دعوى الجاهلية فهو من جثا جهنم ودعوى الجاهلية وجوه منها الاستنصار بالقبائل كقولهم فى غزوة المريسيع يال المهاجرين يال الانصار فقال النبى عليه السلام مابال دعوى الجاهلية دعوها فانها منتنة ومنها الاستنان وقوله فانه من جثا جهنم يقال بالحاء المهملة من حثا إذا عرف وضم ويقال من جثا بالجيم جمع جثوة وهى الجماعة الذين سبق فيهم حكم الله بالنار وذلك وعيد ينفذ فيمن يعتقد ذلك دينا ومن أتاه وهو يعتقد أنه معصية كان فى مشيئة الله ان شاء أن يعذبه فعل وان شاء أن يعفو عنه تفضل وقوله وان صلى وصام يريد أن هذه الكبيرة لاتوازيها الصلاة والصوم فى الموازنة .

الحديث السادس

[قال أبو عيسى] روى أنس عن أبى موسى قال رسول الله ﷺ (مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن والذى لايقرؤه) ضرب النبى عليه السلام المثل للمؤمن بالأترجة لطيب طعمها وريحها عبارة عن طيب الظاهر بالذكر والباطن بالاعتقاد وضرب للمنافق مثلا فظاهره طيب ريحها وإذا اختبرت باطنها وجدت طعمها مراً وضرب للكافر الحنظلة التى ريحها مر لخبث ريحها وطعمها . وفى رواية طعمها مر ولا ريح لها ومعنى نفى الريح هاهنا أى لاريح طيبة أما أن لها ريحا قبيحاً فتارة أخبر بوجود الرائحة القبيحة وتارة أخبر عن عدم الريح الطيبة وفى وجود الريح الخبيثة عدم الريح الطيبة فيخبر تارة عن العدم للحسن وتارة عن وجود القبيح ويكون الكل صحيحا .

الحديث السابع

[روى أبو عيسى ﴾ السعيد بن المسيب عن أبى هريرة (مثل المؤمن كمثل الزرع لاتزال الريح تفيئه ولايزال المؤمن يصيبه بلاء ومثل المنافق كمثل الأرزة

تهتز حتى تستحصد) وفى رواية مثل المؤمن كمثل الخامة من الزراع تفيئها الريح مرة هاهنا ومرة هاهنا ومثل المنافق كمثل الأرزة المجزية حتى يكون انجعافها مرة (غريبه) الخامة قصبة الزرع الواحدة وقوله تفيئها الريح أى تردها عن حالها وتردها إلى حالها عند مدافعتها . والأرزة شجرة الصنوبر وهو من أقواها المجزية يعنى الثابتة الأصل وانجعافها وقوعها عن القيام إلى الاضطجاع وفيه روايات كثيرة (المعنى) أن المؤمن يصيبه البلاء والغموم فينحرف عن حال السرور وطيب العيش إلى النكد وتارة يكون فى حال عافية وفرح والكافر والمنافق فى صحة من بدنهما ورغد من عيشها وتأت من آمالهما حتى ينفذ القدر فيهما والريح لاتؤثر فيهما الا إذا استحصدت أى دنا فناؤها وقد ضرب الله للمؤمنين مثلا الزرع فقال (كزرع أخرج شطأه فآزره) إلى قوله الكفار فالزرع محمد رسول الله والشطء فراخ الزرع حوله أصحابه ينمى الزرع ويغلظ ويستوى الكل على سوقه حتى يعتدل جميعه فى تمام الايمان وكمال الدين فيعجب زارعه وذلك من فعل الله ليغيظ بمحمد وأصحابه الكفار فمن أبغض الصحابة فهو كافر

الحـــديث الثامن

عبد الله بن دينار عن عمر قال رسول الله ﷺ (ان من الشجر شجرة لايسقط ورقها مثلها مثل المسلم خبرونى ماهى فوقع الناس فى شجر البوادى) الحديث

(الاسناد) حديث مشهور ثابت من طريق ابن عمر رواه عنه جماعة منهم مجاهد وفيه زيادات من أغربها ما أخبرناه أبو المعالى ثابت بن بندار البغال فى منزلنا بنهر معلى أنا البرقانى انا الاسماعيلى بجرجان نا الحسن بن سفيان نا عباس بن الوليد انا ابن ناجية نا محمد بن الصباح الجرجانى وعلى ابن مسلم وذكر ثالثا وأخبرنى عبد الله بن صالح نا ابن أبى عمر ومحمد بن قدامة الزعفرانى ونا عمران نا عثمان قالوا سفيان بن عينة لم يسمعه بعضهم عن ابن ابى نجيح عن مجاهد قال صحبت ابن عمر إلى المدينة فلم أسمعه يحدث عن النبى ﷺ الا حديثا واحدا

قال كنا عند النبى عليه السلام فأتي بجمار فقال رسول الله ﷺ ان من الشجر شجرة مثل المؤمن وشبهها بالمؤمن أو نحو هذا قال ابن عمر فأردت أن أقول هى النخلة فنظرت فإذا أنا أصغر القوم فقال رسول الله ﷺ هى النخلة الحديث قال ابن ماجه فى هذا الحديث مثل المؤمن مثل النخلة إن جالسته نفعك وان شاركته نفعك وإن صاحبته نفعك وإن شاورته نفعك وكل شأن من شأنه منافع

(العربية) الجمار هوشحم النخلة الذى يؤكل بالعسل ويقال له الجامور أيضا (الأصول) فى مسألتين الأولى أن الله ضرب المثل بالنخلة لكلمة التوحيد فقال (وضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) وضرب النبى ﷺ لها مثلا للمؤمن وكلا المثلين صحيح فصيح معجز للناس مبين من المعارف مايعم نفعه فى الدين وتشمل بركته جميع المسلمين فأما وجه تشبيه المؤمن بها فبين فانه تشبيه جسم بجسم وأما تشبيه الكلمة الطيبة بها ففيه خفاء وذلك أن الموجودات على ضربين جسم وعرض فتشبيه الجسم بالجسم معتد فى البيان وتشبيه العرض بالجسم متشبث بشىء من الاشكال وان كان فى كلا الوجهين معقول ومحسوس وكلا المثلين بين الا ان المعقول أخفى إلا على العلماء وإنما المقصود منه وهى الثانية وجه التمثيل فى المقصود بالخير خاصته ثم غيره من معانيه فالعالم يقصر على ذلك والغافل يريد أن يحمله على وجوهه فيزيغ إن كان فى الاعتقاد ويخطىء فى غيره .

(الفوائد) كثيرة بينا منها فى مختصر النيرين جملة أمهاتها احدى عشرة (الأولى) فيه دليل على تشبيه الشيء بالشىء مطلقا والمراد منه معنى واحد أو أكثر منه دون استيفاء جميع المعانى (الثانية) اعلموا أن المؤمن لايعادله شيء ولا يماثله حتي الكعبة التى يستقبلها فى العبادة ولكن الامثال تحتمل ذلك فلا شيء أعظم من الله سبحانه ورسوله بعده من خلقه وقد ضرب المثل بهما بما هو دونهما (الثالثة) فيه حسن الحياء فى الجملة حتى فى الحق وان كان الله لا يستحى من الحق ولكن إذا تعين الأمر لم يحسن الحياء فيه وقد يفوت بالحياء

علم كثير كما يفرت بالكبر فلا يتعلم العلم من يستحى ولامن يستكبر والحياء محمود فى الجملة وقد بيناه فى شرح الصحيحين (الرابعة) قوله فوقع الناس فى شجر البوادى يعنى أنهم ذكروا الدوم الرانج الكاذى الفوفل فالدوم معلوم والرانج جوز الهند والكاذى شجر ببلاد عمان يلقى طلعه فى الدهن فيطيبه والفوفل كالرانج يقطع كبائس كبائس فيها ثمر أمثال التمر ولم يذكروا الاترج ولا النازنج لانها ليست من شجر البوادى (الخامسة) قوله لايسقط ورقها وجه التمثيل فى نفى سقوط الورق وجوه أولاها بكم أن النخلة لاتعرى عن لباسها من الورق كالمؤمن لايعرى من لباس التقوى فان اللباس الظاهر يقى من آفات الدنيا والتقوى فلباس النفس الورع ولباس القلب قطع الأمل ونفى الطمع ولباس الروح حسم العلائق وحذف العوائق وسلوك الصراط المستقيم دون سائر الطرائق ولباس العابدين ترك الحرام ولباس العارفين مجانبة الآثام ولباس المحبين نبذ الآنام (السادسة) قوله كمثل المسلم قد بين الاسماعيلى فى الجملة والتفصيل مايدل على التمثيل (السابعة) فيه ثبوت المؤمن على اعتقاده كثبوت النخلة على أساسها وعلو كلمته وعمله كعلو النخلة فى السماء (الثامنة) ان النخلة ينتفع بها بعد انجعافها فى جمارها وسعفها وعثا كلها وجفها وكذلك المؤمن لاينقطع عمله بموته إذا نظر فى تكملة إيمانه وتوفير طاعاته لنفسه (التاسعة) قوله تؤتى أكلها كل حين قد بينا فى كتاب الاحكام بالغاية من البيان فان قلنا انه فى كل عام فالمؤمن يؤتى الزكاة كل عام ويحج ويصوم وإذا قلنا انه كل وقت من خصب وجدب ومطر وقحط كذلك المؤمن لاينقطع عمله فى غنى أو فقر أو صحة أو مرض وان تعطشت لمزيد فلتنظر فى السراج تبصر وتظفر (العاشرة) روى أبو رافع عن ابى هريرة ان رسول الله ﷺ قال مثل المؤمن القوى مثل النخلة ومثل المؤمن الضعيف كخامة الزرع (قال ابن العربى) ان صح فيحتمل أن يريد بالقوة هاهنا القيام بأمر الله وبالضعف هاهنا الاقتصار على أمر نفسه ويحتمل أن يريد بذلك الذى تدوم عليه الصحة فهو كالنخلة والذى يصيبه البلاء كخامة الزرع وإذا رزق المؤمن الصحة دام على الطاعة ولم يفتر وإذا أصابه المرض قصر فى الطاعة والله يكتب له ثواب الصحيح برحمته (الحادية عشر) روى عن عمرو بن العاص أن

رسول الله ﷺ قال مثل المؤمن كمثل النحلة أكلت طيبا ووضعت طيبا (قال ابن العربي) فان صح فالمعنى فيه والله اعلم ان المؤمن يسمع القول فيتبع أحسنه ويتحدث بما سمع فيأتي بالحسن من الحسن كالنحلة تأكل الزهر الطيب وتضع الشراب الطيب (الثانية عشر) تكملة روى مسلم فى هذا الحديث ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ولا ولا ولا .. تؤتي أكلها كل حين وأشكل ذلك على بعض المغاربة وهو بين معناه ان النبى ﷺ قال خصالا بلفظ النفى كما قال لايسقط ورقها نسيها الراوى فذكر أوائلها ليدل على أنها مقولة فيقع البحث عنها لعلها تكون متحصلة وإلى الآن من أيام طلبى لم أظفر بها (الثالثة عشرة) أنا أبو المطهر الاثيرى انا ابو نعيم انا ابن خلاد نا كثير بن هشام انا الحكم عن محمد بن رفيع عن عبد الله بن عمر كنا عند رسول الله ﷺ ذات يوم فقال إن مثل المؤمن كمثل شجرة لاتسقط لها أبلحة أتدرون ماهى قالوا لا قال هى النخلة لاتسقط لها أبلحة ولايسقط لمؤمن دعوة ولأجل هذا تعبر الرويا فى الأنامل عند المنام بالدعوات رداً وقبولا وكمالا ونقصانا وإخلاصاً وإشراكاً .

الحـــديث التاسع

روى أبو سلمة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ (لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى ذلك من درنه قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا) حسن صحيح .

(الاسناد) روى هذا الحديث جابر كما قال أبو عيسى وسعد بن أبى وقاص خرجه مالك بلاغا عنه موقوفا عليه وهو باب مسند ورواه عبد الله بن ربيعة السهمى ولم يخرجه أبو عيسى وربك أعلم هل شذ عن علمه أو رواه ونسيه وفصله وطوله سعد كما فى الموطأ من ذكر قصة الأخوين اللذين مات أحدهما بعد الآخر وذكرت فضيلة الأول منهما وذكر الحديث إلى أن ضرب المثل بالنهر وزاد فيه الغمر العذب يريد الحلو الطيب الكثير (وجه التمثيل) أن المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة والأحوال المشاهدة فى بدنه وثيابه فيطهره الماء

الكثير العذب إذا والى استعماله وواظب على الاغتسال به فكذلك تطهر الصلاة العبد عن اقذار الذنوب حتى لاتبقى له ذنبا إلا أسقطته وكفرته ويكون ذلك بالوضوء قبل الصلاة ويكون ذلك بالوضوء والصلاة كما تقدم بيانه فى صدر هذا الكتاب وغيره وإنما يكفر الوضوء الذنوب لأنه يراد به الصلاة فما ظنك بالمراد وهو الصلاة ذلك أقوى فى التكفير وأولى بالاسقاط وكما يطهر الماء الوسخ فكذلك يذهب الهموم والغموم الداخلة على العبد أيضا فان الهموم أصلها الذنوب فإذا ذهبت الذنوب التى هى أسباب الهموم فى نفسها بذهاب أسبابها ولذلك يقول المعبر للرجل الذى يرى فى منامه أنه يغتسل ان كان عليك دين قضيته أو هم زال عنك شغله .

الحـــديث العاشر

حديث ثابت البنانى عن أنس قال رسول الله ﷺ (مثل أمتى مثل المطر لايدرى أوله خير أم آخره)

(الاسناد) خرجه أبو عيسى عن قتيبة عن حماد بن يحيى الأبح عن ثابت البنانى عن أنس واختلف فى حماد الأبح فقيل ليس بشىء وقال أبو عيسى كان عبد الرحمن بن مهدى يثبت حماد الأبح ويقول كان من شيوخنا .

(الأصول) اعترضوا علي هذا الحديث فردوه لقوله تعالى السابقون حيث وقع من كتاب الله وبقوله (لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة) إلى قوله وقاتلوا وقال ﷺ لبعض الصحابة فى بعض وهو خالد بن الوليد فى عبد الرحمن بن عوف (لو انفق أحدكم كل يوم مثل أحد ذهبا مابلغ من أحدهم) ولانصيفه فضلا عن أن يستوى أول هذه الأمة وآخرها (قال ابن العربى) وقد بينا رواية أبى ثعلبة الخشنى (ان من ورائكم أيام الصبر للعامل فيهن أجر خمسين منكم قالوا بل منهم قال بل منكم قالوا لم يارسول الله قال لأنكم تجدون علي الخير أعوانا وهم لايجدون عليه أعوانا) وقد بلغنا فى إيضاح ذلك فى أقسام تفسير القرآن على التمام وجملته الدالة علي

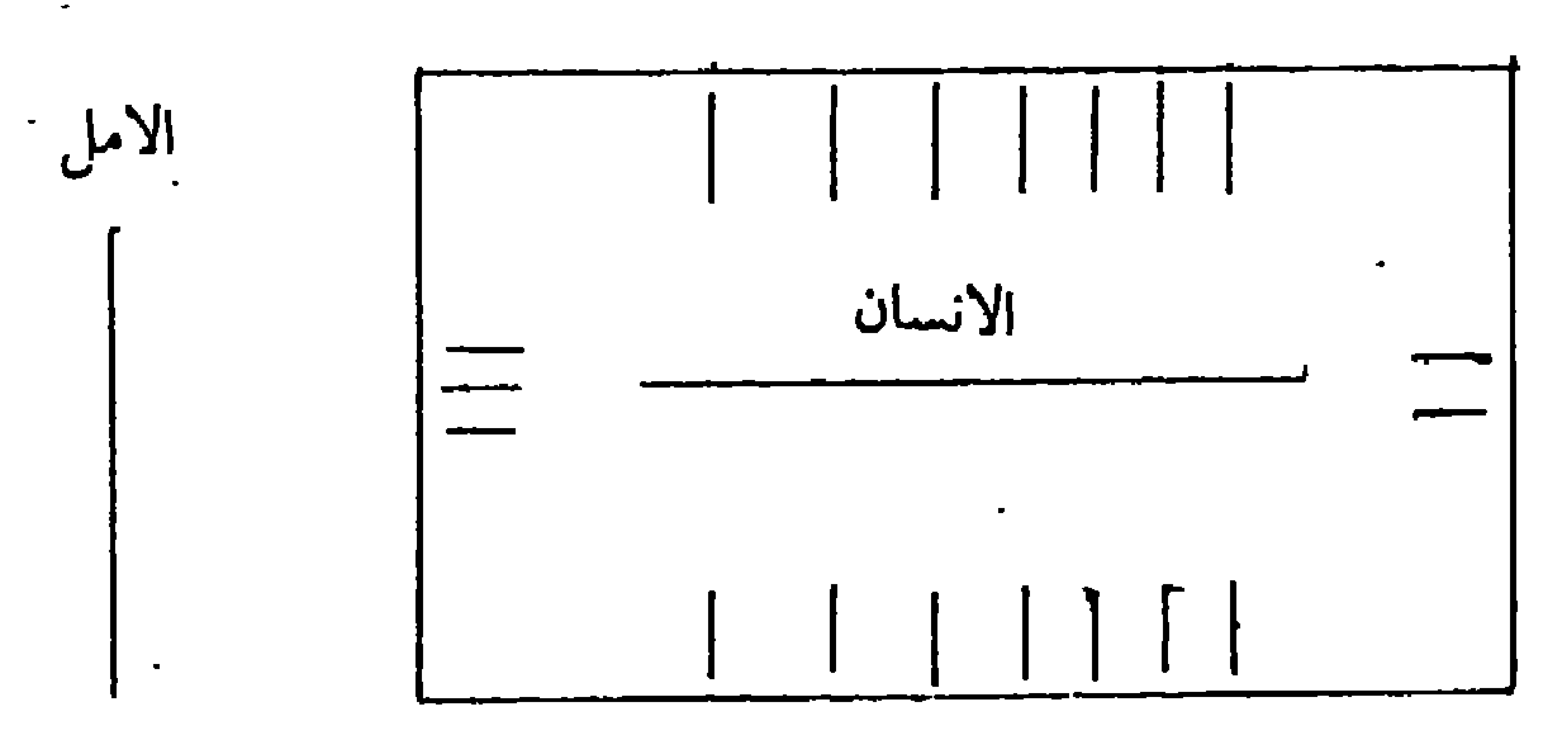
تفصيله ان الصحابة رضى الله عنهم هم الذين أسسوا الدين وأصلوا قواعده وعدلوا ميزانه وأقاموا برهانه وشدوا أمرانه والحبوا سبيله وأطابوا مقيله ومهدوا فراشه وحاطوا رياشه وأعذبوا حياضه وانضروا رياضه وأفنوا أعداءه وأعفوا أولياءه وشدوا عماده وأرسوا أوتاده واقتعدوا هذه المراتب بمناقب تساموا إليها واستولوا عليها وتفاوتت درجاتهم فيها فمن سابق ولاحق وأول وآخر ويبعد كل البعد تساوى المبتدى مع المنتهى منهم فما ظنك بمساواة من يأتى بعدهم لهم هذا لايخطر ببال أحد وإنما وجه الحديث على الاختصار ان معظم مقاصد الشريعة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وحفظ القانون الذى تقوم به رياسة الدين لسياسة العالمين فرض دائم إلى يوم القيامة وتكثر المناكر فى آخر الزمان ويقل المغـيرون لها ويذهب المعروف ويعدم الداعى إليه والأمر به فإذا قام واحد بهذا أو من كان فله أضعاف ماكان للصحابة من الأجر فى هذه الخصلة وحدها ويفضلون الخلق بسائر الخصال العظيمة التى نظامها الصحبة الكريمة ومشاهدة الغرة الزاهرة وتلقى الأخلاق الطاهرة فهذا ان صح وجهه ويشهد له قوله المتمسك بدينه عند فساد الناس كالقابض على الجمر والله أعلم ويحتمل أن يكون المعنى ان الناظر إلى ظاهر أول هذه الأمة وآخرها تتقارب أوصافهم وتتشابه أفعالهم لايحكم بالتفضيل بينهم دون النظر إلى الباطن والأول أصح .

الحـــديث الحادى عشر

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال النبى عليه السلام (هل تدرون ماهذه وماهذه ورمى بحصاتين قالوا الله ورسوله أعلم قال هذاك الأمل وهذا الأجل) حسن غريب .

(الإسناد) فى الصحيح عن الربيع بن خثيم عن عبد الله واللفظ للبخارى قال خط النبى عليه السلام خطا مربعا وخط خطا فى الوسط وخط خططاً صغارا إلى هذا فى الوسط من جانبه فقال هذا الانسان وهذا أجله محيط به وهذا الذى هو خارج أمله وهذه الخطط الصغار الأعراض فان أخطأه هذا

نهشه هذا وفيه عن أنس خط النبى عليه السلام خطوطاً وقال هذا الأمل وهذا الأجل فبينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب (المعنى) (قال ابن العربى) رحمه الله لم يتقن البخارى هذا الحديث فانه مهد ثلاثة معانى وهى الخط المربع واحد والخط الذى فى وسطه اثنان والخطط الصغار ثلاثة ثم قال اعطى لكل ممهد مثاله فقال هذا الانسان واحد وهذا أجله محيط به اثنان وهذا الذى هو خارج أمله ثلاثة وهذه الخطط الصغار الاعراض أربعة وإنما صوابه مارواه غيره قال عبد الله خط لنا رسول الله ﷺ خطاً وسط الخط المربع وخط خطوطاً إلى جانب الخط الذى فى وسـط المربع وخطاً خارج الخط المربع ثم قال تدرون ماهذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا الخط الأوسط الانسان والخطوط التى إلى جانبه الاعراض والاعراض تنهشه من كل مكان ان أخطأه هذا أصابه هذا والخط المربع الأجل المحيط به والخط الخارج البعيد الأمل وهذه صورته



وقد روى عن ابى سعيد الخدرى قال غرس ﷺ عوداً بين يديه وآخر إلى جانبه وآخر بعده وقال أتدرون ماهذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا الانسان وهذا الأمل فتعاطى الأمل فيختلجه الأجل دون الأمل وهذه صورته :

الانسان — الاجل — الامل

الحـــديث الثانى عشر

روى عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال (انما أجلكم فيما خلا من الأمم كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس وإنما مثلكم

ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل إلى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لى من نصف النهار إلى العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى على قيراط قيراط ثم أنتم تعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين فغضب اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء قال هل ظلمتكم من حقكم شيئاً قالوا لا قال فانه فضلى أوتيه من أشاء) حسن صحيح .

(الأصول) أخذ بعضهم من هذا الحديث تقدير الدنيا وليس لتقديرها أصل فى الدين لاعلى التحقيق ولا على التخمين لأن ذلك أمر لايدرك بالنظر وإنما مدركه الخبر ولا طريق إليه على لسان بشر إلا على لسان سيدهم محمد ﷺ وليس عنه فى ذلك مسند لاصحيح ولاضعيف ومايروى من ذلك عن الأسرائيليات محرف لايصح منه حرف (الفوائد) فى اربع مسائل (الأولى) قوله من صلاة العصر يحتمل أن يريد به من أول صلاة العصر ويحتمل أن يريد به من آخر وقتها وهو الظاهر لأنه لو كان من أول الوقت لكان زمان المسلمين فى العمل أكثر من زمان النصارى وظاهر الحديث يقتضى ان عمل النصارى أكثر لقوله فيه نحن أكثر عملا وكثرة العمل فى الغالب تستدعى كثرة الزمان (الثانية) قوله إلى مغارب الشمس عدده وهو واحد وإنما أشار به والله أعلم إلى اختلاف المغارب مع اختلاف الأزمنة فان وقت العصر ممتد من أوله إلى آخره فى القيظ أكثر مما يمتد فى الشتاء ويتوسط بينهما فى الاعتدال وعلى كل حال فان نسبته على اختلاف إلى مامضى من اليوم واحدة إذ مدته إنما تكون فى الطول والقصر تابعة لليوم كله فصار لكل زمان قدر فأشار هو إليه والله أعلم (الثالثة) قوله فى تقدير أجر اليهود من يعمل على قيراط قيراط وقال للمسلمين قيراطين قيراطين إخبار من الله عن كثرة عطائه لنا دون من قبلنا بفضله لا باستيجاب إذ لا يجب عليه شيء ولذلك لما قالت اليهود والنصارى مابالنا أكثر عملا وأقل أجراً معناه قال كل واحد منهم قال لهم سبحانه هل ظلمتكم من حقكم يعنى الذى شرطت لكم شيئاً قال لا قال فذلك فضلى أوتيه من أشاء (الرابعة) قال أصحاب أبى حنيفة إن وقت العصر لايدخل حتى يصير ظل

كل شيء مثليه لقوله عن أهل الكتاب مابالنا أكثر عملا وكثرة العمل تستدعى كثرة الزمان وان لم يكن وقت العصر من هذا الحد كان زمان المسلمين أكثر فيكون عملهم أكثر من عملنا وذلك خلاف ظاهر الحديث فلنا عنه ثلاثة أجوبة

(قال أبو المعالى ابن الجوينى) لايتعلق فى إثبات (الأحكام) بالأحاديث التى مساقها ضرب الأمثال فان باب الأمثال مكان تجوز وتوسع (قال ابن العربي) وهو وان كان موضع تجوز وتوسع فان النبى عليه السلام لايقول إلا حقاً تمثل له وحقق (الثانى) أن قوله من صلاة العصر يحتمل من أول الوقت أو آخره فلا يقضي بأحد الاحتمالين (الثالث) ان القائل ما بالنا أكثر عملا هو الطائفتان اليهود والنصارى فان قيل فكيف يكونون أقل أجراً ولهم قيراطان قلنا هذا بين فان العملين إذ تباينا واستوى أجر الكثير والقليل كان صاحب الكثير أقل أجراً والله أعلم .

الحـــديث الثالث عشر

الزهرى عن سالم عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ (الناس كأبل مائة لاتكاد تجد فيها راحلة أولا تجد فيها إلا راحلة واحدة حسن صحيح (العارضة) ان الله خلق الخلق متفاوتين فى الخلق والاخلاق متباينين فى الصفات وجعل منها محموداً ومذموماً ولم يجمع المحمود منها إلا فى آحاد منه وهم المصطفون من الانبياء والأولياء كما لم يجعل الأكثر عن الصفات المحمودة إلا فى قليل قال الله سبحانه (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم) فإذا نظر المرء إلى الخلق ليختار منهم من ترضى أخلاقه وتحمد صفاته ويصلح للمقاصد الدينية والمصالح الدنياوية لم يكد يجد فى مائة واحدا أو الا واحداً على اختلاف الروايات وقد قال حكيم فى القول

ولم أر أمثال الرجال تفاوتو .·. إلى المجد حتى عد ألف بواحد

وقال آخـــر :

والناس ألـف منهـم كواحـــد   وواحـــد كالالـــف إن أمـر عنا

وكذلك البهائم فيما يراد منها من الانتفاع فإذا طلبت فيها راحلة تعدها لهم لم تجدها فى مائة أو الا فى مائة على اختلاف الروايات وانظر إلى القرن الأول فان رسول الله ﷺ صحبه مثلا مائة ألف ظهر منهم فى التعيين نحو من عشرة آلاف تخصص منهم عدد وافر تحصل منهم فى صفات الجلال بالغاية قريب من ألف ويتقاصر باقيهم عنهم وكلهم فى درجة الصحبة نازل وعلى مهاد التفضيل والتكريم والترفيع قاعد وكل واحد منهم خير ممن بعدهم اعتقاداً وعملا وقولا فما ظنك بمن وراءهم فكيف بالحثالة التى أخبر عنها الصادق ﷺ .

الحديث الرابع عشر

قال رسول ﷺ (إنما مثلى ومثل أمتى كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب والفراش يقعون فيها وانا آخذ بحجزكم وأنتم تقحمون فيها) صحيح (العربية) قال بعضهم الفراش صغار البق وقيل هو كل حيوان يقتحم النار بتهافته اما طيارا واما دبابا المعنى فى هذا الحديث بديع ضرب النبى ﷺ فيه المثل لثلاثة بثلاثة (أحدهما) تمثيل النبى عليه السلام برجل (الثانى) تمثيل الامة بالفراش وشبهها بما يتهافت فى النار (الثالث) ضرب النار فى الدنيا مثلا لنار الآخرة التى نار الدنيا جزء منها وينشأ من ذلك معان بديعة فى خمس مسائل (الأولى) تمثيل النبى برجل وهو ﷺ رجل من جهة الآدمية رفيع كريم إلى جنس الملائكة وربما كان أرفع عند العلماء كما ذكرناه فى كتب الاصول ولقد ضرب الله على تقدسه عن صفات الحدوث وتنزهه عن سمات النقص وسلامته عن نعوت الآفات وسلامته عن المكروهات اللائق ذلك كله بالآدمية لنفسه فى كتابه مثلا رجلا فى مواضع منها قوله (ورجلا سلما لرجل) والحكمة فيه أن تفهيم الخلق بالبارى وصفاته وجلاله لا يمكن الا بضرب الامثال فيه لنقصان الآدمى وآفاته وبذكر نعت بنعت وصفة بصفة ثم تفترق الحقائق فى الكمال والنقصان بحسب حال العبد والموالى (الثانية) تمثيل الأمة بالفراش وذلك لكثرة تلبس الخلق بالشهوات ووقوعهم فى حبائلها صارت كالفراش التى تقع فى النار قاصدة إليها من غير تثبت فيما تصير إليه ولا معرفة

بما تقع فيه (الثالثة) ضرب لله لجهالة الخلق بحال الشهوات وغفلتهم عن مواقع الخطايا والسيئات جهالة الفراش بالنار التى تقع فيه وغفلتهم عما ترد عليه منه (الرابعة) يقال إن الفراش فى ظلمة فإذا رأت الضوء اعتقدت أنها كوة يستطير منها النور فتقصدها لاجل ذلك فتحترق فيها كذلك الخلق فى عقائدهم الفاسدة وشهواتهم التى يعتقدون أنها صحيحة نافعة وهى باطلة مضرة قال سبحانه (وكذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم) (الخامسة) ضرب الحجزة مثلا دون سائر جهات الثوب لانها أوثق الثياب على البدن عقدة وأخصها منها بستر العورة لما كان منه ﷺ من البيان للخلق والارشاد إلى الحق والله اعلم .

* * *

سابعا : أدب القصـــة

الأخ محمد بن حسن الزير تقدم لجامعة القاهرة بموضوع طريف لينال به درجة الماجستير هو (القصص فى الحديث النبوى)[1] ومن خلال تحليله لعناصر البناء الفنى للقصة الأدبية حاول فى ضوء هذا التحليل مجتهداً أن يضف جانبا من الحديث النبوى تصنيفا يدخله فى باب القصة القصيرة : فيها خيوط النسخ الفنى للقصة الأدبية من سرد وحوار وشخصيات ومضمون مركز ، وخالصاً بما للقصة فى الحديث النبوى من خصوصية أدبية ، ولكن مع اعجابنا وحينا لهذا الجهد الموفق – يبقى سؤال : إلى أى حد لايختلط هذا النوع القصصى بالأمثال ويصور التشبيه البلاغى المتباين

---

(١) ط المطبعة السلفية الطبعة الأولى ١٩٧٨م القاهرة من ص ٣٩٩ – ٤٠٨

ونعرض فيما يلى ما توصل إليه الباحث من نتائج فى خاتمة بحثه :

يجدر بى فى هذه الخاتمة قبل أن ألخص فيها ما توصل إليه البحث من نتائج علمية ، أن ألقى ضوءاً سريعاً على أهمية نصوص القصة النبوية من الناحية الأدبية والحضارية وتبدو قيمتها الأدبية فى ناحيتين :

١ - أنها تمثل لوناً من ألوان النثر الفنى الممتع الجميل ، الذى جاء معبراً عن فكرته فى ألفاظ سهلة ميسرة ، وأنه لون جد بعد الإسلام ، وجاء متحرراً من منهج النثر الجاهلى الذى كان يخضع لسيطرة سجع الكهان ، بما كان عليه من غموض وإبهام ، وهى بذا تضيف رصيداً جديداً إلى عطاء العهد الإسلامى فى المجال الأدبى ، ثم إنها تتقدم خطوة أوسع من حيث أهميتها الفنية ، حين جاءت فى لون قصصى حافل بالعناصر القصصية العامة لهذا الفن ، يمثل فترة زمانية متقدمة جداً مما يدل على أصالة العنصر القصصى فى الأدب العربى .

٢ - والناحية الثانية أنها محتوى رائع لتجارب قصصية متنوعة فى مختلف المجالات ، وهى بهذا ذخيرة حية تعطى فرصة كبيرة جداً للأدباء والفنانين[1] لأن يستفيدوا منها ، وتفتح لهم آفاقاً واسعة ، بعيدة المدى فى أعماق التاريخ والحضارة والوجود الإنسانى والكونى فى الماضى والمستقبل ، وتتيح لهم بكل ذلك أن يضيفوا إلى تجاربهم . تجارب أخرى يمكن أن يعبروا عنها بشتى طرائقهم الفنية التى وصل إليها الفن البشرى - فى مجال الأعمال الأدبية والقصصية بشكل خاص - الذى أتيح له فى الوقت الحاضر وسائل كثيرة يستطيع بها إثراء التجربة القصصية وتعميقها .

كما تبدو قيمتها الحضارية فى أنها تعبر عن صورة الحضارة التى يجب أن ينشدها الانسان ، وهى أن يمارس حياته وفقاً للنظام الذى أودعه الله فى هذا

(١) انظر : محمد مندور : الأدب ومذاهبه ، فقد تناول تجربة الأديب وكيف أنها ليست فقط هى التجربة الشخصية ، بل هناك تجارب أخرى يمكن أن يصدر عنها الأديب فى تعبيره.

الكون من التوازن والانسجام والاعتدال ، وذلك بأن يعيش الإنسان حياته بجوانبها المادية والمعنوية (الروحية) ، ومجموعة القصص النبوى تفيض بالعطاء الخير للإنسانية فى مجالها الحضارى ، لتحيا فى توازن وسمو ، وفى سعادة واستقرار . وفى انطلاق نحو البناء فى ظل الحق والخير والجمال ، وكم هى الإنسانية فى حاجة إلى مثل هذه القصص التى هى نور من نور الله ، تواجه بها قوى الشر التى تحاول أن تبعد الإنسانية عن فطرتها وإيمانها بما تقدمه تلك القوى من ألوان الأدب النابع من تصورات منحرفة مشوهة ، فنحن نجد نمطاً من الأدب يتغنى بالوجود الإلحادى المادى ، ويعبر عن الإنسان من خلال الصراع والكراهية والحقد ، وهناك الأدب الجنسى الهابط الذى يخاطب فى الإنسان غريزته البهيمية ، ويبعده عن الآدمية الكريمة التى تؤهله لتحقيق وجود فاضل فى خلافة كريمة ، وهناك الأدب الوجودى الذى يعكس الفلسفة الوجودية المنكرة لوجود ماهية سابقة ، وأنه لاقيم ولا أخلاق ، وأن الفرد يجب أن يمارس وجوده فى حرية من كل قيد ، وأن يتحلل من قيود الدين والأسرة[1]، وهى آداب تدفع بالإنسانية فى غمرة الضياع والحيرة والقلق والشقاء ، ومن هنا تبدو حاجتها أكثر إلى مثل هذا الأدب الإسلامى البناء الهادف الذى يحمل قيم الإنسانية الأصيلة ، ويعبر عن آفاقها الوضيئة .

نتـائج البحـث الكليـة :

(١)

أكد تمهيد البحث على أصالة العنصر القصصى فى الأدب العربى القديم بمجموع الأدلة الأصيلة المقنعة وهى : الدليل القرآنى ، والدليل اللغوى ، والدليل الواقعى المتمثل فى التراث العربى الحافل بأشكال قصصية مختلفة ، وهى أدلة تكشف عن معرفة العرب لهذا اللون الأدبى وممارستهم له .

---

(١) انظر العقاد « أفيون الشعوب المذاهب الهدامة » ص ٩٤ مكتبة الانجلو المصرية ، وانظر أيضاً مندور فى الأدب ومذاهبه ص ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤١ .

(٢)

ثم أعطى التمهيد صورة واضحة عن أثر الإسلام فى الحياة الأدبية وأنه كان عاملا قوياً فى إنهاض الحياة الأدبية ، حين وجه فى المسلمين طاقة التعبير الأدبى عن انفعالات الضمير الحى بالتجارب الشعورية والقيم الحية التى يؤمن بها ويتفاعل معها ، ودفع بتلك الطاقة إلى الأمام ، لتؤدى وظيفتها فى هذه الحياة منطلقة من التصور الإسلامى وغاياته .

(٣)

ثم أكد التمهيد على النهضة النثرية التى شهدتها الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام ، وأن القرآن الكريم كان الضوء الأخضر الذى فتح الطريق أمام النثر ليتقدم ويزدهر ، ثم ماكان من حاجة الحركة الإسلامية إلى النثر ، لما له من قدرة على القيام بمهمة نشر الدعوة وإعلان مبادئها وتقويض مبادىء الجاهلية وبيان زيفها ، ومجادلة معتنقيها ودحض حججهم، فازدهرت الخطابة وإلى جانبها كانت الأمثال والوصايا والحكم التى ظلت امتداداً للفنون الجاهلية ، ثم جد فى هذا العهد فن الكتابة والرسائل ، وفن نثرى آخر يتسم بالعظات الأخلاقية ونحوها ، كما برز اللون القصصى وازدهر .

(٤)

وقدم التمهيد نتيجة أخرى وهى أن جمهرة دارسى الأدب العربى ومؤرخيه ظلوا متجافين عن اللون القصصى ودراسته وإضافته إلى ألوان النثر فى تلك الفترة ، مع أن ذلك اللون كان من الكثرة والتنوع على جانب كبير يبرر أن يكون محل اهتمام الدارسين وعنايتهم ، ويبدو لى أن السبب فى تجافيهم عن ذلك هو الاكتفاء أحياناً بدراسة الظاهرة العامة ، وحتى هذه الظواهر اكتفى بعضهم فيها بتناقل الأحكام التاريخية والنقدية عنها ، وفى اليقين أنه لو رجع إلى نصوص الفترة نفسها ، وبنيت عليها الآراء والدراسات لتوصل الدارسون إلى نتائج ذات شأن عظيم ، لأنه بالرجوع إلى تلك النصوص وجدنا أن الفترة كانت حافلة بالنصوص القصصية التى برزت بعد الإسلام وتنوعت وازدهرت

فى مظاهر عدة :

١ - فى القصة القرآنية .

٢ - القصة النبوية .

٣ - قصص الصحابة .

٤ - القصص الوعظى .

وهذه كلها مظاهر تعبر عن خصوبة قصصية تنطوى عليها تلك الفترة المتقدمة فى تاريخ الأدب العربى .

(٥)

أثبت الفصل الأول تحقق البنية القصصية العامة فى القصة النبوية ، حين بين أنها تقوم على هيكل عام تبدو فيه البداية والوسط والنهاية ، وأوضح طبيعة البدايات فى القصة ، وأنها تأتى على نوعين : بداية مباشرة للقصة ، وبداية مسبوقة بتمهيد ، ثم أوضح الصور المتعددة التى يأتى عليها التمهيد للقصة .

وفى وسط القصة انتهى البحث إلى أنها منطقة الثقل والذروة فى هيكل القصة . لما تحفل به من عناصر التشابك والتعقيد ، وأنها تأتى مرحلة نامية أصلا من نقطة البداية ، ثم بين البحث أن النهاية فى القصة النبوية تتمتع بالقوة والحيوية وذلك لأنها تأتى مفسرة للأحداث ومنورة لها ، أو حاملة لعنصر المفاجأة ، أو معبرة عن المشهد فى صورة حية مشخصة ، أو لأنها تأتى أحياناً حاملة فى طياتها الحل لمشكلة القصة الرئيسية .

ثم بين البحث ماتحرص عليه القصة من تقديم نهايات متفائلة، وما تسجله أحياناً من انتصار الحق وانهزام الباطل ، كما سجل البحث ما لوحظ فى نموذج واحد من بتر الحدث فى القصة ، وتوقف القصة ، وأبقت النهاية مجهولة ، مكتفية بالتعليق على النهاية المتوقعة ، وما لوحظ فى نموذجين من البناء الدائرى للقصة .

وأثبت الفصل الثانى ماتقوم عليه القصة النبوية من نسيج محكم البناء أسهمت أجزاؤه ومقوماته بتلاحمها ، وتداخلها ، وتفاعلها فى داخل النص بشكل بارز فى خلق التيار القصصى وضمان استمراره .

وبين البحث أن مقومات النسيج تبدو فى الأسلوب ، والحبكة ، والمشكلة والمناجاة .

وأما الأسلوب فقد استطاعت القصة أن تستخدم مايملكه من وسائل مختلفة فى صياغة الأحداث بشكل يحقق الهدف الفنى ، تلك الوسائل التى بدت فى القصة النبوية فى الألفاظ والعبارات ، والصور البيانية ، والأوصاف وغير ذلك من عناصر الصياغة . وقد برز فى أسلوب القصة البساطة والوضوح وهى البساطة الزاخرة بالحيوية والقوة التى جعلته أكثر جاذبية وتأثيراً نظراً لما يتمتع به من تنويع فى الصياغة والتعبير حسب مايتطلبه عرض القضايا والعلاقات الموضوعية التى تتناولها القصة .

وفى الألفاظ والعبارات وجدنا القصة تستخدم بشكل جيد طاقة الألفاظ بمختلف أنواعها سواء أكانت فعلا إسماً أو حرفاً وتوظفها لتحقيق المعنى المطلوب .

وقد كان من سمات الأسلوب أيضاً مانجده من ظاهرة التصوير التى تجعل العمل القصصى أداة فعالة فى التأثير على المستمع أو القارىء ، كما تنشىء علاقة إيجابية بين العمل الأدبى والمتلقى نتيجة للحركة الحية النابعة من عملية التصوير ، وقد برز التصوير فى القصة فى ثلاثة أنواع :

١ – تصوير المشاهد والمواقف .

٢ – تصوير العواطف والانفعالات .

٣ – تصوير الشخصيات .

وكانت مقومات الصورة تقوم على :

١ – الوصف ٢ – التشبيه ٣ – التعبير الدال على الحركة

ولما كانت القصة النبوية نوعاً من الأدب الشفاهى الذى يلقى على الأسماع ، فقد لمسنا فى الأسلوب مظاهر خطابية بدت فى :

١ - استعمال ضمير المتكلم

٢ - الأسئلة والأجوبة فى المقدمة.

٣ - الأسئلة والأجوبة أثناء القصة

٤ - توجيه السؤال بطريق الخطاب .

٥ - مخاطبة المستعمين بغير سؤال ، ومن هنا فقد اكسبت المشافهة القصة حيوية فى السرد والعرض القصصى ، وخلقت نوعاً من الارتباط القوى بين الراوى والسامعين .

ثم بين البحث أن القصة النبوية كانت تسير وفق طريقة معينة فى الكيفية التى تبنى فيها الحوادث ، وتركب المواقف ، من حيث اختيار نوعية الحدث أو الأحداث التى تصلح لبناء القصة ، وإتقان نسجها من الداخل واختيار المكان المناسب الذى يوضع فيه الحدث بالضبط ، وبكيفية معينة ، هل يقدم أو يؤخر فى سياق القصة ؟ وكيف يتطور هذا الحدث ، وما هى مبررات وجوده واستمراره أو توقفه ؟ وما نوع الصورة التى يبرز فيها ؟ والمجرى الذى ينمو فيه من حيث البطء أو السرعة ؟ ومايقف وراء الحدث من دوافع ومؤثرات تجعله يسير وفق نظام خاص وطريقة مرسومة فى التتابع والتراكم من أجل تحقيق الهدف المنشود فى عرض الفكرة أو الموضوع وفق طريقة قصصية تشوق المتلقى وتؤثر عليه ، وهذه العملية الملاحظة فى نصوص القصة النبوية بكل جوانبها وأبعادها هى مايعرف فى مجال نقد القصة بالحبكة القصصية التى لابد منها فى إقامة الكيان القصصى المتقن الذى يعطيه اعتباره الفنى ، وقد بدت زوايا الحبكة فى : ١ - التوقيت ، ٢ - مبررات الحوادث ، ٣ - وضع الشخصية فى مواقف جيدة ، ٤ - إثارة الانفعالات ، ٥ - الغموض والمفاجأة ، ٦ - التدرج والانفراج ، ٧ - أهمية القدر ، ٨ - التشويق .

وأما المشكلة فقد أثبت البحث أن جميع النصوص التى تعرض لها بالدراسة ، طالت أو قصرت لاتخلو بشكل ما من مظهر للمشكلة ، وهى تبدو فى نوعين : ١ – نوع نادر لايؤثر فى سياق الأحداث ، ٢ – ونوع غالب كثير له أثر بارز فى تعقيد الأحداث وتأزيم المواقف بحيث تصبح المشكلة محوراً يوجه حركة القصة ، والغالب أن المشكلة تبرز فى مرحلة الوسط فى القصة ، ومن هنا كانت هذه المرحلة مليئة بعناصر التعقيد والتشابك وقد سجل البحث ما لوحظ من حيوية مشكلات القصة ، لما تحويه من مواقف درامية بدت فى : ١ – مواجهة الخطر ، ٢ – الخوف ، ٣ – التضحية ، ٤ – الانتقام ، ٥ – الجريمة وهى مواقف تؤدى إلى نوع من الصراع الذاتى فى الشخصية .

وأما المناجاة فى نسيج القصة فهى تأتى على النحو الذى تأتى عليه فى القرآن الكريم . حيث تأتى على شكل مناجاة من بطل القصة أو بعض أبطالها لله تبارك وتعالى فى صورة ابتهال أو دعاء .

(٧)

أوضح البحث ماتقدمه القصة النبوية من صورة عن الله جل جلاله ، وعن طبيعة علاقة الله تبارك وتعالى بالكون ، وبالبشر ، وبالحيوانات غير البشرية من خلال الأفعال والأقوال الصادرة عن الله فى سياق القصة ، والتى تشكل عنصراً بنائياً من عناصر القصة . كما كشف البحث عن أثر الراوى فيها .

ثم بين احتواء النص النبوى على العناصر الفنية القصصية من شخصية وحدث وحوار بصورة ظاهرة ، وأنها تستخدم بشكل يحقق للقصة البناء الفنى المعتبر ، كما بين البحث أننا لانعدم الشعور بعنصرى الزمان والمكان فى القصة ، مع ملاحظة أنهما لم يكونا محل اهتمام القصة المباشر دائماً ، وأننا لانشعر بهما إلا فى نطاق محدود من خلال إشارات فى العرض القصصى .

وأما الشخصية فقد بين البحث أنواعها فى اتجاهين : ١ – من حيث طبيعة ذاتها : (أ) شخصيات بشرية : ١ – أنبياء ، ٢ – رجال ونساء عاديون ، ٣ – جماعات وجماهير . (ب) شخصيات غير بشرية . ١ – ملائكة ،

٢ -حيوانات وطيور وجمادات ، ٣ - جن ، ٤ - الشيطان ، ٥ - شخصيات معنوية (العمل - الموت) ٢ - ثم من حيث طبيعة تكوينها كشخصيات مسطحة ، وشخصيات نامية ، ثم بين البحث الوظيفة الفنية للشخصية من خلال أدوارها الرئيسية والثانوية ، والوظيفة الموضوعية كوعاء للمعاني من ناحية ، وما تمثله من نماذج بشرية من ناحية أخرى ، ثم بين البحث أبعاد الشخصية فى جوانبها المختلفة من اجتماعية ونفسية وشكلية .

وأما الحدث فقد كان العنصر المهم الغالب فى القصة النبوية ، وهو محط الاعتبار ، ومنبع التطلع والإثارة ، وقد استخدمته القصة كوسيلة جيدة من وسائل التأثير على القارىء أو السامع ، وقد كان الحدث عدة أنواع فى القصة النبوية : ١ - أحداث من قبيل القضاء والقدر ، ٢ - خوارق ومعجزات ، ٣ - أحداث غير مألوفة لاتحدث إلا نادراً ، ٤ - أحداث عادية ومألوفة تحدث فى عموم القصص وتقع للشخصيات فى صورة طبيعية .

وأما الحوار فقد كان مظهراً بارزاً للعملية القصصية فى القصص النبوى وجانبا حيوياً فى بناء القصة ، وكان منتشراً فى القصة بشكل ملحوظ ، وأنه كان يأتى فى القصة فى صورة طبيعية أى يبرز من خلال الموقف ، دون أن يقحم على السياق . والملاحظ فى الحوار أنه لا يعرض فى القصة فى مظهر مسرحى بحيث يتم التحاور بين الأشخاص بالصورة المباشرة ، ولكنه يعرض علينا عن طريق الراوى ، بحيث يأتى الحوار مضمناً فى السرد ، وهذه هى طريقة القرآن أيضاً فى تصوير الحوار ، وقد كان للحوار فى القصة عدة وظائف هامة : ١ - المساعدة فى رسم الشخصية ، ٢ - تطوير الحدث ، ٣ - تعميق الحدث ، ٤ - المساعدة على تصوير مواقف معينة ، ٥ - التخفيف من رتابة السرد ، ٦ - كشف مغزى القصة ، ٧ - مايضفيه على القصة من الواقعية .

(٨)

وقد حدد البحث فى الفصل الرابع أنواع القصة النبوية ، وبين أنها تبدو فى ستة أنواع :

١ - القصة الواقعة للرسول ﷺ ،

٢ – القصة التمثيلية وهى التى ضربها الرسول مثلا يوضح عن طريقها فكرة ذهنية مجردة ،

٣ – القصة التاريخية ،

٤ – قصص المستقبل ،

٥ – قصص البعث واليوم الآخر ،

٦ – قصص عن أمور غيبية تحدث فى الواقع غير المنظور للإنسان .

(٩)

وفى الفصل الخامس بين البحث أن موضوعات القصة النبوية من النوع الذى يثير فى السامع والقارىء كثيراً من الانفعالات والعواطف ، وذلك بسبب أن فكرة الموضوع لها أثر بارز فى طريقة الأداء القصصى ، بحيث أن الموضوع يتجسد أمام القارىء أو السامع عبر تطور وتعقيد حافل بعناصر التشويق والإثارة ، يضاف إلى ذلك ناحية العمق والغنى فى تلك الموضوعات ، وقد أعطى البحث صورة عن موضوعات القصة فى نظرتها الكلية ، حيث ردها إلى المحاور الرئيسية التى تلتقى عندها كل أفكار القصص ، وهى القضايا التالية : ١ – فى العقيدة ، ٢ – فى الرسول والنبوة ، ٣ – القيم الإسلامية ، ٤ – فى الإنسان ، ٥ – فى الحياة والموت ، ٦ – ارهاصات الساعة ، ٧ – البعث والجزاء .

(١٠)

وفى الفصل السادس بين البحث أن القصة النبوية قصة ملتزمة قبل كل شيء ولذلك فقد جاءت خاضعة تماماً للغرض الدينى بجميع أنواعها ولكن هذا الخضوع لم يحل بينها وبين أن تخرج وفق النسق الفنى فى العرض والبناء ، وقد ترك هذا الخضوع آثاراً خاصة فى طريقة عرض القصة ومادتها بدت فى : ١ – الإلحاح على المادة القصصية فى مواضع شتى ، وفى أكثر من قصة ، ٢ – الاكتفاء بما يحقق الغرض الدينى فى عرض القصة ، ٣ – التوجيهات

الدينية فى سياق القصة على أكثر من صورة ، وقد عرض البحث أغراض القصة النبوية الرئيسية ، مبيناً أن بعضها ليس منفصلا عن بعض . وأن القصة قد تؤدى أكثر من غرض فى وقت واحد ، وذلك لأنها أغراض متداخلة . وقد تركزت أغراض القصة فى الدعوة والتربية والتسرية .

(١١)

وفى الفصل السابع انتهى البحث إلى ترسم منهج الإسلام فى فن القصة وأن التصور الإسلامى كان الموجه لتلك القصص فى مضمونها الذى حملته ، وفى تعبيرها الذى نقل ذلك المضمون ، وبناء على أن هذه القصص هى نصوص دينية قبل كل شيء ، حاول البحث أن يستجلى من خلالها وجهة نظر الإسلام نحو الفن القصصى ، وكيف يجب أن يكون منهج هذا الفن ، وما التصور الذى يجب أن ينطلق منه فى رأى الإسلام ، وقد عرض البحث لمنهج القصة الإسلامى فى حدود ثلاث قضايا هى : ١ - الالتزام ٢ - الواقعة ، ٣ -أساليب الواقعية الإسلامية . وبين البحث أن تلك القضايا ذات أبعاد خاصة بالنسبة للعمل القصصى يمكن أن تثرى الجانب النقدى الإسلامى لدى الناقد ، ولدى القاص فى تعاملهما مع التجربة من الزاوية الإسلامية .

(١٢)

ومن نتائج البحث أيضاً أنه قام باستقصاء تسعة مصادر من أمهات كتب الحديث الهامة والوثيقة ، هى الكتب الستة مضافاً إليها الموطأ والمسند وسنن الدارمى ، استقصاء تاماً ، وجمع منها مائة وتسعة وثلاثين نصاً قصصياً ، وهى تشكل مادة وفيرة يمكن أن تنشر فى كتاب ، وقد قدم البحث دليلا تفصيلياً شاملا لمواقع تلك القصص فى مختلف المصادر التسعة المذكورة وباختلاف مواقع رواياتها ، أيضاً ، مع اختيار عنوان مناسب لكل نص . وذكر راويه من الصحابة .

* * *

وبعـــد ...

فإن هذه النصوص لاتزال تحتاج إلى وقفة وربما وقفات ، من أجل تعمق أكثر فى شتى الجزئيات والدقائق ونظراً لأن هذه النصوص التى أمامى من الكثرة والتنوع بمكان ، فقد كان الغرض الأول المحدد هو محاولة استيعاب الصورة فى كلياتها لا فى تفاصيلها الدقيقة ، ومن هنا فأنا على يقين كبير فى أن النصوص لا تزال حافلة بشتى الجوانب التى يمكن أن تكون موضع دراسة ومناقشة واستكشاف ، ومن حق البحث علىَّ هنا أن أنوه بذلك ، وحسب هذه الدراسة أنها فتحت الطريق ، وكانت باكورة السير فيه ، ويشرفها أيضاً أن تنتهى كما بدأت بفتح الطريق مرة أخرى فى سبيل مسيرة أفضل إلى نتائج أخرى تضاف إلى حصاد هذه المحاولة أو تصححها .

* * *

ثامنا : أدب الرحلة :

ظهر عديد من المؤلفات فى أدب الرحلة الدينية فى العالمين العربى والاسلامى ولكنا تخيرنا هنا « فى منزل الوحى »[1] بمقدمته العلمية ، وبنموذجه الأصيل فى أدب الرحلة وماتثيره فى النفس زيارة الأماكن المقدسة .

ومن مقدمة الدكتور هيكل :

ومع وقوفى موقف الناقد من بعض الشؤون الحاضرة فى البلاد المقدسة لقد وجهت أكبر عناية إلى آثار الرسول الكريم فيها ، وجعلت جلَّ همى أن أسير حيث سار : ألتمس ما فى حياته من أسوة وعبرة ، وأرجو أن أقف على شىء من السر الذى هيأ هذه البلاد لتكون منزل الوحى إلى النبى العربى خاتم الأنبياء والمرسلين . ولم أتقيد فى تفكيرى وتأملى أمام شىء مما رأيت بغير منطقى وعقيدتى الذاتية اللذين كونتهما الطريقة العلمية الحديثة . فأنا لا أسلمُ بالعقيدة الموروثة إذا لم يكن لها أساس غير ما وجدنا عليه آباءنا ، ما لم أمتحنها وأمحصها وما لم أصل من أمرها إلى الإيمان بأنها هى الحقيقة كما يُسيغها عقلى

(١) ط دار المعارف – الطبعة السابعة . من ص١٣–٢٨ ومن ٤٣٩–٤٤١

ويطمئن إليها ضميرى . وأنا لا أحسب الذين يدينون بعقيدة ما لغير شيء إلا أنهم وجدوا عليها آباءهم مؤمنين حقًّا . بل أرى واجباً على الإنسان لكرامته الإنسانية أن يحاول ما استطاع فهم مايُلْقَى إليه ، اتصل ذلك بالعقيدة أو بالتشريع أو بالعلم والفن . فإن اهتدى إلى الحق فيه فذاك ، وإلا فليلتمس الهدى عند أهل العلم وليطالبهم بإقناعه . والعالِمُ الجدير باسم العالِمِ هو من أقنع سامعه بالحقيقة التى اهتدى إليها عن طريق المجادلة بالتى هى أحسن . فلا إكراه فى الدين ، ولايمارى فى الحقيقة متى تبين الرشد من الغىّ إلا من أضلةً هواه .

ولقد جعلت السير فى إثر الرسول غرضى من يوم أتممت مناسك الحج . فقد كنت شديد التوْق إلى هذا السير من سنوات ومذ كنت أتابع الرسول خلال الكتب أبحث فيها سيرته ، وكنت أحسب السبيل ميسرة وأنى سأجد عند كل موقف من مواقف الرسول أثراً يدل عليه ويشهد به . ولم يزعزع من ذلك فى نفسى ماعلمته من هدم الوهابيين القباب التى أقامها من حكموا الحجاز فى العصور التى سبقتهم . فالوهابيون إنما استقرّوا فيه لعشر سنوات خلت . وهذا زمن لايتيح للنسيان أن يجنى على آثار خلّدتها أربعة عشر قرنا متعاقبة . هذا إلى أن القباب ليست كل ما يمكن أن يقام من الآثار . وإذا كنا نحتفظ فى مصر بآثار ناهضت الدهر خمسين قرناً متوالية فما أحرى المقيمين ببلاد النبى العربى أن يحتفظوا بآثاره وهى أقرب من ذلك عهداً ، وأبلغ دلالة ، وأبقى على التاريخ ذكراً . والوهابيون هم بعدُ مسلمون ؛ إن أنكروا القباب فلا ينكروا ماسواها من دواعى الذكر والأسوة .

والحق أنى لم أجد مشقة فى تعرُّف الآثار التى هدم الوهابيون قبابها . فالأسف على ما صنعوا قد جعل الذين يخالفونهم فى الرأى أشد ذكراً لها وحرصاً على إشهاد الناس ما حل بها . ولقد شاركت هؤلاء فى أسفهم من ناحية لايفكر أحدهم فيها . فقد كان بين هذه القباب التى هدمت آثار بارعة فى الفن لم يكن يجمل بيد تقدّر الفن أن تمتدّ إليها بسوء . لكنى إنما وجدت المشقة فى الاهتداء إلى آثار لها فى تاريخ المسلمين الأولين أثر بالغ ، ولاترضى أمة

تقدر تاريخها أن تذرها للنسيان يعبث بها ويجنى عليها . من ذلك اختلاف الأقوال على موقع حنَين حيث كانت الغزَاة التى تركت فى تاريخ الإسلام أثرا قل كمثله أثر . ومنه اختلافهم على موقع عكاظ سوق العرب جميعاً فى الجاهلية وفى صدر الإسلام . وإنما سوّغ الجهل الذى خيم على بلاد العرب من عصر العباسيين هذه الجناية النكراء ، كما سوّغ أمراً لايقل عنها نكراً فقد أقيمت آثار لحوادثَ وقعت وليس فى التاريخ مايدل على أنها وقعت حيث تقوم هذه الآثار ، وأقيمت آثار لحوادث لايعرف التاريخ الحق من أمرها شيئاً . وتحقيق ذلك كله وبيان قيمته العلمية أمر جدير بكل من يريد الحقيقة . وقد حاولت من ذلك ما استطعت . لكن هذا التحقيق يحتاج إلى أضعاف الزمن الذى قضيته بالحجاز ، ويحتاج مع الزمن إلى بحوث ينقطع لها صاحبها ليقابل بين ما جاء فى الكتب المختلفة ، لعله يبلغ من المقابلة إلى ما تستقيم به النتيجة التى يتوخاها . وليس يخامرنى ريب فى أن هذا العملَ لو قامت به بعثة جامعية لوجدت فيه من الفائدة ومن المتاع العلمى ماتهون معه كل مشقة .

وكان حديث الآثار الصحيحة التى وقفت عندها كلُّه البلاغة فى التعبير عما تدل عليه وتوحيه إلى النفس منَ آى الجلال والعظمة . فجبل حراء والغار فى قمته ، ومسجد عدّاس بالطائف ، ومسجد العقبة وجمرتها ، وجبل ثور ومختبأ رسول الله وأبى بكر بالغار فيه ، والطريق الذى سلكه النبى إلى المدينة حين هجرته من مكة ، ومسجد قُبَاء ، والمسجد النبوى والآثار الكثيرة المختلفة بالمدينة ، وميدان بدر حيث وقعت الغزوة الأولى بين قريش والمسلمين . هذه المواقع وما إليها كانت تثير أمام ذهنى ذكريات مليئة بالحياة كأنما حدثت بالأمس ، وكانت توحى إلىّ معانى الإكبار والإعظام وتزيدنى إجلالاً لهذه الأماكن فى صمتها العميق لم يغير منه توالى القرون . ولقد كان ما أوحته هذه الأماكن مما حاولت تصويره فى هذا الكتاب أبلغ من كل ما استطاع قلمى أن يصفه أضعافاً مضاعفة .

ولقد كشفتْ لى هذه الآثار عن صورة لبلاد العرب حين بعث الله نبيه بالهدى ودين الحق تختلف أشد الاختلاف عن صورتها فى الوقت الحاضر ،

وتختلف عما وقَر فى نفس الكثيرين من صورتها فى آخر أيام الجاهلية . كانت بلاد العرب يومئذ ذات حضارة لاشىء يشبهها فى شبه الجزيرة اليوم ، كانت مكة وبعض بلاد الحجاز مدناً تجارية عامرة مزدهرة ، وكانت الطائف ذات الخصب موضع عناية من أهلها بحسن استغلال خصبها وبصيانة سلامتها ، وكان أهل تهامة وأهل الحجاز أولى ثقافة وحكمة وأدب ، وكان العرب على اتصال بالعالَم ينقلون تجارته بين الشرق والغرب مما زادهم علماً وزادهم براعة فى التجارة وأساليبها ، لكنهم كانوا يحيون حياة سياسية أشبه بحياة اليونان القديمة وبحياة بعض بلاد الغرب ، ومنها إنجلترا ، منذ قرون قليلة . كانوا قبائل ومدائن تحتفظ كلٌّ منها بوحدتها وبسلطانها وتدفع عن حياضها كل من يحاول الاعتداء على سيادتها أو على ثروتها . فلما بعث الله النبى العربى داعياً إلى التوحيد ، ألفى فى هذه القبائل قوة فى الجدل وصلابة فى الاستمساك بعقائدهم ونُظُمهم . فلما هدى الله الكثيرين من أهل يثرب إلى الإسلام وهاجر النبى إليهم وانتصر بهم وجمع كلمة العرب تحت لواء الدين الجديد ، استطاعت هذه الأمة الفتيَّة المستعدّة بحضارتها للنهوض أن تثب إلى حيث وثبتْ وأن تبثّ فى العالم حضارة هذا الدين الذى اختارها الله لتكون وطنه الأول .

كشفت لى هذه الصورة عن جانب من السر الذى كنت ألتمسه والذى كان خفيًّا عنى حين كنت أتصوّر بلاد العرب كلها ، كما يتصوّرها الكثيرون وادياً غير ذى زرع لا تصلح مقرا لحضارة يضىء نورُها العالم . كان أهلها شديدى المحافظة على عقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم ، وكانوا ذوى بأس وقوة فى هذه المحافظة . وقد كانت عقائدهم الوثنية تمسكهم دون الوثوب إلى دعوة العالم المفكك الأوصال يومئذ ليستظل بحضارة أجدر بالإنسانية مما كانت تدعو إليه بزنطية وفارس . فلما هدى الله العرب إلى الإسلام كانت تعاليم هذا الدين منارة الهدى للعالم ، وكان النبى ﷺ الأسوة والمثل بأدبه وخُلقه وقوّته على الحياة لنشر هذه التعاليم وإحياء الإنسانية بروحها السامى . وهذه الأسوة هى ماتحدّث به آثاره فى بلاد العرب حديثها البليغ الذى تهتزّ له النفس وتسمو به الروح إلى مراتبها العليا حيث تشرق الأرض بنور ربها ويرى الإنسان فيها فضائل الكون مجتمعة .

والواقع أن ماتوحيه آثار الرسول من هذه المعانى بالغ غاية القوّة . وأنت تستطيع أن تجمع هذه المعانى فى عبارة موجزة . تكريس الحياة لمثل أعلى يوجه الإنسان إليه جهوده أو يموت دونه مستشهداً فى سبيله . وحسبُك أن تقف عند كل واحدة من كلمات هذه العبارة لترى الجلال والقوّة والسموّ على الحياة متضافرة كلها إلى خير غاية . فالمثل الأعلى فى الإسلام ماهو ؟ رضا الله بالبر والتقوى ، وحب المرء لأخيه مايحب لنفسه . صوِّر هذه المعانى النفسية صورة ماديَّة وأجعل منها مثَلَك الأعلى الذى تكرس له جهود حياتك . هذا التصوير وحده عظيم شاق يقتضيك مجهوداً جسيماً . أنت تريد الغنى مثلا أعلى لك . فليكن ! لكن يجب أن تبتغى به رضا الله وأن تكون فى تحصيله بَرّاً تقياً ، وألا تعامل الناس فى تحصيله إلا بما تحب أن يعاملك به من أراد منهم مثل غايتك . وذاك يرى جاه الحكم مثلا أعلى له . فليكن ! لكنه يجب أن يبتغى بالحكم رضا الله وأن يكون فيه براً تقياً لا يعامل غيره إلا بما يحب أن يعامله الغير به إذا ولى أمره . فإذا صوَّر المرء مثلهَ الأعلى وجب عليه أن يسعى إليه غيروان يوجه إليه كل جهوده وأن يستهين فى سبيله بكل تضحية وإن كانت بالحياة ، ولا عليه إن أصابة مكروه ما دام رضا الله مبتغاه ، فكان لذلك براً تقياً مؤمناً بالأخوة الإنسانية ، محباً لإخوانه المؤمنين مايحب لنفسه ، راجياً ضم الخير وأن يبلغ كلٌ من مثله الأعلى مايودّ هو أن يبلغه من المثل الذى جعله نُصْبَ عينيه وغرض حياته .

لكن الأمثال العليا تتفاوت تفاوتاً عظيماً . وأسمى الأمثال لا ريب مابعث الله به نبيه هدىً للناس ونوراً . ولقد بلغ من إيمان العرب فى الصدر الأول بهذا المثل أن جعله كل منهم غرض حياته ، وأن أخضع له كل مافى الحياة من غرض دونه ، وأن كان الاستشهاد فى سبيله أملاً يتمنّى أن يجعله الله نصيبه . فهذا الذى اتخذ التجارة حرفة له فى الحياة ووقف لها جهوده كان يجعل فى تجارته حظًّا معلوماً للسائل والمحروم ، وكان يهب نفسه لله يوم يدعو الداعى إلى الجهاد فى سبيله . ذلك لأن الدين الجديد علمَّهم أن الأمة يجب أن يكون لها ، كما يجب أن يكون للفرد ، مثل أعلى ، وأن المؤمنين فى مشارق الأرض ومغاربها

أمة واحدة فى سبيل الله يتحابون بنوره بينهم ، ويبذلون فى سبيله مهجهم وأرواحهم . يعلّمون الناس بذلك أنه لا إله إلا هو ، لا يغيب عنه مثقال ذرّة فى السماوات ولا فى الأرض ، وأنه جلّ شأنه برأ الناس ليتعاونوا على البر والتقوى حتى يبلغوا بالإنسانية كمالها ؛ فإن بغت طائفة منهم فقد وجب عليهم جميعاً أن يقاتلوا الباغى حتى يفىء إلى أمر الله .

هذه المعانى السامية هى تعاليم النبى العربى وتعاليم الإسلام ، وهى ما توحيه آثاره ﷺ إلى من يقف عندها فى بلاد العرب . ولقد كان من أثر هذه التعاليم أن صارت بلاد العرب محطّ أنظار العالم كله فى حياة الرسول وبعد اختياره الرفيق الأعلى . امتد الفتح الإسلامى فى عهد أبى بكر وعمر إلى بلاد الإمبراطوريتين الرومية والفارسية ، ثم تخطاها إلى ما وراءهما من أنحاء العالم شرقاً وغرباً حتى بلغت الحضارة الإسلامية فيما دون المائة من السنين مالم تبلغه حضارة غيرها فى قرون متعاقبة . كان الرجل فى أقصى الصين يذكر فتح العرب بلاد المغرب والأندلس ، وكان المسلم فى مصر وفى بلاد المغرب يتحدث مفاخراً بفتح جيوش الإسلام بلاد البوذية والكنفشيوسية . وحيثما امتد الفتح رفرف لواء الإسلام وشهد الناس أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأخذوا بتعاليم الدين الجديد وتفقّهوا فيه . وأبناء العرب فى هذه الوثبة الأولى يتيهون فخراً بما يتم على أيديهم كل يوم من معجزات لم يتأت لغيرهم فى مختلف العصور أن يأتوا بمثلها ويكادون يحسبون أن الله قد نصر دينه على الدين كله منذ هذا العهد الأول .

وأقبل أهل شبه الجزيرة على الفتح وجعلوا يزدادون منه ثراء ويزدادون بأنعم المال متاعاً . وخيل يومئذ إليهم أن العهد الذهبى الذى فتح الله لهم أبوابه لانهاية له وأنهم ناهلون من ورده هم وأبناؤهم وحفَدَتهم أبد الآبدين ودهر الداهرين حتى يرث الله الأرض ومن عليها . ولم يَدُرْ بخلد أحدهم وهو يعبّ من هذا النعيم أن للزمن دورته ، وأن لكل يوم غده ، وأن الله مغير مابقوم يوم يغيرون ما بأنفسهم .

ولقد غيّروا ما بأنفسهم فغير الله ما بهم ، حتى صاروا إلى حال تبعث الحسرة إلى النفس . أنت اليوم تقطع عشرات الأميال ومئاتها فلا ترى لحضارة بل لحياة مظهراً . وفيما خلا المدن القليلة ، لا أعرف منها غير مدن الشاطىء وغير مكة والمدينة والطائف ، أنت لاتقف على الطريق المأهولة إلا عند نجع هنا ومُخيَّم هناك . مابالك بما سوى الطرق المأهولة مما تترامى به البادية الفسيحة ! إنك من ذلك فى مهمة لايعرف غير الأفق حدًّا . وكلما أغذذت السير أو انطلقت بك السيارة تطوى الأميال إثر الأميال تراجع الأفق أمام ناظرك ولم يكشف جديداً . فإذا مرّ بك سانح من الطير أو ضارب فى البيداء وراء بعيره سَعِدتَ بهذه المصادفة من الحياة سعادة راكب البحر شام سفينة تمخر العباب على مرمى النظر . وليس فيما يصادفك من ذلك إلا ما يزيدك حسرة على ماهوت إليه هذه البلاد من درك الهمجية ، وهى التى وثب بها الإسلام تلك الوثبة فأضاء العالم بحضارة ظل ينعم بها قروناً عدة متوالية ، نقل المسلمون أثناءها آثار التفكير الإنسانى فى اليونان القديمة وفى الهند وفى فارس ، فمهد لهذه الحضارة الحالية التى ينعم العالم اليوم بها ؛ ثم يُتَّهم هذا الإسلام بأنه السبب فى تأخر بنيه والذين يدينون به .

وقفت غير مرة إزاء هذه الظاهرة أسائل نفسى وأسائل غيرى عن سببها . ولم يكن الاهتداء إلى السبب عسيراً ؛ فهؤلاء العرب الذين وثبوا الوثبة الأولى على عهد النبى وفى صدر الإسلام قد أقام الكثيرون منهم فى بلاد غير بلادهم . ولئن لم ينس الكثيرون منهم تعاليم دينهم لقد نسوا الغرض الأسمى الذى يدعو هذا الدين إليه ؛ تفتحت لهم كنوز الأرض وتدفقت عليهم خيراتها فشُغلوا بها وبتنظيم شؤونها ، وبذلوا فى ذلك من الجهود ماحسبوه يساوى تثبيت دعائم الإيمان الصادق فى نفوس الذين دانوا للإسلام . اكتفوا بأن يُعلّموا الناس فروض هذا الدين دون أن يفقهوهم فيه . وجعلوا غاية الفقه تنظيم علاقات المال فى الحياة وفيما بعد الحياة . أما الإيمان الصادق الذى أضاء العام ووثب بجزيرة العرب فقد اختص بالنظر فيه أهل الكلام وعلماؤه . من ثَمَّ شغل المسلمون بالحياة الدنيا عن الآخرة ، وبالعرض عن الجوهر ، وبحكم الناس عن

سياسة أمورهم فى دينهم ودنياهم . ولذلك كثرت الثورات وكثر الانتقاض وعم الاضطراب ، واتخذ الملوك من العلماء والفقهاء ألسنة دعايتهم للدفاع عن ملكهم ، كما اتخذهم الثائرون ألسنة دعايتهم لتسويغ ثورتهم . وإذ كان مافى بلاد العرب من ثروة لايغنى غناء مافى الشام وفارس ومصر والأندلس . فقد انتقل مقرّ الملك من المدينة إلى دمشق وإلى بغداد وإلى القاهرة وإلى قرطبة .

من يومئذ بقيت بلاد العرب يحكمها من تؤول إليه الخلافة وإمارة المؤمنين . ولقد حرص هؤلاء الملوك فى العهد الأول على استرضاء العرب وإغراقهم فى الأعطيات وفى الجاه . كذلك فعل بنو أمية ، وكذلك فعل الأولون من بنى العباس . ولم يكن لهم محيص من أن يفعلوا وبلاد العرب كانت بعدُ ذات حضارة لم تقوض دعائمها ، وأبناء العرب كانوا بعدُ أولى الأمر فى المملكة الإسلامية . فلما اشترك الفرس والتتار فى بلاط بنى العباس ونازعا العرب الحكم ، بدأ المال ينقبض عن أهل شبه الجزيرة باعتباره حقاً من حقوقهم ، وبدأ الملوك والأمراء يُنعمون عليهم بألوان من الإحسان مختارين مشكورين ، ولم يُعْنَ أهل بلاد العرب بالتفريق بين الحق والإحسان بعد أن نزح الأكثرون من أبنائها الأصليين عنها وحلّ الأجانب من رقعة المملكة الإسلامية محلهم فيها ، وزاد فى عدم عنايتهم بالتفريق أن بدأ الجهل يخيم عليهم كما بدأ يخيم على غيرهم من بلاد المسلمين . على أن بلاد العرب كانت أسرع من غيرها انحداراً إلى هاوية الجهل بعد أن فقدت بهجرة أبنائها العنصر الأساسى من مقوّمات الحياة القومية ، وبعد أن نزح العلماء والفقهاء والأدباء إلى العواصم التى بعدت عن بلاد العرب حتى صارت العلوم والفنون جميعاً غريبة عنها .

ولم تنهض البلاد الإسلامية المقدسة من بعد ذلك إلى يومنا الحاضر ، لأن الدولة الإسلامية هوت إلى حضيض الجمود والجهل . فأما اليوم ففى بلاد العرب توثُّب إلى نهضة جديدة تكاد تضارع مافى غيرها من البلاد الإسلامية الأخرى .

وقفت عند هذه الظاهرات غير مرة أحاول تحليلها ، لكننى لم أقصد من هذا التحليل إلى تفصيلها . فالتفصيل يتناول تاريخ الأمة العربية الإسلامية ، أو الأمم

الإسلامية إن شئت ، خلال ثلاثة عشر قرناً متوالية ، وهذا جهد عظيم لايتسنّى لفرد أن يقوم به ، وميدانه ما يزال بكراً فى حاجة إلى تنظيم علمى دقيق . والغاية التى أبتغيها من وقوفى عند هذه الظاهرات لاتتناول من هذا الميدان إلا جانباً عاماً يتصل ببلاد العرب وأسباب تأخرها على القرون منذ العهد الإسلامى الأول إلى زمننا الحاضر . ثم لم أرد فيما ابتغيته من ذلك سرد تاريخ العرب وهجرتهم من بلادهم ، أو ذكر من حل محلهم فيها . إنما اكتفيت بالإشارة إلى ذلك لأبين أن التأخر مرجعه إلى أسباب سياسية واجتماعية لا أثر للعقيدة ولا للدين فيها ، وإلى أن العقيدة والدين تأثّرا ، كما تأثر العرب والمسلمون ، بهذه الأسباب السياسية والاجتماعية ، وأن من اليسير لذلك أن يعود العرب والمسلمون سيرتهم الأولى . وحسبهم أن يغيروا مابنفوسهم ليغير الله مابهم .

ليس هذا الكتاب إذن مرجعاً من مراجع التاريخ الإسلامى ، ولا شىء فيه من تقويم بلاد العرب . إنما هى وقفات وقفتها فى بلاد الوحى ومنزله أستوحى فيها مواقف محمد عبد الله ونبيه ورسوله . وهناك فى هذه المواقف تجردت نفسى وسمت روحى وكررت بالعصور والقرون أطويها ورحت أتمثل هذا الهادى الكريم وأتمثل المسلمين من حوله ألتمس فى ذلك الأسوة والعبرة آملا أن أشْرِكَ فيهما إخوانى المؤمنين بالله وبما جاء من عند الله . لم أتقيد فى هذه المواقف بما جاء فى كتاب غير كتاب الله الكريم ، ولم أخضع تفكيرى لحكم غيرى . وما كان لى أن أخضعه وقد كنت أحس فى كثير من هذه المواقف أننى بين القوم أسمع وأرى وأتمنى لو كنت أجاهد معهم فأفوز فوزاً عظيماً . وما كان لى أن أفعل ثم أخدع نفسى فأزعم أننى إذ أحدّث الناس إنما أقصّ عليهم مارأيته وماأحسست به ، فى حين لا أقص إلا ما رآه غيرى وماسبقنى إلى تسطيره . لقد تركت نفسى على سجيتها ، تتوجه بوحى روحى وتستلهم الحق مما حولى ، وتستعرض ما تستلهم على حكم عقلى وتقدير ضميرى ، ثم سطرت ما اجتمع من ذلك لا أبغى به إلا رضا الله وحسن ثوابه . فليقل هذا أو ذاك من كتاب المسلمين أو غير المسلمين عن أىّ من هذه المواقف ماشاء ، وليستند فى

حكمه أو رأيه إلى أى سند يطيب له أن يستند إليه . إنما ذلك قول له عندى احترامه ما اطمأننت إلى حسن القصد فيه ، لكن لحكمى المكان الأول من احترام عندى . وإذا لم يكن من حسن القصد أن نعجل بالحكم قبل أن نطمئن إليه وقبل أن تتم بين أيدينا أسبابه ، وكانت العجلة طيشاً غير جدير بمفكر يحترم عقله ، فليس من حسن القصد ولا من احترام المفكر عقله أن يَنْحَل نفسه حكم غيره قبل أن يمحصه حتى يطمئن ضميره إليه . ومن الجمود الذى لا يقاس إليه طيش أن نأبى تقليب الأمور على وجوهها جميعاً حتى نطمئن إلى بلوغ غاية ما نستطيعه من الحق فيها .

لم ألبث حين تبينت هذا الأمر أن دعوت إلى احياء حضارتنا الشرقية ومصدرُ الحضارة سنا الأرواح المضيئة ، وقِوامُها وثبة النفوس القوية . والأرواح تضىء ما اتصلت بروح أقوى سلطاناً وأبهر سناً ، كما يضىء سلك البلاتين إذ يصهره تيار الكهرباء . وكم فى ماضينا من أرواح ذات سناً باهر قادرة بقوتها على أن تبعث الحضارة الإسلامية خَلقاً جديداً ، كما بعث فلاسفة اليونان الحضارة الغربية الحديثة . ومحمد بن عبد الله هو النور الأول الذى استمدت هذه الأرواح منه ضياءها ، وهو الشمس التى أمدت كل هذه الأقمار بسناها . لذلك جعلت سيرته موضع دراستى فى « حياة محمد » وجعلت مواقفه « فى منزل الوحى » مصدر إلهامى لما تنطوى عليه من تعاليم أوحاها الله إليه كلها السمو والقوة والجلال والعظمة . فأين هذا من تملق الجمهور أو متابعته التماساً لرضاه .

لا يسعك إذ تقف أمام هذه الأسماء والظاهرات إلا أن تقف موقف تواضع وإكبار . ولكن أين هذا من موقفى أمام آثار الرسول الكريم فى منزل الوحى ! ما كان أعظمه فى تحنثه ! وما كان أعظمه فى دعوة قومه إلى الهدى ، وفى صبره على أذاهم ، وفى تأديبه المسلمين بأدب القوة على الحياة ! وما كان أعظمه فى هجرته وفى غزواته ، وفى عفوه وحلمه ، وفى تقواه وعدله !. نعم ! ما كان أعظمه فى كل صفاته وفى كل أعماله !. ولكن هذه العظمة التى لا تدانيها عظمة تصبح أمراً إنسانياً إذا ذكر الوحى وذكر اتصاله بربه وما رأى من آياته

الكبرى ، وهنا يبلغ السمو إلى حديث لاتدرك الإنسانية منه بعض المدى ، ولايسع الإنسان إلا أن يكرر قوله تعالى :

« وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ماضَل صاحِبكُم وَماغَوَى . ومَايَنْطقُ عَنِ الهَوَى . إنْ هُوَ إلاَّ وَحْىٌ يُوحَى . عَلَّمَه شَدِيدُ القُوَى . ذُومِرَّة فاستَوَى . وَهُوَ بالأُفُق الأعْلَى . ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فكانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى . فأَوْحَى إلَى عَبْده ماأَوْحَى . ماكَذَبَ الفُؤَادُ ما رَأَى . أَفَتُمارُونهُ عَلَى مايَرَى . وَلَقَدَ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَة المُنْتَهَى . عِنْدَهَا جَنَّة المَأْوَى . إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مايَغْشَى . ما زَاغَ البَصَر وَما طَغَى . لَقَدْ رأى مِنْ آياتِ رَبِّه الكُبْرَى » . وهنا يحاول العقل أن يسمو فوق نفسه ليدرك هذا الأفق الأعلى . وهيهات أن يدركه والعلم ما يزال إلى اليوم محدود الأفق قاصراً دون تفسير الكثير مما يقع عليه الحس . أفرجعيةٌ أن يقف الإنسان فى منزل الوحى يحاول السمو إلى أن يفهم كيف كانت صورته ؟ أم رجعية أن يقف الإنسان عند آثار صاحب الوحى يلتمس فيها الأسوة والعبرة ؟! إن يكن ذلك ظن أصحابى فأحِب إلىّ بها رجعية أستسيغها .

وأدع الإشارة إلى محاولات قام بها السلف ولا يزال العلماء من أهل عصرنا يعالجون القيام بمثلها ابتغاء الاتصال بالعالم فى وحدته التى تشتمل الزمان والمكان ، وإلى محاولات غيرها يبتغى العلماء بها تفسير هذا الاتصال على الطريقة العلمية الحديثة . وأدع الإشارة كذلك إلى أن المذاهب الفلسفية ترمى كلها إلى تصوير الكون بدءاً وغاية ، وإلى أنها تستمد هذا التصوير من وحى الحياة ما كان منها وما يكون ، وما كشف عنه العلم وما يزال مطويا فى سر الغيب . وهذه المذاهب تقتتل ويتهم بعضها بعضاً بقصور وسائله عن دَرَكِ الغاية ، أو بنزوع وسائله منزعاً لايقف فى حدود العلم وطريقته ، بل ينحو نحو المنطق التجريدى « الميتافيزيقى » المتَّهم فى نظر الواقعيين بالرجعية . فلو أننى حاولت هذه الإشارة لطال بى الاستطراد إلى ما لايتسع له هذا التقديم ، ثم لرأى القارىء أمثال « برجسون » صاحب نظرية الإلهام والتطور المنشىء يُغْمَزون برجعية كالتى أُغْمزُ اليوم بها . وحسبى عزاء أن ما غمزوا به لم يحل

بين الجمهور المثقف والعناية بمذاهبهم ، حرصا من هذا الجمهور على اجتلاء الحق الذى تنطوى هذه المذاهب عليه . بل إن هذا المغمز بالرجعية ليزيدنى غبطة بمل لقيته بحوثى هذه من عناية القراء والباحثين بها عناية كانت الشهيدة على ماحبانى الله من توفيقه فى التحدث إلى الناس حديثاً يرونه جديراً بالاستماع له .

على أن هذه الرجعية التى زعموا قد أتاحت لى أن أقوم فى مواقفى هذه بالبحوث التى أشرت إليها عن شؤون من بلاد العرب اختلفت الآراء عليها فى عصور الإسلام المختلفة . وإذا لم أكن قد تعمقت فى هذه البحوث ، لأننى لم أقض بالحجاز إلا ستة أسابيع ، ولم أنفق للبحث بعد ذلك من وقتى إلا ماقضت به الحاجة لتأليف هذا الكتاب ، فلشدّ مايسرنى لو يمهد مجهودى لبحوث جامعية أدنى إلى الدقة فى تصوير الحقيقة ، بعد إذ بلغت أنا منها حظا أغتبط له فى مسائل شتى خالفت رأى الجمهور فى بعضها . وإنى لأترك الحكم على هذه النتائج لمن اختصوا ببحث هذه الشؤون ، كما أترك لهم تقدير ماخالفت الجمهور فيه بعد أن رجعت إلى مصادر البحث العربية والأجنبية التى أتيح لى الرجوع إليها ، وبعد أن استعنت فى ذلك بمن أمدونى بمعلوماتهم ومن عاونونى فى تقصىّ المراجع المختلفة .

هذا بعض ما جاء فى المقدمة أما نصنا المختار فهو :

فى المسجد النبوى

وتخَطّيت باب السلام أتبع مضيفى وفى ذهنى من هذا المسجد النبوى صورة خيَّلها فيه ما اطلعت عليه من كتب الرحلات إلى الحجاز ومافى هذه الكتب من أوصاف وصور شمسية . وتخطيت باب السلام وكلى التَّوْقُ للوقوف أمام الحجرة النبوية والسلام على صاحبها عليه أفضل الصلاة والسلام . وكنت أحسب بعد الذى رأيته بمكة والطائف وطريق المدينة من آثار أننى ألفت هذه الآثار ، فلم يبق منها ما أخشى النظر إليه بعين الباحث ، لا أستثنى من ذلك إلا قبره الكريم حين أقف أمامه . لذلك أقمت داخل الباب أنتظر « المزور » الذى أومأ مضيفى إلىَّ بانتظاره ، وأكاد أحسب أنى لن أرى

فى طريقى إلى الحجرة النبوية إلا ما أعرف . لكننى ما لبثت حين تقدمت فى المسجد خطوات فاشتملتنى شَفَقُه الرهيب أن نسيت ماكان ماثلا فى ذهنى من صور المسجد والحجرة مما اطلعت عليه فى الكتب أو سمعته من حديث من سبقونى إلى هذا المكان ، فما كان من ذلك فى نفسى إنما كان صورة وعاها خيالى ، ، وهأنذا الآن أواجه الحقيقة ذاتها . أشهدها بعينى وألمسها بجوارحى . وماعسى أن تغنى الصورة عن الحقيقة أو يغنى الخيال عن الحس !. وانجابت الصورة وانجاب الخيال وسرت أتبع مزورى نحو الحجرة ، مأخوذا بما حولى ، منصرفا مع ذلك عن كل ماحولى . امتدت عن يسارى غابة من العمد الضخمة البديعة الصَّقل ، وهبط من نوافذ المسجد الرفيعة فى جداره القائم عن يمينى ضوء مبهم لم يحجب الأشعة المنبعثة من مصابيح الكهرباء منبسطة على السجاجيد الثمينة التى نسير عليها . مع ذلك لم يشخص بصرى إلى العمد ولا ارتفع إلى النوافذ ولا استقر على السجاجيد ، بل سرت مندفعاً أمامى كاسر الطرف خشوعا ورهبة ، ممتلىء القلب من سيرة الرسول الكريم ، تتواتر فى نفسى دراكا مواقف العظمة والجلال منذ بعثه الله نبياً حتى اختار الرفيق الأعلى . ثم تقف النفس عند هذا المكان الذى أخطو فيه والذى خطا ﷺ فيه سِنِى مُقامه بالمدينة ، والذى شهد من أمر الله ووحيه إلى نبيه ورسوله ، ومن وقوف المسلمين الأولين حافِّين من حوله ، ماجعلنى أنسى كل شىء إلا هذه المواقف التى غيرت وجه العالم بعظمتها وجلالها ، وبفضل الله ومشيئته ، وبإيمان المسلمين الأولين بالله وبرسول الله .

وبلغنا الحجرة النبوية ، ووقف مزورى واستوقفنى قبالة قبر الرسول الشريف . فلما اطمأننت مكانى إزاء المقصورة الجميلة أشار إلى فتحة فيها هى شبَّاكها ، ثم تلا وتلوت من بعده : « السلامُ عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته . نشهد أن نبى الله ورسوله قد بلّغ رسالة ربه وجاهد فى سبيله حتى أتم الله النصر لدينه ، وأنه وفَى بوعده ، وأمر ألا نعبد إلا الله وحده لاشريك له » ثم تحركنا خطوة صغيرة ووقفنا بها من المقصورة إزاء قبر الصِّديق أبى بكر وسلمّنا عليه ، وتحركنا خطوة صغيرة أخرى ووقفنا بها إزاء قبر الفاروق عمر ابن الخطاب وسلمنا عليه ، ثم تلونا الفاتحة .

أقمت مكانى هنيهة شاخصا إلى هذه الحجرة ، مأخوذ الذهن عن التفكير ، متجها بقلبى إلى هذا الدليل الذى يتلو أمامى مايقتضى الموقف تلاوته ، حَذرا أن يفوتنى منه شيء ، وكأننى فى حضرة ملك أؤدى مراسم الإجلال والإكبار . كلا . بل كان الموقف أكبر من حضرة ملك ، فقد لقيت ملوكا وتحدثت إليهم ، ولقيت بعضهم وما أزال فى صدر الشباب ، فلم أجد للقياهم مثل هذه المهابة ولا امتلأت نفسى أمامهم بشيء من هذا الإكبار . ووقفت أمام قبور الملوك وفراعين وبراطرة وعظماء فلم أشعر بشيء من الجلال الروحى الذى أحد على تفكيري المسالك وأنا فى هذا الموقف . وأشهد لقد كنت فى حيرة ما أصنع . وإنما أنقذنى من هذه الحيرة أن دعانى المزور لأذهب إلى الروضـــة النبوية فأؤدى بالصلاة فيها وراء الإمام فريضة المغرب . تقدمنى مضيفى عائداً نحو باب السلام ، فكان جدار المسجد الذى به محراب القبلة إلى يسارى ، وكان إلى يمينى حاجز يرتفع إلى مافوق قامة الرجل صُنع من أعواد صفر لعلها من النحاس أو من حديد طُلى بلون النحاس ، واتصل بينها شبك من لونها . وهذا الحاجز يقوم على حدود الرواق الجنوبى الذى نسير فيه فيفصله عن الروضة النبوية ، ويمتد على طول الطريق من الحجرة إلى مقربة من باب السلام . على أنا لم نكد نتوسط هذا الطريق حتى دخلنا الروضة من باب فى الحاجز لم تعنى الفرصة على الوقوف عنده وإنعام النظر فى صنعه ، فقد ألفيتنُى وسط جمع زاخر جلس فى صفوف متراصة ليس بينها مكان لواقف . أأتخطى هذه الصفوف لعلِّى أجد لى فيما وراءها مكانا ا. وهممت أن أفعل لولا أن أومأ إلىَّ مُضيفى فوقفت ، وأسرّ حديثا إلى زجل من خدم المسجد فأرشدنى الرجل إلىَّ مكان أقف به فى الصف الأول من الروضة إلى جوار منبر لم أشك أنه منبر الرسول . وهمَّ يناولنى كتابا فى يده ، فألفانى وأسرعت إلى إقامة الصلاة تحية للحرم وللروضة وسلاماً على صاحبها عليه السلام . فلما فرغت من الصلاة مد إلّى يده بالكتاب ، وفتحه فإذا هو مصحف مخطوط مذهب جميل . والتفتُّ فرأيت فى يد جارى اليمين كتاباً صغير الحجم أدركت أنه دلائل الخيرات ، لأننى عرفت من قبل أن بعضهم يتلوها حيناً ويتلو فى المصحف حيناً آخر كلما جاء إلى الروضة . ومددت البصر إلى اليمين فوقع على

مقعد فوقه عدد عظيم من المصاحف والدلائل ، وإلى جانبه كراسى من الخشب المطعم يستعين بها بعضهم فيجعل عليها المصاحف أو الدلائل أثناء التلاوة فيها . وتستند المصاحف والدلائل الموضوعة فوق المقعد إلى المنبر النبوى الذى تنتهى الروضة بعده . ولم أحاول التحديق فى المنبر تحديق الفاحص ، لأن حالى النفسية فى هذه اللحظة لم تكن حال فحص أو تحقيق ، بل كانت حال عبادة وتهجد وتوجه خالص إلى الله .

الفصل السادس

فنون التعبير

الفصـــل السادس
فنـــون التعـــبير

أولا : العوامل التى أدت إلى فصاحة الرسول ﷺ :

نوجز فيما يلى أهم الافكار التى خلص إليها مصطفى صادق الرافعي فى كتابه (اعجاز القرآن والبلاغة النبوية) .

(أ) نشأته ﷺ :

نشأ النبى ﷺ فى أفصح القبائل وأخلصها منطقا ، فكان مولده فى بني هاشم وأخوانه فى بني زهرة ، وتربيته فى بادية سعد بن بكر وكانوا من العرب الضاربة حول مكة - وكان كبراء مكة - ولازالوا يرسلون أحداثهم إلى أماكن هذه القبائل طلبا لاحكام اللهجة العربية وصحة النشأة وحرية النزعة ومتزوجه فى بني أسد ومهاجرته إلى بنى عمرو وهم الأوس والخزرج من الانصار فكان فصيحا ولذا يقول القرآن ردا على الكفار عندما قالوا ان محمدا أخذ القرآن من أحد الكتاب ، فقال سبحانه وتعالى : (وهذا لسان عربى مبين) فالنشأة لها أثر خطير فى أسلوب الانسان وبلاغته .

(ب) خصائصه الجسمية والعقلية واللسانية :

والتى كان لها أثر كبير فى فصاحته فلم يكن فيه عيب من عيوب النطق لذا كان كلامه مطبوعا بهذا الطابع اضافة إلى ذكائه وصفاء نفسهونفاذ بصيرته ، وكانت شخصيته منبسطة واضحة ولذاجاء كلامه سهلا واضحا وصفاته الجسمية كانت فى مجموعها مظهرا للقوة والجمال

(جـ) أثره فى العرب وأثر العرب عليه :

كل انسان على ظهر الكون لابد أن يؤثر ويتأثر ، فالرسول ﷺ تعلم من البيئة الفصاحة والكرم والشجاعة والصدق ولكن رفض أشياء عديدة كالخمر

والميسر وغير ذلك من مساوىء الاخلاق ثم هو بعد ذلك قلب المجتمع الذي كان فيه رأسا على عقب بقيادته الحكيمة الممتازة بعون من الله عز وجل .

(د) الادب :

إذ هو صورة معبرة عن الشخصية فلو قرأنا مثلا خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي والتى ألقاها عندما تولى امرة العراق ، يتضح لنا من خلالها أنه رجل دموي معتز بشخصيته وقوته .

فحديث الانسان أو أدبه دلالة أو صورة من شخصه وقياسا على هذا الكلام فمن خلال أحاديث الرسول ﷺ نستطيع أن نستنتج شخصنيته . .

وهذه البلاغة كانت توفيقا من الله وتوقيفا فلو قارنا بين فصاحته ﷺ وغيره من فصحاء العرب لوجدنا أن هؤلاء الفصحاء كل منهم يتكلم بلغته ولهجته والتى قد لايفهمها غيره ممن لايتكلم بهذه اللهجة كما أن هؤلاء الفصحاء قد يجيدون مرة ويخطئون مرات ، أما الرسول ﷺ فقد كان كلامه على مرتبة واحدة من البلاغة الممتازة ثم إن الله عز وجل بالهامه وتوفيقه له ﷺ قد علمه لغات ولهجات القبائل العربية ولذا كان يخاطب كل قبيلة بلهجتها حتى أن عليا رضى الله عنه قد سأله فيما معناه .. يارسول الله نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لايعرف أكثره .. فقال ﷺ أدبنى ربى فأحسن تأديبى .

كما أن فصحاء العرب كانوا متدرجين بين الفصيح والافصح ، وبين خشن الالفاظ لايسعفه الكلام وبين منطلق فكانوا مختلفى المنازل والخصائص بينهم الأجود وبينهم الاسوأ وهذا لم يكن ليتصف به رسول الله ﷺ فكما قلنا إن كلامه كان على مرتبة واحدة من الفصاحة .

ثم إن اللغة قد كاشفته باسرارها وكشفت له مغاليقها يأخذ منها ماشاء وهذا معنى التوفيق أري أن الله عز وجل الذي خلق الكائنات وعلم الناس اللغات

أطلع رسوله على أسرار هذه اللغات ، فالرسول قد أحاط احاطة كاملة شاملة بأسرار اللغة حيث استطاع أن يمتلك ناصية التعبير فى اللغة العربية ويعرف معاني لغاتها ، وهذا مالم يتوفر لغيره ، ولو عرف فى التاريخ من باري الرسول ﷺ فى فصاحته لتحدث التاريخ بذلك ، وهذه الصيغ والتراكيب لم يتعلمها الرسول وإنما ذلك كان بتوفيق من الله .

والقرآن ليس وحده معجزة الرسول ﷺ بل إن حياته ﷺ كانت معجزة فى حد ذاتها حين كان الرسول يخاطب العرب لم يكن يعيا بـل كان منطلقـا وكانت له الغلبة والفوز عليهم فى حجته واقناعه وفصاحته ، وهذا فى حد ذاته معجزة فهو لايفوز أمام مجموعة وينهزم أمام أخري بل كانت له الغلبة مع العرب جميعا عندما يناقشهم .

(هـ) اللهجـــة القرشـــية :

وكانت لهجته ﷺ القرشية وهى اللغة الراقية المهذبة التى يتحدث بها أفصح العظماء وأشعر الشعراء لاعتبارات منها سيادة قريش على القبائل وان مكة كانت مجمع القبائل جميعا فى مختلف المواسم الدينية والادبية لذا كانت اللهجة القرشية لهجة مصطفاة منتقاة .

فالرسول ﷺ حقيقة لم يتعلم كما جاء فى القرآن (هو الذي بعث فى الاميين رسولا منهم) ... وهذه القدرة اللغوية جاءته عن طريق الممارسة وساعده عليها ماسبق وقدمناه من ظروف نشأته حيث أتيح له فى حياته أن يتمرس تمرسا لغويا يفيد منه فى اكتساب المهارة اللغوية إلى جانب الفطرة السليمة والبصيرة النافذة والتى كان يتمتع بها فى ذلك ساعده ليفيد منها خير فائدة ، ودليلنا على ذلك قوله ﷺ : (أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش) فإذا كان الرسول ﷺ أرقى الراقين وخلاصة الخلاصة من قريش فهذا دليل على بلوغه أعلي مراتب الفصاحة والبيان ...

وأخيرا يتضح لنا من قول الجاحظ أن العرب أقروا بفصاحته ﷺ وأنهم لم يجدوا له نظيرا ولو وجدوا لعارضوه به ، ثم يلاحظ الجاحظ طريقة أداء

الرسول أنها طريقة سمحة ليس فيها تكلف تواتيه الألفاظ وتسعفه المعاني ولايعرف عنه عبارة ضعيفة ولا معني باطل ولم تضعف فصاحته فى موقف من المواقف .

وخلاصة الامر سواء فى الفترة أو فى النطق أو فى العبارة كان فى أعلى مراتب الفصاحة مما يندر بل يمتنع نظيره فى البيئة العربية – كذلك فالعرب لم تعرف عن الرسول شائبة فصاحة ، فالله عز وجل قد عصم رسوله ﷺ من أخطاء البشر فكانت عبر ذاتها معجزة ، كذلك فاللغة قد كشفت عن أسرارها وأعطت كل ما فيها من ثروة المعانى والالفاظ .

ونقول أن الرسول ﷺ فى بداية دعوته ومنذ أول انطباع للعرب عن أفصح الفصحاء الجديرين بأن يجلس إليهم العرب ويتتلمذون عليه وهو يتلو القرآن تلاوة فصيحة وتفسيرة فى أعلى بيان ويجيب السائلين فى عبارات بليغة ، واستمر على هذا النمط منذ بدء دعوته إلى انتهاء حياته ولو عرف العرب عنه غير ذلك لما جلسوا إليه ولردوا إليه القرآن أو لرفضوا أن يستمعوا إلى القرآن ، ولم يحدثنا التاريخ بأن شيئا من ذلك قد وقع ...

ثم لو رجعنا إلى المقارنة بين كلامه وكلام غيره من فصحاء العرب لوجدنا المثقفين منهم يستغرقون وقتا طويلا ينظمون وينقحون ويهذبون ويحذقون حتى يظهروا كلامهم للناس ، أما الرسول ﷺ فلم يكن ليستغرق هذا الوقت كله بل كان يجيب السائل فور سؤاله بعبارة فصيحة بليغة ، ورغم استغراقهم هذا الوقت كانوا لايسلمون من عيوب الكلام كالإطناب فى موضع الإيجار والايجاز فى موضع الاطناب ، وبالعكس ثم أن معانيهم كانت متكررة يتوارثها جيل عن جيل ولو اختلفت الفاظها كالمدح والرثاء والوصف أما معانية ﷺ فلم تسبق ولم تلحق ، متعددة الاغراض وألفاظه كان عنده خادما للمعنى والمعني سابق للفظ وعندهم العكس فيأتى المعنى تابعا للفظ .

* * *

ثانيا : كتاب إعجاز القرآن والبلاغة العربية لمصطفى صادق الرافعي

عرض فيه للبلاغة النبوية من الزوايا التالية :

بلاغة الرسول – مفهوم الفصاحة – الأسلوب والرجل – دراسة الجانب الصوتى – الإيجاز بواعثه وأغراضه – الرسول وموقفه من الشعر – لغة الرسول ﷺ – الموازنة بين البلاغة القرآنية والبلاغة النبوية – سمات البلاغة النبوية .

ثالثا : معالجات (الشريف الرضي) فى كتابه (المجازات النبوية) :

نصوص حديث

النص : (هذه مكة قد رمتكم بأفلاذ كبدها) وفى رواية أخري (قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها) .

المناسبة : قالها الرسول ﷺ عند خروجه إلى بدر للقتال وقد خرجت عليه قريش بجيش عظيم ، وكان المسلمون قد ظفروا ببعض فراطهم (الفراط الذين يسبقون الجيش فى ارتياد الماء واصلاح أحواضه) وأتوا بهم الرسول ﷺ فسألهم عمن خرج فى ذلك الجمع من علية قريش فعينوا له أسماء وأشخاص وحينئذ نطق النبى ﷺ بعبارته تلك .

اللغـة : الافلاذ القطع المتفرقة عن الشيء وتكاد تختص لغويا بالكبد .

المعنى :

١ – أن يكون هذا التعبير بالكبد كناية عن القوم الذين احتشدوا من أشراف مكة وصرحائها وأعز قادتها وأبنائها إذ هم من مكة سموا ورفعة وقيمة بمكانة الكبد من الانسان ، بهم حياتها كما أن بالكبد حياة الانسان ونشاطه ووجوده .

٢ – ويمكن أن نوسع الصورة وأن نكبر الخيال فنجعل البيئة المكية بمنزلة الاحشاء تجمع أغلى الاعضاء وأكثرها قيمة لوجود الانسان ومنها الكبد الذي تتكون من أبعاضه كله المتكامل والقادة من قريش الكبد قد ضمتهم أحشاء مكة وحنت عليهم .

سؤال : إلى أي المعنيين تميل ولماذا ؟

نقاش حول النص :

١ – الجو الذي قيل فيه هذا النص جو حرب فهل العبارة للتحميس أم للتثبيط ؟

٢ – ما القيمة التى يتيحها هذا النص (المصارحة سبب النجاح) ؟

٣ – أين مكان الحسن فى هذا النص (الايجاز – المجاز « مكة رمتكم » الكناية « أفلاذ الكبد ») .

٣ – هذه الصورة التعبيرية انسانية عامة أم بيئية ؟ ولماذا ؟ وهل يمكن أن تكون بيئية وانسانية عامة معا ؟ كيف ؟

٥ – هل للبلاغة قيمة علمية ؟ فى المجتمع الجاهلى – فى جو نصنا هذا الحربى (فى الجيوش المعاصرة الان قسم التوجيه المعنوي) منذ قديم والحروب بالكلمة وبالسيف فهل هى كذلك الآن ؟

* * *

حـــديث

قال ﷺ وقد مر على قوم وقوف على ظهور دوابهم ورواحلهم يتنازعون الاحاديث : « لاتتخذوها كراسي لاحاديثكم فى الطرق والاسواق فرب مركوب خير من راكبه .

الاســـلوب :

١ – التصوير لطول وقوف الدواب ومكوث أصحابها فوقها بالكراسي عليها قوم جلوس .

٢ – النقد فى أدب معبر قوي (المركوب والراكب) .

٣ – عناصر الايجاز فى : طريق – أسواق .

قيمـــة النص :

١ – من الناحية الفنية : مر بنـــا .

٢ – من الناحية السلوكية : طول الاحاديث مما يجر إلى الانحراف .

٣ – زحـــم الطريق بدون مبرر .

٤ – تقوية للعمل والجهاد دون الفراغ والبطالة واشارته فى ذلك إلى أن من الحيوان مايفضل الانسان فى هذا الباب .

٥ – الرحمة : فكل ذي روح ينبغى للانسان أن يرعاه .

ســؤال :

١ – الصورة من أي البيئات هى وهل تنحصر قيمتها الانسانية فى أنها بيئية خاصة أم أنها عامة تشمل كل زمان ومكان .

٢ – كثير من المسلمين ينظرون إلى تعاليم الاسلام على أنها حركات تؤدي أو أقوال يلفظ بها دون التفطن إلى مافى تلك التعاليم من قيم تعدو هذه المظاهر الشكلية فثمة هنا قيم هى : الرحمة والعمل وأدب السلوك عامة .

٣ – لو تدبرنا هذا القول فى ضوء عصره لوجدنا مدي الالحاح على قيمة العمل فى عصر كان الفراغ فيه أكثر من الشغل فما بال هذا القول فى عصرنا .

٤ - ولقد كان لهذا الحديث بما له من قيمة حظ مضيع فوجدنا من أدباء هذا العصر من تعجبه عبارة للحكيم توما « أما آن لى أن أركب أمّا أنا فجاهل بسيط وأما صاحبى فجاهل مركب وعلى مافى هذه العبارة من الاقذاع التعبيرى فان معناها يدور فى فلك التعبير الحديثي على أدب هذا الاخير .

على كل حال فمن أدبائنا المعاصرين من طرح هذه القضية وجعل من الدواب، ماينطق بالحكمة ويفكر بالمنطق مما يعجز عنه الانسان وتخير فى تهكم رمزا لهذا أكثر الحيوان غباء ولكنه أشدها جلدا وهو الحمار .

* * *

رابعا : البديعيات :

بلاغة النبى جانب طريف من البحث فى البلاغة النبوية - أفرد ابن المعتز الاحاديث التى خاطب الرسول ﷺ فيها البدو والأعراب للتعرف على خصائص هذا الاسلوب ... وكيف كان الرسول يسوس هذه النفوس الجافية الغليظة .

ولقد أثر الحديث على النقد الادبى مثلما نجد عند ابن سلام وكان لغويا محدثا حين عمد إلى نقد رواية الرواة للشعر مما اكتسبه من نقد رواة الحديث ، ومن ثم كانت عنايته بقضية الانتحال تحقيقا للنص ، واثباتا لصحة نسبته إلى مؤلفه .

البديعيـــات

يري مؤلف كتاب « البديعيـــات » أن بداية هذا الفن ترجع إلى صفى الدين الحلي فى القرن الثامن الهجـــري ...

ولكن بحوزتي مخطوطة تنتمي إلى القرن السابع الهجري وصاحبها ابن معطي الزواوي ..

ومن الحق أن يقال إن البديعية بما فيها من موسيقية اللفظ ولما فيها من زخرفة الكلام تنبع من وجدانية وعاطفية الحب لهذا الرسول ﷺ ، مما يعنى أن البديع بعنصرية الموسيقى والزخرفي يرمز إلى هذه العاطفة الوجدانية الصادقة

مهما قيل من أن هذا البديع فيه صنعة وقصد إليه ، ولأن السيولة النغمية تتوافق مع السيولة الوجدانية فى البديعيات

* * *

خامساً : التصوير الفني فى الحديث النبوى للدكتور محمد لطفى الصباغ[1]:

ومن المباحث المعاصره فى دراسة البلاغة النبوية بحث تقدم به د. محمد لطفى الصباغ لكلية الآداب جامعة الاسكندرية ، ومن فصوله المرتبطة ارتباطا وثيقا بالبلاغة ما أورد تحت عنوانه .

---

(١) ط المكتب الإسلامى .

الصور الحسية والمعنوية

في وسائل التصوير وعلاقاته

لم تعد الصورة في النقد الحديث تعني مجرد التشبيه أو الاستعارة أو المجاز بصفة عامة ، بل هي في مفهومها البسيط كما يعرفها « راي لويس » لوحة مصنوعة من الألفاظ ، وقد تخلق الاستعارة صورة ولكن من الممكن أيضاً أنْ تصنع الصُّورة الرَّائعة عبارة وصفية بحتة تحمل إلى تصورنا شيئاً أكثر من مجرَّد الانعكاس الحرفي للحقيقة الخارجية[1].

والصُّورة وثيقة الصلة بملكة الخيال ولاتقتصر على الدَّلالة البصرية المحدودة فهي في رأي « جون مسرى » وليدة الكلمة الَّتي اشتقت منها وهي كلمة Imagination أي ملكة التَّصور والتَّخيُّل[2].

وقد انتهى معظم الباحثين المحدثين إلى القول بأنَّ الصُّورة تعنى كلَّ عناصر الشَّكل بحيث توضع بإزاء المضمون وهي متَّحدة معه تماماً بحيث لايمكن الفصل بينهما ، ودراسة أي نص ينبغي أنْ تكون في إطار العلاقات التي تقيمها لغة النَّص من حيث التراكيب والصُّور والرُّموز وليست اللُّغة مجرَّد مفردات حديثة قائمة بذاتها ولكنَّها أهمُّ من ذلك بكثير إنهَّا علاقات متداخلة متشابكة ، والنَّص نسيج متكامل يتداخل فيه إيقاع الذَّات وإيقاع البيئة والمجتمع والثَّقافة .

وقد يغالى بعض الباحثين في الاهتمام بالصُّورة فى أية جزئية من جزئيَّاتها بحيث ينادى بإسقاط الاهتمام بالمعاني أو الأفكار الَّتي يمكن أنْ تدلَّ عليها الكلمات أو العبارات ومن هؤلاء « بلومفيلد » الَّذي كان من ألَّد أعداء مايسمى بالعقليَّة Le mentalisme أيْ الاهتمام بالمضمون ، وكان يعتقد أنه من

(١) انظر : ص ٢٥ The Poetic Image

(٢) انظر : النقد التحليلي لمحمد عناني ص ٥٩ .

المستحيل أنْ نحدِّد المعنى الدَّقيق للتَّراكيب اللُّغوية ، ولذلك ينبغي إهمالها وإسقاطها ، وكلُّ ماكان يهمه وصف الظَّواهر الصَّوتية اللَّغوية وتسجيلها ، ولكن « شومسكي » كان يدعو إلى دراسة علاقة الظَّواهر اللَّغوية بالفكر[1].

وأنصار التَّحليل البنيوي يركزِّون تحليلهم على بنية العمل الأدبي اللُّغوية ووصفها ودراستها دراسة علميَّة استقصائية ثُمَّ هم بعد ذلك لايمانعون في القيام بمحاولة اكتشاف العلاقات المتبادلة التِّي تربط العمل الأدبي بالوسط الخارجي كالظُّروف التاريخية والتاثيرات الأدبية المقارنة والسِّيرة الذَّاتية للكاتب ، ثُمَّ التَّحليل النَّفسي لشخصيتَّه[2].

إنَّ التَّصوير الفنَّي بالمفهوم الحديث كان الإطار العام الذي بنى عليه هذا البحث وقد قدَّمت في البابين السَّابقين صوراً حديثية كثيرة على أساس تحليل العلاقات المتشابكة في النَّص وإدراك التَّيار العاطفي فيه وتصوير مافيه من خطرات نفسيَّة تقيم جسراً من الإقناع وعمق الفهم بين الحديث وسامعه أو بين الشَّكل والمضمون ، وغايتي في هذا الباب أنْ أفصِّل القول في وسائل التَّصوير وعلاقاته في الحديث النَّبوي ، أو بمعنى آخر دراسة جوانب من الشكل تعتمد على وسائل مختلفة لأحداث الصُّورة بظواهر مهمَّة وتأثير ذلك كلِّه على المضمون ، وسنجد في الحديث النَّبوي صوراً فنِّية جديدة تماماً تبعد عن إطار الصُّور المألوفة المتكرِّرة في الشِّعر الجاهلي ونثره ، وتلك النَّتيجة تؤكِّد حقيقة مهمَّة وهي الطبيعة الرَّمزية للغة التِّي تلد جديداً من التَّعبير في كلِّ لحظة ، وأنَّ الصِّدق الفنِّي والبصيرة النَّافذة من العناصر الأصيلة في التَّعبيز في الحديث النَّبوي بحيث يبتعد عن الأشكال التَّقليدية المألوفة وتقدِّم نصوصه تصوُّرات جديدة لا من حيث المضمون فحسب بل من حيث الصُّورة أيضاً وسنجد أنَّ الحديث النَّبوي اعتمد على وسائل كثيرة في تصويره ، بعضها كان معروفاً لدى العرب في شعرهم ونثرهم كالتَّشبيه والاستعارة والكناية وبعضها لم يكن

---

(١) انظر مقال (البنيوية والحداثة) لهاشم صالح – مجلة مواقف العدد ٣٦ سنة ١٩٨٠

(٢) انظر ص ٥٨ : Truth and Art

واضحاً في نتاجهم الأدبي كالوصف والقِّصة والتَّجسيم والتَّشخيص والموازنة والإشارة والرَّسم .

وسنجد الحديث النَّبوي في الوسائل المألوفة يقدِّم تصورًّاً جديداً ويفتح آفاقاً جديدة للتَّخيُّل والإدراك ، على الرُّغم من وجود علاقة واضحة بين صوره والبيئة والمجتمع والتَّقاليد والعادات المألوفة .

* * *

أولاً : في وسائل التَّصوير :

التَّصوير بالوصف :

رُبَّما كان الوصف الدَّقيق النَّابع من البصيرة النَّافذة وحسن الإدراك والتَّدفُّق العاطفي أبلغ من التَّشبيه أو الاستعارة أو الكناية أو الوسائل المألوفة في التَّصوير إنَّه ينقل لك أمام عينيك المشهد حتَّى تكاد تحسُّ به بحواسِّك وتلمسه بيديك .

وهو ليس مجرد تصوير فوتغرافي آلي ولكنَّه تصوُّر إدراكي ، فيه إلى جانب موضوعيته قدر كبير من ذاتية صاحبه .

ويعلو شأن الوصف في التَّصوير عندما يكون الموصوف أمراً غيبياً لا سبيل إلى نقله إلا عن هذا الطريق الذَّي يتخيَّله السَّامع واقعاً ملموساً يراه بعينيه ويتقرَّاه بيديه .

وقد مرَّت بنا خلال دراستنا لكتب السُّنة لوحات وصفيَّة رائعة تعجز ريشة الفنَّان أنْ تأتي بأجمل منها أو أبدع مع الدِّقة في الوصف والصدق في الأداء والجمال في التَّعبير . والموضوعات التِّي تطالعنا في الحديث متنوِّعة ، فمنها مايتعلَّق بالإنسان والحيوان .. وأكثرها متعلق بالأمور المعنويَّة .

- عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ :

« ماتعدُّون الصُّرعة فيكم ؟ »

قالوا : الذِّي لا يصرعه الرِّجال .

قال : « ليس بذاك ولكنَّه الذِّي يملك نفسه عند الغضب »[1].

في هذا التَّعريف الجديد للصُّرعة مخالفة لما ألف النَّاس وعرفوا .. وفيه يقرِّر ﷺ أنَّ الإنسان إنَّما يكون إنساناً بإرادته لابعضلاته فليس الشَّديد هو الذِّي يصرع النَّاس بقوَّته ، ولكنَّ الرَّجل الصُّرعة الشَّديد هو الذِّي يملك السَّيطرة على أعصابه ، ويستطيع أنْ يتصرَّف التَّصرُّف الموزون اللبق حالة الغضب والانفعال وبذلك يكون الإنسان إنساناً .

– عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال :

« لا تقوم االسَّاعة حتَّى يقاتل المسلمون التركَ قوماً :

وجوههم كالمجان المطرقة[2]، يلبسون الشَّعر ويمشون في الشَّعر »[3].

وفي رواية : « ... قوماً . نعالهم الشَّعر صغار الأعين ذلف الآنف كأنَّ وجوههم المجانّ المطرقة »[4].

قالوا في شرحه : فيه تشبيه وجوه التُّرك في عرضها وتنوُّر وجناتها بالتُّرس المطرقة .

فالحديث في دقَّته في وصف هؤلاء النَّاس والإخبار بأنَّ المسلمين سيقاتلونهم من أعلام نبوتَّه ﷺ وقد استخدم التَّشبيه في توضيح الموصوف وقد قلت في كتابي « الحديث النَّبوي » :

(وقد اتخَّذ الحديث وسائل عديدة للوصف من أهمها التَّشبيه .

فلقد كان الرَّسول العظيم ﷺ يؤثر أنْ يستخدم التَّشبيه المحكم وسيلة فعليَّة للوصف الدَّقيق الذِّي يستجمع شرائط الجودة كلها)[5].

---

(١) صحيح مسلم ٣٠/٨ ط استانبول .

(٢) المجان : جمع مجن وهو التُّرس .
المطرقة : (باسكان الطاء وتخفيف الرَّاء) وهي التي ألبست العقب وأطرقت به طاقة فوق طاقة .

(٣) صحيح مسلم ٣٧/١٨ :

(٤) أبو داود ١٦٠/٤ وذلف : جمع أذلف أي فطس الأنوف .

(٥) الحديث النَّبوي ص ٨١

- عن عبد الله بن عمر أنَّ رسول الله ﷺ قال :

« أراني ليلة عند الكعبة ، فرأيت رجلا آدم كأحسن ما أنت راء من أدم الرِّجال له لمة كأحسن ما أنت راء من اللِّمم ، قد رجلَّها فهي تقطر ماء ، متكئاً على رجلين - أو على عوانق رجلين - يطوف بالبيت .

فسألت : من هذا ؟ فقيل : هذا المسيح بن مريم . ثُمَّ إذا أنا برجل جعد قطط[1] أعور العين اليمنى كأنهَّا عنبة طافية . فسألت : من هذا ؟ فقيل : هذا المسيح الدُّجال »[2].

يحكى لنا رسول الله ﷺ أنه رأى في المنام عيسى بن مريم ثُمَّ المسيح الدَّجال فإذا هو جعد الشَّعر قصير أعور العين اليمنى كأنهَّا عنبة طافية .

والجميل أنْ يجمعهما موصوفين في موضع واحد ليقدِّم العلامة على كذب الدَّجال الذِّي يدِّعى أنه هو المسيح .

* * *

ومن وصف النَّاس هذا النَّص الجميل :

- عن عمر بن الخطَّاب قال قال رسول الله ﷺ :

« إنَّ من عباد الله لأناساً ، ماهم بأنبياء ولا بشهداء ، يغبطهم الأنبياء والشُّهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى » .

قالوا : يا رسول الله ! تخبرنا من هم ؟

قال : « هم قوم تحابُّوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطون فوالله إنْ وجوههم لنور وإنهَّم على نور . لايخافون إذا خاف النَّاس ولا يحزنون إذا حزن النَّاس »[3].

---

(١) القطط : القصير الجعد من الشَّعر .

(٢) صحيح مسلم ٢/٢٣٣-٢٣٥ .

(٣) أبو داود ٣٩١/٣

هؤلاء المتحابُّون في الله وصف مكانتهم الكريمة التي تجعل الأنبياء والشُّهداء يغبطونهم علىَ مكانتهم .

محبَّة بعضهم لبعض خالصة لله فلا أرحام بينهم ولا مصالح ماليَّة تجمعهم ولاعلاقات نفعيَّة تحرّكهم . إنَّ وجوههم لنور وإنهَّم على نور .

إذا خاف الناس كانوا آمنين ، ولايحزنون إذا حزن النَّاس .

نص يفيض بالودِّ والمحبَّة ، ويشرق بالأمن والتَّفاؤل والعيش الكريم الرَّخي .

* * *

– عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال :

« أتدرون ما المفلس ؟ »

قالوا : المفلس فينا من لادرهم ولامتاع .

– قال : « إنَّ المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا . فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته . فإنْ فنيت حسناته قبل أنْ يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثُمَّ طرح في النَّار »[1].

هذا هو المفلس الحقيقى فما أهون تحصيل الدَّراهم والأمتعة والعمل على إيجادها . أمَّا الإفلاس الحقيقي فهو حالة هذا الرَّجل الذَّي أضاع الحسنات يوم القيامة في ذلك اليوم الذَّي لا يتاح للمرء أنْ يكسب شيئاً .. ويطرح في النَّار .

وهذه الوصف الدَّقيق الحيّ يؤدِّي غرضا دينياً هو الامتناع من الظُّلم في الدُّنيا فقد تكون للظالم قوَّة يتمكن بها أنْ يفعل مايشاء ولكن عليه أنْ يتذكَّر أنَّه سيجرَّد من هذه القوَّة ، إنْ لم يكن في الدُّنيا ففي الآخرة .

إنَّ العدالة الإلهيَّة لن تدع مظلوماً في ذاك اليوم حتَّى تنتصف له من ظالمه .

---

(١) صحيح مسلم ١٦/١٣٥–١٣٦ (وفي ط استانبول ١٨/٨)

– عن النَّواس بن سمعان قال :

سألت رسول الله ﷺ عن البِّر والإثم .

فقال : « البرُّ حسن الخلق . والإثم ماحاك في صدرك وكرهت أنْ يطلّع عليه النَّاس »[1].

ما البرُّ وما الإثم ؟

البرُّ حسن الخلق . كلمتان جمعتا كلَّ خصال البرّ . ومعظم المفاسد الاجتماعية والشَّخصية نابعة من سوء الخلق ، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أنْ يطلّع عليه النَّاس ولكن الله عزَّ وجلَّ مطلّع عليه ، فما دمت كرهت أنْ يطلع عليه أحد فاتهم نفسك .

وهناك حديث آخر رواه وابصة بن معبد يشرح هذا الحديث وهو :

– عن وابصة بن معبد قال : أتيت رسول الله ﷺ فقال : « جئت تسأل عن البر ؟ »

قلت : نعم .

قال : « استفت قلبك . البُر ما اطمأنَّت إليه النَّفس واطمأنَّ إليه القلب والإثم ماحاك في النَّفس وتردَّد الصَّدر وإنْ أفتاك النَّاس وأفتوك »[2].

وهذا من الوصف المعنوي الرَّائع الذّي يتغلغل إلى أعماق النَّفس ومن وصف الحيوان وصف الكلب الذّي كاد يقتله العطش :

– عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ :

« بينما رجل يمشي بطريق اشتدَّ عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثُمَّ خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثَّرى من العطش ... »[3].

---

(١) صحيح مسلم ١١١/١٦ (وفي ط استانبول ٧/٨) ومسند أحمد ١٨٢/٤ والترمذي ٢٨٢/٣ والمستدرك للحاكم ١٤/٢ .

(٢) مسند أحمد ٢٢٧/٤ وسنده الدّارمي ٢٤٦/٢ .

(٣) متّفق عليه وقد مضى تخريجه .

إنّه يلهث يريد أنْ يشرب وليس أمامه شيء إلاّ الثّرى فها هو ذا يأكله علّه يجد فيه مايطفىء عطشه .

– وعن عمر عن النّبى ﷺ أنّه قال :

« لو أنّكم تتوكّلون على الله حق توكلّه لرزقكم كما يرزق الطّير تغدو خماصاً وتروح بطانا »[1].

فهذه الطّيور تكون في الصّباح خماصاً[2] ضامرة البطون من الجوع ، وتروح في المساء وقد امتلأت بطونها . إنّ الله يرزقها من غير حيلة منها ولا تخطيط .

– عن أنس أنّ رسول الله ﷺ قال :

« أتيت بالبراق وهو دابّة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه »[3].

وفي رواية : « يقع خطوة عند أقصى طرفه »[4].

البراق دابّة جاء وصفها الدّقيق في هذا الحديث وأمثاله وقد ذكر العلماء تعليلاً لتسميتها بالبراق فقالوا : سُمّي البراق بالبراق لنصوع لونه وشدّة بريقه ، وقيل لسرعة حركته ، شبّهه فيهما بالبرق[5].

وهذا الوصف السرّيع ذكر أموراً ثلاثة علي لونه وحجمه وسرعة عدوه وأنّ له طرفاً وحافراً .

والبراق دابّة ركبها النّبى ﷺ ليلة الإسراء وجاء ذكرها في حديث المعراج .

---

(١) رواه التّرمذي (انظر رياض الصّالحين ٥٧ ط عمارة والأحاديث الصّحيحة ٣١٠) .

(٢) جاء في القاموس : وخميص الحشى ضامر البطن وهي خمصانة وخميصة من خمائص وهم خماص جياع .

(٣) صحيح مسلم ٢/٢١٠-٢١١ .

(٤) صحيح مسلم ٢/٢٢٣ .

(٥) النهاية لابن الأثير ١/١٢٠ .

وهي من عالم الغيب الذي خصَّ الله بمعرفته رسول الله ﷺ وبعض الملائكة .

ونطالع وصفاً لحال العبد يوم القيامة من خلال حوار يجري بين العبد وربِّه ثُمَّ حوار بين العبد وجوارحه . هذا الوصف الرَّائع صورة ناطقة لحال النَّاس يوم القيامة فلنستمع إلى هذا الحوار :

– عن أنس قال :

كنَّا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال :

– « هل تدرون مِمَّ أضحك ؟ »

– قال قلنا : الله ورسوله أعلم .

– قال : « من مخاطبة العبد ربَّه يقول : ياربِّ ألم تجرني من الظُّلم ؟

– قال : يلى .

– قال فيقول : فإنِّي لا أجيز على نفسي إلا شاهداً منِّي .

– قال فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً .

التَّصوير بالموازنة :

الموازنة أسلوب كثير الورود في الحديث النَّبوي ، وقد جمع هذا الأسلوب بين الإمتاع والإقناع ، أمَّا الإمتاع فلانَّ السَّامع والقارىء يكونان أمام صورة تربط بين شيء معروف وأمر جديد يتعرَّفانه ، وأمَّا الإقناع فلانَّ الموازنة تجعل الإنسان يأخذ بالرَّأى يدلُّ عليه الدَّليل .

وسأورد بعض النَّماذج ولن استطيع سوقها كلها لكثرة الصُّور التَّي كانت تعتمد على الموازنة ، لاسيماً وأنَّ كثيراً منها قد مرَّ معنا في البابين السَّابقين :

– عن المستورد بن شداد قال : قال رسول الله ﷺ :

« ما الدُّنيا في الآخرة إلاَّ مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه – وأشار يحيى

بالسَّبابة – في اليم فلينظر بما يرجع »[1].

إن شأنها ضئيل ، ماهي بالنِّسبة إلى الآخرة إلاَّ مثل ما يعلق بالسَّبابة إذا أدخلت البحر .

هذه الدُّنيا وما فيها لاتكاد تذكر أمام الآخرة ، ومن يقرن كميَّة الماء العالقة بالسبَّابة بالبحر العظيم المحيط ؟

* * *

– عن سهل بن سعد السَّاعدي قال : قال رسول الله ﷺ :

« لو كانت الدُّنيا تعدل عند الله جناح بعوضه ماسقى كافراً منها شربة ماء »[2].

إنهَّا عند الله أقل من جناح بعوضه ، لأنَّنا نرى الكفَّار يسقون وتتاح لهم وسائل النَّعيم .

* * *

– عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ :

« رباط يوم في سبيل الله خير من الدُّنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم في الجنَّة خير من الدُّنيا وما عليها والرَّوحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدُّنيا وما عليها »[3].

هذه الدُّنيا وما عليها ليست شيئاً أمام هذه الأمور الثَّلاثة . انَّ المساحة اليسيرة من الجنَّة التَّي تعدل موضع السَّوط خير من هذه الدُّنيا وما عليها .

---

(١) صحيح مسلم : ١٩٢/١٧ .
(٢) رواه الترمذي : وقال : حديث حسن صحيح وانظر رياض الصالحين ٣٣٨ .
(٣) متَّفق عليه (صحسح البخاري : ٢٩/٤ وانظر رياض الصالحين ٧١٦) .

وفي رواية لأبي هريرة عن النَّبي ﷺ أنَّه قال :

« لقاب قوس في الجنَّة خير مما تطلع عليه الشَّمس أو تغرب »(1).

وقاب القوس هو مقدار ما بين المقبض والسية من القوس .

والتعبير بما طلعت عليه الشَّمس عن الدُّنيا وارد كثيراً وهو يزيد الصُّورة جمالاً إذ يجعل الصُّورة مركَّبة ومن ذلك الحديث الآتي :

– عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاَّ الله والله أكبر أحبُّ إليَّ مِّما طلعت عليه الشَّمس »(2).

– وعن عمر بن الخطَّاب قال :

... وجئت رسول الله ﷺ فسلَّمت عليه فقال :

« لقد أنزلت علي اللَّيلة سورة فهي أحبُّ إليَّ مِّما طلعت عليه الشَّمس ... »(3).

فرسول الله ﷺ يقرِّر أنَّ قول أذكار معينة أحبُّ إليه من الدُّنيا ، وسورة الفتح أحبُّ إليه من الدُّنيا .

إنَّ المؤمن المحبَّ لرسول الله ﷺ عندما يسمع هذا الكلام يقدر الدُّنيا قدرها ، وتهون عليه مآسي الحياة ، ويدفعه إلى الجهاد واختيار ما عند الله وما يؤثر رسول الله ﷺ .

* * *

– عن أنس عن النَّبي ﷺ قال :

« يقول الله تبارك وتعالى لأهون أهل النَّار عذاباً :

(1) متفق عليه (وانظر رياض الصالحين ١٠٤٥) .

(2) صحيح مسلم : ١٧/١٩ .

(3) صحيح البخاري : ٥/١٦١ ط الشَّعب .

لو كانت لك الدُّنيا وما فيها أكنت مفتدياً بها ؟

فيقول : نعم

فيقول : قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لاتشرك ولا أدخلك النَّار فأبيت إلاَّ الشرِّك »[1].

يخبرنا رسول الله ﷺ عن حوار سيجري يوم القيامة بين أهون أهل النَّار عذاباً وبين الله ، ويسأله ربُّنا تبارك وتعالى : لو كانت لك الدُّنيا وما فيها أتقبل أنْ تتنازل عنها لتفتدي نفسك بها من هذا العذاب ، فيقول نعم .

فالدُّنيا وما فيها لاتساوي أقل عذاب يمكن أنْ يلقاه إنسان في النَّار فما بالنا والعياذ بالله بأشد النَّاس عذاباً ؟

إنَّ هذا نذير لهؤلاء الذِّين مازالوا في الفسحة .

* * *

– عن أبي هريرة قال :

جاء رجل من بني فزارة إلى النَّبي ﷺ فقال :

– إنَّ امرأتي ولدت غلاماً أسود – وهو حينئذ يعرض بأن ينفيه .

– فقال النَّبي ﷺ : « هل لك من إبل ؟ »

– قال : نعم

– قال : « فما ألوانها ؟ »

– قال : حمر

– قال : « هل فيها من أورق ؟ »

– قال : إنَّ فيها لورقاً .

– قال : « فأنّى أتاها ذلك ؟ »

– قال : عسى أن يكون نزعه عرق .

---

(١) صحيح مسلم : ١٤٧/١٧ .

– قال : « وهذا عسى أن يكون نزعه عرق » .

ولم يرخص له في الانتفاء منه »[1].

لقد تركه ﷺ يستخلص الحجَّة بنفسه ، ولم يقرِّرها هو حتَّى لايحسَّ بأنَّ شيئاً فرض عليه ، وكان هذا الحوار الحيّ مفحماً للرجل عن طريق الموازنة ، وواضح أنَّه اعتمد على ماهو معروف عند المخاطب الذِّي كان له إبل .

* * *

التصوير بالإشارة والحركة والرَّسم :

وهذا الَّلون من التَّصوير نقل إلينا ووصف ، وهو لون من ألوان التَّصوير التَّي توضِّح الفكرة وتبينٌ المراد .

ذلك أنَّ الإشارة لغة إنسانيَّة يستطيع أنْ يتفاهم بها ناس من بلاد مختلفة لا يعرف بعضهم لغة بعض كما يتفاهم بها البكم فيما بينهم ومع النَّاطقين أيضاً : وهي إذْ كانت في محلِّها كانت معينة على الفهم ، ملفتة للنَّظر ، طاردة الشُّرود مشركة في المتابعة أكثر من حاسَّة ، فالنَّاظر يرى الاشارة ويسمع العبارة ، ويذكر كلٌ منهما بالأخرى .

وكان لحـركته ﷺ وإشارته موضع كبير في إجادة الأداء فحركته معبِّرة تلفت النَّظر وتنبِّه الغافل وتعين على الحفظ والتَّذكر[2].

أمَّا الرَّسم فإنَّه أسلوب تعليمي يجلو الأمر ويوضحه أتَّم توضيح ... وإنَّه لمستوى رفيع في التَّوجيه والإبلاغ أنْ يكون الرَّسم أداة في قوم أميِّن .

---

(١) البخارى ٧ × ٦٨ – ٦٩ ط الشعب ، ومسلم ١٣٣/١٠ وفى ط استانبول ٢١١/٤ وفتح البارى ٤٤٢/٩ ومسند أحمد ١٧٦/١٢ وأقيسه النبى : ١٨١،٨٠

(٢) انظر صفحة ٥٧ من كتابى : الحديث النَّبوي – الطبعة الثالثة

استخدامه الاصبعين السّبابة والوسطى :

– عن سهل بن سعد عن النّبي ﷺ قال :

« أنا وكافل اليتيم في الجنّة هكذا »

وأشار بأصبعيه السّبابة والوسطى[1].

– عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« كافل اليتيم له أو لغيره ، أنا وهو كهاتين في الجنّة »

وأشار مالك (أحد الرّواة) بالسّبابة والوسطى[2].

– عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ :

« من عال جاريتين حتّى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين » وضمّ أصابعه[3].

القيام بأمور اليتيم والبنات عمل يرشح صاحبه ليكون مع رسول الله ﷺ في الجنّة . ويستخدم رسول الله ﷺ الإشارة بأصبعيه ليدلّ على أنْ من يفعل ذلك يكون مرافقاً له في الجنّة .

وكذلك فإنّه يستعمل الإشارة نفسها عندما يريد أنْ يقرّر أنّ بعثته مقاربة لقيام السّاعة ، والقرب والبعد أمور نسبيّة .

– عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ :

« بعثت أنا والسّاعة كهاتين »[4].

وأشار بالوسطى والسّبابة .

– عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) صحيح البخاري ١٠/٨ ط الشّعب . والاصبع فيها عشر لغات بتثليث الهمزة والباء . والعاشرة أصبوع على وزن عصفور . واشهرها بفتح الهمزة وكسر الباء

(٢) صحيح مسلم ١١٣/١٨ .

(٣) صحيح مسلم ٣٨/٨ ط استانبول .

(٤) مسند أحمد ١٢٤/٣ (وانظر أقيسة النّبي ١٤٣) .

« بعثت أنا والسَّاعة كهاتين » .

ويقرن بين أصبعيه السَّبابه والوسطى[1].

* * *

الإشارة باليد حاثياً إلى الأمام والخلف واليمين والشّمال :

وردت هذه الإشارة عندما يريد صلوات الله وسلامه عليه أنْ يذكر توزيع المال في المستحقِّين وهو تصوير رائع :

– عن أبي ذر قال : انتهيت إلى النَّبي ﷺ وهو جالس في ظلِّ الكعبة فلمَّا رآني قال : « هم الأخسرون وربِّ الكعبة » .

فجئت حتَّى جلست ، فلم أتقارَّ أنْ قمت فقلت : فداك أبي وأمي من هم ؟

قال : « هم الأكثرون أموالاً – إلاَّ من قال هكذا وهكذا » – من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله[2].

– وعن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ :

« ما أحبُّ أنَّ أحداً ذاك عندي ذهب ، أمسي ثالثة عندي منه دينار ، إلاَّ ديناراً أرصده لدين ، إلاَّ أنْ أقول في عباد الله هكذا – حثا بين يديه – وهكذا عن يمينه وهكذا عن شماله »[3].

* * *

الإشارة باليد إلى الفمّ :

وقد استعمل رسول الله ﷺ هذه الإشارة عندما كان يتحدَّث عن موقف النَّاس يوم القيامة وعن مكان ارتفاع بحيرة العرق بالنِّسبة إلى أجسامهم .

(١) رواه مسلم (وانظر رياض الصَّالحين ١٦٤) .

(٢) صحيح مسلم ٧٣:٧ .

(٣) صحيح مسلم ٧٥:٧ والبخاري وانظر رياض الصَّالحين ٣٣٣ .

- عن المقداد بن الأسود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« تُدنى الشّمس يوم القيامة من الخلق حتّى تكون منهم كمقدار ميل »[1].

« فيكون النّاس على قدر أعمالهم في العرق : فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً » .

قال : فأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه[2].

* * *

الإشارة بأصابع يده للدّلالة على الأرقام :

هناك دلالات على الأرقام بالأصابع ، وقد حدّدت هذه الإشارة في كتب الفقه وفي الكتب التّي تحكي عادات العرب في الأمور الاجتماعية .

فعندما أراد رسول الله ﷺ أنْ يقرّر أنّ الشّهر القمري يأتي مرّة تسعاً وعشرين ومرّة ثلاثين استخدم من أجل ذلك الإشارة بالأصابع . وقد نقل الصّحابة عنه مثل هذا الاستعمال :

- عن ابن عمر قال : قال النّبي ﷺ :

« أنّا أمّة أمية لانكتب ولا نحسب ، الشّهر هكذا وهكذا وهكذا » .

وخنس سليمان أصبعه في الثّالثة ، يعني تسعاً وعشرين ، وثلاثين[3].

* * *

(١) قال سليم بن عامر راوى الحديث : فوالله ما أدرى مايعنى الميل أمسافة الأرض أم الميل الذّي تكحل به العين .

(٢) صحيح مسلم ١٩٦/١٧ .

(٣) أبو داود ٣٩٨/٢ . وأخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه

الإشارة باليدين مجموعتين ثُمَّ بسط السَّبابتين :

وذلك في بيانه ﷺ الفجر الذَّي يمسك عند حلوله الصَّائم وفي هذه الإشارة حكاية لانفجار الفجر وكيف يكون ذلك على وجه التَّقريب فلقد جمع ثُمَّ مدَّ أصبعيه السَّبابتين إلى الأمام :

– عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ :

« لايمنعن أحدكم أذان بلال من سحوره ، فإنَّه يؤذِّن – أو قال ينادي – ليرجع قائمكم وينتبه نائمكم . وليس الفجر أنْ يقول هكذا (قال مسدَّد : جمع يحيى كفَّيه) حتَّى يقول هكذا (ومدَّ يحيى بأصبعيه السَّبابتين) »[1].

الإشارة باليد إلى رأس المخاطب :

وذلك للدَّلالة على القرب الشَّديد . وقد فعل ذلك رسول الله ﷺ ليقرِّر أنَّ السَّاعة يومئذ أقرب من النَّاس من يده ﷺ من رأس المخاطب .

– عن ابن حوالة قال : قال رسول الله ﷺ :

« يابن حوالة : إذا رأيت الخلافة قد نزلت أرض القدس فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام . والسَّاعة يومئذٍ أقرب من النَّاس من يدي هذه من رأسك »[2].

تشبيك الأصابع :

– عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ :

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً »[3].

وشبَّك بين أصابعه .

---

(١) أبو داود ٢/٤٠٨ وأخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه .

(٢) أبو داود : ٣/٢٨ .

(٣) متَّفق عليه : انظر رياض الصَّالحين ٢٠٤

وهذه الإشارة للدَّلالة على القوَّة والتمَّاسك وتقوية بعضهم لبعض . وقد استخدم الرَّسول ﷺ التَّشبيك أكثر من مرَّة .

* * *

الإشارة باليد إلى الصَّدر للدَّلالة على مكان التَّقوى :

– عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« ... وكونوا عباد الله إخواناً . المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايخذله ولا يحقره التَّقوى ههنا » .

ويشير إلى صدره ثلاث مرَّات[1].

وضع السَّبابة في الفم إشارة إلى الرضاع :

وذلك في حديث الثَّلاثة الذين تكلَّموا في المهد ، فقد كلَّم الطِّفل الرَّضيع أمَّه ثُمَّ رجع إلى الرَّضاعة فحكى النَّبي ﷺ رضاعته .

– عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ :

« ... فترك الثَّدي ، وأقبل إليه ، فنظر إليه ، فقال : اللَّهم لاتجعلني مثله . ثُمَّ أقبل على ثديه فجعل يرضع فكأنِّي أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بأصبعه السبابة في فيه فجعل يمصُّها ... »[2].

* * *

تغيِّير جلسته ﷺ :

وكان يفعل ذلك إذا أراد أنْ يؤكِّد أهمية الموضوع الذِّي يتحدَّث فيه . فيغيرِّ جلسته كما في الحديث الآتي :

---

(١) صحيح مسلم : ١١/٨ ط استانبول .

(٢) صحيح البخاري ٢٠١/٤ وصحيح مسلم ١٠٥/١٦ .

- عن أبي بكرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ » .

قلنا : بلى يا رسول الله .

قال : « الإشراك بالله ، وحقوق الوالدين » وكان متكئاً فجلس .

فقال : « ألا وقول الزُّور » .

فما زال يكرِّرها حتَّى قلنا ليته سكت[1].

* * *

الإشارة باليد ووضعها على الأرض ونقلها :

فلقد جمع أصابعه فوضعها على الأرض ثُمَّ قال : « هذا ابن آدم » .

ثُمَّ رفعها فوضعها قبل ذلك قليلاً وقال :

« هذا أجله » .

ثُمَّ رمى بيده أمامه وقال :

« وثَمَّ أمله »[2].

إنَّ هذا التَّنقل باليد من مكان إلى مكان ليصوِّر قرب الأجل وطول الأمل وبعده وسيلة من وسائل ترسيخ الفكرة واستيعابها في أذهان السَّامعين .

* * *

الرَّسـم :

وإنَّه لتصوير يجسِّد المعنى ويبيِّنه ببساطة ووضوح ولقد استخدمه الرَّسول ﷺ في توضيح عدَّة معان وسنذكر معنيين :

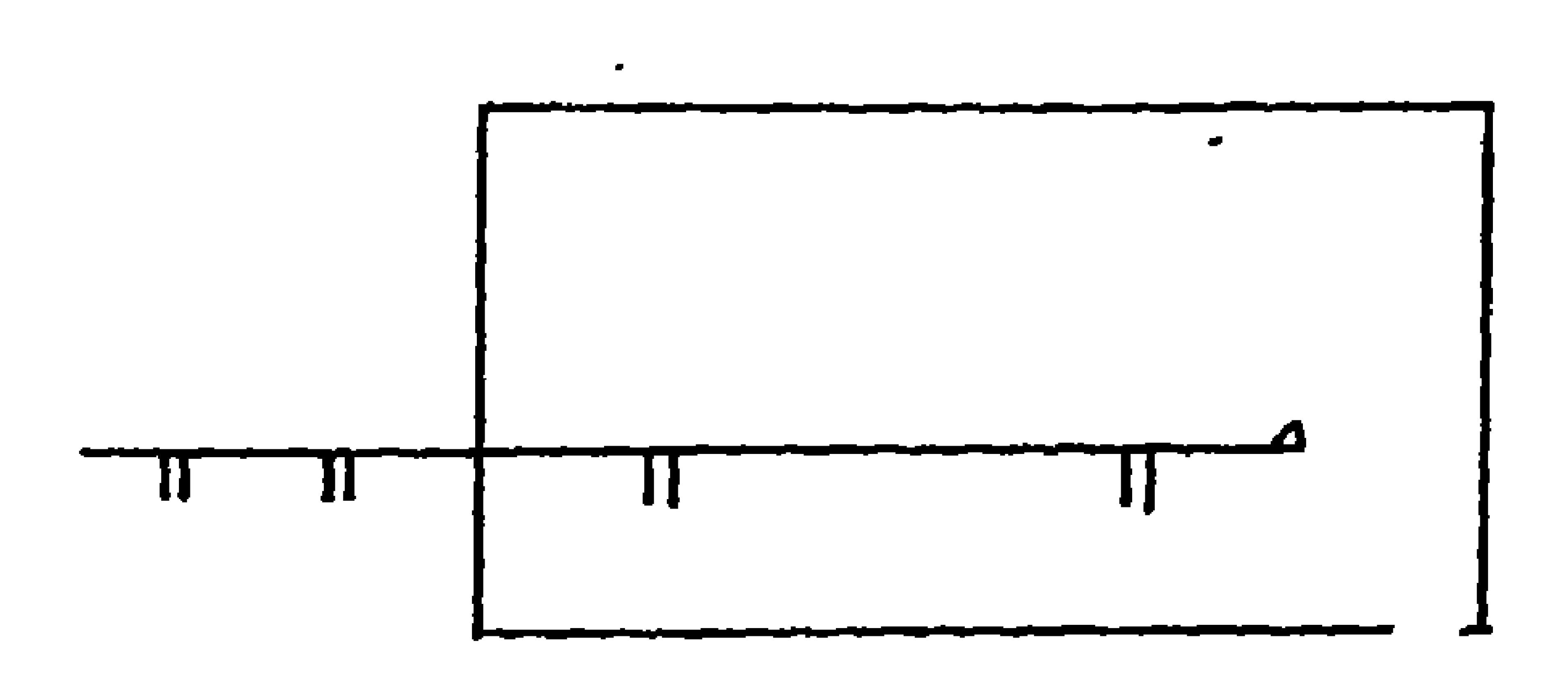
---

(1) متَّفق عليه ، وانظر رياض الصَّالحين ٥٥٢ ط رضوان محمد رضوان .

(2) المسند : ١٢٣/٣ .

وما أحسب أنَّ هناك تفسيراً يبسط معنى الآية ويقرِّبها للأذهان يفوق هذا التّفسير الموضح بالرَّسم .

٢ - الأمل والأجل :



فهـــرس

الصفحـــة

رقم الايداع ٥٣٤٩ / ٨٨

الترقيم الدولى ٥ ـ ٤٣٧ ـ ٠٤ ـ ٩٧٧


Bibliotheca Alexandrina
0297560